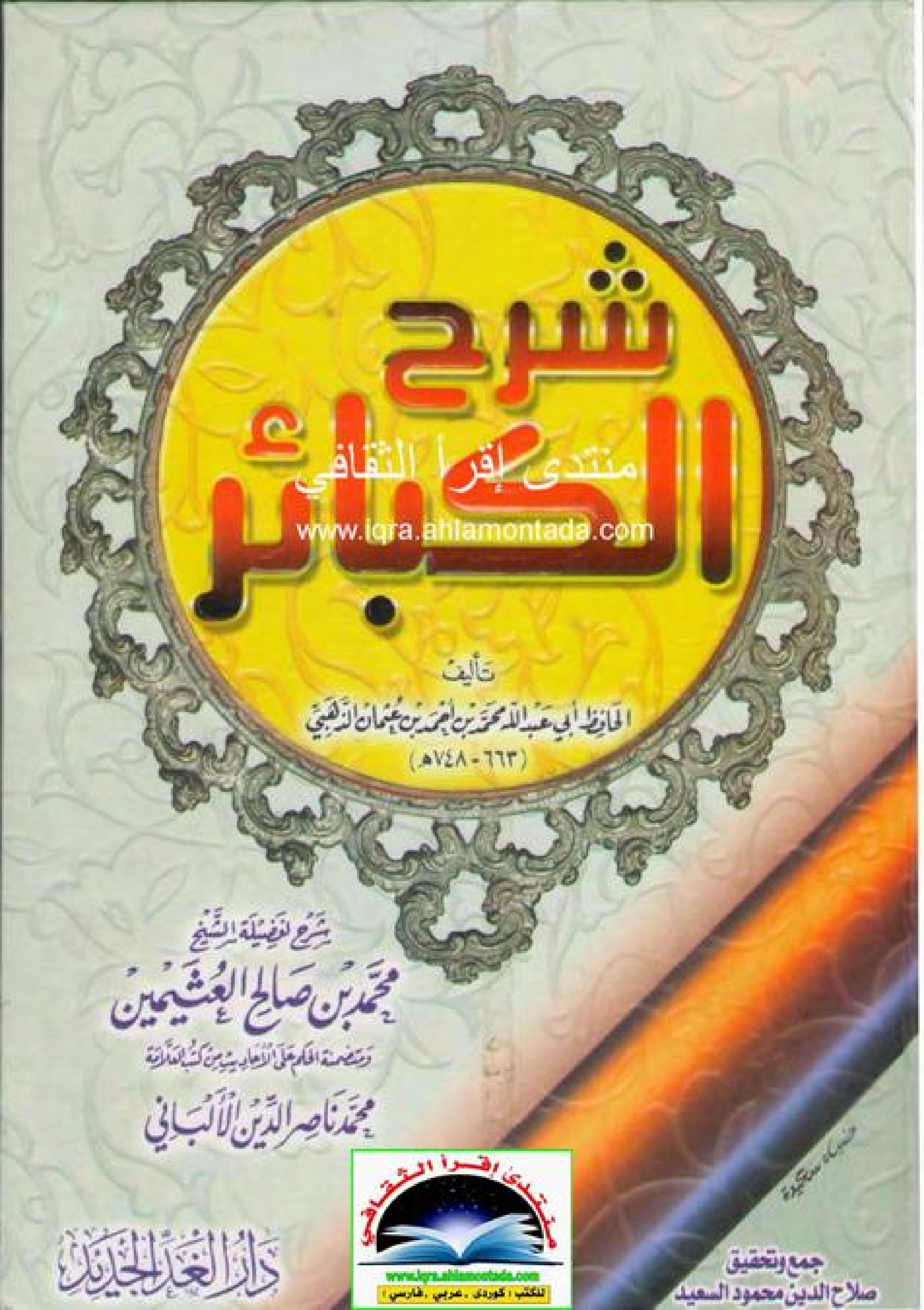


شرح الكبائر
منتدى إقرأ الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com
تأليف
الحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي
(٦٦٣ - ٧٤٨هـ)
شرح لفضيلة الشيخ
محمد بن صالح العثيمين
وتضمنه الحكم على الأحاديث من كتب العلامة
محمد ناصر الدين الألباني
جمع وتحقيق
صلاح الدين محمود السعيد
دار الغد الجديد
www.iqra.ahlamontada.com
للكتب : كوردي . عربي . فارسي


منتدى إقراء الثقافي



تأليف

الحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي

(٦٦٣ - ٧٤٨هـ)

ملحق به شرح فضيلة الشيخ

محمد بن صالح العثيمين

ومتضمنًا الحكم على الأحاديث من كتب العلامة

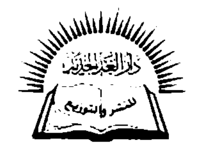
محمد ناصر الدين الألباني

جمع وتحقيق

صلاح الدين محمود

دار الغد الجديد

المنصورة





المنصورة - مصر

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

دار الغد الجديد

المنصورة - مصر

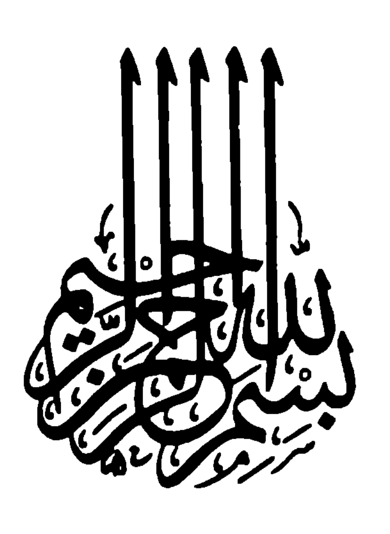
أمام جامعة الأزهر

ت وفاكس: 2254224 - 050 - 002

صندوق بريد: 35111

EMAIL: DAR-ALGHAD@YAHOO.COM

رقم الإيداع : ١٠٥٤٢ / ٢٠٠٤


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا من سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيمًا ﴾ [٧٠- ٧١] .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى . وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

وبعـــــد:

فهذا كتاب الكبائر للإمام الحافظ شمس الدين الذهبي - رحمه الله - أقدمه للقاريء الكريم في ثوب جديد قمت بنقل متن كتاب الكبائر ثم قمت بتخريج أحاديثه من كتب فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله ، وألحقت به شرح لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله ليعم النفع بعلم هؤلاء العلماء الأفاضل ، وليكون هذا الكتاب عونًا لكل مسلم على اجتناب ماحرم الله.

واسأل الله عز وجل أن يكفنا بحلاله عن حرامه وأن يغننا بفضله عمن سواه . وإني سائل كل من انتفع بهذا الكتاب الدعاء بأن يتقبل الله هذا العمل ويجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة وأن يغفر لعلمائنا الكرام ويجزل لهم المثوبة والعطاء وأن

ينفع بعلومهم .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

جمع وتحقيق

أبو أنس/ صلاح الدين محمود السعيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وإمام المتقين وعلى آله وصحبه وسلم.

أمابعد . . . فهذا كتاب مشتمل على ذكر جُمل في الكبائر والمحرمات والمنهيات.

الكبائــــر :

ما نهى عنه الله ورسوله في الكتاب والسنة والأثر عن السلف الصالحين ، وقد تضمن الله تعالى في كتابه العزيز لمن اجتنب الكبائر والمحرمات أن يكفر عنه الصغائر من السيئات لقوله تعالى : ﴿ **إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا** ﴾[1] فقد تكفل الله تعالى بهذا النص لمن اجتنب الكبائر أن يدخله الجنة.

وقال تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ** ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿**الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ** ﴾[3] .

وقال رسول الله ﷺ : « **الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر** »[4] . فتعين علينا الفحص عن الكبائر، ما هي ، لكي يتجنبها المسلمون ، فوجدنا العلماء رحمهم الله تعالى قد اختلفوا فيها، فقيل هي سبع ، واحتجوا بقول النبي ﷺ : « **اجتنبوا السبع الموبقات** » فذكر منها : « **الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات** ».

---

(١) النساء : ٣١ .

(٢) الشورى : ٣٧ .

(٣) النجم : ٣٢ .

(٤) صحيح : رواه أحمد (٢/ ٣٥٩ ـ ٤٠٠) ومسلم (٢٣٣) .

متفق عليه[١] وقال ابن عباس رضي الله عنهما هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع[٢]، وصدق والله ابن عباس[٣] ، وأما الحديث فما فيه حصر الكبائر ، والذي يتجه ويقوم عليه الدليل أن من ارتكب شيئًا من هذه العظائم مما فيه حد في الدنيا كالقتل والزنا والسرقة ، وجاء فيه وعيد في الآخرة من عذاب أو غضب أو تهديد ، أو لعن فاعله على لسان نبينا محمد ﷺ فإنه كبيرة ، ولابد من تسليم أن بعض الكبائر أكبر من بعض ألا ترى أنه ﷺ عد الشرك بالله من الكبائر ، مع أن مرتكبه مخلد في النار ولا يغفر له أبدًا

قال الله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾[٤]

***

---

(١) صحيح رواه البخاري (٢٧٦٦ ، ٥٧٦٤) ومسلم (٨٩) عن أبي هريرة

(٢) صحيح رواه عبد الرزاق (٢ ١٧٩) وابن جرير (٩ ٩٢) صحيح الإسناد

(٣) قال ذلك الذهبي وهو من أعيان المائة السابعة ، ترى ماذا كان يقول رحمه الله

(٤) النساء ٤٨

الكبيرة الأولى
الشرك بالله

فأكبر الكبائر الشرك بالله تعالى وهو نوعان : أحدهما ـ أن يجعل لله ندًا ويعبد غيره من حجر أو شجر أو قمر أو نبي أو شيخ أو نجم أو ملك أو غير ذلك ، وهذا هو الشرك الأكبر الذي ذكره الله عز وجل ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ **إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ** ﴾ (٣) .

الكبيرة الأولى
الشـرك

حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **اجتنبوا السبع الموبقات** » .

السبع الموبقات المهلكات التي تهلك الدين والعياذ بالله ، قالوا : وما هن يا رسول الله؟ قال : « **الشرك بالله** » ، وهذا أعظم الموبقات أن تشرك بالله عز وجل وهو خلقك وأنعم عليك في بطن أمك وبعد وضعك وفي حال صباك ، أنعم الله عليك بنعم كثيرة فتشرك به والعياذ بالله .

هذا أظلم الظلم ، أظلم الظلم أن تجعل لله ندًا وهو خلقك وهذا أعظم الموبقات الإشراك بالله .

والإشراك بالله أنواع كثيرة منها :

أن يعظم الإنسان المخلوق كما يعظم الخالق ، وهذا موجود عند بعض الخدم الأحرار

---

(١) النساء : ٤٨ .

(٢) لقمان : ١٣ .

(٣) المائدة : ٧٢ .

والآيات في ذلك كثيرة .

فمن أشرك بالله ثم مات مشركًا فهو من أصحاب النار قطعا ، كما أن من آمن بالله ومات مؤمنا فهو من أصحاب الجنة وإن عذب بالنار . وفي « الصحيح » أن رسول الله ﷺ قال : « **ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ــ ثلاثا ــ** قالوا : بلى يا رسول الله قال: **الإشراك بالله وعقوق الوالدين** ، وكان متكئا فجلس فقال : **ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور** » فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت [١]. وقال ﷺ : «**اجتنبوا السبع الموبقات** » [٢]فذكر منها الشرك بالله ، وقال ﷺ : « **من بدل دينه فاقتلوه** » [٣].

والنوع الثاني من الشرك : الرياء بالأعمال كما قال الله تعالى : ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو**

وغير الأحرار ، تجده يعظم رئيسه يعظم ملكه يعظم وزيره أكثر من تعظيم الله والعياذ بالله هذا شرك عظيم ، تعظم مخلوقًا مثلك أعظم من تعظيم الله ويدل لهذا أن أميره ووزيره أو ملكه أو سيده إذا قال افعل كذا وقت الصلاة ترك الصلاة وفعل ، حتى لوخرج وقتها لا يبالي معناه أنه جعل تعظيم المخلوق أعظم من تعظيم الخالق .

ومن ذلك أيضًا المحبة أن يحب أحدًا من المخلوقين كمحبة الله أو أعظم تجده يداري هذا الإنسان ويطلب محبته أكثر من محبة الله .

وهذا يوجد والعياذ بالله في المفتونين بالعشق .

الذين فتنوا بالعشق سواء كان عشق نساء أو مردان تجد قلبه مملوء بمحبة غير الله أكثر من محبة الله ، وقد قال تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ** ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

ومن ذلك وهو أمر خفي من ذلك الرياء ، فإنه من الشرك بالله يقوم الإنسان يصلي

---

(١) رواه البخاري (٢٦٥٤) ومسلم (٨٧) .

(٢) رواه البخاري (٢٧٦٦) ومسلم (٨٩) عن أبي هريرة .

(٣) رواه أحمد (١/ ٢٨٢) والبخاري (٣٠١٧) عن ابن عباس .

لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [1] .

أي لا يرائي بعمله أحد .وقال ﷺ : « **إياكم والشرك الأصغر ، قالوا** : يا رسول الله وما الشرك الأصغر ؟ قال : **الرياء . يقول الله تعالى يوم يجازي العباد بأعمالهم**

ويزين صلاته لأن فلانًا يراه ، ينظر إليه . يصوم ليقال إنه رجل عابد يصوم . يتصدق ليقال إنه رجل كريم يتصدق هذا رياء . وقد قال الله تعالى : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غير تركته وشركه » .

ومن ذلك أيضًا : من الشرك وهو خفي أيضًا : أن تأخذ الدنيا لُب الإنسان وعقله تجد عقله وفكره وبدنه ونومه ويقظته كلها في الدنيا . ماذا كسب اليوم وماذا خسر . ولذلك تجده يتحيل على الدنيا بالحلال والحرام والكذب والخديعة لولاة الأمور ولا يبالي لأن الدنيا استعبدته والعياذ بالله .

والدليل على هذا الشرك . قول النبي ﷺ : « **تعس عبد الدينار** » .

هل تظنون أن هذا يسجد للدينار ؟ لا .لكن الدينار ملك قلبه « تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة » . يعني : الثياب (تعس عبد الخميلة) يعني الفرش . ماهمه إلا تجميل ثيابه تجميل فراشه أكبر عنده من الصلاة وغيرها من عبادة الله .

(إن أعطى رضى وإن لم يُعط سخط) إن أنعم الله عليه قال : هذا الرب الكريم العظيم الجليل الذي يستحق كل شيء وإن لم يعط سخط والعياذ بالله.

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ﴾ [الحج : ١١] .

يقول الرسول ﷺ : « **إن أعطى رضى وإن لم يعط سخط تعس وانتكس** » خسر انتكس : انتكست عليه الأمور وأفسد الله عليه أمره [وإذا شيك فلا انتفش] .

يعني : معناه أن الله يعسر عليه الأمور حتى الشوكة لا يقدر لطلعها من بدنه [وإذا

---

(١) الكهف : ١١٠ .

اذهبوا إلى الذين كنتم تراءونهم بأعمالكم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء»[١]. وقال ﷺ : « **يقول الله: من عمل عملا أشرك معي فيه غير فهو للذي أشرك وأنا منه بريء** » [٢] ، وقال : « **من سمع سمع الله به ومن راءى راءى الله به**»[٣]، و عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **رب صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش ، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر** » [٤] يعني أنه إذا لم يكن الصلاة والصوم لوجه الله تعالى فلا ثواب له ، كما روى عنه ﷺ أنه قال : « مثل الذي يعمل للرياء والسمعة كمثل الذي يملأ كيسه حصى ثم يدخل السوق ليشتري به، فإذا فتحه قدام البائع فإذا هو حصى وضرب به وجهه ، ولا منفعة له في كيسه سوى

شيك] أي : أصابته الشوكة (فلا انتقش) ثم قال في مقابل هذا [طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله] .

يعني الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة لهذا العبد « لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث مغبرة قدماه » انظر الأول عبد خميصة وخميلة أما الثاني ما يبالي بنفسه ، أهم شيء عنده هو عبادة الله ورضا الله « أشعث رأسه مغبرة قدماه إن كان في الساقة كان في الساقة » يعني معناه أنه لا يبالى أية منزلة ينزلها إن كان فيها مصلحة الجهاد فإنه يكون فيها . هذا هو الذى ربح الدنيا والآخرة فالحاصل أن من الناس يشرك بالله وهو لا يعلم . وأنت يا أخي إذا رأيت الدنيا قد ملأت قلبك وأنه ليس لك هم إلا هي ، تنام عليها وتستيقظ عليها فاعلم أن في قلبك شركًا . لأن الرسول ﷺ قال : « **تعس عبد الدينار** » ويدل هذا أنه يحرص على الحصول على المال سواء بالحلال أو بالحرام ، والذي يعبد الله حقًا لا يمكن أن يأخذ بالمال بالحرام إطلاقًا لأن الحرام فيه سخط الله والحلال فيه رضا الله عز وجل ، والإنسان الذي يعبد الله حقًا يقول لا يمكن أن آخذ المال إلا بطريقه ولا أصرفه إلا بطريقه .

---

(١) صحيح : رواه أحمد (٥/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩) والبيهقي (٦٨٣١) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ٩٥١ .

(٢) صحيح : رواه أحمد (٥/ ٣٠١) ومسلم (٢٩٨٥) عن أبي هريرة .

(٣) صحيح : رواه أحمد (٥/ ٣٠١) والبخاري (٦٤٩٩) ومسلم (٢٩٨٧) عن جندب .

(٤) صحيح : رواه أحمد (٢/ ٣٧٣) والحاكم والبيهقي صحيح الجامع ٣٤٩٠ .

مقالة الناس له ما أملأ كيسه ولا يعطى به شيئًا فكذلك الذي يعمل للرياء والسمعة فليس له من عمله سوى مقالة الناس ولا ثواب له في الآخرة »[١] قال الله تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾[٢] يعني الأعمال التي عملوها لغير وجه الله تعالى أبطلنا ثوابها وجعلناها كالهباء المنثور وهو الغبار الذي يرى في شعاع الشمس .

وروى عدي بن حاتم الطائي ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : « **يؤمر بفئام ـ أي جماعات ـ من الناس يوم القيامة إلى الجنة حتى إذا دنوا منمها واستنشقوا رائحتها ، ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها ، نودوا أن أصرفوهم عنها فإنهم لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة وندامة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها ، فيقولون: ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثواب ما أعددت لأوليائك كان أهون علينا . فيقول الله تعالى : ذلك ما أردت بكم كنتم إذا خلوتم بارزتموني بالعظائم، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراءون الناس بأعمالكم خلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني وأجللتم الناس ولم تجلوني ، وتركتم للناس ولم تتركوا لي ـ يعني لأجل الناس ـ فاليوم أذيقكم أليم عقابي مع ما حرمتكم من جزيل ثوابي** »[٣] .

فصل

« الحلف »

الحلف معناه : تأكيد الشيء بذكر مُعظم والإنسان لايحلف بشيء إلا لأنه عظيم في نفسه فكأنه يقول : بقدر عظمة هذا المحلوف به أني ، صادق . ولهذا كان الحلف بالله عز وجل : احلف بالله أو بصفة من صفات . أو بأي اسم من أسمائه ، قال الله تعالى : ﴿أَيًّا

---

(١) ليس حديثًا ولكنه كلام بعض الحكماء .

(٢) سورة الفرقان : ٢٣ .

(٣) ضعيف : رواه الطبراني في الأوسط (٥٤٧٨) والكبير (١٧/ ٨٥ ، ٨٦) وقد ذكره المنذري في الترغيب والترهيب بلفظ روى والحديث ضعيف ص ١ .

وسأل رجل رسول الله ﷺ : ما النجاة ؟ فقال ﷺ : « أن لا تخادع الله » . قال: وكيف يخادع الله ؟ قال ﷺ : « **أن تعمل عملاً أمرك الله ورسوله به وتريد به غير وجه الله . واتق الرياء فإنه الشرك الأصغر ، وإن المرائي ينادي عليه يوم القيامة على رؤوس الخلائق بأربعة أسماء : يامرائي ، يا غادر ، يا فاجر ، يا خاسر ضل عملك وبطل أجرك ، فلا أجر لك عندنا ، اذهب فخذ أجرك ممن كنت تعمل به يا مخادع** »(١) . وسئل بعض الحكماء رحمهم الله : من المخلص ؟ قال : أن لا تحب محمدة الناس . وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : ترك العمل لأجل الناس رياء ، والعمل لأجل الناس شرك ، والإخلاص أن يعافيك الله منهما . اللهم عافنا وأعف عنا .

مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [الإسراء : ١١٠] .

فإذا حلفت بالرحمن أو بالرحيم أو بالسميع .... أو أي اسم من أسماء الله فهذا جائز .

وحروف القسم ثلاثة : الواو والباء والتاء . الواو مثل والله لأفعلن كذا . والباء مثل بالله لأفعلن كذا . والتاء تالله لأفعلن كذا. قال الله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ [النور : ٥٣] .

﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ ﴾ [التوبة : ٦٢] .

وقال تعالى : ﴿ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴾ [الصافات : ٥٦] .

وقال تعالى : ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [النساء : ٦٥] .

فهذه حروف القسم .

والقسم بغير الله كفر أو شرك : ثم قد يكون كفرًا أكبر وقد يكون كفرًا أصغر وكذلك قد يكون شركًا أكبر وقد يكون شركًا أصغر فإذا اعتقد الحالف في شيء أن هذا الشيء له من العظمة مثل ما لله فإن هذا شرك أكبر.

---

(١) ضعيف : قال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء رواه ابن أبي الدنيا من رواية جبلة اليحصبي عن صحابي ولم يسم وإسناده ضعيف .

. . . .

وإن اعتقد أن له عظمة دون عظمة الله فهو شرك أصغر . لأنه وسيلة للأكبر .وكانوا في الجاهلية قد اعتادوا أن يحلفوا بآبائهم فنهى النبي ﷺ عنه وقال : « لا تحلفوا بآبائكم».

يعني ولا بإخوانكم ولا بأجدادكم ولا برؤسائكم ، لكن نص الآباء بالذكر لأن هذا هو المعتاد عندهم .[من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليسكت] .

يعني إما ليحلف بالله أولا يحلف ، أما أن يحلف بغير الله فلا .

ومن ذلك الحلف بالنبي محمد ﷺ أشرف البشر وسيد البشر . لو قلت : والنبي محمد كنت مشركا أو كافرًا ، الحلف بجبريل : لو قلت : وجبريل وميكائيل وإسرافيل ومالك خازن النار أو غير هؤلاء . فهذا شرك لو قلت : والشمس والقمر والليل والنهار تحلف بها ،فهذا شرك إما أكبر وإما أصغر على حسب ما قسمنا .

وتحلف أيضا بصفة من صفات الله تعالى مثل وعزة الله لأفعلن وحكمة الله لأفعلن كذا وكذا لا بأس به.

أما الحلف بغير الله فهو كما قلت كفر أو شرك إما أكبر وإما أصغر وأن من قال : هو بريء من دين الإسلام إن كان كذا وإن الإنسان لا يحل له أن يقول هذا . وأنه إن قال هذا فإن كان كاذبًا فهو كما قال : يعني أنه بريء من الإسلام والعياذ بالله ،وإن كان صادقًا فلن يرجع إلى الإسلام سالمًا يعني لابد أن يأثم أو يكفر ومثله قول القائل : هو يهودي إن حصل كذا وكذا هو نصراني إن حصل كذا وكذا ، هذا يقال له : إن ذلك محرم عليك، لأنك إن كنت كاذبًا فأنت كما قلت يهودي أو نصراني ،وإن كنت صادقًا فلن ترجع إلى الإسلام سالمًا .

مثال ذلك : قال رجل : إن فلانًا قَدِم اليوم ، وصل اليوم وكان مسافرًا ، فقال له صاحبه : لا ما وصل . قال الأول : هو يهودي إن كان لم يقدم .فإن كان كاذبًا وأنه لم يقدم يعني كاذبًا . فإنه يكون يهوديًا . لأنه قال : هو يهودي إن كان لم يقدم . وهوكاذب فيكون بذلك يهوديًا وإن كان صادقًا أنه قدم . فإنه لن يرجع إلى الإسلام سالمًا . كما قال الرسول ﷺ .

المهم أنك إذا أردت أن تحلف فاحلف بالله أو بأي اسم من أسماء الله أو بأي صفة من صفات الله

قد يقول القائل أليس الله تعالى أقسم بالمخلوقات .قال ﴿وَالشَّمْسِ وضُحَاهَا﴾ [الشمس: ١]

وقال : ﴿ وَالسَّمَاء وَمَا بنَاهَا﴾ [الشمس ٥]

نقول إن الله تعالى له يحلف بما شاء من خلقه فهو إذا حلف بشيء كان ذلك دليلاً على عظمة الله لأن عظم المخلوق يدل على عظم الخالق والله تعالى لا يحلف بشيء إلا بشيء عظيم وعظم المخلوق من عظم الخالق والله أن يحلف بما شاء من خلقه ولا أحد يحجر على الله يفعل ما يريد عز وجل .فإن قال قائل نسمع بعض الناس تقول أقسم بآيات الله هل هذا حلف بغير الله؟ وهل هذا كفر أو شرك ؟ نقول ماذا يريد بآيات الله ؟ إن أراد بآيات الله: الشمس والقمر والليل والنهار فهذا حلف بغير الله فيكون مشركًا أو كافر لأن الله يقول ﴿ ومِنْ آيَاته اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾ [فصلت ٣٧]

فإذا قال أنا أريد بآيات الله التي حلفت بها هذه الأشياء قلنا هذا حلف بغير الله فيكون مشركًا أو كافرًا وإن قال أريد بآيات الله القرآن ، لأن القرآن آيات الله عز وجل فهذا ليس بمشرك لماذا ؟ لأن القرآن الكريم كلام الله وكلام الله تعالى من صفاته فإذا قال أقسم بآيات الله أقصد بذلك القرآن قلنا: هذا قسم صحيح وليس فيه شيء وفي ظني أن العوام إذا قال أقسم بآيات الله في ظني أنهم يريدون القرآن في ظني أنهم يريدون القرآن فإذا كانوا يريدون القرآن فليس حرامًا.

ولكن إن كانوا يريدون الآيات التي هي الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار وما أشبه ذلك هذا شرك أو كفر والله الموفق

الكبيرة الثانية

قتل النفس

قال تعالى ﴿ ومن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جهنَّمُ خالدًا فيها وَغضب اللَّهُ عَلَيْهِ ولَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [١] وقال تعالى ﴿ وَالَّذِين لا يدْعُونَ مع اللَّه إلهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ ومن يَفْعَلْ ذَلك يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فيه مُهَانًا (٦٩) إلاَّ من تَاب وآمن وعمِل عَمَلاً صَالحًا فَأُوْلَئك يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [٢] وقال تعالى ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ من قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَل النَّاس جميعًا ومَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاس جمِيعًا ﴾[٣] ، وقال تعالى ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ [٤]

الكبيرة الثانية

قتل النفس

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ فيما نقله عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال « **لا يزال المؤمن في فسحة من دينه مالم يصب دمًا حرامًا** » « **لا يزال المؤمن في فسحة** » أي في سعة من دينه « **مالم يصب دمًا حرام** » يعني ما لم يقتل مؤمنًا أو ذميًا أو معاهدًا ، أو مستأمنًا فهذه هي الدماء المحرمة ،وهي أربعة أصناف

دم المسلم ودم الذمى ودم المعاهد ودم المستأمن وأشدها وأعظمها دم المؤمن أما الكافر الحربي فهذا دمه غير حرام

فإذا أصاب الإنسان دمًا حرامًا فإنه يضيق عليه دينه أي إن صدره يضيق به حتى

(١) النساء ٩٣

(٢) الفرقان ٦٨ ـ ٧٩

(٣) المائدة ٣٢

(٤) التكوير ٩

وقال النبي ﷺ : « **اجتنبوا السبع الموبقات** »[١]، فذكر قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق . وقال رجل للنبي ﷺ : أي الذنب أعظم عند الله تعالى ؟ قال : « **أن تجعل لله ندًا وهو خلقك** » قال : ثم أي ؟ قال : « **أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك** » . قال ثم أي ؟ قال : « **أن تزاني حليلة جارك** » فأنزل الله تعالى تصديقها: ﴿ **وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ** ﴾[٢] .

وقال ﷺ :« **إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار** » قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : « **لأنه كان حريصًا على قتل صاحبه** »[٣].

قال الإمام أبو سليمان رحمه الله : هذا إنما يكون كذلك إذا لم يكونا يقتتلان على تأويل ، إنما يقتتلان على عدواة بينهما ، وعصبية ، أو طلب الدنيا ، أو رئاسة ، أو

يخرج منه والعياذ بالله ويموت كافرًا . وهذا هو السر في قوله تعالى : ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا** ﴾ [النساء: ٩٣].

فهذه خمس عقوبات والعياذ بالله : جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه . وأعد له عذابًا عظيمًا . لمن قتل مؤمنا متعمدًا لأنه إذا قتل مؤمنًا فقد أصاب دمًا حرامًا . فيضيق عليه دينه ويضيق به صدره حتى ينسلخ من دينه بالكلية . ويكون من أهل النار المخلدين فيها .

وفي هذا دليل على أن إصابة الدم الحرام من كبائر الذنوب . ولاشك في هذا . فإن قتل النفس التي حرم الله بغير حق من كبائر الذنوب.

ولكن إذا تاب الإنسان من هذا القتل فهل تصح توبته ؟

جمهور العلماء على أن توبته تصح لعموم قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ**

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) الفرقان : ٦٨ .

(٣) صحيح : رواه أحمد (٥/ ٤٣ ، ٥١) والبخاري (٣١ و٦٨٧٥) ومسلم (٢٨٨٨) عن أبي بكرة.

علو ، فأما من قاتل أهل البغي على الصفة التي يجب قتالهم بها ، أو دفع عن نفسه أو حريمه فإنه لا يدخل في هذه ، لأنه مأمور بالقتال للذب عن نفسه غير قاصد به قتل صاحبه إلا إن كان حريصا على قتل صاحبه ، ومن قتل باغيا أو قاطع طريق من المسلمين فإنه لا يحرص على قتله ، إنما يدفعه عن نفسه ، فإن انتهى صاحبه كف عنه ولم يتبعه . فإن الحديث لم يرد في أهل الصفة . فأما من خالف هذا النعت فهو الذي داخل في هذا الحديث الذي ذكرناه ، والله أعلم .

وقال رسول الله ﷺ : « **لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض**»[1] . وقال رسول الله ﷺ : « **لا يزال العبد في فسحة من دينه مالم يصب دما حراما** »[2] وقال ﷺ : « **أول ما يقضي بين الناس يوم القيامة في الدماء** »[3] وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال : « **لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا** »[4]

الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا ﴾ [الفرقان : ٦٨ - ٧٠]. فهنا نص على أن من تاب من قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وآمن وعمل عملاً صالحًا فإن الله يتوب عليه .

وقال تعالى : **﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾** [الزمر : ٥٣] .

ولكن بماذا تكون التوبة ؟ قتل المؤمن عمدًا يتعلق به ثلاثة حقوق :

الحق الأول : حق الله ، الحق الثاني : حق المقتول ، الحق الثالث : حق أولياء المقتول.

أما حق الله فإذا تاب منه تاب الله عليه ولاشك في هذا وأما حق المقتول : فالمقتول

---

(١) صحيح : رواه أحمد (٢/ ٨٥ ، ٨٧) والبخاري (٦١٦٦ - ٦٨٦٨ - ٧٠٧٧) ومسلم (٦٦) عن ابن عمر .

(٢) صحيح: رواه البخاري (٦٨٦٢ - ٦٨٦٣) وأبو داود (٤٦٨٦) والترمذي (٢١٩٣) عن ابن عمر.

(٣) صحيح: رواه أحمد (١/ ٤٤٢) والبخاري (٦٨٦٤ - ٦٥٣٣) ومسلم (١٦٧٨) عن ابن عمر .

(٤) صحيح: رواه الترمذي (١٣٩٥) والنسائي (٧/ ٨٢) غاية المرام (٤٣٩) عن ابن عمر .

وقال ﷺ : « **الكبائر الإشراك بالله وقتل النفس واليمين الغموس** » [(١)] وسميت غموسا لأنه تغمس صاحبها في النار ، وقال ﷺ : « **لا تقتل نفس ظلما إلا كان علي ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل** » ، مخرج في الصحيحين[(٢)] ، وقال ﷺ : « **من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة ، وإن رائحتها لتوجد من مسيرة أربعين عامًا** » . أخرجه البخاري [(٣)] .

فإذا كان هذا في قتل المعاهد ـ وهو الذي أعطى عهدًا من اليهود والنصارى في دار الإسلام ـ فكيف بقتل المسلم؟ وقال ﷺ : « **ألا من قتل نفسا معاهدة لها ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر ذمة الله ولا يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسين خريفًا** » ، صححه الترمذي [(٤)] ، وقال ﷺ : « **من أعان على قتل مسلم**

حقه عنده وهو قد قتل الآن ولا يمكن التحلل منه في الدنيا . ولكن هل توبته تقضي أن يتحمل الله عنه حق المقتول فيؤديه عنه أم لابد من أخذه بالاقتصاص منه يوم القيامة ؟

هذا محل نظر فمن العلماء من قال إن حق المقتول لا يسقط بالتوبة لأن من شروط التوبة رد المظالم إلى أهلها . والمقتول لا يمكن رد مظلمته إليه. لأنه قتل . فلابد أن يقتص من قاتله يوم القيامة ولكن ظاهر الأيات الكريمة التي ذكرناها في سورة الفرقان يقتضي أن الله يتوب عليه توبة تامة . وأن الله جل وعلا إذا علم من عبده صدق التوبة فإنه يتحمل عنه حق أخيه المقتول .

أما الحق الثالث : فهو حق أولياء المقتول وهذا لابد من التخلص منه . لأنه يمكن للإنسان أن يتخلص منه .وذلك بأن يسلم نفسه إليهم ويقول لهم أنا قتلت صاحبكم فافعلوا

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٦٨٧٠) والترمذي (٣٠٢٤) عن ابن عمرو .

(٢) صحيح : رواه البخاري (٣٣٣٥) ومسلم (١٦٧٧) عن ابن مسعود .

(٣) صحيح : رواه أحمد (٢/ ١٨٦) والبخاري (٣١٦٦) عن ابن عمرو .

(٤) صحيح: رواه الترمذي (١٤٠٣) وابن ماجه (٢٦٨٧) وصححه الألباني في صحيح الترمذي وابن ماجه (٢١٧٥) صحيح الجامع .

بشطر كلمة لقى الله مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله تعالى » رواه الإمام أحمد[١] . وعن معاوية رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرًا أو الرجل يقتل مؤمنا متعمدا »** [٢] نسأل الله العافية .

***

ما شئتم . وحينئذ يخيرون بين أمور أربعة :

إما أن يعفوا عنه مجانًا وإما أن يقتلوه قصاصًا وإما أن يأخذوا الدية منه وإما أن يصالحوه مصالحة على أقل من الدية أو على الدية هذا جائز بالاتفاق .

فإن لم يسقط حقهم إلا بأكثر من الدية ففيه خلاف بين أهل العلم منهم من يقول : لا بأس أن يصالحوا على أكثر الدية . لأن الحق لهم فإن شاءوا وقالوا : نقتل وإن شاء وقالوا: لا نعفوا إلا بعشر ديات وهذا هو المشهور من مذهب الإمام أحمد رحمه الله أنه يجوز المصالحة عند القصاص بأكثر من الدية . والتعليل هو ما ذكرنا من أن الحق لهم . أي : لأولياء المقتول فلهم أن يمتنعوا عن إسقاطه . إلا بما تطيب به نفوسهم من المال .

إذن نقول : توبة القاتل عمدًا تصح للآية التي ذكرناها . من سورة الفرقان . وهي خاصة في القتل . وللآية الثانية العامة : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣] .

وهذا الحديث يدل على عظم قتل النفس . وأنه من أكبر الكبائر والعياذ بالله . وأن القاتل عمدًا يخشى أن يسلب دينه .

---

(١) ضعيف: رواه ابن ماجه (٢٦٢٠) والبيهقي (٨/ ٢٢) وضعفه الألباني في الضعيفة (٥٠٣).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٢٧٠) وابن حبان (٥٩٨٠) والحاكم (٤/ ٣٥١) صحيح الجامع (٢٥٢٤) وصححه الشيخ في غاية المرام (٤٤١) عن ابن عمر .

الكبيرة الثالثة

في السحر

لأن الساحر لابد وأن يكفر . قال الله تعالى :

﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ [(١)] .

وما للشيطان الملعون غرض في تعليمه الإنسان السحر إلا ليشرك به . قال تعالى مخبرًا عن هاروت وماروت :

﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [(٢)] أي من نصيب .

الكبيرة الثالثة -

السحـــر

السحر هو : عبارة عن عقد وقراءات ونفثات يتوصل بها الساحر إلى الإضرار بالمسحور فمنه ما يقتل ومنه ما يمرض ومنه ما يذهب العقل . ومنه ما يوجب العقد . يعني تعلق الإنسان بغيره تعلقًا شديدًا . ومنها ما يوجب الصرف . يعني انصرافه عن غيره انصرافًا كاملاً . فهو أنواع والعياذ بالله . لكن كله محرم وقد تبرأ النبي ﷺ ممن تسحر أو سُحرله .

ومنه منا يوصل إلى الكفر . فإذا كان الساحر يتوصل إلى سحره بالأرواح الشيطانية يتقرب إليها ويتعبد لها حتى تطيعه فهذا كفر لا شك فيه . وأما إذا لم يكن كذلك فإنه أذية ومحرم ومن كبائر الذنوب ويجب على ولي الأمر أن يقتل الساحر قتلاً بدون توبة بمعنى أن يقتله قتلاً وإن تاب . لأنه إن تاب فأمره إلى الله عز وجل وإن لم فأمره إلى الله . لكننا نقتله درءًا لمضرته ومفسدته .

(١، ٢) سورة البقرة : ١٠٢ .

فنرى خلقا كثيرًا من الضلال يدخلون في السحر ويظنونه حراما فقط ، وما يشعرون أنه الكفر فيدخلون في تعليم السيمياء وعملها ، وهي محض السحر ، وفي عقد الرجل عن زوجته وهو سحر ، وفي محبة الرجل للمرأة وبغضها له ،وأشباه ذلك بكلمات مجهولة أكثرها شرك وضلال

وحد الساحر القتل ، لأنه كفر بالله أو مضارع الكفر قال النبي ﷺ **«اجتنبوا السبع الموبقات »** فذكر منها السحر [1] والموبقات المهلكات ،فليتق العبد ربه، ولا يدخل فيما يخسر به الدنيا والآخرة وجاء عن النبي ﷺ أنه قال **« حد الساحر ضربة بالسيف »** [2] والصحيح أنه من قول جندب

وعن بجالة بن عبدة أنه قال أتانا كتاب عمر رضي الله عنه قبل موته بسنة أن أقتلوا كل

وأما إذا لم يتب فهو من أهل النار إذا كان سحره مكفرًا لأن السحر والعياذ بالله من أعظم الفساد في الأرض ومن أعظم الشرور لأنه يأتي الإنسان من غير أن يحترز منه ولكن هناك شيء يحميك منه بإذن الله عز وجل وهي قراءة الأوراد الشرعية مثل آية الكرسي ، قل هو الله أحد ، قل أعوذ برب الفلق ، قل أعوذ برب الناس وما أشبه ذلك مما جاء في الآيات والأحاديث عن النبي ﷺ فإن هذا أكبر واق يقي الإنسان من السحر

ثم ذكر المؤلف رحمه الله قول الله تعالى **﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾** أول الآية قوله **﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾** أي ما تتبعه على ملك سليمان وهو أن الشياطين علمت الناس السحر **﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾** سليمان عليه الصلاة والسلام ما كفر ولم يخلف سحرًا وإنما خلف علم النبوة فإنه كان أحد الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام **﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾** وفي هذا دليل على أن السحر تعلمه من الشياطين كفر ولهذا قلنا

---

(١) ضعيف مرفوعا سبق تخريجه

(٢) صحيح موقوفا رواه الترمذي (٤٨٥) والدارقطني (٣/ ١١٤) وضعفه الألباني في الضعيفة (١٤٤٦) وقد صحح الشيخ وقفه وله كلام طيب هناك فراجعه فإنه مهم

ساحر وساحرة [١] .

وعن وهب بن منبه قال : قرأت في بعض الكتب : يقول الله عز وجل : **« لا إله إلا أنا ليس مني من سحر ولا من سحر له ، ولا من تكهن ولا من تكهن له ، ولا من تطير ولا من تطير له »** [٢] وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: **« ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن خمر ، وقاطع رحم ، ومصدق بالسحر »**. رواه الإمام أحمد في مسنده [٣] .

قبل قليل إذا استعان الإنسان على سحره بالشياطين كان كفرًا . **﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾** [البقرة : ١٠٢] .

وهذان ملكان بعثهما الله عز وجل إلى أرض بابل لكثرة السحرة فيها يعلمون الناس السحر ولكنهما ينصحان الناس . **﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ ﴾** أرسلها الله عز وجل يعلمان الناس السحر وهنا قد يسأل الإنسان : كيف يرسل الله تعالى ملكين والملائكة كرام مكرمون عند الله عز وجل كيف يرسلهم يعلمون الناس السحر . فيقال : هذا فتنة من الله عز وجل . ولهذا إذا علما الناس قالا : **﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ﴾** ينحصون الناس . لكن الله عز وجل ابتلى الناس بهذا فجعلوا يتعلمون من الملكين. يتعلمون منهما ما يسمى بالعقد والصرف وهو من أشد أنواع السحر **﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾** يأتي الساحر إلى رجل قد حسنت الحال بينه وبين أهله وقد طابت لهما الحياة فيفرق بين الرجل وزوجته والعياذ بالله تأخذ تصيح إذا قرب إليها وتبكي وتنفر منه . وإذا أبعد عنها بكت على فراقه والعياذ بالله . فيصرفها من الناحيتين . من ناحية الاجتماع ومن ناحية الافتراق .

وكذلك الزوج تجده في شوق عظيم لأهله فإذا أتى إلى أهله ضاق بهم ذرعًا وضاق

---

(١) صحيح : وصححه الألباني فى صحيح أبى داود(٢٦٢٤) وأبو داود (٣٠٤٣) وأحمد (١/ ١٩٠) .

(٢) صحيح: رواه الطبراني (٤٢٦٢) بلفظ (ليس منا من تظير) صحيح الجامع٥٤٣٥ عن عمران.

(٣) ضعيف : رواه أحمد (٤/ ٣٩٩) وابن حبان (٥٣٤٦) ضعيف الجامع ٢٥٩٧ عن أبي موسى الأشعري .

وعن ابن مسعود ﷺ مرفوعا قال : « **الرقى والتمائم والتولة شرك** »[1] .
التمائم: جمع تميمة ، وهي خرزات وحروز يعلقها الجهال على أنفسهم وأولادهم ودوابهم يزعمون أنها ترد العين ، وهذا من فعل الجاهلية ، ومن أعتقد في ذلك فقد أشرك . والتولة : بكسر التاء وفتح الواو ، نوع من السحر ، وهي تحبيب المرأة إلى زوجها ، وجعل ذلك من الشرك لاعتقاد الجهال أن ذلك يؤثر بخلاف ما قدر الله تعالى .

قال الخطابي رحمه الله : وأما إذا كانت الرقيه بالقرآن ،أو بأسماء الله تعالى فهي

صدره وتمنى أن يموت والعياذ بالله .هذا من السحر العظيم . قال الله تعالى : ﴿**وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ .

سبحان الله العظيم من بيده ملكوت السموات والأرض ؟؟ الله عز وجل . هؤلاء السحرة والشياطين مهما اجتمعوا على أمر يريدون أن يضروك به والله تعالى لا يضرك فإنهم لن يضروك ﴿**وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ .

تأمل هذا التركيب فإن الجملة هنا إسمية . ﴿ **وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ** ﴾ والاسمية تفيد الثبوت والاستغراق . ثم إن النفي مؤكد بالباء . ﴿ **وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ يعني : لا يمكن أبدًا أن يضروا أحدًا بسحرهم إلا بإذن الله : إذا أذن الله بذلك قدرًا فالله على كل شيء قدير . وإذا شاء عز وجل منع . منع كل شر لأنه هو الذي بيده ملكوت السموات والأرض وهو خالق الأسباب ومانع الأسباب وهو على كل شيء قدير .

﴿**وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ**﴾ أي : هؤلاء الناس الذي أرسلهم إليهم الملكان ﴿**وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ**﴾ يعني : ما فيه الضرر المحض الذي لا نفع فيه إطلاقًا . ولهذا قال : ﴿**مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ**﴾ هو ضرر محض في الدين والدنيا والعاقبة الوخيمة وكذلك الظلم الذي يحصل على المسحور فإنه سوف يقضي له بحقه يوم القيامة لن يهمله الله عز وجل ﴿**وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ**﴾ أكد الله

(١) صحيح : رواه أحمد (١/ ٣٨١) وأبو داود (٣٨٨٣) وابن ماجه (٣٥٣٠) صحيح الجامع (١٦٣٢).

مباحه ، لأن النبيﷺ كان يرقى الحسن والحسين ﵄ فيقول **« أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطانة وهامة ومن كل عين لامة »**(١) والله المستعان وعليه التكلان.

هذه الجملة بالقسم واللام وقد أي لقد علم هؤلاء الذين يتعلمون السحر أن الذي يتعلمه ماله في الآخرة من خلاق علموا من أين ؟ من قول الملكين ﴿ **إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ** ﴾ قد علموا وبان لهم الأمر ولكنهم والعياذ بالله اختاروا ذلك ولهذا قال ﴿**لَمَنِ اشْتَرَاهُ** ﴾.

والشراء إنما يكون عن رغبة وطمع في المبيع ولهذا سمى الله تعالى تعلمه اشتـراه ﴿ **مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ** ﴾ أي ماله نصيب في الآخرة وليس أحد من الناس ليس له نصيب في الآخرة على وجه الإطلاق إلا الكافر المؤمن له نصيب في الآخرة إما أن يدخل الجنة بلا حساب وإما أن يعذب على قدر ذنبه ثم يكون مآله الجنة

لكن الكافر ليس له في الآخرة من خلاق ،أي من نصيب

﴿**وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ** ﴾ يعني لو كانوا من ذوي العلم لعملوا أن هذا شر محض

والخلاصة أن السحر من كبائر الذنوب وقد يؤدي إلى الكفر وأن عقوبة الساحر أن يقتل سواء كفر بسحره أم لم يكفر لقول النبيﷺ **« حد الساحر ضربه بالسيف».**

وفي لفظ **« ضربة بالسيف »**

نسأل الله تعالى أن يقي المسلمين شرهم وأن يرد كيدهم في نحورهم وأن يعيننا وإياكم على تعلم الأوراد الشرعية التي يحتمي بها المرء من أعدائه من الشياطين والإنس والله الموفق

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٣٧١) وأبو داود (٤٧٣٧) والترمذي (٢٠٦٠) عن ابن عباس.

الكبيرة الرابعة
في ترك الصلاة

قال الله تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ (١) .

قال ابن عباس رضي الله عنه : ليس معنى أضاعوا تركوها بالكلية ، ولكن أخروها عن أوقاتها (٢) ، وقال سعيد بن المسيب إمام التابعين رحمه الله : هو أن لا يصلي الظهر حتى يأتي العصر ، ولا يصلي العصر إلى المغرب ، ولا يصلي المغرب إلى العشاء ، ولا يصلي العشاء إلى الفجر ، ولا يصلي الفجر إلى طلوع الشمس . فمن مات وهو مصر على هذه الحالة ولم يتب وعده الله بغي ، وهو واد في جهنم بعيد قعره خبيث

الكبيرة
ترك الصلاة

حكم تارك الصلاة أن تارك الصلاة كافر كفرًا مخرجًا عن الملة . وذلك بدلالة الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والنظر الصحيح .

أما الكتاب : ففي قوله تعالى عن المشركين : ﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة : ١١] وجه الدلالة من هذه الآية الكريمة أن الله اشترط لثبوت الأخوة بين هؤلاء المشركين وبين المؤمنين ثلاثة شروط: التوبة من الشرك وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة .

فإذا تخلف أحد هذه الثلاثة لم يكونوا إخوة لنا في الدين ولا تنتفي الأخوة في الدين إلا بالكفر المخرج عن الملة . فإن المعاصي مهما عظمت إذا لم تصل إلى حد الكفر لا تخرج عن الأخوة في الدين . ألا ترى إلى قوله تعالى في آية القصاص . فيمن قتل أخاه عمدًا قال عز وجل : ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾

---

(١) سورة مريم ٥٩ ـ ٦٠ .

(٢) رواه ابن جرير (١٦/ ٧٥).

طعمه .

وقال الله تعالى في آية أخرى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ (١) أي غافلون عنها ، متهاونون بها . وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : سألت رسول الله ﷺ عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال : « هو تأخير الوقت » (٢) أي تأخير الصلاة عن وقتها ، سماهم مصلين لكنهم لما تهاونوا وأخروها عن وقتها وعدهم بويل وهو شدة العذاب . وقيل : هو واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره ، وهو مسكن من يتهاون بالصلاة ويؤخرها عن وقتها إلا أن يتوب إلى الله تعالى ويندم على ما فرط .

وقال الله تعالى في آية أخرى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٣) قال المفسرون : المراد بذكر الله في

[البقرة : ١٧٨] .

فجعل الله تعالى القاتل أخا للمقتول . مع أن قتل المؤمن عمدًا من أعظم الكبائر . ثم ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات : ٩ ، ١٠].

فجعل الله الطائفة الثالثة المصلحة إخوة للطائفتين المقتتلتين مع أن قتال المؤمن من أعظم الذنوب .

وهذا يدل على أن الأخوة في الدين لا تنتفي بالمعاصي أبدًا إلا ما كان كفرًا .

وشرح الآية المذكورة : إنهم إن بقوا على الشرك فكفرهم ظاهر وإن آمنوا ولم يصلوا فكفرهم أيضًا معلوم من الجملة الشرطية ﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ ﴾ وإن تابوا من الشرك وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة . فكفرهم ظاهر أيضًا . إلا أن مسألة الزكاة فيها خلاف بين

---

(١) الماعون : ٤ .

(٢) صحيح موقوف البيهقي (٢/ ٢١٤).

(٣) المنافقون : ٩ .

هذه الآية الصلوات الخمس . فمن اشتغل بماله في بيعه وشرائه ومعيشته وضيعته وأولاده عن الصلاة في وقتها كان من الخاسرين .

وهكذا قال النبي ﷺ : « **أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من عمله الصلاة فإن صلحت فقد أفلح وأنجح ، وإن نقصت فقد خاب وخسر** »(١) .

وقال الله تعالى مخبرًا عن أصحاب الجحيم : ﴿ **مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ** ﴾ (٢)

وقال النبي ﷺ : « **العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر** » (٣) وقال النبي ﷺ : « **بين العبد ولكفر ترك الصلاة** »(٤) حديثان صحيحان .

وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال : « **من فاتته صلاة العصر حبط عمله** »(٥) وفي السنن أن رسول الله ﷺ قال : « **من ترك الصلاة متعمدا فقد برئت**

أهل العلم . هل يكفر الإنسان إذا تركها أولا يكفر ؟ وفيه عن أحمد روايتان .

أما الدليل من السنة على كفر تارك الصلاة :فقوله ﷺ فيما رواه مسلم من حديث جابر رضي الله عنه : « **بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة** » « سبق تخريجه » .

ووجه الدلالة من الحديث : أنه جعل هناك فاصلاً بين الإيمان والكفر وهو الصلاة .وهو واضح في أنه لا إيمان لمن لم يصل . لأن هذا هو مقتضى الحد . إذ أن الحد يفصل بين المحدودين .

---

(١) صحيح: رواه البيهقي في الشعب (٣٠١٦) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١٣٥٨ عن أبي هريرة .

(٢) سورة المدثر : ٤٢ ـ ٤٨ .

(٣) حسن: رواه أحمد (٥/ ٣٤٦) والترمذي (٢٦٢١) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٠٢٢).

(٤) صحيح : رواه أحمد (٣/ ٣٧٠) ومسلم (٨٢) عن جابر .

(٥) صحيح: رواه أحمد (٥/ ٣٤٩) والبخاري (٥٥٣) عن بريدة .

منه ذمة الله » [(١)] وقال ﷺ : **« أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله »** متفق عليه [(٢)] .

وقال ﷺ : **« من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليه لم تكن له نوراً ولا برهانًا ولا نجاة يوم القيامة وكان يوم القيامة مع فرعون وقارون وهامان وأبي بن خلف »** [(٣)] .

وقال عمر رضي الله عنه : أما أنه لا حظ لأحد في الإسلام أضاع الصلاة [(٤)]. قال بعض العلماء رحمهم الله : وإنما يحشر تارك الصلاة مع هؤلاء الأربعة ، لأنه إنما يشتغل عن الصلاة بماله أو بملكه أو بوزارته أو بتجارته فإن اشتغل بماله حشر مع

وقوله : **« بين الرجل وبين الشرك والكفر »** ولم يقل بين الرجل وبين الكفر منكرًا . والكفر إذا دخلت عليه (أل) كان المراد به الكفر الحقيقي . بخلاف ما إذا كان منكرًا . كما في قوله ﷺ : **« اثنان في الناس هما بهم كفر : الطعن في النسب. والنياحة على الميت »** « سبق تخريجه » فإن هذا لا يقتضي الخروج من الإسلام لأنه قال : « هما بهم كفر » يعني هاتين الخصلتين .

أما أقوال الصحابة رضي الله عنهم : فقد قال عبد الله بن شقيق ـ رحمه الله ـ : « كان أصحاب النبي ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة » .

وقد نقل إجماعهم إسحاق بن راهويه ـ رحمه الله ـ على أن ترك الصلاة كفر.

---

(١) صحيح : رواه أحمد (٥/ ٢٣٨) والطبراني في الكبير (٢٠/ ١١٧ ـ ٢٣٣ ـ ٢٣٤) صحيح الترغيب (٥٦٨) .

(٢)صحيح : رواه البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢) عن ابن عمر .

(٣) صحيح : رواه أحمد (٢/ ١٦٩) وابن حبان في (١٤٦٧) وإسناده جيد .

(٤) صحيح : رواه مالك في الموطأ (١/ ٥١) من كتاب الطهارة موقوفًا وقال الشيخ الألباني إسناده صحيح على شرطهما .

قارون ، وإن اشتغل بتجارته حشر مع أبي بن خلف تاجر الكفار بمكة . وروى الإمام أحمد عن معاذ بن جبل ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **من ترك صلاة مكتوبة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله عز وجل** »[١] .

وروى البيهقي بإسناده أن عمر بن الخطاب ﷺ قال : يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله تعالى في الإسلام ؟ قال : « **الصلاة لوقتها ، ومن ترك الصلاة فلا دين له ، والصلاة عماد الدين** »[٢] ولما طعن عمر بن الخطاب ﷺ قيل له : الصلاة يا أمير المؤمنين قال : نعم أما إنه لاحظ لأحد في الإسلام أضاع الصلاة ، وصلى ﷺ وجرحه يثغب[٣] دما[٤] وقال عبد الله بن شقيق التابعي ﷺ : كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة[٥] . وسئل علي ﷺ عن امرأة لا تصلي ، فقال : من لم يصل فهو كافر[٦] ، وقال ابن مسعود ﷺ : من لم يصلِّ فلا دين له[٧] ، وقال ابن عباس ﷺ : من ترك صلاة واحدة متعمداً لقى الله

وأما المعنى فنقول : كل إنسان عرف الصلاة وقدرها وعناية الشريعة بها . ثم يدعها بدون عذر وليس له حجة أمام الله عز وجل فإن ذلك دليل واضح على أنه ليس في قلبه من الإيمان شيء. إذ لو كان في قلبه من الإيمان شيء ما ترك هذه الصلاة العظيمة. التي دلت النصوص على العناية بها وأهميتها والأشياء تعرف بآثارها . فلو كان في قلبه أدنى مثقال من الإيمان لم يحافظ على ترك هذه الصلاة مع أهميتها

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) ضعيف: رواه البيهقي في الشعب (٢٥٥٠) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٧٠) .

(٣) يتعب : أي يسيل دما .

(٤) سبق تخريجه .

صحيح رواه الترمذي (٢٦٢٢) والحاكم في المستدرك (١/ ٧) وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٥٦٤).

(٦) صحيح رواه ابن أبي شيبة مرفوعًا بلفظ (فقد كفر) صحيح الترغيب ص ٢٣٠ .

(٧) صحيح رواه ابن أبي شيبة في الإيمان (٢/ ١٨٤) وقال الألباني إسناده جيد .

تعالى وهو عليه غضبان [١] .

وقال رسول الله ﷺ : « **من لقى الله وهو مضيع الصلاة لم يعبأ الله بشيء من حسناته ـ أي ما يفعل وما يصنع بحسناته ـ إذا كان مضيعا للصلاة** » [٢] .

وقال ابن حزم : لا ذنب بعد الشرك أعظم من تأخير الصلاة عن وقتها ، وقتل مؤمن بغير حق . وقال إبراهيم النخعي : من ترك الصلاة فقد كفر. وقال أيوب السختياني مثل ذلك . وقال عون بن عبد الله : إن العبد إذا دخل قبره سئل عن الصلاة أول شيء يسأل عنه ، فإن جازت له نظر فيما دون ذلك من عمله ، وإن لم يجز له لم ينظر في شيء من عمله بعد . وقال ﷺ : « **إذا صلى العبد الصلاة في أول الوقت صعدت إلى السماء ولها نور حتى تنتهي إلى العرش فتستغفر لصاحبها إلي يوم القيامة وتقول : حفظك الله كما حفظتني . وإذا صلى العبد الصلاة في غير وقتها صعدت إلى السماء وعليها ظلمة ، فإذا انتهت إلى السماء تلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها وتقول : ضيعك الله كما ضيعتنى** » [٣] . وروى أبو داود في سننه عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاتهم : من تقدم قوما وهم له كارون ، ومن استعبد**

وعظمها .

وبهذا تكون الأدلة السمعية والنظرية دالة على أن تارك الصلاة كافر كفرًا مخرجًا عن الملة . وتكون مقتضية للحذر من هذا العمل الشنيع . الذي تهاون به اليوم كثير من الناس . ولكن باب التوبة مفتوح والحمد لله . كما قال تعالى : ﴿**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (٦٠) جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ**

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) لم أعثر عليه .

(٣) ضعيف : البيهقي في الشعب (٢٨٧١) وانظر ضعيف الجامع (٤٠٠) .

محرراً، ورجل أتى الصلاة دبارا » [١] والدبار أن يأتيها بعد أن تفوته وجاء عنه ﷺ أنه قال « **من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى بابا عظيما من أبواب الكبائر**»[٢] نفنسأل الله التوفيق والإعانة إنه جواد كريم وأرحم الراحيمن

قال فضيلة الشيخ

كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا (٦١) لا يسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلاَّ سلامًا ولَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وعشِيًّا ﴾[مريم: ٥٩ - ٦٠]

---

(١) ضعيف: أبو داود (٥٩٣) وابن ماجه (٩٧٠) وضعفه الشيخ في ضعيف الجامع (١١٩).

(٢) ضعيف رواه الترمذي (١٨٨) والحاكم (١/ ٢٧٥) وضعفه الشيخ في ضعيف الجامع (٢٥٥٦) عن ابن عباس

فصل : متى يؤمر الصبي بالصلاة

روى أبو داود في السنن أن رسول الله ﷺ قال : « **مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين ، فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها** »(١) . وفي رواية : مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع وأضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع»(٢) .

قال الإمام أبو سليمان الخطابي رحمه الله : هذا الحديث يدل على إغلاظ العقوبة له إذا بلغ تاركا لها .

وكان بعض أصحاب الإمام الشافعي رحمه الله تعالى يحتج به في وجوب قتله إذا تركها متعمدا بعد البلوغ ، ويقول : إذا استحق الضرب وهو غير بالغ ، فيدل على أنه يستحق بعد البلوغ من العقوبة ما أبلغ من الضرب وليس بعد الضرب شيئًا أشد من القتل .

حكم تارك الصلاة

وقد اختلف العلماء رحمهم الله في حكم تارك الصلاة ، فقال مالك والشافعي وأحمد ، رحمهم الله: تارك الصلاة يقتل ضربا بالسيف في رقبته . ثم اختلفوا في كفره إذا تركها من غير عذر حتى يخرج وقتها ، فقال إبراهيم النخعي وأيوب السختياني وعبد اللهبن المبارك وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه : هو كافر. واستدلوا بقوله ﷺ : « **العهد الذي بيننا وبيهم الصلاة ، فمن تركها فقدكفر** »(٣) ، وبقوله ﷺ : « **بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة** »(٤) .

---

(١) صحيح: أبو داود (٤٩٤) والترمذي (٤٠٧) صحيح أبو داود ٥٠٨ ، صحيح الجامع ٥٨٦٧ .

(٢) صحيح : أبو داود (٤٩٥/ ٤٩٦) وأحمد (٢/ ١٨٧) صحيح أبي داود (٥٠٩) ، صحيح الجامع ٥٨٦٨ .

(٣ ، ٤) سبق تخريجهما .

فصل

وقد ورد في الحديث : « إن من حافظ على الصلوات المكتوبة أكرمه الله تعالى بخمس كرامات ، يرفع عنه ضيق العيش وعذاب القبر ، ويعطيه كتابه بيمينه ، ويمر على الصراط كالبرق الخاطف ، ويدخل الجنة بغير حساب ، ومن تهاون بهاعاقبه الله بخمس عشرة عقوبة ، خمس في الدينا وثلاث عند الموت ، وثلاث في القبر ، وثلاث عند خروجه من القبر . فأما اللاتي في الدنيا : فالأولى : ينزع البركة من عمره ، والثانية: يمحي سيماء الصالحين من وجهه ، والثالثة: كل عمل يعمله لا يأجره الله عليه والرابعة : لا يرفع له دعاء إلى السماء ، والخامسة : ليس له حظ في دعاء الصالحين . وأما اللاتي تصيبه عند الموت فإنه يموت ذليلا ، والثانية : يموت جائعًا ، والثالثة : يموت عطشانًا ولو سقُى بحار الدنيا ما روى عطشه ، وأما اللاتي تصيبه في قبره ، فالأولى : يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ، والثانية : يوقد عليه القبر نارا يتقلب على الجمر ليلا ونهارا ، والثالثة : يسلط عليه في قبره ثعبان اسمه الشجاع الأقرع عيناه من نار وأظفاره من حديد طول كل ظفر مسيرة يوم ، يكلم الميت فيقول : أنا الشجاع الأقرع وصوته مثل الرعد القاصف يقول : أمرني ربي أن أضربك على تضييع صلاة الصبح إلى طلوع الشمس ، وأضربك على تضييع صلاة الظهر إلى صلاة العصر ، وأضربك على تضييع صلاة العصر إلى المغرب ، وأضربك على تضييع صلاة المغرب إلى صلاة العشاء ، وأضربك على تضييع صلاة العشاء إلى الصبح فكلما ضربه ضربة يغوص في الأرض سبعين ذراعًا ، فلا يزال في الأرض معذبا إلى يوم القيامة . وأما اللاتي تصيبه عند خروجه من قبره في موقف القيامة فشدة الحساب ، وسخط الرب، ودخول النار » وفي رواية : « فأنه يأتي يوم القيامة وعلى وجهه ثلاثة أسطر مكتوبات . السطر الأول : يا مضيع حق الله ، السطر الثاني : يا مخصوصا بغضب الله، السطر الثالث : كما ضيعت في الدنيا حق الله فآيس اليوم من رحمة الله »[1] ، وعن

---

(١) موضوع : ذكره ابن حجر الهيثمي في الزوائد (١/ ١٣٦) بلفظ (قال بعضهم) وقال الذهبي في الميزان (٣/ ٦٥٣) في ترجمة محمد بن علي العباس البغدادي العطار - ركب على أبي بكر بن زياد النيسابوري حديثا باطلا في تارك الصلاة .

ابن عباس رضي الله عنه قال : إذا كان يوم القيامة يؤتى بالرجل فيوقف بين يدي الله عز وجل فيأمر به إلى النار ، فيقول : يا رب لماذا ؟ فيقول الله تعالى : لتأخير الصلاة عن أوقاتها وحلفك بي كاذبا [١] .

وعن رسول الله ﷺ أنه قال يومًا لأصحابه : « **اللهم لاتدع فينا شقيا ولا محروما** » . ثم قال ﷺ : « **أتدرون من الشقي المحروم ؟** » قالوا : من هو يا رسول الله ؟ قال : « **تارك الصلاة** » [٢].

وروى أنه أول من يُسود يوم القيامة وجوه تاركي الصلاة، وأن في جهنم واديا يقال له : « الملحم » فيه حيات ،كل حية ثخن رقبة البعير ، طولها مسيرة شهر تلسع تارك الصلاة فيغلي سمها في جمسه سبعين سنة ثم يتهرى لحمه.

حكاية

روى أن امرأة من بني إسرائيل جاءت إلى موسى عليه السلام فقالت : يا رسول الله ﷺ إني أذنبت ذنبًا عظيمًا وقد تبت منه إلى الله تعالى ، فادع الله أن يغفر لي ذنبي ويتوب علي . فقال لها موسى عليه السلام : وما ذنبك ؟ قالت : يا نبي الله إني زنيت وولدت ولدا فقتلته . فقال لها موسى عليه السلام : أخرجي يا فاجرة لا تنزل نار من السماء فتحرقنا بشؤمك ، فخرجت من عنده منكسرة القلب ، فنزل جبريل عليه السلام وقال : يا موسى الرب تعالى يقول لك لم رددت التائبة يا موسى، أما وجدت شرًا منها ؟ قال موسى : يا جبريل ومن هو شر منها؟ قال : تارك الصلاة عامدا متعمدًا .

حكاية أخرى

عن بعض السلف أنه أتى أختا له ماتت ، فسقط كيس منه فيه مال في قبرها فلم يشعر به أحد حتى انصرف عن قبرها ، ثم ذكره فرجع إلى قبرها فنبشه بعدما انصرف

---

(١) الزواجر ١/ ٢٩٦ .

(٢) لم أعثر عليه وإن ورد نحوه عند أحمد (٤/ ١٩١) بسند ضعيف .

الناس ، فوجد القبر يشعل عليها نارًا فرد التراب عليها ورجع إلى أمه باكيًا حزينا فقال : يا أماه أخبريني عن أختي وما كانت تعمل ؟ قالت : وما سؤالك عنها؟ قال: يا أمي رأيت قبرها يشتعل عليها نار ا. قال : فبكت وقالت : يا ولدي كانت أختك تتهاون بالصلاة وتؤخرها عن وقتها [١] . فهذا حال من يؤخر الصلاة عن وقتها ، فكيف حال من لا يصلي ؟ فنسأل الله أن يعيننا على المحافظة عليها في أوقاتها إنه جواد كريم.

فصل

في عقوبة من ينقر الصلاة ولا يتم ركوعها ولا سجودها ، وقد روى في تفسير قول الله تعالى : ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ** ﴾ [٢] أنه الذي ينقر الصلاة ولايتم ركوعها ولا سجودها .

وثبت في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ : أن رجلا دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس فيه ، فصلى الرجل ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد عليه السلام ، ثم قال له : « **ارجع فصل فإنك لم تصل** » فرجع فصلى كما صلى ، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد عليه السلام ثم قال : « **ارجع فصل فإنك لم تصل** » فرجع فصلى كما صلى ، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد عليه السلام ، وقال : « **ارجع فصل فإنك لم تصل ثلاث مرات** » . فقال في الثالثة : والذي بعثك بالحق يا رسول الله ما أحسن غيره فعلمني . فقال ﷺ : « **إذا قمت إلى الصلاة فكبر ، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راكعا ، ثم ارفع حتى تعتدل قائما ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا ، ثم اجلس حتى تطمئن جالسا ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا ، وافعل ذلك في صلاتك كلها** » [٢] ، وروى الإمام أحمد ﷺ عن البدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : « **لا تجزيء صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه في**

---

(١) ذكرها ابن الجوزي في كتاب المقلق رقم ٣٩ .

(٢) سورة الماعون : ٤ .

(٣) رواه البخاري (٧٥٧ ، ٦٢٥٢) ومسلم (٣٩٧) .

الركوع والسجود » ورواه أبو داود أيضا والترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح ، وفي رواية أخرى : « **حتى يقيم ظهره في الركوع والسجود** » [١] .

وهذا نص عن النبي ﷺ في أن من صلى ولم يقم ظهره بعد الركوع والسجود كما كان ، فصلاته باطلة ، وهذا في صلاة الفرض وكذا الطمأنينة أن يستقر كل عضو في موضعه.

وثبت عن ﷺ أنه قال :« **أشد الناس سرقة الذي يسرق من صلاته** » قيل : وكيف يسرق من صلاته ، قال : « **لا يتم ركوعها ولاسجودها ولا القراءة فيها**»[٢].

وروى الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لا ينظر الله إلى رجل لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده** » [٣] وقال ﷺ : « **تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشياطن قام فنقر أربعا لا يذكر الله فيها إلا قليلا** » [٤] .

وعن أبي موسى قال : صلى رسول الله ﷺ يومًا بأصحابه ثم جلس ، فدخل رجل فقام يصلي ، فجعل يركع وينقر سجوده ، فقال رسول الله ﷺ : « **ترون هذا لو مات مات على غير ملة محمد ﷺ نقر صلاته كما ينقر الغراب الدم** » أخرجه أبوبكر بن خزيمة في صحيحه [٥] .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **ما من مصل إلا وملك عن يمينه وملك عن يساره ، فإن أتمها عرجا بها إلى الله تعالى ، وإن لم يتمها ضربا بها**

---

(١) صحيح : رواه أحمد (٤/ ١١٩) وأبو داود (٨٥٥) وابن ماجه (٨٧٠) صحيح الجامع (٧٢٢٤ ، ٧٢٢٥) .

(٢) صحيح : رواه ابن حبان (١٨٨٨) والحاكم (١/ ٢٢٩) والبيهق في الشعب (٢٨٤٧) صحيح الجامع (٩٦٦ ، ٩٨٦) .

(٣) صحيح : رواه أحمد (٢/ ٢٥) صحيح الترغيب (٥٣٢) .

(٤)صحيح: رواه مالك (١/ ٢٢٠) ومسلم (٦٢٢) .

(٥) صحيح : رواه ابن خزيمة (٦٦٥) والبيهقي (٢/ ٨٩) صحيح الترغيب (٥٢٩) .

وجهه » [١]

وروى البهقي بسنده عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال :« **من توضأ فأحسن الوضوء ثم قام إلى الصلاة فأتم ركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت الصلاة حفظك الله كما حفظتني ، ثم صعد بها إلى السماء ولها ضوء ونور ، ففتحت لها أبواب السماء حتى تنتهي إلى الله سبحانه وتعالى فتشفع لصاحبها ، وإذا لم يتم ركوعها ولاسجودها ولا القراءة فيها قالت الصلاة : ضيعك الله كما ضيعتني ، ثم صعد بها إلى السماء ، وعليها ظلمة فأغلقت دونها أبواب السماء ثم تلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها** » [٢]

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « **اصلاة مكيال ، فمن وَفَّى وُفِّي له ، ومن طفف فقد علمتم ما قال الله في المطففين ، قال الله تعالى ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾** [٣] والمطفف هو المنقص للكيل أو الوزن أو الذراع أو الصلاة ، وعدهم الله بويل وهو واد في جهنم تستغيث جهنم من حره ، نعوذ بالله منه

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال « **إذا سجد أحدكم فليضع وجهه وأنفه ويديه على الأرض فإن الله تعالى أوحى إلى أن أسجد على سبعة أعضاء الجبهة والأنف والكفين والركبتين ، وصدور القدمين ، وأن لا أكف شعرا ولا ثوبا ، فمن صلى ولم يعطي كل عضو منهاحقه لعنه هذا العضو حتى يفرغ من صلاته** » [٤]

وروى البخاري عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه رأى رجلا يصلي ولا يتم ركوع الصلاة ولا سجودها فقال له حذيفة صليت ولو مت وأنت تصلي هذه الصلاة ،

---

(١) ضعيف رواه الدارقطني في الإفراد وضعفه الشيخ في ضعيف الجامع (٥٢٢٦)

(٢) ضعيف رواه البزار (١/ ١٧٧) رقم ٣٥٠ ،والبيهقي في الشعب (٢٨٧١) وضعفه الشيخ في ضعيف الجامع (٤)

(٣) ضعيف رواه عبد الرزاق (٣٧٥٠) والبيهقي (٢/ ٢٩١) وسنده ضعيف.

(٤) انظر نيل الأوطار (٢/ ٢٥٩) حيث لم أجده بعد بحث

مت على غير فطرة محمد ﷺ [١] .

وفي رواية أبي داود أنه قال : منذ كم تصلي هذه الصلاة ؟ قال : منذ أربعين سنة . قال : ما صليت منذ أربعين سنة شيئًا ، ولو مت على غير فطرة محمد ﷺ[٢] .

وكان الحسن البصري يقول ابن أدم أي شيء يعز عليك من دينك إذا هانت عليك صلاتك وأنت أول ما تسأل عنها يوم القيامة كما تقدم من قول النبي ﷺ : **«أول ما يحاسب العبد عليه يوم القيامة من عمله صلاته ، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح ، وإن فسدت فقد خاب وخسر ، فإن انتقص من الفريضة شيء يقول الله تعالى: انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل به ما أنتقص من الفريضة ، ثم يكون سائر عمله كذلك »** [٣] .

فينبغي للعبد أن يستكثر من النوافل حتى يكمل به ما انتقص من فرائضه وبالله التوفيق .

فصل

عقوبة تارك الجماعة

في عقوبة تارك الصلاة في جماعة مع القدرة . قال الله تعالى : **﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴾** [٤] .

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٧٩١ ، ٨٠٨) والنسائي (٣/ ٥٨)وابن حبان (١٨٩٤) والبيهقي (١١٨/٢) .

(٢) صحيح : ابن حبان (١٨٩٤) والبيهقي في الشعب (٢٨٦٠)وهي ليست عند أبي داود.

(٣) صحيح : رواه أحمد (٢/ ٢٩٠) وأبو داود (٨٦٥) والترمذي (٤١٣) صحيح الجامع (٢٥٦٨) عن أبي هريرة .

(٤) سورة القلم ٤٢ ـ ٤٣ .

قال إبراهيم التيمي :يعني إلى الصلاة المكتوبة بالأذان والإقامة .

وقال سعيد بن المسيب : كانوا يسمعون « حي على الصلاة حي على الفلاح » فلا يجيبون وهم أصحاء سالمون.

وقال كعب الأحبار : والله ما نزلت هذه الآية إلا في الذين تخلفوا عن الجماعة. فأي وعيد أشد وأبلغ من هذا لمن ترك الصلاة في الجماعة مع القدرة على إتيانها ؟ وأما من السنة فما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « **لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ، ثم آمر رجلا فيؤم الناس ، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة في الجماعة ، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار** »[1] ولا يتوعد بحرق بيوتهم عليهم إلا من ترك واجب مع ما في البيوت من الذرية والمتاع .

وفي صحيح مسلم أن رجلا أعمى أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ليس لي قائد يقودني إلى المسجد وسأل النبي ﷺ أن يرخص له أن يصلي في بيته فرخص له فلما ولي دعاه فقال : « **هل تسمع النداء بالصلاة ؟** » قال : نعم ، قال : «**فأجب**»[2] . ورواه أبود اود عن عمرو بن أم مكتوم أنه أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ﷺ إن المدينة كثيرة الهوام والسباع وأنا ضرير البصر شاسع الدار ـ أي بعيد الدار ـ ولي قائد لا يلائمني فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي ؟ فقال : « **هل تسمع النداء؟** » قال: نعم ، قال : « **فأجب فإني لا أجد لك رخصة** » [3] .

فهذا رجل ضرير البصر شكى ما يجد من المشقة في مجيئه إلى المسجد وليس له قائد يقوده إلى المسجد ، ومع هذا لم يرخص له النبي ﷺ في الصلاة في بيته فكيف

---

(١) صحيح : رواه مالك (١/ ١٢٩ ـ ١٣٠) والبخاري (٦٤٤ ، ٢٤٢٠) ومسلم (٦٥١) عن أبي هريرة .

(٢) صحيح : رواه مسلم (٢١٧) والنسائى (٢/ ١٠٩) .

(٣) صحيح : رواه أبو داود (٥٥٣) والنسائي (٢/ ١١٠) وابن أبي شيبة (١/ ٣٤٥ ، ٣٤٦) صحيح الترمذي (٤٢٧) .

بمن يكون صحيح البصر سليما لا عذر له ؟ ولهذا لما سئل ابن عباس رضي الله عنهما : عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يصلي في جماعة ولا يجمع ؟ فقال : إن مات على هذا فهو في النار [١] .

وقال أبوهريرة رضي الله عنه : لأن تمتليء آذان ابن آدم رصاصا مذابا خير له من أن يسمع النداء ولا يجيب [٢] .

وروى عن بن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من سمع المنادى بالصلاة فلم يمنعه من اتباعه عذر** » قيل : وما العذر يا رسول الله ؟ قال ك « **خوف أو مرض تقبل منه الصلاة التي صلى** » يعني في بيته [٣] .

وأخرج الحاكم في مستدركه عن ابن عباس أيضا قال : قال رسول الله ﷺ : «**وثلاثة لعنهم الله : من تقدم قوما وهم له كارهون ، وامرأة باتت وزوجها ساخط عليها، ورجل سمع حي على الصلاة حى على الفلاح ثم لم يجب** » [٤]وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد . قيل : ومن جار المسجد ؟ قال : من سمع الأذان [٥].

وروى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : من سره أن يلقى الله غدا مسلما - يعني يوم القيامة - فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس حيث ينادي بهن ، فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدي ، وإنهن من سنن الهدي ، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو

---

(١) ضعيف: رواه الترمذي (٢١٨) ضعيف سنن الترمذي (٣٦) .

(٢) ضعيف : رواه ابن أبي شيبة (١/ ٣٨/ ٤) وإسناده ضعيف .

(٣) صحيح : رواه أبو داود (٥٥١) وابن ماجه (٧٩٣) وابن حبان (٢٠٦٤) وصححه الألباني في ضعيف الجامع (٥٦٣٤) وصححه الألباني دون لقطة (وما العذر) في صحيح الترغيب.

(٤) ضعيف : رواه الترمذي (٣٥٨) وقال الألباني في ضعيف سنن الترمذي ضعيف الإسناد جدًا .

(٥) صحيح : رواه ابن أبي شيبة (١/ ٣٨٠/٨) وإسناده صحيح .

تركتم سنة نبيكم لضللتم . ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق أو مريض ، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادي بين رجلين حتى يقام في الصف أو حتى يجيء إلى المسجد لأجل صلاة الجماعة[١] .

وكان الربيع بن خثيم قد سقط شقه في الفالج ، فكان يخرج إلى الصلاة يتوكأ على رجلين ، فيقال له : يا أبا محمد قد رخص لك أن تصلي في بيتك أنت معذور. فيقول : هو كما تقولون ، ولكن أسمع المؤذن يقول لك حي على الصلاة حي على الفلاح ، فمن استطاع أن يجيبه ولو زحفا أو حبوا فليفعل[٢] .

وقال حاتم الأصم : فاتتني مرة صلاة الجماعة فعزاني أبوإسحاق البخاري وحده، ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف إنسان ، لأن مصيبة الدين عند الناس أهون من مصيبة الدنيا ! .

وكان بعض السلف يقول : ما فات أحدًا صلاة الجماعة إلا بذنب أصابه .

وقال ابن عمر : خرج عمر يومًا إلى حائط له فرجع وقد صلى الناس العصر فقال عمر : إنا لله وإنا إليه راجعون فاتتني صلاة العصر في الجماعة ، أشهدكم أن حائطي على المساكين صدقة ليكون كفارة لما صنع عمر رضي الله عنه والحائط : البستان فيه النخل.

فصل

ويكون اعتناؤه بحضور صلاة العشاء والفجر أشد ، فإن النبي ﷺ قال : « **إن هاتين الصلاتين أثقل الصلوات على المنافقين ، يعني العشاء والفجر ، ولو يعلمون ما فيهما من الأجر لأتوهما ولوحبوا** »[٣] .

وقال ابن عمر : كنا إذا تخلف منا إنسان في صلاة العشاء والصبح في الجماعة أسأنا به الظن أن يكون قد نافق[٤] .

---

(١) صحيح : رواه مسلم (٦٥٤) وليس كما قال المؤلف أنه في البخاري .

(٢) صحيح : رواه ابن سعد (٦/ ١٨٩ ـ ١٩٠) وأبو نعيم (٢/ ١١٣) .

(٣) صحيح : رواه أحمد (٢/ ٤٢٤) والبخاري (٦٥٧) ومسلم (٦٥١) عن أبو هريرة .

(٤) صحيح : رواه ابن أبي شيبة (١/ ٣٣٢) وابن خزيمة (١٤٨٥) والبيهقي (٣/ ٥٩) صحيح الترغيب (٤١٤) .

حكاية

عن عبيد الله بن عمر القواريري رحمه الله قال : لم تكن تفوتني صلاة العشاء في الجماعة قط ، فنزل بي ليلة ضيف فشغلت بسببه وفاتتني صلاة العشاء في الجماعة ، فخرجت أطلب الصلاة في مساجد البصرة ، فوجدت الناس كلهم قد صلوا وغلقت المساجد ، فرجعت إلى بيتي وقلت : قد ورد في الحديث : « **إن صلاة الجماعة تزيد على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة** » فصليت العشاء سبعا وعشرين مرة ثم نمت ، فرأيت في المنام كأني مع قوم على خيل وأنا على فرس ونحن نستبق ، وأنا أركض فرسي فلا ألحقهم ، فالتفت إلى أحدهم فقال لي : لا تتعب فرسك فلست تلحقنا . قلت : ولم؟ قال : لأننا صلينا العشاء في جماعة وأنت صليت وحدك . فانتبهت وأنا مغموم حزين لذلك ، فنسأل الله المعونة والتوفيق إنه جواد كريم .



الكبيرة الخامسة

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (١) .

وقال الله تعالى: ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ (٦) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ (٢) فسماهم المشركين. وقال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ...ْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا ... تُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ (٣) .

وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار ، فأحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنبيه وظهره . كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي الله بين الناس ، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار** ». قيل : يا رسول الله فالإبل ؟ قال : « **ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ماكانت لا يفقد منها فصيلا واحدا تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها ، كلما مر عليه أولها رد عليه آخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى الله بين الناس فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار** » قيل : يا رسول الله فالبقر والغنم ؟ قال : « **ولا صاحب بقر ولا غنم لايؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا**

منع الزكاة

هذا الحديث الذي أورده المؤلف في باب تأكيد وجوب الزكاة وبيان فضلها ، وهو حديث أبي هريرة الذي أخرجه مسلم مطولاً ، فيه ذكر النبي ﷺ الذهب والفضة والإبل

---

(١) سورة آل عمران : ١٨ .

(٢) سورة فصلت : ٦ ـ ٧ .

(٣) سورة التوبة : ٣٤ ـ ٣٥ .

عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما مر عليه أولها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي الله بين الناس ، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار » (١) .

وقال ﷺ : **« أول ثلاثة يدخلون النار : أمير مسلط . وذو ثروة من مال لا يؤدى حق الله تعالى من ماله ، وفقير فخور »** (٢) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : من كان له مال يبلغه حج بين الله تعالى ولم يحج، أو تجب فيه الزكاة ولم يزك سأل الرجعة عند الموت ، فقال له رجل : اتق الله يا ابن

والبقر والغنم والخيل والحمر ، وذكر حكم كل منها عليه الصلاة والسلام وهكذا كان ﷺ يبين للناس بيانًا شافيًا كافيًا حتى ترك أمته وأكمل به الله الدين وأتم به النعمة على المؤمنين، فقال ﷺ : **« ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها في نار جهنم فيكوى به بجانبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي بين العباد ، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار »** .

فالذهب والفضة تجب الزكاة في أعيانها في كل حال ، فالزكاة واجبة في أعيان الذهب والفضة في كل حال سواء أعدها الإنسان للنفقة أو للزواج أو لشراء بيت يحتاج إلى سكناه أو شراء سيارة يحتاج إلى ركوبها أو ادخرهما ليستكثر بهما المال أو غير ذلك ، ففيهما الزكاة على كل حال حتى ذهب المرأة الذي تلبسه والفضة التي تلبسها تجب عليها الزكاة ، تجب الزكاة فيها على كل حال ،لكن لابد من بلوغ النصاب وهو في الذهب خمسة وثمانون جرامًا ونصف جرام ، والفضة خمسمائة وخمسة تسعون جرامًا ، فإذا كان عند الإنسان من الذهب هذا المقدار ومن الفضة هذا المقدار وجب عليه الزكاة على كل حال ، فإن لم يفعل فجزائه ما قاله النبي ﷺ : **« إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار »**

---

(١) صحيح : رواه أحمد (٢/ ٢٦٢ ـ ٢٨٦) ومسلم (٩٨٧) عن أبي هريرة .

(٢) ضعيف : رواه أحمد (٢/ ٤٧٩) والترمذي (١٦٤٢) بلفظ أول ثلاثة يدخلون الجنة . . . وابن خزيمة في صحيحه (٣/ ٢٢٤٩) ضعيف الجامع (٣٧٠٣).

عباس : سأتلو عليك بذلك قرآنا ، قال الله تعالى : ﴿ **وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق**﴾ أي أؤدي الزكاة : ﴿ **وأكن من الصالحين** ﴾ أي أحج قيل له : فما يوجب الزكاة ؟ قال: إذا بلغ المال مائتي درهم وجبت فيه الزكاة ، قيل : فما يوجب الحج ؟ قال : الزاد والراحلة(١) .

ولا تجب الزكاة في الحلي المباح إذا كان معدا للاستعمال ، فإن كان معدا للقنية أو الكراء وجبت فيه الزكاة (٢) .

وتجب في قيمة عروض التجارة ، وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «**من أتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعًا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة فيأخذ بلهزميته (أي بشدقيه) فيقول : أنا مالك كنزك** » ثم تلا هذه الآية ﴿ولا

لا من ذهب وفضة ، من نار ـ والعياذ بالله ـ قطع نارية ويحمى عليها في نار جهنم ، ونار جهنم فضلت على نار الدنيا كله بتسعة وستين جزءًا ، نار الدنيا كلها حتى نار الغاز وما هو أشد حرارة، نارجهنم فضلت عليها بتسعة وستين جزءًا .

نسأل الله وأن يجيرنا وإياكم منها يحمى عليها في نار جهنم فيكوى به جنبه ، يعني الأيمن والأيسر ، وجبينه ، يعني وجهه ، وظهره : واضح معناه ، كلما بردت أعيدت لا تبقى حتى تبرد وتسكت عنه ، كلما بردت أعيدت ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ليس ساعة ولا ساعتين ، ولا شهرا ولا شهرين ، ولا سنة ولا سنتين ، خمسون ألف سنة وهو يعذب هذا العذاب ـ والعياذ بالله ـ حتى يقضي بين العباد ، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار نسأل الله العافية .

وعلى هذا يكون هذا الحديث كالتفسير لقول الله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ [التوبة: ٣٤] .

---

(١) رواه الترمذي (٣٣١٦) وقال الألباني في ضعيف سنن الترمذي ضعيف الإسناد.

(٢) الأولى والأحوط أن الحلي سواء مستعمل أو غير مستعمل فيه الزكاة والله أعلم .

يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ أخرجه البخاري[١] .

وعن ابن مسعود ﷺ في قول الله تعالى في مانعي الزكاة : ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾ قال : لا يوضع دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم على حدته[٢] .

فإن قيل : لم خص الجباه والجنوب والظهور بالكي ؟ قيل : لأن الغني البخيل إذا رأى الفقير عبس وجهه وزوى ما بين عينيه وأعرض بجنبه ، فإذا قرب منه ولى بظهره فعوقب بكي هذه الأعضاء ليكون الجزاء من جنس العمل .

وقال ﷺ : « خمس بخمس » قالوا: يا رسول الله وماخمس بخمس ؟ قال :

ومعنى يكنزونها أي : لا يؤدون زكاتها ، كما فسرها بذلك أهل العلم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم لأن من لم يؤدي زكاته فهو كنز ، ولو كان على رؤوس الجبال ، وما تؤدي زكاته فليس يكنز ولو كان في باطن الأرض ، فالكنز ما لاتؤدي زكاته.

﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾ .

وهذا عذاب وألم جسدي ، ويعذبون عذابًا قلبيًا فيقال لهم : ﴿ هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ﴾ ، فيحصل لهم العذاب الجسدي ، والعذاب القلبي بالتوبيخ والتأنيب ، فكيف يكون قلبه في تلك الساعة وهو يقال له : هذا ما كنزت لنفسك؟ ستقطع قلبه ، ألم جسدي ، وألم قلبي ، والعياذ بالله ـ هذا جزاء من لا يؤدي الزكاة من الذهب أو الفضة .

وما قام مقام الذهب والفضة بالنقدية فله حكمه ، وعلى هذا فمن عنده أوراق تساوي هذا الذهب المبلغ من الذهب والفضة ، فعليه أن يزكي عنها ، ومعاملة الناس أن في الغالب الدول كلها بالأوراق ، فئة ريال ، فئة خمسة ، فئة عشرة ـ هذا الأوراق تقوم مقام الذهب والفضة لأنها جعلت بدلاً عنها في التعامل بين الناس ، فإذا ملك الإنسان أوراقا

---

(١) رواه البخاري (١٤٠٣ ، ٥٦٥ ، ٤٦٥٩) والنسائي (٥/ ٣٩) عن أبي هريرة .

(٢) رواه الطبري (١٠/ ١٢٤) ورجاله ثقات .

«ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم ، وماحكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر ، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت ، ولا طففوا المكيال والميزان إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر»(١).

موعظة

قل للذين شغلهم في الدنيا غرورهم إنما في غد ثبورهم ، ما نفعهم ما جمعوا، إذا جاء محذورهم ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾ فكيف غابت عن قلوبهم وعقولهم : ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾ أخذ المال إلى دار ضرب العقاب فجعل في بودقة ليحمى ليقوى

تساوي هذا القدر من الفضة فعليه الزكاة ، ومعلوم أن الفضة ترتفع أحيانًا وتنزل أحيانًا ، فيقدر قيمتها إذا وجبت عليه الزكاة ، فإذا بلغت النصاب أي (٥٦) ريالاً من الفضة فعليه زكاته ومقدار الزكاة ربع العشر .

ثم ذكر النبيﷺ الإبل والغنائم والبقر ، وجعل من حق الإبل حلبها يوم وردها ، إذا وردت على الماء فإنها تحلب ، وجرت العادة على أنهم يحلبونها ويتصدقون بها على الحاضرين ،هذا من حقها ، لأن الإبل روليا كبيرة ،فيها ألبان ، فإذا وردت الماء درت ، وإذا درت صار فيها فضل كبير من اللبن ، فإذا جاء الفقراء يوزع عليهم ، هذا من حقها .

وذكر عليه الصلاة والسلام الخيل ، وأنها ثلاثة أنواع : أجر ، وستر ، ووزر .

أما الحمر فإنه قال : « لم ينزل على فيها شيء » إلا هذه الأية الجامعة الفاذة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة] .

فإن استعلمت الحمير في خير فهو خير ، وإن استعملتها في شـر فهى شر . والله أعلم .

---

(١) حسن : رواه ابن ماجه (٤٠١٩) والبيهقي في الشعب (٣٠٤٢) عن ابن عمر وحسنه الألباني في الصحيحة (١٠٦) .

العذاب فصفح صفائح كي يعم الكي الإهاب ، ثم جيء بمن عن الهدى قد غاب. يسعى إلى مكان لامع قوم يسعى نورهم ثم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم إذا لقيهم الفقير لقى الأذى فإن طلب منهم شيئًا طار منهم لهب الغضب كالجذا فإن لطفوا به قالوا أعنتكم ذا. وسؤال هذا لذا ولو شاء ربك لأغنى المحتاج وأعوز ذا ونسوا حكمة الخالق في غنى ذا وفقر ذا واعجباكم يلقاهم من غم إذا ضمتهم قبورهم ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾ [1] سيأخذها الوارث منهم من غير تعب ويسأل عنها الجامع من أين أكتسب ما أكتسب إلا أن الشوك له وللوارث الرطب أين حرص الجامعين ، أين عقولهم ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾ لو رأيتهم في طبقات النار ، يتقلبون على جمرات الدرهم والدينار ، وقد غلت اليمين مع اليسار لما بخلوا مع الإيسار لو رأيتهم في الجحيم يسقون من الحميم وقد ضج صبورهم ، ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾ كما كانوا يعظون في الدنيا ومنا فيهم من يسمع. كم خوفوا من عقاب الله وما فيهم من يفزع كما أنبئوا بمنع الزكاة وما فيهم من يدفع فكأنهم بالأموال وقد انقلبت شجاعًا أقرع فما هي عصى موسى ولا طورهم. ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾

حكاية

روى عن محمد بن يوسف الفريابي قال خرجت انا وجماعة من أصحابي في زيارة أبي سنان رحمه الله ، فلما دخلنا عليه وجلسنا عنده قال قوموا بنا نزور جار لنا مات أخوه ونعزيه فيه ، فقمنا معه ودخلنا على ذلك الرجل ، فوجدناه كثير البكاء والجزع على أخيه ، فجلسنا نسليه ونعزيه وهو لا يقبل تسلية ولا تعزية ، فقلنا أما تعلم أن الموت سبيل لابد منه ! قال بلى ولكن أبكى على ما أصبح وأمسى فيه

---

(١) سورة التوبة ٣٥

أخي من العذاب فقلنا له : هل أطلعك الله على الغيب ؟ قال : لا ، ولكن لما دفنته وسويت عليه التراب وانصرف الناس جلست عند قبره ، إذ صوت من قبره يقول : آه أقعدوني وحيدا أقاسي العذاب ، قد كنت أصلي ، قد كنت أصوم ، قال : فأبكاني كلامه فنبشت عنه التراب لأنظر حاله ، وإذا القبر يشتعل عليه نارا وفي عنقه طوق من نار ، فحملتني شفقة الأخوة ومددت يدى لأرفع الطوق عن رقبته فاحترقت أصابعي ويدي ، ثم أخرج إلينا يده فإذا هي سوداء محترقة . قال : فرددت عليه التراب وانصرفت ، فكيف لا أبكي على حاله وأحزن عليه ؟ فقلنا : فما كان أخوك يعمل في الدنيا ؟ قال : كان لا يؤدي الزكاة من ماله ، قال : فقلنا : هذا تصديق قول الله تعالى: ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[1] .

وأخوك عجل له العذاب في قبره إلى يوم القيامة . قال: خرجنا من عنده وأتينا أبا ذر صاحب رسول الله ﷺ وذكرنا له قصة الرجل ، وقلنا له : يموت اليهودي والنصراني ولا نرى فيهم ذلك ! فقال : أولئك لاشك أنهم في النار ، وإنما يريكم الله في أهل الإيمان لتعتبروا. قال الله تعالى : ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾[2][3] .

فنسأل الله العفو والعافية إنه جواد كريم .

***

---

(١) آل عمران : ١٨٠ .

(٢) الأنعام : ١٠٤ .

(٣) هذه القصة واضحة الكذب لأن بين الراوي وأبي ذر مفاوز تندق فيها أعناق الإبل إلا إذا قلنا ان أبا ذر عاش ما يقرب من مائتي عام وهذا لم يحدث .

الكبيرة السادسة

إفطار يوم من رمضان بلا عذر

قال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ (١) .

وثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : « **بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان** » (٢) .

الكبيرة السادسة

إفطار يوم من رمضان بغير عذر

صوم رمضان : هو التعبد لله سبحانه وتعالى بترك الأكل والشرب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس . هذا هو الصيام : أن يتعبد الإنسان لله بترك هذه الأشياء . لا أن يتركها على العادة أو من أجل البدن . ولكنه يتعبد لله بذلك . يمسك عن الطعام والشراب والنكاح . وكذلك سائر المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس . من هلال رمضان إلى هلال شوال .

وصيام رمضان أحد أركان الإسلام . هذه منزلته في دين الإسلام . وهو فرض بإجماع المسلمين . لدلالة الكتاب والسنة على ذلك .

فقال تعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ**

---

(١) البقرة ١٨٣ ـ ١٨٤ .

(٢) صحيح : رواه أحمد (٢/ ١٤٣) والبخاري (٨، ١٦ ، ٢٢) ومسلم (١٦) .

وقال ﷺ : « **من أفطر يومًا من رمضان بلا عذر لم يقضه صيام الدهر وإن صامه** »[(١)] ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما : « عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاث : شهادة أن لا إله الله والصلاة وصوم رمضان فمن ترك واحدة منهم فهو كافر » ، نعوذ بالله من ذلك[(٢)] .

***

لعلكم تتقون ﴾ .

فوجه الله الخطاب للمؤمنين لأن صيام رمضان من متقضيات الإيمان. ولأن صيام رمضان يكمل به الإيمان . ولأن ترك صيام رمضان ينقص به الإيمان.

واختلف العلماء فيما لو تركه تهاونًا أو كسلاً . هل يكفر أم لا ؟ والصحيح أنه لا يكفر . وأنه لا يكفر الإنسان بترك شيء من أركان الإسلام سوى الشهادتين والصلاة.

أما إذا تركه بغير تأويل فإن القول الراجح من أقوال أهل العلم . أن كل عبادة مؤقتة إذا تعمد الإنسان إخراجها عن وقتها بلا عذر فإنها لا تقبل منه . وإنما يكتفي منه بالعمل الصالح وكثرة النوافل والاستغفار ودليل ذلك قول النبي ﷺ فيما صح عنه : « **من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد** » البخارى ومسلم .

فكما أن العبادة المؤقتة لا تفعل قبل وقتها : فكذلك لا تفعل بعد وقتها . أما إذا كان هناك عذر كالجهل والنسيان فإن النبي ﷺ قال في النسيان : « **من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك** » سبق تخريجه .

مع أن الجهل يحتاج إلى تفصيل وليس هذا موضع ذكره.

(١) ضعيف : رواه أحمد (٢/ ٤٤٢ ، ٤٧٠) وأبو داود (٢٣٩٦) والترمذي (٧٢٦) ضعيف الجامع (٥٤٧١) .

(٢) ضعيف: رواه أبو يعلى الموصلي (٢٣٤٥) وقال الألباني ضعيف السلسة (١/ ٩٤) .

الكبيرة السابعة

في ترك الحج مع القدرة عليه

قال الله تعالى ﴿ وَلِلَّه عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْت منِ اسْتَطَاع إِلَيْه سبِيلاً ﴾ (١)

وقال النبي ﷺ « **من ملك زادا وراحلة تبلغه حج بيت الله الحرام ولم يحج ، فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيًا** » وذلك لأن الله تعالى يقول ﴿ وَلِلَّه عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْت منِ اسْتَطَاع إِلَيْهِ سبِيلاً ﴾ (٢)

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقد هممت أن أبعث رجالا إلى هذه الأمصار فينظروا كل من له جدة ولم يحج فليضربوا عليهم الجزية وما هم بمسلمين

الكبيرة السابعة

الحـــج

الحج فرض بإجماع المسلمين أي بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين وهو أحد أركان الإسلام لقوله تعالى ﴿وَلِلَّه عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْت منِ اسْتَطَاعَ إِلَيْه سبِيلاً ومن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عنِ الْعَالَمِين ﴾ [آل عمران: ٩٧]

وقال النبي ﷺ « **إن الله فرض عليكم الحج فحجوا** » رواه أحمد ومسلم

وقال النبي ﷺ « **بني الإسلام على خمس ، شهادة أن لا إله إلاالله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان . وحج بيت الله الحرام** »

---

(١) آل عمران ٩٧

(٢) ضعيف رواه الترمذي (٨١٢) والبيهقي في الشعب وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٨٧٢)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ما من أحد لم يحج ولم يؤد زكاة ماله إلا سأل الرجعة عند الموت فقيل له إنما يسأل الرجعة الكفار قال وإن ذلك في كتاب الله تعالى **﴿ وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق ﴾** أي أؤدي الزكاة **﴿ وأكن من الصالحين﴾** أي أحج ، **﴿ ولن يؤخر الله نفسًا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون ﴾** قيل فيم تجب الزكاة ؟ قال بمائتي درهم وقيمتها من الذهب ، قيل فيما يوجب الحج ؟ قال الزاد والراحلة [(١)] وعن سعيد بن جبير قال مات لي جار موسر لم يحج فلم أصل عليه.

***

فمن أنكر فريضة الحج فهو كافر مرتد عن الإسلام. إلا أن يكون جاهلاً بذلك وهو مما يمكن جهله. وهو مما يمكن جهله به كحديث عهد بإسلام. وناشيء في بادية بعيدة لا يعرف من أحكام الإسلام شيئًا فهذا يعذر بجهله ويُعرِّف ويبين له الحكم فإن أصر على إنكاره حُكم بردته

وأما من تركه ـ أي الحج ـ متهاونًا مع اعترافه بشرعيته فهذا لا يكفر .ولكنه على خطر عظيم وقد قال بعض أهل العلم بكفره

---

(١) سبق تخريجه

الكبيرة الثامنة

عقوق الوالدين

قال الله تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾[1] أي برا بهما وشفقة وعطفا عليهما . ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا ﴾ : أي لا تقل لهما بتبرم إذا كبرا وأسنا . وينبغي أن تتولى خدمتهما ما توليا من خدمتك ، على أن الفضل للمتقدم وكيف يقع التساوي ، وقد كانا يحملان أذاك راجين حياتك ، وأنت أن حملت أذاهما رجوت موتهما ، ثم قال الله تعالى : ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴾ أي : لينا لطيفا. ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ .

وقال الله تعالى : ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾[2] .

الكبيرة الثامنة

عقوق الوالدين

العقوق : مأخوذ من العق وهو القطع ومنه سميت العقيقة التي تذبح عن المولود في اليوم السابع . لأنها تعق : يعني تقطع رقبتها عند الذبح .

والعقوق من كبائر الذنوب لثبوت الوعيد عليه من الكتاب والسنة قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء : ٢٣ ـ ٢٤] .

---

(١) الإسراء : ٢٣ .

(٢) لقمان : ١٤ .

فانظر رحمك الله كيف قرن شكرهما بشكره. قال ابن عباس رضي الله عنهما : ثلاث آيات مقرونة بثلاث ، لاتقبل واحدة منها بغير قرينتها : (إحداهما) قول الله تعالى : ﴿**وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول**﴾ . فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه .(الثانية) قول الله تعالى : ﴿ **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** ﴾ فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه . (الثالثة) قول الله تعالى : ﴿ **أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ** ﴾ فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه . ولذا قال النبي ﷺ : « **رضا الله في رضى الوالدين ، وسخط الله في سخط الوالدين** »[1] ، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : جاء رجل يستأذن النبي ﷺ في الجهاد معه ، فقال النبي ﷺ : « **أحي والدك؟** » قال نعم . قال : «**ففيهما فجاهد**» مخرج في الصحيحين[2] ، فانظر كيف فضل بر الوالدين وخدمتهما على الجهاد!

فأمر الله بالإحسان إلى الوالدين .وقال : إن بلغا عندك الكبر أحدهما أو كلاهما . إما الأم أو الأم والأب جميعًا فزجرت منهم . لأن الإنسان إذا كبر قد يصل إلى الهرم وأرذل العمر فيتعب . فقال حتى في هذه الحال : ﴿**فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ**﴾ أي : لا تقل إني متضجر منكما ﴿**وَلَا تَنْهَرْهُمَا**﴾ أي : عند القول : ﴿ **وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا** ﴾ يعني : طيبًا حسنًا يدخل السرور عليهما ويزيل عنهم الكآبة والحزن . ﴿ **وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ** ﴾ يعني ذل لهما مهما بلغت من علو المنزلة . كما تعلو الطيور . فاخفض لهما جناح الذل وتذلل لهما رحمة بهما . ﴿ **وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا** ﴾ فارحمهما أنت وادع الله أن يرحمهما .

هذا هو الذي أمر الله به بالنسبة للوالدين في حال الكبر وأما في حال الشباب فإن الوالد في الغالب يكون مستغنيًا عن ولده ولا يهمه .

ثم ذكر المؤلف حديث أبي بكر رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « **ألا أنبئكم بأكبر**

---

(١) صحيح : رواه الترمذي (٣٤٢٤) والبخاري في الأدب المفرد (٢٢) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥١٥) .

(٢) صحيح : رواه البخاري (٣٠٠٤) ومسلم (٢٥٤٩) عن ابن عمرو .

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « **ألا أنبئكم بأكبر الكبائر : الإشراك بالله وعقوق الوالدين** »[(١)] . فانظر كيف قرن الإساءة إليهما وعدم البر والإحسان بالإشراك وفي الصحيحين أيضا أن رسول الله ﷺ قال : « **لايدخل الجنة عاق ولا منان ولامدمن خمر** »[(٢)] ، وعنه ﷺ قال : « **لو علم الله شيئًا أدنى من الأف لنهي عنه، فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة. وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار** »[(٣)] وقال ﷺ : « **لعن الله العاق لوالديه** »[(٤)] وقال ﷺ : « **لعن الله من سب أباه ، لعن الله من سب أمه** »[(٥)] . وقال ﷺ : « **كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإنه يعجل لصاحبه** » يعني العقوبة في الدنيا قبل يوم القيامة[(٦)] .

الكبائر» . ثلاثًا ـ قلنا : بلى يا رسول الله . قال :« **الإشراك بالله وعقوق الوالدين** » هذا من أكبر الكبائر .

فالإشراك بالله كبيرة في حق الله . وعقوق الوالدين كبيرة في حق من هم أحق الناس بالولاية والرعاية وهما الوالدان .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) صحيح : رواه أحمد (٢/ ٢٠١) والدارمي (٢٠٩٤) وصححه الشيخ في الصحيحة (٦٧٠) .

(٣) قال السيوطي في الدر (٤/ ٣١٠) رواه الديلمي عن الحسن بن علي مرفوعًا ، وفيه أصرم ابن حوشب وهو وضاع .

(٤) ضعيف : رواه الحاكم (٤/ ٣٥٦) والطبراني في الأوسط (٨٩٧) بلفظ « لعن الله سبعة من خلقه من فوق سبع سموات . . . ملعون من عق والديه » وإسناده ضعيف . ورواه مسلم (١٩٧٨) والنسائي (٧/ ٢٣٢) عن علي بن أبي طالب بلفظ لعن الله من لعن والديه .

(٥) صحيح : رواه أحمد (١/ ٣٠٩) والطبراني (١٥٤٦) وابن حبان (٤٤١٧) صحيح الجامع (٥١١٢).

(٦) صحيح : رواه أحمد (٥/ ٣٦) وأبو داود (٤٩٠٢) والترمذي (٢٥١١) وابن ماجه (٤٢١١) بلفظ مقارب عن أبي بكرة وصححه الألباني في الصحيحة (٩١٨) وصحيح الجامع (٥٧٠٤).

وقال كعب الأحبار رحمه الله : إن الله ليعجل هلاك العبد إذا كان عاقا لوالديه ليعجل له العذاب، وإن الله ليزيد في عمر العبد إذا كان بارا بوالديه ليزيده برا وخيرا. ومن برهما أن ينفق عليهما إذا احتاجا. فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله إن أبي يريد أن يجتاح مالي . فقال ﷺ : « **أنت ومالك لأبيك**»[1].

وسئل كعب الأحبار عن عقوق الوالدين ماهو ؟ قال : هو إذا أقسم عليه أبوه أو أمه لم يبر قسمهما ، وإذا أمراه بأمر لم يطع أمرهما ، وإذا سألاه شيئًا لم يعطهما ، وإذا ائتمناه خانهما [2] .

وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن عن أصحاب الأعراف من هم وماهم الأعراف ؟. فقال: أما الأعراف فهو جبل بين الجنة والنار ، وإنما سمى الأعراف لأنه مشرف على الجنة والنار عليه أشجار وثمار وأنهاروعيون ، وأما الرجال الذين يكونون عليه فهم رجال خرجوا إلى الجهاد بغير رضا آبائهم وأمهاتهم فقتلوا في الجهاد ، فمنعم القتل في سبيل الله عن دخول النار ، ومنعهم عقوق الوالدين عن دخول الجنة ، فهم على الأعراف حتى يقضي الله فيهم أمره [3] .

وفي الصحيحين أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله من أحق الناس مني بحسن الصحبة ؟ قال : « **أمك** » . قال : ثم من ؟ قال : « **أمك** » قال: ثم من ؟ قال : « **أمك** » . قال : ثم من ؟ قال : « **أبوك ثم الأقرب فالأقرب** »[4].
فحض على بر الأم ثلاث مرات، وعلى بر الأب مرة واحدة. وما ذاك إلا لأن عناءها أكثر وشفقتها أعظم، مع ما تقاسيه من حمل وطلق وولادة ورضاعة وسهر ليل.

---

(١) صحيح : رواه ابن ماجه (٢٢٩١) والطحاوي في مشكل الآثار (٢/ ٢٣٠) وأبو داود (٣٥٣٠) وصححه الشيخ في صحيح ابن ماجه والمشكاة ٣٣٥٤ ، والإرواء ٨٣٨ .

(٢) صحيح : رواه وهو في جامعه (٨٩) وعبد الرزاق (١١/ ١٣٧) والبيهقي في الشعب (٧٨٩٤) وإسناده صحيح .

(٣) قال السيوطي في الدر (٣/ ١٦٢ ـ ١٦٣) كل ما ورد في هذا الصدد مرفوعًا وموقوفًا ولكنها لا تخلو من كلام .

(٤) صحيح : رواه مسلم (٢٥٤٨) وابن ماجه (٣٦٥٨) عن أبي هريرة .

رأى ابن عمر رضي الله عنه رجلا قد حمل أمه على رقبته وهو يطوف بها حول الكعبة فقال : يا ابن عمر أتراني جازيتها ؟ قال : ولا بطلقة واحدة من طلقاتها ولكن قد أحسنت ، والله يثيبك على القليل كثيرا [١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أربعة نفر حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها : مدمن خمر ،وآكل الربا ، وآكل مال اليتيم ظلما، والعاق لوالديه إلا أن يتوبوا** » [٢].

وقال ﷺ : « **الجنة تحت أقدام الأمهات** » [٣] وجاء رجل إلى أبي الدرداء رضي الله عنه فقال: يا أبا الدرداء إني تزوجت امرأة وإن أمي تأمرني بطلاقها . فقال أبو الدرداء : سمعت رسول الله ﷺ يقول :« **الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه** » [٤]. وقال ﷺ : « **ثلاث دعوات مستجابات لاشك فيهن: دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد على ولده** » [٥] . وقال ﷺ : « **الخالة بمنزلة الأم**» [٦] أي في البر والإكرام والصلة والإحسان . وعن وهب بن منبه قال : إن الله تعالى أوحى إلى موسى صلوات الله وسلامه عليه : يا موسى وقر والديك ، فإن من وقر والديه مددت في عمره ووهبت له ولدا يوقره ، ومن عق والديه قصرت في

---

(١) صحيح : رواه البخاري في الأدب المفرد (١١) ولكن بلفظ (قال لا ، ولا بزفرة واحدة) وصححه الشيخ في صحيح الأدب المفرد برقم (٩) .

(٢) ضعيف : رواه الحاكم (٢/ ٣٧) وقال الألباني ضعيف جدًا ، ضعيف الجامع (٨٤٨) .

(٣) ضعيف : فهذا الفظ صحيح بغيره : هذا الحديث بهذا اللفظ مع شهرته ليس له أصل ولكن صحح بلفظ (الزمهما فإن الجنة عند قدميها) رواه ابن ماجه (٢٧٨١) وأحمد (٣/ ٤٢٩) وصححه الشيخ صحيح الجامع (١٢٤٩) المشكاة (٤٩٣٩) .

(٤) صحيح : رواه أحمد (٥/ ١٩٦ ، ١٩٧) وابن ماجه (٢٠٨٩) والترمذي (١٩٠٠) وصححه الشيخ في صحيح الجامع (٧١٤٥) والصحيحة (٩١٠) .

(٥) صحيح : رواه البخاري في الأدب المفرد (٣٢ ، ٤٨١) وأبو داود (١٥٣٦) والترمذي (١٩٠٥) وابن ماجه (٣٨٦٢) وصححه الشيخ في صحيح الجامع (٣٠٢٢) والصحيحة (١٧٩٧).

(٦) رواه البخاري (١٨٤٤ ، ٢٦٩٩ ، ٤٢٥١) وأحمد (٤/ ٢٩٨) .

عمره ووهبت له ولدا يعقه .

وقال أبو بكر بن أبي مريم : قرأت في التوراة أن من يضرب أباه يقتل . وقال وهب : قرأت في التوراة : على من صك والده الرجم .

وعن عمرو بن مرة الجهني قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أرأيت إذا صليت الصلوات الخمس ، وصمت رمضان ، وأديت الزكاة وحججت البيت ، فماذا لي ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **من فعل ذلك كان مع النبيين والصديقيني والشهداء والصالحين إلا أن يعق والديه** » [١] . وقال ﷺ : « **لعن الله العاق والديه** » [٢] .

وجاء عن رسول الله ﷺ قال : « **رأيت ليلة أسري بي أقوامًا في النار معلقين في جذوع من نار فقلت : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : الذين يشتمون آباءهم وأمهاتهم في الدنيا** » [٣] .

وروى أنه من شتم والديه ينزل عليه في قبره جمر من نار بعدد كل قطر ينزل من السماء إلى الأرض . ويروى أنه إذا دفن عاق والديه عصره القبر حتى تختلف فيه أضلاعه وأشد الناس عذابا يوم القيامة ثلاثة : المشرك والزاني والعاق لوالديه.

قال بشر : ما من رجل يقرب من أمه حيث يسمع كلامها إلا كان أفضل من الذي يضرب بسيفه في سبيل الله والنظر إليها أفضل من كل شيء .

وجاء رجل وامرأة إلى رسول الله ﷺ يختصمان في صبي لهما فقال الرجل : يا رسول الله ولدي خرج من صلبي ، وقالت المرأة : يا رسول الله حمله خفا ووضعه شهوة وحملته كرها ووضعته كرها وأرضعته حولين كاملين ، فقضى به رسول الله ﷺ لأمه [٤] .

---

(١) صحيح : رواه البخاري في التاريخ الكبير (٦/ ٣٠٨ حديث رقم ٣٤٨٧) صحيح الترغيب (٧٤٨) .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) ضعيف : ذكره الهيثمي في الزوائد (٢/ ٦٨) بصيغة التمريض .

(٤) حسن : رواه أحمد (٢/ ١٨٢) وابو داود (٢٢٧٦) وحسنه الألباني في الإرواء (٢١٨٧) عن عمر.

موعظه

أيها المضيع لآكد الحقوق ، المعتاض من بر الوالدين بالعقوق ، الناسي لما يجب عليه ، الغافل عما بين يديه ، بر الوالدين عليك دين ، وأنت تتعاطل باتباع الشين، تطلب الجنة بزعمك ، وهي تحت أقدام أمك ، حملتك في بطنها تسعة أشهر كأنها تسع حجج . وكابدت عند الوضع ما يذيب المهج ، وأرضعتك من ثديها لبنا ، وأطارت لأجلك وسنا ، وغسلت بيمينها عنك الأذى وآثرتك على نفسها بالغذاء ، وصيرت حجرها لك مهدًا وأنالتك إحسانا ورفدًا ، فإن أصابك مرض أوشكاية ، أظهرت من الأسف فوق النهاية ،وأطالت الحزن والنحيب ، وبذلت مالها للطبيب ، ولو خيرت بين حياتك وموتها ، لطلبت حياتك بأعلى صوتها ، هذا وكم عاملتها بسوء الخلق مرارا ، فدعت لك بالتوفيق سرا وجهارا . فلما احتاجت عند الكبر إليك، جعلتها من أهون الأشياء عليك ، فشبعت ، وهي جائعة ورويت وهي قانعة. وقدمت عليها أهلك وأولادك بالإحسان ، وقابلت أياديها بالنسيان وصعب لديك أمرها وهو يسير ، وطال عليك عمرها وهو قصير ، هجرتها ومالها سواك نصير، هذا ومولاك قد نهاك عن التأفيف ، وعاتبك في حقها بعتاب لطيف ستعاقب في دنياك بعقوق البنين ، وفي أخراك بالبعد عن رب العالمين ، يناديك بلسان التوبيخ والتهديد ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [الحج : ١٠] .

لأمك حق لو علمت كثير ... كثيرك يا هذا لديه يسير

فكم ليلة باتت بثقلك تشتكي ... لها من جواها أنة وزفير

وفي الوضع لوتدري عليها مشقة ... فمن غصص منها الفؤاد يطير

وكم غسلت عنك الأذى بيمينها ... وما حجرها إلا لديك سرير

وتفديك مما تشتكيه بنفسها ... ومن ثديها شرب لديك نمير

وكم مرة جاعت وأعطتك قوتها ... حنانا وإشفاقا وأنت صغير

فآها لذي عقل ويتبع الهوى ... وآها لأعمى القلب وهو بصير

فدونك فارغب في عميم دعائها   فأنت لما تدعو إليه فقير

حُكي أنه كان في زمن النبي ﷺ شاب يسمى علقمة وكان كثير الاجتهاد في طاعة الله في الصلاة والصوم والصدقة، فمرض واشتد مرضه فأرسلت امرأته إلى رسول الله ﷺ : إن زوجي علقمة في النزع ، فأردت أن أعلمك يا رسول الله بحاله. فأرسل النبي ﷺ عمارا وصهيبًا وبلالا وقال : امضوا إليه ولقنوه الشهادة فمضوا إليه ودخلوا عليه فوجدوه في النزع ، فجعلوا يلقنونه (لا إله إلا الله) ، ولسانه لا ينطق بها فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ يخبرونه أنه لا ينطق لسانه الشهادة . فقال النبي ﷺ : « هل من أبويه أحد حي؟ قيل : يا رسول الله أمه كبيرة السن ، فأرسل أليها رسول الله ﷺ وقال للرسول: **قل لها إن قدرت على المسير إلى رسول الله ﷺ وإلا فقرى في المنزل حتى يأتيك** . قال : فجاء إليها الرسول فأخبرها بقول رسول الله ﷺ فقالت : نفسي لنفسه فداء ، أنا أحق بإتيانه . فتوكأت وقامت على عصا ، وأتت رسول الله ﷺ فسلمت فرد عليها السلام وقال لها : **يا أم علقمة أصدقيني وإن كذبتي جاء الوحي من الله تعالى ، كيف كان حال ولدك علقمة؟** قالت: يا رسول الله كثير الصلاة ، كثير الصيام ، كثير الصدقة . قال رسول الله ﷺ : **«فما حالك»** قال : يا رسول الله أنا عليه ساخطة . قال : ولم ؟ قالت : يا رسول الله كان يؤثر على زوجته ويعصيني ، فقال رسول الله ﷺ : **« إن سخط أم علقمة حجب لسان علقمة عن الشهادة** . ثم قال : يا بلال انطلق واجمع لي حطبا كثيرا . قالت : يا رسول الله وما تصنع ؟ قال : أحرقه بالنار بين يديك . قالت : يا رسول الله ولدي لا يحتمل قلبي أن تحرقه بالنار بين يدي . قال :يا أم علقمة عذاب الله أشد وأبقى ، فإن سرك أن يغفر الله له فأرضى عنه فوالذي نفسي بيده لا ينتفع علقمة بصلاته ولا صيامه ولا بصدقته مادمت عليه ساخطة . فقالت : يا رسول الله إني أشهد الله تعالى وملائكته ومن حضرني من المسلمين أني قد رضيت عن ولدي علقمة. قال : فقال رسول الله ﷺ : **« انطلق يا بلال إليه وانظر هل يستطيع أن يقول لا إله إلاالله أم لا ؟ فلعل أم علقمة تكلمت بما ليس في قلبها حياء مني** .

فانطلق فسمع علقمة من داخل الدار يقول : (لا إله إلا الله) ، فدخل بلال فقال: يا هؤلاء إن سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة، وإن رضاها أطلق لسانه . ثم مات علقمة من يومه ، فحضره رسول الله ﷺ فأمر بغسله وكفنه ثم صلى عليه وحضر دفنه ، ثم قام على شفير قبره وقال : « **يا معشر المهاجرين والأنصار من فضل زوجته على أمه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرفا ولا عدلا إلا أن يتوب إلى الله عزوجل ويحسن إليها ويطلب رضاها ، فرضى الله في رضاها وسخط الله في سخطها** »[1] . فنسأل الله أن يوفقنا لرضاه ، وأن يجنبنا سخطه، إنه جواد كريم رؤوف رحيم .

(١) قصة موضوعة رواها العقيلي في الضعفاء (٣/ ٤٦١) ، والبيهقي (٧٨٩٢) وابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٧٨) . ويا ليت الخطباء ينتهون عن ذكر هذه القصة الموضوعة وإن أرادوا ذكر القصص ففي الصحيح ما يغني عن ذلك .

الكبيرة التاسعة

هجر الأقارب

قال الله تعالى ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ ﴾ [(١)] أي واتقوا الأرحام أن تقطعوها وقال الله تعالى ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴾ [(٢)] وقال الله تعالى ﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ⦗٢٠⦘ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾ [(٣)]. وقال الله تعالى ﴿ يُضِلُّ بِهِ ﴾ أي: بالقرآن ﴿ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ ⦗٢٦⦘ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [(٤)]

الكبيرة التاسعة

هجر الأقارب

قطيعة الرحم من كبائر الذنوب لثبوت الوعيد عليه من الكتاب والسنة قال الله تعالى ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ⦗٢٢⦘ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٢ ـ ٢٣]

يعني أنكم إذا توليتم أفسدتم في الأرض وقطعتم الرحم وحقت عليكم اللعنة

«وأعمى أبصاركم » المراد بالأبصار هنا البصيرة وليس بصر العين والمراد أن الله سبحانه وتعالى يعمي بصيرة الإنسان ـ والعياذ بالله ـ حتى يرى الباطل حقًا والحق باطلا

وهذه عقوبة أخروية ودنيوية

---

(١) النساء ١

(٢) محمد ٢٢ ـ ٢٣

(٣) الرعد ٢ ـ ٢١

(٤) البقرة ٢٦ ـ ٢٧

أعظم ذلك ما بين العبد والله ما عهده الله على العبيد .

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « **لايدخل الجنة قاطع رحم** » (١) .
فمن قطع أقاربه الضعفاء وهجرهم وتكبر عليهم ولم يصلهم ببره وإحسانه وكان غنيا وهم فقراء فهو داخل في هذا الوعيد ، محروم من دخول الجنة ، إلا أن يتوب إلى الله عز وجل ويحسن إليهم ، وقد ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**من كان له أقارب ضعفاء ولم يحسن إليهم ويصرف صدقته إلى غيرهم لم يقبل الله منه صدقته ولا ينظر إليه يوم القيامة ، وإن كان فقيراً بزيارته والتفقد لأحوالهم** »(٢)
ولقول النبي ﷺ : « **صلوا أرحامكم ولو بالسلام** » (٣) .

وقال ﷺ : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه** » (٤) وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **ليس الواصل بالمكافيء ،ولكن الواصل الذي من إذا قطعت رحمه وصلها** » (٥) .

أما الأخروية : فقوله : ﴿ **أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ** ﴾ .

وأما الدنيوية : فقوله : ﴿ **فَأَصَمَّهُمْ** ﴾ يعني أصم آذانهم عن سماع الحق والانتفاع به .
﴿ **وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ** ﴾ عن رؤية الحق والانتفاع به . وقال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ** ﴾ [الرعد : ٢٥] .

ميثاق العهد : توكيده . فينتقضون العهد ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل من القرابات وغيرهم . ويفسدون في الأرض بكثرة المعاصي .

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٥٩٨٤) ومسلم(٢٥٥٦) .
(٢) ضعيف : رواه الطبراني فى الأوسط (٨/ ٣٤٦) وإسناده ضعيف .
(٣) حسن : الطبراني (٧٩٧٣) البيهقي (٧٩٧٢) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٨٣٨) بلفظ (بلوا أرحامكم ولو بالسلام) .
(٤) صحيح : رواه البخاري (٦١٣٨) عن أبي هريرة .
(٥) صحيح : رواه البخاري (٥٩٩١) وأبو داود (١٦٩٧) والترمذي (١٩٠٨) عن ابن عمرو.

وقال ﷺ : « **يقول الله تعالى : أنا الرحمن وهي الرحم فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته** »[(١)] . وعن علي بن الحسين أنه قال لولده : يا بني لا تصحبن قاطع رحم فإني وجدته ملعونا في كتاب الله في ثلاث مواضع .

وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه جلس يحدث عن رسول الله ﷺ فقال : أحرج على كل قاطع رحم إلا قام من عندنا ، فلم يقم أحد إلا شاب من أقصى الحلقة ، فذهب إلى عمته لأنه كان قد صارمها منذ سنين فصالحها . فقالت له عمته : ماجاء بك يا ابن أخي ؟ فقال : إني جلست إلى أبي هريرة صاحب رسول الله ﷺ فقال : أحرج كل قاطع رحم إلا قام من عندنا ، فقالت له عمته : ارجع إلى أبي هريرة واسأله لم ذلك . فرجع إليه وأخبره بما جرى له مع عمته وسأله : لم لا يجلس عندك قاطع رحم ؟ فقال أبو هريرة : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن الرحمه لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم** »[(٢)] .

﴿ **أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ** ﴾ واللعنة تعني : الطرد والإبعاد عن رحمة الله .

﴿ **وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ** ﴾ أي : سوء العاقبة .

---

(١) صحيح : رواه البيهقي في الشعب (٧٩٦٦) صحيح الجامع (٤٣١٤) .

(٢) ضعيف : رواه البخاري في الأدب المفرد (٦١) ضعيف الجامع (١٤٦٣) وضعيف الأدب المفرد ١٤ .

حكاية

وحكى أن رجلا من الأغنياء حج إلى بيت الله الحرام ، فلما وصل إلى مكة أودع من ماله ألف دينار عند رجل كان موسوما بالأمانة والصلاح إلى أن يقف بعرفات ، فلما وقف بعرفات ورجع إلى مكة وجد الرجل قد مات ، فسأل أهله عن ماله علم أنه لم يكن لهم به علم فأتى علماء مكة فأخبرهم بحاله وماله فقالوا له إذا كان نصف الليل فأت زمزم وانظر فيه ، وناد با فلان باسمه فإن كان من أهل الجنة فسيجيبك بأول مرة ، فمضى الرجل ونادى في زمزم فلم يجبه أحد ، فجاء إليهم وأخبرهم فقالوا (إنا لله وإنا إليه راجعون) نخشى أن يكون صاحبك من أهل النار ، اذهب إلى أرض اليمن ففيها بئر يسمى برهوت يقال أنه على فم جهنم فانظر فيه بالليل ، وناد يا فلان فإن كان من أهل النار فيسجيبك منها ، فمضى إلى اليمن وسأل عن البئر فدل عليها ، فأتاها بالليل ونظر فيها ونادى يا فلان ، فأجابه فقال أين ذهبي ؟ قال دفنته في الموضع الفلاني من داري ولم ائتمن عليه ولدي ، فأتهم واحفر هناك تجده فقال له ما الذي أنزلك ههنا وكنا نظن بك الخير؟ فقال كان لي أخت فقيرة هجرتها وكنت لا أحنو عليها فعاقبني الله سبحانه وأنزلني هذه المنزلة[١]

وتصديق ذلك في الحديث الصحيح قوله ﷺ « **لايدخل الجنة قاطع** »[٢] يعني قاطع رحم كالأخت والخالة والعمة وبنت الأخت وغيرهم من الأقارب ، فنسأل الله التوفيق لطاعته إنه جواد كريم

هذه حكاية لا تصح

سبق تخريجه .

الكبيرة العاشرة

الزنــــــا

وبعضه أكبر من بعض . قال الله تعالى:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾ [1] وقال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ ﴾ [2] .

وقال الله تعالى : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [3] .

الكبيرة العاشرة

الزنــــــا

إن من أحكام القرآن وهدايته الحث على التمسك بالأخلاق الفاضلة والآداب العالية والزجر مما يخل بالشرف والعفاف ومن أجل ذلك حرم الزنا وأخبر أنه فاحشة يستفحشه كل ذي فطرة قويمة وكل ذي عقل سليم حذر منه بعقوبة الدنيا والآخرة عقوبة الدنيا بالحد جلد مئة وتغريب عام أي تسفير عن البلد لمن كان غير متزوج وللرجم بالحجارة إلى الموت لمن كان قد تزوج إن جريمته تؤدي إلى القتل لجريمة بالغه تعبر عن كون مرتكبها غير صالح للبقاء في المجتمع فهو جرثومة فاسدة يجب القضاء عليها حتى لا تفسد المجتمع كله . وأما عقوبة الزنا في الآخرة فقد قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ

---

(1) الإسراء : ٣٢ .

(2) الفرقان ٦٨ ـ ٧٠ .

(3) النور : ٢ .

قال العلماء : هذا عذاب الزانية والزاني في الدنيا إذا كانا عزبين أي غير متزوجين فإن كان متزوجين أو قد تزوجا ولو مرة في العمر فإنهما يرجمان بالحجارة إلى أن يموتا . كذلك ثبت في السنة عن النبي ﷺ فإن لم يستوف القصاص منهما في الدنيا وماتا من غير توبة فإنهما يعذبان في النار بسياط من نار .

كما ورد فى الزبور مكتوبا : إن الزناة معلقون بفروجهم في النار يضربون عليها بسياط من حديد ، فإذا استغاث من الضرب نادته الزبانية أين كان هذا الصوت وأنت تضحك وتفرح وتمرح ولا تراقب الله تعالى ولا تستحي منه ؟!

وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا ينتهب نهبة ذات يشرف يرفع الناس إليه أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن** »[1] .

وقال ﷺ : « **إذا زنى العبد خرج منه الإيمان فكان كالظلة على رأسه ثم إذا أقلع**

الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ وفي صحيح البخاري أن النبي ﷺ رأى في المنام ثقبا مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع فيه لغط وأصوات فاطلع فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة يأتيهم لهب من أسفل منهم فسأل عنهم فقيل له هم الزناة ، والزواني ، وقال ﷺ لا يزني الزاني حتى يزني وهو مؤمن .وقال إذا زنى الرجل خرج منه الإيمان فكان عليه كالظلة فإذا أقلع أي تاب رجع إليه الإيمان وقال إذا ظهر الزنا والربا في قرية أحلوا بأنفسهم عذاب الله .

أيها المسلمون إن الزنا بالإضافة إلى هذه العقوبات فيه مفاسد عظيمة يفسد القلب والفكر ويوجب الذل والعار ويضيع النسل ويخلط الأنساب وينشر الأمراض التناسلية فهو فساد في الدنيا والدين والفرد والمجتمع ومن ثم جاءت الأية الكريمة بالنهي عن قربانه فقال تعالى ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً** ﴾ والنهي عن قربانه نهى عن جميع

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٢٧٦) والبخاري (٢٤٧٥ ، ٦٧٧٢) ومسلم (٥٧) عن أبي هريرة .

رجع إليه الإيمان »[١] .

وقال ﷺ : « **من زنى أوشرب الخمر نزع الله منه الإيمان كمايخلع الإنسان القميص من رأسه** »[٢] وفي الحديث النبوي قال رسول الله ﷺ : « **ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولايزكيهم ولهم عذاب أليم ، شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر** »[٣] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ، أي الذنب أعظم عند الله تعالى ؟ قال : « **أن تجعل لله نداً وهو خلقك** » فقلت : إن ذلك لعظيم ، ثم أي ؟ قال: « **أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك** » . قلت : ثم أي ؟ قال : « **أن تزني بحليلة جارك** » ـ يعني زوجة جارك .

الأسباب الموصلة إليه كاللمس والنظر فلا يحل للمؤمن أن يتمتع بنظر امرأة ليست زوجة له ولا بسماع صوتها أو مس شيء منها سواء كان هذا التمتع تمتعًا نفسيًا أو جنسيًا أعني سواء كان تمتعه بالنظر ونحوه مجرد راحة نفسية أو لأجل التمتع الجنسي والشهوة فكل ذلك حرام ولا يجوز في غير الزوجة قال الله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ** ﴾

لقد فرض الله عقوبة القاذف الذي يرمي الشخص المحصن البعيد عن تهمة الزنا فيقول : يا زاني أو يا زانية فمن قال له ذلك قيل له إما أن تأتي بالبينة الشرعية على ما قلت وإما حد في ظهرك فإذا لم يأت بها عوقب بثلاث عقوبات يجلد ثمانين جلده ولا تقبل له شهادة أبدًا ويحكم بفسقه فيخرج عن العدالة إلا أن يتوب ويصلح يقول الله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ**

---

(١) صحيح : رواه أبو داود (٤٦٩٠) والبيهقي في الشعب (٤٩٧٩) عن أبي هريرة وصححه الألباني في الصحيحة (٥٠٩) ، وصحيح الجامع (٥٨٦) .

(٢) ضعيف : رواه الحاكم (١/ ٢٢) والبيهقي في الشعب (٤٩٨١) وضعفه الألباني في الضعيفة رقم (١٢٧٤) عن أبي هريرة .

(٣) صحيح : رواه مسلم (١٠٧) والنسائي (٥/ ٨٦) عن أبي هريرة .

فأنزل الله عز وجل تصديق ذلك : ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ ﴾ [(١)] .

فانظر رحمك الله كيف قرنا الزنا بزوجة الجار المشرك بالله وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وهذا الحديث مخرج في الصحيحين .

وفي صحيح البخاري في حديث منام النبي ﷺ الذي رواه سمرة بن جندب ، وفيه أنه ﷺ جاءه جبريل وميكائيل قال : « **فانطلقنا فأتينا على مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع ، فيه لغط وأصوات** . قال : **فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة ، فإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم ، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا ـ أي صاحوا من شدة حره ـ فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الزناة والزواني ـ يعني من الرجال والنساء فهذا عذابهم إلى يوم القيامة** »[(٢)]. نسأل الله العفو والعافية.

يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ وإنما أوجب الله عقوبته بتلك العقوبات حماية للأعراض ودفعا عن تهمة المقذوف البريء البعيد عن التهمة .

وفي حق الله عقوبة الزاني وجعلها على نوعين نوع بالجلد مئة جلدة أمام الناس ثم ينفى عن البلدة لمدة سنة كاملة وذلك فيها إذا لم يسبق له زواج تمتع فيه بنعمة الجماع المباح يقول الله تعالى : ﴿ **الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ . ويقول النبي ﷺ البكر بالبكر جلدة مئة وتغريب عام . والنوع الثاني من عقوبة الزناة : الرجم بالحجارة

---

(١) صحيح: رواه أحمد (١/ ٣٨٠ ـ ٤٣١) والنسائي في التفسير (٣٣٨) ورواه البخاري (٤٤٧٧) ومسلم (٨٦) بغير ذكر الآية .

(٢) صحيح : رواه البخاري (١٣٨٦) وابن حبان (٦٥٥) والطبراني في الكبير (٦٩٨٤) .

وعن عطاء في تفسير قول الله تعالى عن جهنم ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ [الحجر: ٤٤] قال أشد تلك الأبواب غما وحرا وكربا وأنتنها ريحا للزناة الذين ارتكبوا الزنا بعد العلم(١). وعن مكحول الدمشقي قال: يجد أهل النار رائحة منتة فيقولون ما وجدنا أنتن من هذه الرائحة، فيقال لهم: هذه ريح فروج الزنا (٢). وقال ابن زيد أحد أئمة التفسير: إنه ليؤذى أهل النار ريح فروج الزناة (٣). وفي العشر الآيات التي كتبها الله لموسى عليه السلام: ولا تسرق ولا تزن فأحجب عنك وجهي، إذا كان الخطاب لنبيه موسى عليه السلام فكيف بغيره ؟!

وجاء عن النبي ﷺ: « **إن إبليس يبث جنوده في الأرض ويقول لهم: أيكم أضل مسلما ألبسته التاج على رأسه، فأعظمهم فتنة أقربهم إليه منزلة فيجيء إليه أحدهم فيقول له: لم أزل بفلان حتى طلق امرأته، فيقول: ما صنعت شيئًا سوف يتزوج غيرها، ثم يجيء الآخر فيقول له لم أزل بفلان حتى ألقيت بينه وبين أخيه العداوة، فيقول: ما صنعت شيئًا سوف يصالحه، ثم يجيء الآخر فيقول: لم أزل**

حتى يموت ثم يغسل ويكفن ويصلي عليه ويدعى له بالرحمة ويدفن مع المسلمين وتلك العقوبة فيمن سبق له زواج تمتع فيه بالجماع المباح وإن كان حين فعل الفاحشة لا زوج معه يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على منبر رسول الله ﷺ إن الله بعث محمدًا بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل الله عليه آية الرجم قرأناها ووعيناها وعقلناها فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل والله ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله وإن الرجم حق في كتاب الله على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل « يعني الحمل » أو الاعتراف هكذا أعلن أمير المؤمنين على منبر رسول الله ﷺ على الملأ حتى لا ينكر الرجم إذا لم يجدوا الآية في كتاب الله والله تعالى يمحو ما يشاء ويثبت وقد نسخت أية الرجم من القرآن

---

(١) ابن الجوزي في « ذم الهوى » (١٥٧).
(٢) قال ابن الجوزي في « ذم الهوى ص ١٥٥ ، ١٥٦ إسناده معضل.
(٣) رواه الخرائطي في « مساويء الأخلاق » عن علي بن أبي طالب في حديث طويل.

بفلان حتى زنى ، فيقول إبليس : نعم ما فعلت فيدنيه منه ويضع التاج على رأسه »[١] نعوذ بالله من شرور الشيطان وجنوده .

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : **« إن الإيمان سربال يسربله الله من يشاء ، فإذا زنى العبد نزع الله منه سربال الإيمان ، فإن تاب رده عليه »** [٢] ، وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : **« يا معشر المسلمين اتقوا الزنا فإن فيه ست خصال ، ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة ، فأما التي في الدنيا: فذهاب بهاء الوجه وقصر العمر ودوام الفقر، وأما التي في الآخرة فسخط الله تبارك وتعالى ، وسوء الحساب والعذاب بالنار »** [٣]. وعنه ﷺ أنه قال : **« من مات مصرا على شرب الخمر سقاه الله تعالى من نهر الغوطه وهو نهر يجري في النار من فروج المومسات »**[٤] يعني الزانيات ، يجري من فروجهن قيح وصديد في النار ، ثم يسقى ذلك لمن مات مصرا على شرب الخمر .

وقال رسول الله ﷺ : **« ما من ذنب بعد الشرك بالله أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في فرج لا يحل له»**[٥] . وقال أيضًا ﷺ: **«في جهنم واد فيه حيات كل حية ثخن رقبة البعير تلسع تارك الصلاة فيغلي سمها في جسمه سبعين سنة، ثم**

لفظا وبقى حكمها إلى يوم القيامة لتتميز هذه الأمة عن بني إسرائيل بالانقياد التام فبنو إسرائيل فرض عليهم رجم الزاني إذا أحصن ونص في التوراة وحاولوا إخفاءه حين قرأ قارئهم التوراة عند رسول الله ﷺ وهذه الأمة نسخ الله آية الرجم فلا توجد فيه لفظا فعملوا بها لعلمهم ببقاء حكمها وتنفيذ رسولهم ﷺ وخلفائه الراشدين لهذا الحكم . وإنما كانت عقوبة الزاني المحصن بهذه الصورة المؤلمة دون القتل بالسيف لأن هذه العقوبة كفارة

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٨/ ١٢٨) وإسناده ضعيف . رواه مسلم (٢٨٣) من حديث جابر وفيه أن إبليس يمدح جنده فى الذى يفرق بين الرجل وامرأته .

(٢) ضعيف: رواه البيهقي (٤٩٨١) وضعفه الألباني في الضعيفة (١٢٧٤) .

(٣) ضعيف: رواه ابن عدي (٦/ ٣١٧) والخرائطي في مساويء الأخلاق (٤٧٦) وهو حديث واه جداً. وضعفه الألبانى فى السلسة (١٤١، ١٤٢).

(٤) ضعيف : رواه أحمد (٤/ ٣٩٩) وابن حبان (٥٣٤٦) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٥٩٧).

(٥) ضعيف: رواه ابن الجوزي في ذم الهوى (ص ١٥٤) وضعفه الألباني في الضعيفة (١٥٨٠).

يتهرى لحمه ، وإن في جهنم واديا اسمه جب الحزن فيه حيات وعقارب كل عقرب بقدر البغل لها سبعون شوكة في كل شوكة راوية سم، ثم تضرب الزاني وتفرغ سمها في جسمه يجد مرارة وجعها ألف سنة ، ثم يتهرى لحمه ويسيل من فرجه القيح والصديد » [1] .

ورد أيضًا : « إن من زنى بامرأة كانت متزوجة كان عليها وعليه في القبر نصف عذاب هذه الأمة ، فإذا كان يوم القيامة يحكم الله سبحانه وتعالى زوجها في حسناتها هذا إن كان بغير علمه ، فإن علم وسكت حرم الله عليه الجنة لأن الله تعالى كتب على باب الجنة : أنت حرام على الديوث » [2] . وهو الذي تعلم بالفاحشة في أهله ويسكت ولا يغار .

ورد أيضًا : « أن من وضع يده على امرأة لا تحل له بشهوة جاء يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه ، فإن قبلها قرضت شفتاه في النار ، فإن زنى بها نطقت فخذه وشهدت عليه يوم القيامة ، وقالت :أنا للحرام ركبت ، فينظر الله تعالى إليه بعين الغضب ، فيقع لحم وجهه فيكابر ، ويقول : ما فعلت فيشهد عليه لسانه فيقول : أنا بما لا يحل نطقت ، وتقول يداه : أنا للحرام تناولت ،وتقول عيناه : أنا للحرام نظرت ، وتقول رجلاه : أنا لما لا يحل مشيت ، ويقول فرجه : أنا فعلت ، ويقول الحافظ من الملائكة : وأنا سمعت ، ويقول الآخر : وأنا كتبت ، ويقول الله تعالى : وأنا اطلعت وسترت . ثم يقول الله تعالى : يا ملائكتي خذوه ومن عذابي أذيقوه ، فقد اشتد غضبي على من قل حياؤه مني ، وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل :

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [3]

للذة محرمة اهتز لها جميع بدنه فكان من المناسب والحكمة أن تشمل العقوبة جميع بدنه بألم تلك الحجارة .

---

(١) ضعيف : رواه أحمد (٤/ ١٩١) وفي إسناده ضعف .

(٢ ، ٣) لم أعثر عليهما بعد بحث والآية سورة النور ٢٤ .

وأعظم الزنا الزنا بالأم والأخت وامرأة الأب وبالمحارم وقد صحح الحاكم : «**من وقع على ذات محرم فاقتلوه**» (١) ، وعن البراء أن خاله بعثه رسول الله ﷺ إلى رجل عرس بامرأة أبيه أن يقتله ويخمس ماله (٢). فنسأل الله المنان بفضله أن يغفر لنا ذنوبنا أنه جواد كريم .

إن عقوبة الزاني بهذه النوعين من العقوبة لفي غاية الحكمة والمناسبة ﴿ **وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ** ﴾ [االأنعام: ١٣٢] وإن إيجاب عقوبة الزاني من رجل أو امرأة لعين الرحمة للخلق لما فيه من القضاء على مفسدة الزنى المدمر للمجتمعات ، المفسد للأخلاق والسلوك ، الموجب لضياع الأنساب واختلاط المياه المحول للمجتمع الإنساني إلى مجتمع بهيمي لا يهتم إلا بملء بطنه وشهوة فرجه ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً** ﴾ [الإسراء: ٣٢] .

---

(١) ضعيف : رواه الطبراني في الأوسط (٩٣٥٠) والكبير (١١٥٦٥) والحاكم (٤/ ٣٥٦) والبيهقي (٨/ ٢٣٧) والحديث ضعيف .

(٢) صحيح : رواه أحمد (٤/ ٢٩٢ ، ٢٩٧) وأبو داود (٤٤٥٦) والنسائي (٦/ ١٠٩) وابن ماجه (٢٦٠٧) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢١١٣) .

الكبيرة الحادية عشرة

اللـــــواط

قص الله عز وجل علينا في كتابه العزيز قصة قوم لوط في غير موضع ، من ذلك قول الله تعالى:

﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ [(١)] : أي من طين طبخ حتى صار كالآجر ﴿ مَّنضُودٍ ﴾ أي : يتلو بعضه بعضا ، ﴿ مُّسَوَّمَةً ﴾ أي : معلمة بعلامة تعرف بها أنها ليست من حجارة أهل الدنيا ، ﴿ عِندَ رَبِّكَ ﴾ أي : في خزائنه التي لا يتصرف في شيء منها إلا بإذنه ، ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ ما هي من ظالمي هذه الأمة إذا فعلوا فعلهم أن يحل بهم ماحل بأولئك من العذاب .

ولهذا قال النبي ﷺ : « **أخوف ما أخاف عليكم عمل قوم لوط** » [(٢)] ولعن من

الكبيرة الحادية عشرة

اللـــــواط

اللواط وهو وطء الذكر الذكر فذلك الفاحشة الكبرى والجريمة النكراء إنه مفسدة الدنيا والدين إنه هدم للأخلاق ومحق للرجولة إنه فساد للمجتمع وقتل للمعنويات إنه ذهاب للخير والبركات وطالب للشرور والمصيبات إنه معول خراب ودمار وسبب للذل والخزي والعار ، والعقول تنكره والفطر السليمة ترفضه والشرائع السماوية تزجر عنه وتمقته ذلكم بأن اللواط ضرر عظيم وظلم فاحش فهو ظلم للفاعل بما جر إلى نفسه من الخزي والعار وقادها إلى ما فيه الموت والدمار وهو ظلم للمفعول به حيث هتك نفسه وأهانها ورضى لها

---

(١) سورة هود : ٨٣ .

(٢) صحيح : رواه أحمد (٣/ ٣٨٢) والترمذي (١٤٨٢) وابن ماجه (٢٥٦٣) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٠٧٧) ، صحيح الجامع (١٥٥٢) .

فعل فعلهم ثلاثا فقال : « لعن الله من عمل عمل قوم لوط ، لعن الله من عمل عمل قوم لوط ، لعن الله من عمل عمل قوم لوط » (١) . وقال ﷺ : « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » (٢) ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : ينظر أعلى بناء في القرية فيلقى منه ثم يتبع بالحجارة كما فعل بقوم لوط .

وأجمع المسلمون على أن التلوط من الكبائر التي حرم الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ (٣) أي : مجاوزون من الحلال إلى الحرام .

وقال الله تعالى في آية أخرى مخبراً عن نبيه لوط عليه السلام .

﴿ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴾ (٤) .

وكان اسم قريتهم سدوم (٥) ، وكان أهلها يعملون الخبائث التي ذكرها الله سبحانه في كتابه كانوا يأتون الذكران من العالمين في أدبارهم ويتضارطون في أنديتهم مع أشياء أخرى كانوا يعملونها من المنكرات .

بالسفول والإنحطاط ومحق رجولتها فكان بين الرجال بمنزلة النسوان لا تزول ظلمة الذل من وجهه حتى يموت وهو ظلم للمجتمع كله بما يقضي إليه من حلول المصائب والنكبات ، ولقد قص الله علينا ما حصل لقوم لوط حيث أنزل عليهم رجزا من السماء أي عذابا من فوقهم أمطر عليهم حجارة من سجيل فجعل قريتهم عاليها سافلها وقال بعد أن قص علينا عقوبتهم ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود: ٨٤] .

---

(١) صحيح : رواه أحمد (١/ ٣١٧ ، ٣٠٩) والخرائطي في مساوئ الأخلاق (٤٣٧) صحيح الجامع ٥٨٩١ .

(٢) صحيح : رواه أحمد (١/ ٣٠٠) وأبو داود (٤٤٦٢) والترمذي (١٤٨١) وابن ماجه (٢٥٦١) صحيح الجامع .

(٣) الشعراء : ١٦٥ _ ١٦٦ .

(٤) الأنبياء : ٧٤ .

(٥) سدوم ثلاث قرى يقال لها مجتمعة وهي تقع بين المدينة والشام .

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : عشر خصال من أعمال قوم لوط ـ تصفيف الشعر ، وحل الأزرار ،ورمي البندق ، والحذف بالحصى ، واللعب بالحمام الطيارة، والصفير بالأصابع ، وفرقعة الأكعب ، وإسبال الإزار ، وحل أزر الأقبية ، وإدمان شرب الخمر ، وإتيان الذكور ، وستزيد عليها هذه الأمة مساحقة النساء النساء .

وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « **سحاق النساء بينهن زنا** » [(١)]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أربعة يصبحون في غضب الله ويمسون في سخط الله تعالى** قيل : من هم يا رسول الله؟ قال : « **المتشبهون من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال ، والذي يأتي البهيمة ، والذي يأتي الذكر يعني اللواط** » [(٢)] .

وروى [(٣)] : « **أنه إذا ركب الذكر الذكر اهتز عرش الرحمن خوفا من غضب الله تعالى ، وتكاد السموات أن تقع على الأرض فتمسك الملائكة بأطرافها وتقرأ قل هو الله أحد إلى آخرها حتى يسكن غضب الله عز وجل** » [(٤)] .

أيها المسلمون متى فشت هذه الفاحشة في المجتمع ولم يعاقبه الله بدمار الديار فإنه سيحل به ماهو أعظم من ذلك سيحل به انتكاس القلوب وانطماس البصائر وانقلاب العقول حتى يسكت على الباطل أو يزين له سوء العمل فيراه حسنا وأما إذا يسر الله له ولاة أقوياء ذوي عدل أمناء يقولون الحق من غير مبالاة وينفذون الحد من غير محاباة فإن هذا علامة التوفيق والصلاح . أيها المسلمون ولما كانت هذه الجريمة أعنى جريمة فاحشة اللواط من أعظم الجرائم كانت عقوبتها في الشرع من أعظم العقوبات فعقوبتها القتل والإعدام قال النبي ﷺ : « **من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به** » واتفق جمهور

---

(١) ضعيف جدا: رواه الطبراني في الكبير (٢٢/ ٦٣ . ١٥٣) والبيهقي في الشعب (٥٠٨٢) وقال الألباني ضعيف انظر السلسلة الضعيفة (١٦٠١).

(٢) منكر : رواه ابن عدي في الكامل (٧/ ٤٦٢) والبيهقى فى الشعب (٥٣٨٥) .

(٣) ضعيف : قال المنذري رواه الطبراني والبيهقي من طريق محمد بن سلام الخزاعي ولا يعرف عن أبيه الحديث عن أبي هريرة قال البخاري لا يتابع على حديثه . والحديث ضعيف.

(٤) موضوع : رواه ابن الجوزي في ذم الهوى ص ١٦٠ عن عمر والحديث موضوع . انظر الضعيفة (٣١٩).

وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « **سبعة لعنهم الله تعالى ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ويقول ادخلوا النار مع الداخلين : الفاعل والمفعول به ـ يعني اللواط ، وناكح البهيمة ، وناكح الأم وابنتها ، وناكح يده إلا أن يتوبوا** »[١] .

وروى أن قومًا يحشرون يوم القيامة وأيديهم حبالى من الزنا كانوا يعبثون في الدنيا بمذاكيرهم . وروي أن من أعمال قوم لوط : اللعب بالنرد ، والمسابقة بالحمام، والمهارشة بين الكلاب ،والمناطحة بين الكباش ،والمناقرة بالديوك ، ودخول الحمام بدون مئزر ، ونقص الكيل والميزان . ويل لمن فعلها .

وفي الأثر : من لعب بالحمام القلابة لم يمت حتى يذوق ألم الفقر . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : إن اللواطي إذا مات من غير توبة فإنه يمسخ في قبره خنزيرًا[٢] .

وقال ﷺ : « **لا ينظر الله إلى رجل أتى ذكرًا أو امرأة في دبرها** »[٣] ، وقال أبوسعيد الصعلوكي : سيكون في هذه الأمة قوم يقال لهم اللوطيون ، وهم على ثلاثة أصناف : صنف ينظرون ، وصنف يصافحون ، وصنف يعملون ذلك العمل الخبيث[٤] .

والنظر بشهوة إلى المرأة والأمرد زنا ، لما صح عن النبي ﷺ أنه قال : « زنا

الصحابة أو كلهم على العمل بمقتضى هذا الحديث قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : لم يختلف أصحاب رسول الله ﷺ في قتله سواء كان فاعلا أو مفعولا به ولكن اختلفوا كيف يقتل فقال بعضهم يرجم بالحجارة وقال بعضهم يلقى من أعلى مكان في البلد وقال بعضهم يحرق بالنار فالفاعل والمفعول به إذا كان راضيًا كلاهما عقوبته الإعدام بكل حال

---

(١) ضعيف: رواه البيهقي في الشعب (٥٠٨٧) وضعفه الشيخ في الضعيفة (٣١٩) .

(٢) ضعيف: رواه ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ١١٣) عن ابن عباس وقال لا يصح ورواه البيهقي في الشعب (٥٠١٨) عن بن سيرين موقوفًا .

(٣) صحيح : رواه أحمد (١/ ٢٩٧) والترمذي (١١٦٥) عن ابن عباس وحسنه الترمذي في صحيح سنن الترمذي والمشكاة ٣١٩٥ . وصحيح الجامع (٧٨٠١).

(٤) ضعيف : رواه البيهقي (٥٠١٩) وسنده ضعيف جدًا .

العين النظر ، وزنا اللسان النطق ، وزنا اليد البطش ، وزنا الرجل الخطى ، وزنا الأذن الاستماع ، والنفس تمنى وتشتهي ، والفرج يصدق ذلك ويكذبه »[١] . ولأجل ذلك بالغ الصالحون في الإعراض عن المردان وعن النظر إليهم وعن مخالطتهم ومجالستهم. قال الحسن بن ذكوان : لا تجالسوا أولاد الأغنياء فإن لهم صورا كصور العذارى ، فهم أشد فتنة من النساء[٢] . وقال بعض التابعين : ما أنا بأخوف على الشاب الناسك من سبع ضار من الغلام الأمرد يقعد إليه . وكان يقال : لا يبتن رجل مع أمرد في مكان واحد[٣] . وحرم بعض العلماء الخلوة مع الأمرد في بيت أو حانوت أو حمام قياسا على المرأة لأن النبي ﷺ قال : « **ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما**»[٤] . وفي المردان من يفوق النساء بحسنه ، فالفتنة به أعظم ، وأنه يمكن في حقه من الشر ما لا يمكن في حق النساء ، ويتسهل في حقه من طريق الريبة والشر ما يتسهل في حق المرأة ، فهو بالتحريم أولى . وأقاويل السلف في التنفير منهم والتحذير من رؤيتهم أكثر من أن تحصر وسموهم « الأنتان » لأنهم مستقذرون شرعاً . وسواء في كل ما ذكرناه نظر المنسوب إلى الصلاح وغيره . ودخل سفيان الثوري الحمام فدخل عليه صبي حسن الوجه فقال : أخرجوه عني فإني أرى مع كل امرأة شيطانًا ، وأرى مع كل صبي حسن بضعة عشر شيطانًا[٥] .

سواء كان محصنين أو غير محصنين لعظم جريمتهما وضرر بقائهما في المجتمع فإن بقاءهما

---

(١) صحيح: رواه أحمد ٢/ ٤١١ والطحاوي في مشكل الآثار (٣/ ٢٩٨) عن أبي هريرة بلفظ العينان تزنيان ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٤١٥٠ والإرواء ٢٣٧٠ ورواه أحمد (٢/ ٢٣٩) والبخاري (٦٢٤٣) ومسلم (٢٦٥٧) بلفظ (إن الله كتب على ابن أدم) .

(٢) ضعيف: رواه البيهقي في الشعب (٥٠١٤) وإسناده ضعيف .

(٣) رواه البيهقي في الشعب (٥٠١٥) وابن الجوزي في ذم الهوى ص ٩٢ .

(٤) صحيح : رواه الترمذي (١٦٥) وابن ماجه (٢٣٦٣) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٧٥٨).

(٥) رواه البيهقي (٥٠٢١) وابن الجوزي في ذم الهوى ص ٩٤ .

وجاء رجل إلى الإمام أحمد رحمه الله ومعه صبي حسن فقال الإمام : ما هذا منك ؟ قال : ابن أختي ، قال : لا تجيء به إلينا مرة أخرى ، ولا تمش معه في طريق لئلا يظن بك من لا يعرفك ولا يعرفه سوء .

وروي أن وفد عبد القيس لما قدموا على النبي ﷺ كان فيهم أمرد حسن فأجلسه النبي ﷺ خلف ظهره وقال : « **إنما كانت فتنة داود عليه السلام من النظر** » [1] وأنشدوا شعرًا :

كل الحوادث مبدؤها من النظر ... ومعظم النار من مستصغر الشرر

والمرء ما دام ذا عين بقلبها ... في أعين الخير موقوف على الخطر

كم نظرة فعلت في قلب صاحبها ... فعل السهام بلا قوس ولا وتر

يسر ناظره ما ضر خاطره ... لا مرحبًا بسرور عاد بالضرر

كان يقال : النظر بريد الزنا ، وفي الحديث : « **النظر سهم مسموم من سهام إبليس ، فمن تركه لله أورث الله قلبه حلاوة عبادة يجدها إلى يوم القيامة** » [2] .

قتل معنوي لمجتمعهما وإعدام للخلق والفضيلة ولاشك أن إعدامهما خير من إعدام الخلق والفضيلة .

---

(١) موضوع: رواه الديلمي وابن أبى شيبة فى المصنف (٦ / ٣٤٢) وقال الألبانى فى الضعيفة (٣١٣) موضوع بلفظ « كان خطيئة داود عليه السلام النظر ».

(٢) ضعيف : رواه الحاكم (٤/ ٣١٣) والطبراني (١٠٣٦٢) عن ابن عمر ضعيف الجامع ٥٢٢١ .

فصل
في عقوبة من أمكن من نفسه طائعًا

عن خالد بن الوليد رضي الله عنه أنه كتب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه وجد في بعض النواحي رجلا ينكح في دبره فاستشار أبو بكر الصحابة رضي الله عنهم في أمره فقال علي بن طالب رضي الله عنه : إن هذا ذنب لم يعمله إلا أمة واحدة قوم لوط ، وقد أعلمنا الله تعالى بما صنع بهم ، أرى أن يحرق بالنار . فكتب أبو بكر إليه أن احرقه بالنار فأحرقه خالد رضي الله عنه [1] .

وقال علي رضي الله عنه : من أمكن من نفسه طائعًا حتى ينكح ألقى الله عليه شهوة النساء وجعله شيطانًا رجيمًا في قبره إلى يوم القيامة .

وأجمعت الأمة على أن من فعل بمملوكه فهو لوطي مجرم . ومما روى أن عيسى ابن مريم عليه السلام مر في سياحته على نار توقد على رجل فأخذ عيسى عليه السلام ماء ليطفيء عنه ، فانقلبت النار صبيًا وانقلب الرجل نارا فتعجب عيسى عليه السلام من ذلك ، وقال : يا رب ردهما إلى حالهما في الدنيا لأسالهما عن خبرهما، فأحياهما الله تعالى فإذا هما رجل وصبي ، فقال لهما عيسى عليه السلام: ما خبركما ؟ فقال الرجل : يا روح الله إني كنت في الدنيا مبتلى بحب هذا الصبي فحملتني الشهوة أن فعلت به الفاحشة ، فلما أن مت ومات الصبي صير نارًا يحرقني مرة وأصير نارا أحرقه مرة فهذا عذابنا إلى يوم القيامة .

نعوذ بالله من عذاب الله ونسأله العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى .

فصل

ويلتحق باللواط إتيان المرأة في دبرها مما حرمه الله تعالى ورسوله ، قال الله عز وجل : ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ [2] أي كيف شئتم مقبلين ومدبرين في صمام واحد أي موضع واحد . وسبب نزول هذه الآية أن اليهود في

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي ٨/ ٢٣٢ وقال المنذري (جيد) .
(٢) سورة البقرة (٢٢٣) .

زمن النبي ﷺ كانوا يقولون : إذا أتى الرجل امرأته من دبرها في قبلها جاء الولد أحول ، فسأل أصحاب رسول الله ﷺ عن ذلك فأنزل الله هذه الآية تكذيبها لهم : ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] مجيبة أو غير مجيبة غير أن ذلك في صمام واحد . أخرجه مسلم [١] .

وفي رواية : « **اتقوا الدبر والحيض** » [٢] ،وقوله : « في صمام واحد أي في موضع واحد وهو الفرج لأنه موضع الحرث أي موضع مزرع الولد ، وأما الدبر فإنه محل النجو وذلك خبيث مستقذر . وقد روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **ملعون من أتى حائضا أو امرأة في دبرها** » [٣] .

وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **من أتى حائضًا أو امرأة في دبرها أو كاهنا فقد كفر بما أنزل على محمد** » [٤] .

فمن جامع امرأة وهي حائض أو جامعها في دبرها فهو ملعون وداخل في هذا الوعيد الشديد ، وكذا إذا أتى كاهنًا . وهو المنجم ومن يدعى معرفة الشيء المسروق ويتكلم عن الأمور المغيبات فسأله عن شيء منها فصدقه .

وكثيرمن الجهال واقعون في هذه المعاصي ، وذلك من قلة معرفتهم وسماعهم للعلم ، ولذلك قال أبو الدرداء : كن عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبًا ولا تكن الخامس فتهلك [٥] ، وهو الذي لا يعلم ولا يتعلم ولا يستمع ولا يحب من يعمل ذلك. ويجب على العبد أن يتوب إلى الله من جميع الذنوب والخطايا . ويسأل الله العفو عما مضى منه في جهله ،والعافية فيما بقى من عمره . اللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدينا والدنيا والآخرة إنك أرحم الراحمين .

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٤٥٢٨) ومسلم (١٤٣٥) والترمذى (٢٩٧٧) وأبو داود (٢١٩٣) وابن ماجه (١٩٢٥) .

(٢) حسن : رواه أحمد (١/ ٢٩٧) والنسائي في التفسير (٢٦٠) والطبراني (١٢٣١٧) وابن حبان (٤١٩٠) عن ابن عباس بسند حسن .

(٣) صحيح : رواه أحمد (٤/ ٤٤٤ ، ٤٧٩) وأبو داود (٢١٦٢) الجزء الثاني منه فقط عن أبي هريرة صحيح الجامع (٥٨٨٩) .

(٤) صحيح : رواه أحمد (٢/ ٤٠٨ ، ٤٨٦) وأبو داود (٣٩٠٤) والنسائي (١/ ٧٨) والترمذي (١٣٥) عن أبي هريرة صحيح الجامع ٥٩٤٢ ، المشكاة ٥٥١ .

(٥) موضوع : رواه البزار فى مسنده (٣٦٢٦) والطبرانى فى الصغير(٧٨٦) وقال الألبانى فى ضعيف اجامع (١٠٠) موضوع .

الكبيرة الثانية عشرة

الربـــــا

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [١] ، وقال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾[٢] أي لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم الذي قد مسنه الشيطان وصرعه ﴿ ذَلِكَ ﴾ أي : ذلك الذي أصابهم ﴿ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ .

الكبيرة الثانية عشرة

الربـــــا

الربا : هو الزيادة أو التأخير لأنه إما زيادة في شيء على شيء وإما تأخير قبض وقد بين الله عز وجل في كتابه حكم الربا وذكر فيه من الوعيد . وكذلك بين النبي ﷺ ذكر حكم الربا وما فيه من الوعيد . وبين النبي ﷺ أن يكون الربا وكيف يكون فذكر أن الربا يكون في ستة أصناف : الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح . هذه ستة أشياء هي التي فيها الربا .

إذا بعت شيئًا بجنسه فلابدمن أمرين :

التساوي والتقابض قبل التفرق . بعت ذهبًا بذهب لابد أن يكون سواء في الميزان وأن يكون القبض من الجانبين قبل التفرق .

بعت فضة بفضة لابد أن يكون سواء في الميزان وأن يكون القبض قبل التفرق من الجانبين .

---

(١) سورة آل عمران ١٣٠ .

(٢) سورة البقرة ٢٧٥ .

اي حلالا فاستحلوا ما حرم الله ، فإذا بعث الله الناس يوم القيامة خرجوا مسرعين . إلا أكلة الربا فإنهم يقومون ويسقطون كما يقوم المصروع ، كلما قام صرع لأنهم لما أكلوا الربا الحرام في الدنيا أرباه الله في بطونهم حتى أثقلهم يوم القيامة ، فهم كلما أرادوا النهوض سقطوا ، ويريدون الإسراع مع الناس فلا يقدرون.

وقال قتادة : إن آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونا ، وذلك علم لأكلة الربا يعرفهم به أهل الموقف[1] . وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

بعت برًا ببر لابد أن يكون سواء في المكيال وأن يكون القبض قبل التفرق من الجانبين . بعت شعيرًا بشعير لابد أن يكون سواء بالمكيال وأن يكون القبض قبل التفرق من الجانبين .

بعت تمرًا بتمر لابد أن يكون سواء في المكيال وأن يكون القبض قبل التفرق من الجانبين . بعت ملحًا بملح لابد أن يكون سواء في المكيال وأن يكون القبض قبل التفرق.

هذا إذا بعت الشيء بجنسه من هذه الأصناف الستة . وإن بعته بغير جنسه فابد من التقابض قبل التفرق من الجانبين ولا يشترط التساوي، فإذا بعت مباعًا من البر بصاعين من الشعير فلا بأس . لكن لابد من القبض قبل التفرق . وإذا بعت صاعًا من التمر بصاعين من الشعير فلا بأس لكن بشرط التقابض قبل التفرق . وإذا بعت ذهبًا بفضة فلا بأس بالزيادة أو النقص . لكن لابد من القبض قبل التفرق .

هذه هي الأصناف الستة التي نص الرسول ﷺ على جريان الربا فيها . وكذلك ما كان بمعناها فإنه يكون له حكمها . لأن هذه الشريعة الإسلامية لا تفرق بين شيئين متماثلين . كما أنها لا تساوي بين شيئين متفرقين .

أما حكم الربا فهو من السبع الموبقات . من كبائر الذنوب والعياذ بالله ومن تعاطي الربا ففيه شبه من اليهود . أخبث عباد الله ـ لأن اليهود هم الذين يأكلون

---

(١) رواه الطبري في التفسير (٢/ ١٠٢) وسند رجاله ثقات .

«لما أسرى بي مررت بقوم بطونهم بين أيديهم ، كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم ، قد مالت بهم بطونهم منضدين على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيًا . قال : فيقبلون مثل الإبل المنهزمة لا يسمعون ولا يعقلون ، فإذا أحس بهم أصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فلا يستطيعون أن يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون ، فيردونهم مقبلين ومدبرين. فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والآخرة». قال ﷺ : « فقلت : ياجبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس » [١].

السحت ويأكلون الربا . فمن تعامل بالربا من هذه الأمة فإن فيه شبهًا من اليهود نسأل الله العافية .

أما الوعيد عليه فقال اللهعز وجل : ﴿ **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ** ﴾ الشيطان يسلط على بني آدم نسأل الله السلامة. إلا أن يمن الله عليه بالأذكار الشرعية التي تقيه من الشيطان . مثل قراءة آية الكرسي في كل ليلة وغيرها مما هو معروف فالشيطان يسلط على بني آدم ويصرعه ويبقى الإنسان يبطش بيده ويفرقش بيديه ورجليه ويتخبط هؤلاء أكلة الربا لا يقومون إلاكما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس . مجانين .

واختلف العلماء رحمهم الله هل المعنى لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا على هذا الوصف . يعني يقومون من القبور كأنهم مجانين كأن يضربهم الشيطان بالمس؟ أو المعنى لا يقومون للربا لأنهم يأكلون الربا وكأنهم مجانين . من شدة طمعهم وجشعهم وشحهم لا يبالون فيكون هذا وصفًا لهم في الدنيا ؟

والصحيح أن الآية إذا كانت تحتمل المعنيين فإنها تحمل عليهما جميعًا يعني أنهم في الدنيا يتخبطون ويتصرفون تصرف الذي يتخبطه الشيطان من المس . وفي الآخرة كذلك يقومون من قبورهم على هذا الوصف نسأل الله العافية .

---

(١) ضعيف جدا: رواه البيهقي في الدلائل (٢/ ٣٩٠ ، ٣٩٦) .

وفي رواية قال : « لما عرج بي سمعت في السماء السابعة فوق رأسي رعداً وصواعق ، ورأيت رجالا بطونهم بين أيديهم كالبيوت فيها حيات وعقارب ترى من ظاهر بطونهم ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : هؤلاء أكلة الربا »(١) .

ثم قال عز وجل : مبينًا أن هؤلاء قاسوا قياسًا فاسدًا فقالوا : ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ . لافرق كما أنك تبيع للرجل مثلاً شاة بمائة ريال تبيع عليه درهمًا بدرهمين . أي فرق فيقولون : ﴿ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾ وقياسهم هذا كقياس الشيطان حين أمره الله أن يسجد لآدم فقال : ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾[ص: ٧٦].

فقابل النص بالقياس الفاسد ، هؤلاء أيضًا قاسوا قياسًا فاسدًا فبين الله عز وجل لا قياس مع الحكم الشرعي . قال :﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ ولم يحل الله البيع وحرم الربا إلاللفرق العظيم بينهما وأنهما ليسا سواء .

لكن من طمس الله قلبه رأى الباطل حقًا والحق باطلاً والعياذ بالله كما قال الله عز وجل فيمن طمس الله على قلبه ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾[المطففين : ١٣].

القرآن الكريم أساطير الأولين : أعظم كلام وأبين كلام فصيح كلام . يقولون أساطير الأولين لماذا ؟ ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤].

إذا انطمس القلب والعياذ بالله رأى الباطل حقًا ورأى الحق باطلاً هؤلاء يقولون: ﴿ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾ فقال الله : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾.

ثم عرض الله عز وجل التوبة على هؤلاء الآكالين للربا . كعادته جل وعلا يعرض التوبة على المذنبين لعلهم يتوبون إليه لأن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين. حتى قال الرسول ﷺ : « لله أشد فرحًا بتوبة عبده من أحدكم براحلته »(٢) .

كان رجل في البر معه راحلته عليه طعامه وشرابه فضاعت منه ضاع الطعام والشراب وهو في فلاة من الأرض . ليس عنده أحد طلبها ولم يجدها . فاضطجع تحت شجرة .

(١) ضعيف جدًا : رواه أحمد(٢/٣٥٣) وابن ماجه (٢٢٧٣) وهو ضعيف جدًا المشكاة (٢٨٢٨) وضعيف الجامع (١٣٣) .
(٢) صحيح : رواه البخارى (٦٣٠٩) مسلم (٢٧٤٧).

وروي عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه : إذا ظهر الزنا والربا في القرية أذن الله بهلاكها [(١)] . وعن ابن عمر مرفوعا : « **إذا ضن الناس بالدينار والدرهم، وتبايعوا بالعينة ، وتتبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد في سبيل الله أنزل الله بلاء فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم** » [(٢)] .

ميت ينتظر أن يقبض الله روحه . فبينما هو كذلك إذا بخطام الناقة متعلق بالشجرة وهو بين الحياة والموت فأخذ بالخطام وقال : « اللهم أنت عبدي وأنا ربك » يريد أن يقول : أنت ربي وأنا عبدك » لكنه أخطأ من شدة الفرح . قال النبي ﷺ لله أشد فرحًا بتوبة الإنسان من هذا الرجل براحلته مع أن هذا الفرح لا يمكن أن يدركه الإنسان الآن نحن لاتصف شدة هذا الفرح . رجل مقبل على الموت . فاقد ماله وطعامه وشرابه وناقته فإذا بها عنده . لا يمكن أن يتصور إنسان شدة هذا الفرح . فالله عز وجل أشد فرحًا بتوبة العبد من هذا بناقته . انظر ماذا قال هنا . يقول جل وعلا : ﴿**فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ**﴾[البقرة: ٢٧٥].

الحمد لله يعني الآكال للربا إذا جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف . يغفر له كل ما سلف ، ولا يؤاخذ عليه وأمره إلى الله . ولكن إذا جاءت الموعظة وله ربًا في ذمم الناس وجب عليه أن يسقطه . يجب أن يسقطه لأن الله قال : ﴿ **فَلَهُ مَا سَلَفَ** ﴾ . أما ما بقى فليس له . ولهذا أعلن الرسول ﷺ في حجة الوداع أعلن إعلانًا إلى يوم القيامة قال: « **ربا الجاهلية موضوع** » .

يعني : الربا الذي كانوا يترابون به في الجاهلية موضوع مهدر يوجد أقارب للرسول ﷺ يرابون في الجاهلية . يجب عليهم إسقاط الربا أولا يجب . يجب ولهذا قال : «**أول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب** » ما صلته بالعباس ابن عبد المطلب ؟ العباس عمه .

---

(١) حسن : رواه أحمد (١/ ٣٩٣ ، ٣٩٤ ـ ٤٠٢) وأبو داود (٣٣٣٣) والترمذي (١٢٠٦) وابن ماجه (٢٢٧٧) وحسنه الشيخ الألباني في الإرواء (٥ / ١٨٤) .

(٢) صحيح : رواه أحمد (٢/ ٤٢ ، ٨٤) والطبراني في الكبير (١٣٥٨٣ ، ١٣٥٨٥) وأبو داود (٣٤٦٢) صحيح الجامع (٦٧٥) .

وقال ﷺ : « ما ظهر في قوم الربا إلا ظهر فيهم الجنون ، ولا ظهر في قوم الزنا إلا ظهر فيهم الموت ، وما بخس قوم الكيل والوزن إلا منعهم الله القطر »[(١)] .

أول ربا أضع ربا العباس . هكذا الحكم . هكذا السلطان . أول ما يبدأ السلطان أقاربه. خلاف عادة الناس اليوم . أقارب السلطان عندهم حماية دبلوماسية يفعلون ما يشاءون لكن في عهد الرسول ﷺ يقول : أول ربا أضع من ربانا ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله . تأكيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا نهى الناس عن شيء جمع أهله وأقاربه وقال نهيت الناس عن كذا وكذا وإن الناس ينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم . والله لا يبلغني عن أحد منكم أنه فعله لأضعفن عليه العقوبة يعاقبه مرة ولا مرتين ؟ مرتين . لأن هؤلاء الأقارب يخالفون مستترين أو لائذين بقربهم من الحاكم . فيقول هذا القرب من الحاكم يوجب أن تضاعف عليكم العقوبة .

الله أكبر وبذلك ملكوا مشارق الأرض ومغاربها ودانت لهم الأمم . الأمم ما يفعلون هكذا . القريب من السلطان ليس عليه شيء لكن الأمة الأسلامية والخلافة الإسلامية أول من يقام عليه تنفيذ هذه الأحكام . في من ؟ في أقارب الحاكم . حتى لا يقال الرجل حكم لأجل أن يقي أقاربه عقوبة الظالمين .

الحاصل أن الله سبحانه وتعالى بمنه وكرمه ورحمته ولطفه يعرض التوبة على المذنبين : ﴿ **فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ** ﴾ [البقرة : ٢٧٥] .

نسأل الله أن يتوب علينا وعليكم . وقال : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ** ﴾ [البروج: ١٥].

القصة هذه في من ؟ في أصحاب الأخدود الذين حفروا حفرًا في الأرض وأضرموا فيها النيران ومن كان مؤمن ألقوه في النار ﴿ **وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** ﴾ [البروج: ٧، ٨].

يقول الله عز وجل : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ** ﴾ يعرض عليهم التوبة وهم

---

(١) حسن: رواه ابن ماجه (٢٦٧٦) بلفظ (ما ظهر في قوم الزنا والربا إلا أحلوا بأنفسهم عذاب الله) وله شواهد كثيرة صحيح الجامع (٥٦٣٤) .

وجاء في حديث فيه طول : « **إن آكل الربا يعذب من حين يموت إلى يوم القيامة بالسباحة في النهر الأحمر الذي هو مثل الدم ، ويلقم بالحجارة ، وهو المال الحرام الذي جمعه في الدنيا يكلف المشقة فيه ، ويلقم حجارة من نار كما ابتلع الحرام الذي جمعه في الدنيا . هذا العذاب له في البرزخ قبل يوم القيامة مع لعنة الله له** »[1] كما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال :« **أربعة حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعمها : مدمن الخمر ، وآكل الربا ، وآكل مال اليتيم بغير حق ، والعاق لوالديه إلا أن يتوبوا** »[2] .

يحرقون أولياءه . لكن عز وجل يحب التوابين ﴿ **ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ**﴾ [البروة: ١٠].

يقول عز وجل : ﴿ **فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ** ﴾ بعد أن تبين له الحكم ﴿ **فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾[البقرة: ٢٧٥].

هذه عقوبتهم في الآخرة أما عقوبتهم في الدنيا : ﴿ **يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا** ﴾ يتلفه لكن التلف نوعان :

تلف حسي : كأن يسلط على ماله آفة نفسه إما أن يمرض ويحتاج إلى دواء ومعالجات. أو يمرض أهله أو يسرق أو يحترق هذه عقوبة الدنيا ﴿ **يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا** ﴾ عقوبة حسية .

أو محق معنوي : المال عنده يكيس أكياسا لكنه كالفقير لا ينتفع به . هل يقال إن هذا عنده مال ؟ أبدًا . هذا أسوأ حالاً من الفقير . لأن ماله عنده بالأكياس يدخره لورثته . أما هو فلم ينتفع به . وهذا نسميه محقًا حسيًا أم معنويًا ؟ محقًا معنويًا ﴿**يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا** ﴾ نسأل الله أن يرزقنا وإياكم الموعظة التي تحي قلوبنا وتصلح أحوالنا .

وقال : ﴿ **وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ** ﴾ يربيها : أي ينميها ويزيدها فإنه قد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : «**من تصدق بعدل تمرة من طيب ولا يقبل إلا الطيب . فإن الله تعالى يأخذها بيمينه ويربيها كما يربي أحدكم فلوه** » . يعني فرسه الصغير : « حتى تكون مثل الجبل » .

---

(١) صحيح : سبق تخريجه البخاري (٧٠٤٧) بطوله . (٢) سبق تخريجه .

وقد ورد أن أكلة الربا يحشرون في صورة الكلاب والخنازير من أجل حيلتهم

وقال تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

فالصدقات إحسان وعبادة لله إذا تصدق الإنسان بشيء من ماله فإن الله تعالى يضاعف له هذه الصدقة في ثوابها وأجرها وينزل البركة فيما بقى من ماله . كما صح عن النبي ﷺ قال : « **ما نقص مال من صدقة** » (١) .

وإنما ذكر الله الصدقات بجانب الربا لأن الربا ظلم . ظلم وأخذ للمال بالباطل . والصدقات إحسان وخير فقارن هذا بهذا لأجل أن يبين للإنسان الفرق بين المحسنين وبين الظالمين أكلة الربا ثم قال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٧].

اتقوا الله فأمر بتقوى الله ثم قال : ﴿ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ يعني اتركوه لا تأخذونه. فخص بعد أن عم . لأن تقوى الله تعم اجتناب كل محرم وفعل كل واجب ولما قال ﴿ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ يعني : وتدعوا ما بقى من الربا ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا﴾ يعني : وتدعوا ما بقى من الربا ﴿ فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة: ٢٧٩]. وفي قراءة ﴿ فَآذِنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ والمعنى : أعلنوا الحرب على الله ورسوله . نسأل الله العافية ﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٩].

وإن تبتم عن أكل الربا فلكم رؤوس أموالكم . أنت أعطيت مائة بمائة وعشرين . إذا صدقت في التوبة لا تأخذ إلا مائة فقط . لأن الله يقول : ﴿ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ﴾ وقد ابتلى بعض الناس بالقياس الفاسد مع النص فقال : إذا أودعت مالك في بنوك أجنبية في أمريكا في إنجلترا في فرنسا . في أي بلد فإنك تأخذ الربا وتتصدق به .

سبحان الله يلطخ الإنسان يده بالدم والنجاسة ثم يذهب ويغسلها لماذا لا يتجنب النجاسة من الأول . هذا قياس فاسد مقابل للنص وفاسد في الاعتبار أيضًا إذا أعطوك فقل لا . شرعنا يحرم علينا الربا يقول بعض الناس إذا لم تأخذ منهم فإنهم يصرفونها في

---

(١) سبق تخريجه .

على أكل الربا كما مسخ أصحاب السبت حين تحيلوا على إخراج الحيتان التي نهاهم

الكنائس وحرب المسلمين . نقول من قال هذا ممكن أن صاحب البنك يأخذ لنفسه . يأخذ لقرابته . يأخذ لمصالحه . من يقول إنها تصرف في الكنائس . ثم على فرض أنها صرفت في الكنائس . هل دخلت في ملكك حتى يقال أنك أعنتهم . لم تدخل في ملكك أصلاً. ولهذا لايعطونك ربح مالك . ربما يدخلون مالك في مالهم ويخسر وإنما يعطونك ربا واضحًا محددًا من الأصل فليس هو ربح مالك حتى تقول أعطيتهم شيئًا من مالي ليستعينوا به على الحرام . أبدًا ثم على فرض أنه ربح مالك أو أن مالك ربح أكثر وأبيت أن تأخذه لأنه ربا وصرفوه في الكنائس وفي حرب المسلمين . هل أنت أمرتهم بهذا أبدًا . اتق الله لك رأس مالك لاتظلم ولا تُظلم . أما أن تأخذه وتقول أتصدق به . ما مثل هذا الإنسان إلا مثل من أخذ الغائط بيده وعصره ثم قال أين الماء لأطهر يدي . هذا غير صحيح . ثم يقول : من الذي يضمن أنه إذا جاءك مليون أو مليونان ربما أنك ستتصدق بها . ربما يغلبك الشح . فتقول والله مليونان أتصدق لا أتصدق . أنتظر . ثم تمضي بك الأيام وتموت وتدعها لغيرك . ثم إذا فعلت ذلك صرت قدوة للناس يقولون فلان أخشى . دخل ماله في البنك وأخذ الربا . إذا ما فيه بأس . ستكون قدوة . ثم إننا إذا استمرأنا هذا الشيء وأخذنا الربا معناه أننا لن نحاول أن نوجد بنكًا إسلاميًا لأن إنشاء البنك الإسلامي ما هو سهل . صعب وفيه موانع وأناس يحولون بين المسلمين وبينه فإذا استمرأ الناس هذا . سهل عليهم . قال نأخذ الربا وهين حتى يجيب الله بنكًا إسلاميًا. لكن لو قلنا له هذا حرام عليك. حينئذ يضطر المسلمون إلى أن ينشئوا بنوكًا إسلامية تكفيهم هذه البنوك الربوية.

والحاصل أن من قال خذ الربا وتصدق به . فقد قابل النص بالقياس . والله عزوجل وضح ﴿ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ ﴾ وإذا كان عقد الربا الذي حصل في الجاهلية في عهد الرسول ﷺ وصنعه الرسول مع أنه قبل الشريعة وأهل الجاهلية يتعارفون على أنه صباح . ومع ذلك وضعه النبي ﷺ قال : « **ربا الجاهلية موضوع** »[1] .

فكيف لمسلم يعرف أن الربا حرام ويقول لك . آخذه وأتصدق به ؟ فالحاصل من هذا مع الأسف اشتبهت مع بعض العلماء الذين يشار إليهم بالأصابع وظنوا أنه لا بأس به أن تأخذ هذا وتتصدق به ، ولو أمعنوا النظر وفكروا لعرفوا أنهم مخطئون .

---

(١) سبق تخريجه .

الله عن اصطيادها يوم السبت ، فحفروا لها حياضًا تقع فيها يوم السبت فيأخذونها يوم الأحد . فلما فعلوا ذلك مسخهم الله قردة وخنازير . وهكذا الذين يتحيلون على الربا بأنواع الحيل فإن الله لا يخفى عليه حيل المحتالين . قال أيوب السختياني: يخادعون الله كما يخادعون صبيا ، ولو أتوا الأمر عيانا كان أهون عليهم . وقال ﷺ : « **الربا سبعون بابا أهونها مثل أن ينكح الرجل أمه ، وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه المسلم** »[1] فصح أنه باب من أعظم أبواب الربا.

ما حجتنا عند الله يوم القيامة ﴿ **وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ** ﴾ [ابقرة: ٢٧٩] ما قال إلا أن تتعاملوا مع الكفار ﴿ **فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: ٢٧٩]. ولم يقل إلا إذا تعاملتم مع الكفار فخذوا الربا . فالحقيقة أننا نأسف أن يوجد بعض من يشار إليه يفتون بمثل هذا مع أنهم لو أمعنوا النظر ودققوا الوجد وأنهم على خطأ . أنا معي قال لي ربي لك رأس مالك لاتظلم ولا تُظلم أقول سمعًا لك يا ربي وطاعة . آخذ رأس مالي والباقي ما على منه دعهم يجعلونه فيما يريدون ثم هل هؤلاء ما بقى عليهم أن يعمروا الكنائس إلا بربح يأخذونه مني . الكنائس معمورة وحرب المسلمين شعواء بدراهمك وبغيردراهمك . هل المسألة متوقفة على دراهمك . يأخذونها ويصرفونها في الكنائس أو في حرب المسلمين ؟ هذا إذا قدرنا أنهم صرفوها في ذلك . لكن هذا وهم وتخيل يلبس بها الشيطان . يقول إن تركتم هذا صرفوا في الكنائس وفي إرهاب المسلمين . من قال هذا . فعلي كل حال نحن بيننا وبين الناس كتاب الله ﴿ **وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ** ﴾ . وإذا اتبعنا الشرع جعل الله لنا من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا . أما إذا ذهبنا يقيس بعقولنا ونقول كالذين قالوا : ﴿ **إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا** ﴾ أو كالشيطان الذي قال : ﴿ **قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ** ﴾ هذا غلط غلط عظيم. فالمهم أن هذا يا إخواني شيء واضح ما يحتاج إلى اجتهاد ﴿ **وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ** ﴾ إذا كان معسرًا وحل وقت الدين وليس عنده شيئا ألا أضيف عليه شيئًا بدل أنظاره «أصبر عليه لمدة » . يقول ما أخالفك ما عندك شيء الآن لكن هذه الألف نجعلها ألف ومائة إلى سنة . يقول : لا أبصر الآية التي بعدها ﴿ **وَإِن كَانَ ذُو**

---

(١) صحيح : رواه ابن ماجه (٢٢٧٥) والحاكم (٢/ ٣٧) والبيهقي في الشعب (٥١٣١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٣٩) .

وعن أنس قال ك خطبنا رسول الله ﷺ فذكر الربا وعظم شأنه فقال : «**الدرهم الذي يصيبه الرجل من الربا أشد من ست وثلاثين زنية في الإسلام**»[1] ، وعنه ﷺ

عسرة فنظرة إلى ميسرة ﴾ .

ما فيه جل الأجل على هذا الفقير وليس عنده ما يوفى به يجب عليك إنظاره ﴿**فنظرة إلى ميسرة** ﴾ من الذي قال نظرة إلى ميسرة ، الله عز وجل . هو الذي أعطاك المال ومنَّ به عليك وأباح لك التصرف فيه وقال لك إذا كان المطلوب فقيرًا فعليك أن تنتظره . تقوله ما نظرك هيا إلى الحبس . وإلا إضافة الربا . أين الإيمان ؟ أين العبادة ؟ العبد حقًا هوالذي يقول لله سمعًا وطاعة . أما الذي يعبد الدرهم والدينار وليس عنده هم إلا الدرهم والدينار من أي مصدر تصل فهذا عبد الدرهم والدنيار . وقد دعا عليه الرسول ﷺ بالتعاسة والهلاك والانتكاس. ﴿**وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون . وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون** ﴾ [البقرة: ٢٧٩ ـ ٢٨٠] .

ثم تأتي المرتبة العليا التي هي أفضل من الإنظار وهي : ﴿**وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون** ﴾ .

إن كان معسرًا وعرفت أنه معسر تصدقت عليه . قلت : يا فلان أنت معسر وقد برأتك من دينك هذا خير لك . إذا كان خيرًا لك فافعله خرجت من بطن أمك ومعك ألف كيس ذهب وألف ثوب وألف فضة وألف نعل صح ؟ هذا صحيح ؟ لا خرجت من بطن أمك ما معك شيء . عريان ما عليك شيء ، من الذي أعدك وأمدك وأعطاك المال؟ الله عز وجل . قال لك افعل كذا قلت : سمعًا وطاعة .

﴿**وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون** ﴾[البقرة: ٢٨٠].

ثم ختم الآيات بقوله : ﴿**واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون** ﴾ [البقرة: ٢٨١] .

---

[1] صحيح رواه البيهقي في الشعب (٥١٣٥) وابن عدي (٤/ ١٥٤٨) وصححه الشيخ في صحيح الجامع (٣٣٧٥) وهو عند الطبراني (٢٧٠٣) في الأوسط.

قال: « **الربا سبعون حوبا أهونها كوقع الرجل على أمه** » وفي رواية «: « **أهونها كالذي ينكح أمه** » [1]والحوب : الإثم .

وعن أبي بكر الصديق ﷺ قال : الزائد والمستزيد في النار - يعني الآخذ والمعطي فيه سواء [2] .نسأل الله العافية .

اتقوا هذا اليوم اليوم العظيم الذي ترجعون فيه إلى الله عز وجل حفاة عراة غرلا ﴿ **يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۝ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۝ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ** ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].

اتقوا هذا اليوم وتقوى هذا اليوم وتقوى شره وبلائه تكون بطاعة الله عز وجل فعلى كل حال الربا محرم سواء كان صريحًا أوكان من طريق المكر والخداع . وما كان عن طريق المكر والخداع فهو أشد إثمًا وأقرب إلى قسوة القلب والعياذ بالله .

﴿ **كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ [المطففين : ١٤] ولهذا تجدهم يفعلون هذه الحيل ويرون أنها حلال . وأنه لا بأس بها ، ولا يكادون يقلعون عنها .

لكن من فعل المحرم على وجهه الصريح خجل من الله وعرف أنه في معصية . وربما يمر الله له الأمر ويمن عليه بالتوبة .

---

(١) صحيح : رواه ابن ماجه (٢٢٧٤) والبيهقي في الشعب (٥١٣٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٤١) .

(٢) رواه ابن أبى شيبة فى المصنف (٤ / ٣٩٨) وعبد الرزاق فى المصنف (٨ / ١٢٨) والبزار فى مسنده (٤٥) عن أبى بكر رضى الله عنه مرفوعا .

فصل

عن ابن مسعود ﷺ قال : إذا كان لك على رجل دين فأهدى لك شيئًا فلا تأخذه فإنه ربا [١] . وقال الحسن رحمه الله : إذا كان لك على رجل دين فما أكلت من بيته فهو سحت . وهذا من قوله ﷺ : « **كل قرض جر نفعا فهو ربا** » [٢] ، وقال ابن مسعود أيضًا : من شفع لرجل شفاعة فأهدى إليه هدية فهي سحت[٣] . وتصديقه من قوله ﷺ : « **من شفع لرجل شفاعة فأهدى له عليها فقبلها فقد أتى بابا عظيما من أبواب الربا** » أخرجه أبو داود [٤] . فنسأل الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة .

---

(١) صحيح: رواه عبد الرزاق في المصنف (١٤٦٥٤ ، ١٤٦٥٥) ، عن عبد الله بن عمر بلفظ مقارب وسنده صحيح .

(٢) ضعيف: رواه البيهقي (٥/ ٣٥) من طريق خالد بن عبيد رواه أيضًا عن ابن عباس والسند الأول ضعيفه ضعفه الألباني في الإرواء (١٣٩٨) وقد جاءت روايات كثيرة عن أبي بن كعب وابن مسعود وابن عباس أنهم نهوا عن قرض جر منفعة وصححه الشيخ في الإرواء (١٣٩٧) .

(٣) صحيح : رواه عبد الرزاق (١٤٦٦٤) والبيهقي (١٠/ ١٣٩) .

(٤) حسن : رواه أحمد (٥/ ٢٦١) وأبو داود (٣٥٢٤) والطبراني في الكبير (٧٨٥٣ ، ٧٩٢٨) عن أبي أمامة وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٣١٦) .

الكبيرة الثالثة عشرة
أكل مال اليتيم وظلمه

قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا** ﴾ (١) وقال الله تعالى : ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ** ﴾ (٢) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في المعراج : « **فإذا أنا برجال وقد وكل بهم رجال يفكون لحاهم ، وآخرون يجئون بالصخور من النار فيقذفونها بأفواهم وتخرج من أدبارهم . فقلت : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : الذين**

الكبيرة الثالثة عشرة
أكل مال اليتيم

اليتامى هم : الذين مات آباؤهم قبل البلوغ . سواء كانوا ذكورًا أو إناثًا . وهؤلاء أعنى اليتامى محل الرفق والعناية والرحمة والشفقة لأنهم كسرت قلوبهم بموت آبائهم وليس لهم عائل إلا الله عز وجل . فكانوا محل الرفق والعناية . ولهذا أوصى الله بهم في كتابه وحث على الرحمة بهم في آيات كثيرة . ولا يحل للإنسان أن يأكل أموال اليتامى ظلمًا . لقول الله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا** ﴾ [النساء : ١٠].

ويوجد بعض الناس والعياذ بالله يموت أخاه ويكون له أولاد صغار فيتولى ماله ويتاجر به لنفسه والعياذ بالله . ويتصرف فيه بغير حق وبغير مصلحة للأيتام . وهؤلاء يستحقون هذا الوعيد أنهم يأكلون في بطونهم نارًا . نسأل الله العافية .

---

(١) سورة النساء : ١٠ .

(٢) سورة الإسراء : ٣٤.

يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نار » رواه مسلم [١]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « **يبعث الله عز وجل قومًا من قبورهم تخرج النار من بطونهم تأجج أفواههم نارا** » فقيل من هم يا رسول الله ؟ قال « **ألم تر أن الله تعالى يقول ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾** [٢].

وقال السدي رحمه الله تعالى يحشر آكل مال اليتيم ظلمًا يوم القيامة ولهب نار يخرج من فيه ومن مسامعه وأنفه وعينه وكل من رآه يعرف أنه آكل مال ليتيم [٣].

قال العلماء فكل ولي ليتيم إذا كان فقيرًا فأكل من ماله بالمعروف بقدر قيامه عليه في مصالحه وتنمية ماله فلا بأس عليه ، وما زاد على المعروف فسحت حرام لقول الله تعالى **﴿ ومن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ومن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾** [٤]

وفي الأكل بالمعروف أربعة أقوال (أحدها) أنه الأخذ على وجه القرض.

(والثاني) الأكل بقدر الحاجة من غير إسراف

وقال الله تعالى **﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾** [الأنعام: ١٥٢] يعني لا تعاملوا في أموال اليتامى إلا بالتي هي أحسن فإذا كان أمامك مشروعان تريد أن تشغل مال ليتيم في واحد منهما فانظر أيهما أقرب إلى المصلحة والربح والسلامة فافعل ولا يحل لك أن تفعل ما هو أسوأ لحظ نفسك أو لحظ قريب أو ما أشبه ذلك بل انظر للذي هو

---

(١) ضعيف جدًا عزاه ابن كثير في تفسيره عند قوله **﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾** أول سورة الإسراء إلى ابن أبي حاتم وفي سنده أبو هارون العبدي واسمه عمارة بن جوين حركوه ومهم من كذبه كما في التقريب وهذا سند ضعيف جدًا وقول الذهبي رواه مسلم لعله سبق قلم من الناسخ

(٢) ضعيف جدًا: رواه ابن حبان (٥٥٦٦) وأبو يعلى (٣ ٧٤) والحديث سنده ضعيف جدًا.

(٣) رواه ابن جرير (٨٧٢٢) شاكر.

(٤) سورة النساء ٦

(**الثالث**) أنه أخذ بقدر إذا عمل لليتيم عملاً .

(**الرابع**) أنه الأخذ عند الضرورة فإن أيسر قضاه وإن لم يوسر فهو في حل . وهذه الأقوال ذكرها ابن الجوزي في تفسيره(١) .

وفي البخاري أن رسول الله ﷺ قال : « **أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا** » وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما(٢) .

وفي صحيح مسلم عنه ﷺ قال : « **كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة** » وأشار بالسبابة والوسطى(٣) .

كفالة اليتيم هي القيام بأموره والسعي في مصالحه من طعامه وكسوته وتنمية ماله إن كان له مال ، وإن كان لا مال له أنفق عليه وكساه ابتغاء وجه الله تعالى ، وقوله في الحديث : له أو لغيره ـ أي سواء كان اليتيم قرابة أو أجنبيًا منه ، فالقرابة مثل أن يكفله جده أو أخوه أو أمه أو عمه أو زوج أمه أو خاله أو غيره من أقاربه ، والأجنبي من ليس بينه وبينه قرابة .

أحسن . فإن أشكل عليك . هل فيه مصلحة لليتيم أم لا ؟ فلا تتصرف أمسك الدراهم . لأن الله قال : ﴿ وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ فإذا أشكل عليك فلا تفعل . ولا يحل لك أن تقرض أحدًا من مال اليتامى يعني جاء إنسان يقول سلفني مثلاً ١٠٠٠٠ أو ١٠٠٠٠٠ ريال وعندك مال لليتيم لا يحل لك أن تقرض لأنه قد يعجز عن الوفاء ولا مصلحة لليتيم في قرضه . وإذا كان لا يجوز أن تقرض غيرك فمن باب أولى أن لا تستقرض أنت لنفسك . وبعض أولياء اليتامى والعياذ بالله يتجرون . يستقرض مال اليتيم لنفسه ويتصرف فيه لنفسه والكسب له والربح له ومال اليتيم لا يستفيد . والله يقول : ﴿وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ .

---

(١) زاد المسير ٢/ ١٦ .

(٢) صحيح : رواه أحمد (٥/ ٣٣٣) والبخاري (٥٣٠٤ ، ٦٠٠٥) وأبو داود (٥١٥٠) والترمذي (١٩١٨).

(٣) صحيح : رواه مسلم (٢٩٨٣) وابن ماجه (٣٦٧٩) عن أبي هريرة .

وقال رسول الله ﷺ : « **من ضم يتيمًا من المسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله تعالى أوجب الله له الجنة إلا أن يعمل ذنبًا لا يغفر** »[١] ، وقال ﷺ : « **من مسح رأس يتيم لايمسحه إلا لله كان له بكل شعرة مرت عليها يده حسنة ، ومن أحسن إلى يتيم أو يتيمة عنده كنت أنا وهو هكذا في الجنة** »[٢] .

وقال رجل لأبي الدرداء رضي الله عنه : أوصني بوصية . قال : ارحم اليتيم وادنه منك واطعمه من طعامك ، فإني سمعت رسول الله ﷺ أتاه رجل يشتكي قسوة قلبه ، فقال رسول الله ﷺ : « **إن أردت أن يلين قلبك فادن اليتيم منك وامسح رأسه واطعمه من طعامك ، فإن ذلك يلين قلبك وتقدر على حاجتك** »[٣] .

ومما حكى عن بعض السلف قال : كنت في بداية أمري مكبا على المعاصي وشرب الخمر ، فظفرت يومًا بصبي يتيم فقير فأخذته وأحسنت إليه وأطعمته وكسوته وأدخلته الحمام وأزلت شعثه ، وأكرمته كما يكرم الرجل ولده بل أكثر فبت ليلة بعد ذلك فرأيت في النوم أن القيامة قامت ودعيت إلى الحساب ، وأمر بي إلى النار لسوء ما كنت عليه من العاصي ، فسحبتني الزبانية ليمضوا بي إلى النار وأنا بين أيديهم

فإذ رأيت أن هذا المشروع أحسن وساهمت فيه . وقدر الله أن يخسر هذا المشروع فليس عليك شيء . لأنك مجتهد والمجتهد لو أصاب له أجران وإن أخطأ فله أجر . لكن تتعمد أن تترك ما هو أحسن لما دونه . هذا حرام عليك .

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ** ﴾ [البقرة: ٢٢٠] .

---

(١) ضعيف: رواه البيهقي في الشعب (١١٠٣١) والترمذي (١٩١٧) عن ابن عباس وضعفه الألباني. ضعيف الجامع (٥٧٥٧) (٥٦٩٣) ، (٥٦٨١) .

(٢) ضعيف: رواه أحمد (٥/ ٢٥٠ ، ٢٦٥) والطبراني في الكبير (٧٨٢١ ، ٧٩٢٩) وسنده ضعيف قاله الحافظ بن حجر في الفتح (١١/ ١٥٥) .

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٢٦٣) والبيهقي في الشعب (١١٠٣٤) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (١٤١٠) والسلسلة الصحيحة (٨٥٤) .

حقير ذليل يجروني سحبًا إلى النار ، وإذا بذلك اليتيم قد اعترضني بالطريق ، وقال: خلوا عنه يا ملائكة ربي حتى أشفع له إلى ربي ، فإنه قد أحسن إلى وأكرمني. فقالت الملائكة :إنا لم نؤمر بذلك ، وإذا النداء من قبل الله تعالى يقول : خلوا عنه فقد وهبت له ما كان منه بشفاعة اليتيم وإحسانه إليه . قال : فاستيقظت وتبت إلى الله عز وجل ، وبذلت جهدي في إيصال الرحمة إلى الأيتام . ولهذا قال أنس بن مالك ﵁ خادم رسول الله ﷺ : « **خير البيوت فيه يتيم يحسن إليه ، وشر البيوت بيت فيه يتيم يساء إليه ، وأحب عباد الله إلى الله تعالى من اصطنع صنعًا إلى يتيم أو أرملة** » [١]. وروى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام : يا داود كن لليتيم كالأب الرحيم ، وكن للأرملة كالزوج الشقيق ، واعلم كما تزرع كذا تحصد : معناه أنك كما تفعل كذلك يفعل معك ، أي لابد أن تموت ويبقى لك ولد يتيم أو امرأة أرملة [٢] . وقال داود عليه السلام في مناجاته : إلهي ما جزاء من أسعد اليتيم والأرملة ابتغاء وجهك ؟ قال : جزاؤه أن أظله في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي . معناه ظل عرشي يوم القيامة .

ومما جاء في فضل الإحسان إلى الأرملة واليتيم عن بعض العلويين ـ وكان نازلا ببلخ من بلاد العجم وله زوجة علوية وله منها بنات وكانوا في سعة ونعمة ، فمات الزوج وأصاب المرأة وبناتها بعده الفقر والقلة ، فخرجت ببناتها إلى بلدة أخرى خوف شماتة الأعداء ، واتفق خروجها في شدة البرد فلما دخلت ذلك البلد أدخلت بناتها في بعض المساجد المهجورة ، ومضت تحتال لهم في القوت فمرت بجمعين :

وهذه الآية وردت جوابًا عن سؤال أورده الصحابة على الرسول ﷺ . قالوا : يارسول الله نحن عندنا أموال اليتامى والبيت واحد والطعام واحد . كيف نعمل إن جعلنا

---

(١) **ضعيف**: رواه البهيقي في الشعب (١١٠٣٨) وأبو نعيم (٦/ ٣٣٧) وابن ماجه (٣٦٧٩) وضعفه الشيخ في السلسلة الضعيفة (١٦٣٧) والتعليق الرغيب (٣/ ٢٣٠) .

(٢) **صحيح**: رواه البيهقي في الشعب (١١٠٣٩) والبخارى فى الأدب المفرد (١٣٨) وصححه الألبانى .

جمع عليه رجل مسلم وهو شيخ البلد ، وجمع عليه رجل مجوسي وهو ضامن البلد، فبدأت بالمسلم وشرحت حالها له ، وقالت : أنا امرأة علوية ومعي بنات أيتام أدخلتهم بعض المساجد المهجورة ، وأريد الليلية قوتهم . فقال لها : أقيمي عندي البينة أنك علوية شريفة . فقالت : أنا امرأة غريبة ما في البلد من يعرفني فأعرض عنها ، فمضت من عنده منكسرة القلب فجاءت إلى ذلك الرجل المجوسي فشرحت له حالها ، وأخبرته أن معها بنات أيتام وهي امرأة شريفة غريبة ، وقصت عليه ما جرى لها مع الشيخ المسلم . فقام وأرسل بعض نسائه ، وأتوا بها وبناتها إلى داره فأطعمهن أطيب الطعام ، وألبسهن أفخر اللباس وباتوا عنده في نعمة وكرامة . قال: فلما انتصف الليل رأى ذلك الشيخ المسلم في منامه كأن القيامة قد قامت ، وقد عقد اللواء على رأس النبي ﷺ ، وإذا القصر من الزمرد الأخضر شرفاته من اللؤلؤ والياقوت وفيه قباب اللؤلؤ والمرجان ، فقال : يا رسول الله لمن هذا القصر ؟ قال: لرجل مسلم موحد . فقال : يا رسول الله أنا رجل مسلم موحد . فقال رسول الله ﷺ : أقم عنده البينة أنك مسلم موحد . قال : فبقى متحيراً فقال له ﷺ : لما قصدتك المرأة العلوية وبناتها قلت: أقيمي عندي البينة أنك علوية ، فكذا أنت أقم عندي البينة أنك مسلم . فانتبه الرجل حزينًا على رده المرأة خائبة ، ثم جعل يطوف بالبلد ويسأل عنه حتى دل عليها أنها عند المجوسي ، فأرسل إليه فأتاه فقال له : أريد منك المرأة الشريفة العلوية وبناتها . فقال : ما إلى هذا من سبيل وقد لحقني من بركاتهم ما لحقني . قال : خذ مني ألف دينار وسلمهن إلى ، فقال : لا أفعل . فقال : لابد منهن . فقال : الذي تريده أنت أنا أحق به والقصر الذي رأيته في منامك خلق لي. أتدل علي بالإسلام ؟ فوالله ما نمت البارحة أنا وأهل داري حتى

طعام هؤلاء في إناء خاص تعبنا وربما يفسد عليهم ماذا نعمل ؟ فقال الله عز وجل: ﴿إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم ﴾ . يعني افعلوا ما هو الأصلح وخالطوهم. اجعلوا القدر واحدًا والإناء واحدًا . وما دمتم تريدون الإصلاح فالله يعلم المفسد من المصلح . ولو شاء الله لأعنتكم وشق عليكم لكنه سبحانه وتعالى رحيم بالمؤمنين .

أسلمنا كلنا على يد العلوية ، ورأيت مثل الذي رأيت في منامك وقال لي رسول الله ﷺ : العلوية وبناتها عندك ؟ قلت : نعم يا رسول الله . قال : القصر لك ولأهل دارك وأنت وأهل دارك من أهل الجنة خلقك الله مؤمنا في الأزل ، قال : فانصرف المسلم وبه من الحزن والكآبة مالا يعلمه إلا الله. فانظررحمك الله إلى بركة الإحسان إلى الأرملة والأيتام ما أعقب صاحبه من الكرامة في الدنيا! (١) .

ولهذا ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال :« **الساعي على الأرملة والمساكين كالمجاهد في سبيل الله** » . قال الراوي أحسبه قال : « **وكالقائم لا يفتر والصائم لا يفطر** » (٢) ،والساعي عليهم هو القائم بأمورهم ومصالحهم ابتغاء وجه الله تعالى . وفقنا لله لذلك بمنه وكرمه إنه جواد كريم رؤوف غفوررحيم .

***

(١) هذه القصة تلوح عليها علامات الكذب والاختلاق ولعلها من أكاذيب الشيعة أو خرافات الصوفية .

(٢) رواه البخاري (٢٦٠٠٧م) ومسلم (٢٩٨٢) .

الكبيرة الرابعة عشرة

الكذب على الله عز وجل وعلى رسوله ﷺ

قال الله عز وجل : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ (١) .

قال الحسن : هم الذين يقولون : إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل . قال ابن الجوزي في تفسيره : وقد ذهب طائفة من العلماء إلى أن الكذب على الله وعلى رسوله كفر ينقل عن الملة ، ولا ريب أن الكذب على الله وعلى رسوله في تحليل حرام وتحريم حلال كفر محض ، وإنما الشأن في الكذب عليه فيما سوى ذلك .

وقال ﷺ : « من كذب على بني له بيت في جهنم »(٢)، وقال ﷺ : « ومن كذب على متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار »(٣). وقال ﷺ : « من روى عني حديثًا

الكبيرة الرابعة عشرة

الكذب على الله ورسوله

الكذب على الله ورسوله وهذا أعظم أنواع الكذب لقول الله تعالى : **﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾** [الأنعام: ١٤٤].

والـلام في قوله : **﴿ لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾** اللام لام العاقبة وليست لام التعليل . فهي كقوله تعالى في موسى : **﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾** [القصص:٨].

وهم ما التقطوه لهذا. ولكن الله تعالى جعل العاقبة أن كان لهم عدوًا وحزنًا . وهكذا من افترى على الله كذبًا . فإنه بافترائه يضل الناس بغير علم .

---

(١) سورة الزمر: ٦٠ .

(٢) ضعيف : رواه أحمد (٤/ ٢٠١ ، ١٥٩) والطبراني في الكبير (١٧/ ٣٠٥ / ٨٤٣) وقد ورد اللفظ « من كذب على فهو في النار » السلسلة الضعيفة ٤٦٤٦ ولكن له شواهد يتقوى بها منها الحديث الآتي.

(٣) صحيح : رواه البخاري (١٢٩١) ومسلم (٤) وأحمد (٤/ ٢٥٢) وقال الألباني رواه ٦٣ نفسًا . فهو حديث متواتر .

وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين » [١] .

وقال ﷺ : « **إن كذبًا علي ، ليس ككذب على غيري . من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار** » [٢] . وقال ﷺ : « **من يقل عني مالم أقله فليتبوأ مقعده من النار** » [٣] . وقال ﷺ : « **يطبع المؤمن على كل شيء إلا الخيانة والكذب** » [٤] ، نسأل الله التوفيق والعصمة إنه جواد كريم .

والافتراء على الله نوعان :

النوع الأول أن يقول : قال الله كذا وهو يكذب . كاذب على الله ما قال الله شيئًا .

والنوع الثاني : أن يفسر كلام الله بغير ما أراد الله ، لأن المقصود من الكلام معناه . فإذا قال : أراد الله بكذا كذا وكذا . فهو كاذب على الله . شاهد على الله بمالم يرده الله عز وجل . لكن الثاني إذا كان عن اجتهاد وأخطأ في تفسير الآية فإن الله عز وجل يعفو عنه لأن الله قال : ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾[الحج:٧٨]. وقال : ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وأما إذا تعمد أن يفسر كلام الله بغير ما أراد الله اتباعًا لهواه أو إرضاء لمصالح أو ما أشبه ذلك ،فإنه كاذب على الله عز وجل . وهكذا من بعده الكذب على رسول الله ﷺ بأن يقول : قال رسول الله كذا . ولم يقله . لكن كذب عليه وكذلك أيضًا إذا فسر حديث رسول الله ﷺ بغير معناه فقد كذب على رسول الله ﷺ . وقد قال النبي ﷺ : « **من كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار** » .

المعنى أن من كذب على الرسول ﷺ متعمدًا فقد تبوأ مقعده من النار ويسكن في مقعده من النار والعياذ بالله فهذان النوعان من الكذب هما أشد أنواع الكذب: الكذب على الله والكذب على رسول الله ﷺ . وأكثر الناس كذبًا على رسول الله ﷺ هم الرافضة الشيعة فإنه لا يوجد في طوائف أهل البدع أحد أكثر منهم كذبًا على رسول الله ﷺ كما نص على هذا علماء مصطلح الحديث رحمهم الله. لما تكلموا بالحديث الموضوع قالوا : إن أكثر من يكذب على الرسول هم الرافضة الشيعة وهذا شيء مشاهد معروف لمن تتبع كتبهم.

---

(١) صحيح : رواه مسلم (١ / مقدمة ص ٩) وابن ماجه (٣٩ ـ ٤١) .

(٢) صحيح : رواه البخاري (١٢٩١) ومسلم (٤) عن المغيرة بن شعبة .

(٣) صحيح : رواه البخاري (١٠٩) عن سلمة .

(٤) ضعيف : رواه ابن عدي (١/ ٤٤) والبزار (١/ ٦٩) كشف وأبو يعلي (٧١١) والبيهقي في الشعب (٤٤٦٩) وضعفه الشيخ في ضعيف الجامع (٦٤٤٨) .

الكبيرة الخامسة عشرة

الفرار من الزحف

إذا لم يزد العدو على ضعف المسلمين إلا متحرفًا لقتال أو متحيزًا إلى فئة وإن بعدت ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (١) .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **اجتنبوا السبع الموبقات** » . قالوا : وما هن يا رسول الله ؟ قال : « **الشرك بالله ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات** » (١) .

الكبيرة الخامسة عشرة

التولي يوم الزحف

« التولي يوم الزحف » : التولي عن صف القتال يوم الزحف . يعني : يوم يزحف المسلمون على الكفار فيأتي إنسان ويتولى . فإن هذا من كبائر الذنوب . من السبع الموبقات . لأنه يتضمن مفسدتين :

المفسدة الأولى : كسر قلوب المسلمين .

المفسدة الثانية : تقوية الكفار على المسلمين . إذ انهزم بعضهم لاشك أنهم سوف يزدادون قوة على المسلمين . يكون لهم بسبب ذلك نشاط . لكن الله عز وجل استثنى في القرآن فقال تعالى : ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [الأنفال : ١٦] .

فمن تولى لهذين الأمرين . متحيزًا إلى فئة . يعني : بأن يقال إن الفئة الفلانية قد

---

(١) سورة الأنفال : ١٦ .

(٢) سبق تخريجه .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لمن نزلت :

﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾ [(١)] .

فكتب الله عليهم أن لا يفر عشرون من مائتين . ثم نزلت :

﴿ الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [(٢)] .

فكتب أن لا يفر مائة من مائتين . رواه البخارى [(٣)] .

* * *

حصرها العدو . وخطر عليها أن يكتسحها العدو . فانصرف لإنقاذهم فهذا لا بأس به. لأنه انتقل إلى ما هو أنفع .

والثانى : المتحرف لقتال وهو المذكور أولاً فى الآية ﴿إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ يعنى مثلاً انصرف لإصلاح سلاحه أو ارتداء دروعه أو ما أشبه ذلك من مصلحة القتال . فهذا لا بأس به .

---

(١) سورة الأنفال : ٦٥ .

(٢) سورة الأنفال : ٦٦ .

(٣) رواه البخارى (٤٦٥٢ ـ ٤٦٥٣) .

الكبيرة السادسة عشرة

غش الإمام الرعية وظلمه لهم

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١) .وقال الله تعالى : ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ (٢) . وقال الله تعالى : ﴿وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون﴾ (٣) ، وقال الله تعالى : ﴿كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (٤) .

وقال رسول الله ﷺ : « من غشنا فليس منا » (٥) ، وقال ﷺ : « الظلم

الكبيرة السادسة عشرة

غش الإمام الرعية

ما نقله عن عائشة رضي الله عنها . قالت : سمعت النبى ﷺ فى بيتى هذا يقول : « اللهم من ولى من أمر أمتى شيئًا فرفق بهم فارفق به ومن ولى من أمر أمتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه » وهذا دعاء عن النبى ﷺ على من تولى أمور المسلمين الخاصة والعامة. فيقع على الإنسان أن يتولى أمر بيته وعلى مدير المدرسة يتولى أمر مدرسته وعلى المدرس يتولى أمر الفصل وعلى الإمام يتولى أمر المسجد .

ولهذا قال : « من ولى من أمر أمتى شيئًا » و « شيئًا » نكرة فى سياق الشرط وقد ذكر علماء الأصول أن النكرة فى سياق الشرط تفيد العموم أى شىء يكون « فرفق بهم فارفق به » ولكن ما معنى الرفق ؟

---

(١) سورة الشورى : ٤٢ .

(٢) سورة إبراهيم ٤٢ ، ٤٣ .

(٣) سورة الشعراء:٢٢٧.

(٤) سورة المائدة ٧٩ .

(٥) صحيح ، رواه أحمد (٢/ ٢٤٢ ، ٤١٧) ومسلم (١٠١) وأبو داود (٣٤٥٥) والترمذى (١٣١٥) وابن ماجه (٢٢٢٤) عن أبى هريرة .

ظلمات يوم القيامة » [١] . وقال ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» [٢] وقال رسول الله ﷺ : « **أيما راع غش رعيته فهو فى النار** » [٣] ، وقال ﷺ : «**من استرعاه الله رعية ثم لم يحطها بنصحه إلا حرم الله عليه الجنة** » . أخرجه البخارى . وفى لفظ : « **يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة** » [٤] .

وقال ﷺ : « **ما من حاكم يحكم بين الناس إلا حبس يوم القيامة وملك آخذ بقفاه ، فإن قال : ألقه ، ألقاه فهوى فى جهنم أربعين خريفًا** » رواه الإمام أحمد[٥] .

قد يظن بعض الناس أن معنى الرفق أن تأتى للناس على ما يشتهون ويريدون وليس الأمر كذلك . بل الرفق أن تسير بالناس حسب أوامر الله ورسوله . ولكن تسلك أقرب الطرق وأرفق الطرق بالناس ولا تشق عليهم فى شىء ليس عليه أمر الله ورسوله فإن تشققت عليهم فى شىء عليه أمر الله ورسوله فإنك تدخل فى الطرف الثانى من الحديث وهو الدعاء عليك بأن يشق الله عليك والعياذ بالله . يشق عليك إما بآفات فى بدنك أو فى قلبك أو فى صدرك أو فى أهلك . أو فى غير ذلك .

لأن الحديث مطلق : « فاشقق عليه » بأى شىء يكون وربما لا يظهر للناس المشقة . قد يكون فى قلبه نار تلظى والناس لا يعلمون لكن نحن نؤمن بأنه إذا شق على الأمة بما لم ينزل الله به سلطانًا فإنه مستحق لهذه العقوبة من الله تعالى .

وفى قول النبى ﷺ : « تسوسهم الأنبياء » دليل على أن دين الله وهو دين الإسلام فى كل مكان وفى كل زمان . هو السياسة الحقيقية النافعة . وليست السياسة التى يفرضها أعداء الإسلام من الكفار .

السياسة حقيقة ما جاء فى شرع الله . ولهذا نقول : إن الإسلام شريعة وسياسة . ومن

---

(١) صحيح رواه البخارى (٢٤٤٧) ومسلم (٢٥٧٩) عن ابن عمر .

(٢) صحيح رواه البخارى (٤٥٥٤ ، ٥١٨٨) ومسلم (١٨٢٩) والترمذى (١٨٠٥) .

(٣) صحيح رواه أحمد (٥/ ٢٠) وعزاه الألبانى إلى ابن عساكر صحيح الجامع ٢٧١٣ .

(٤) صحيح رواه البخارى (٧١٥٠ ، ٧١٥١) ومسلم (١٤٢) .

(٥) ضعيف رواه أحمد (١/ ٤٣٠) والبيهقى(٧٥٣٣) وضعفه الشيخ الألبانى فى ضعيف الجامع رقم (٥١٦٨).

وقال رسول الله ﷺ : « **ويل للأمراء ، ويل للعرفاء ، ويل للأمناء ، ليتمنين أقوام يوم القيامة أن ذوائبهم كانت معلقة بالثريا يعذبون ولم يكونوا عملوا من شيء**»(١) .

وقال ﷺ : « **ليأتين على القاضي العدل يوم القيامة ساعة يتمنى أنه لم يقض بين اثنين في تمرة قط** » (٢) ، وقال ﷺ : « **ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه إما أطلقه عدله أو أوبقه جوره** » (٣) .

ومن دعاء رسول الله ﷺ أنه قال : « **اللهم من ولى أمر هذه الأمة شيئًا فرفق بهم فأرفق به . ومن شفق عليهم فأشفق عليه** » (٤) . وقال ﷺ : « **من ولاه الله شيئًا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره** » (٥) .

وقال رسول الله ﷺ : « **سيكون أمراء فسقة جورة ، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولن يرد على الحوض** » (٦) . وقال

فرق بين السياسة والشريعة فقد ضل . ففي الإسلام سياسة الخلق مع الله وبيان العبادات وسياسة الإنسان مع أهله ومع جيرانه ومع أقاربه ومع أصحابه ومع تلاميذه ومع معلميه . . ومع كل أحد كل له سياسة تخصه سياسة مع الأعداء الكفار ما بين حربين ومعاهدين ومستأمنين وذميين

---

(١) ضعيف رواه أحمد (٢/ ٣٥٢) والحاكم (٤/ ٩١) وضعفه الألباني في المشكاة (٣٦٩٨) .

(٢) ضعيف رواه البيهقي في الشعب (٧٣٨٢) وأحمد (٢/ ٤٣١) والطبراني في الإرواء (٢٧٤، ٦٢٢٥) ضعيف الجامع (٤٨٦٣) .

(٣) ضعيف رواه أحمد (٦/ ٧٥) والطيالسي (١٥٤٦) وابن حبان (١٥٦٣) والطبراني في الأوسط (٣٨٨٠) وضعفه الشيخ في ضعيف الجامع (٤٨٦٦) .

(٤) صحيح رواه أحمد (٦/ ٩٣) ومسلم (١٨٢٨) .

(٥) صحيح رواه أبو داود (٢٩٤٨) والترمذي (١٣٣٢ ، ١٣٣٣) وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (٦٢٩) وصحيح الترمذي (١٠٧١) وصحيح أبي داود (٢٦١٤) .

(٦) ضعيف رواه أحمد (٥/ ٣٨٤) وفيه إبراهيم بن نعيم ضعفه أبو حاتم فوافقه ابن حبان.

رسول الله ﷺ : « صنفان من أمتى لن تنالهم شفاعتى : سلطان ظلوم غشوش، وغال فى الدين يشهد عليهم ويتبرأ منهم » (١) . وقال الله ﷺ : « أشد الناس عذابًا يوم القيامة إمام جائر » (٢) . وفى الحديث أن رسول الله ﷺ قال : « أيها الناس مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم ، وقبل أن تستغفروا الله فلا يغفر لكم . إن الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم ، ثم عمهم بالبلاء » (٣) .

وقال رسول الله ﷺ : « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» (٤) ، وقال أيضًا : « ومن أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا » (٥)وفى الحديث أيضًا : « من لا يرحم لا يرحم » (٦) ، « لا يرحم الله من لا يرحم الناس » (٧) .

وكل طائفة قد بين الإسلام حقوقهم وأمر أن نسلك بهم كما يجب . فمثلاً الحربيون نحاربهم ودماؤهم حلال لنا وأموالهم حلال لنا . وأراضيهم حلال لنا . والمتسأمنون يجب أن نؤمنهم كما قال تعالى : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [التوبة : ٦٠] .

والمعاهدون يجب أن نوفى لهم بعهودهم. ثم أن نطمئن إليهم وأن نخاف منهم أن ينقضوا

---

(١) صحيح : رواه الطبرانى فى الكبير (٨٠٧٩) وعزاه الشيخ الألبانى لأبى إسحاق الحربى (غريب الحديث) (٥/ ١٢٠/ ٢) الصحيحة (٤٧٠) وصحيح الجامع (٣٧٩٨) .

(٢) صحيح : رواه أبو يعلى (١٠٨٣) والطبرانى فى الأوسط (١٣٨٩) صحيح الجامع (١٠٠١).

(٣) حسن رواه الطبرانى فى الأوسط (١٣٨٩) وذكره المندرى فى الترغيب (٣/ ٢٣٠ ، ٢٣١) وقال رواه الأصبهانى وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٠٠١) .

(٤) صحيح رواه أحمد (٦/ ٢٤٠ ، ٢٧٠) والبخارى (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨) عن عائشة .

(٥) صحيح رواه البخارى (١٨٧٠) ومسلم (١٣٧٠) وأبو داود (٣١٧٩) .

(٦) صحيح رواه البخارى (٥٩٩٧) ومسلم (٢٣١٨) والترذى (١٩١١) عن أبى هريرة .

(٧) صحيح رواه البخارى (٧٣٧٦) ومسلم (٢٣١٩) عن جرير .

وقال ﷺ : « **الإمام العادل يظله الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله** » [١] . وقال: « **المقسطون على منابر من نور ، الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا**» [٢] .

ولما بعث رسول الله ﷺ معاذا رضي الله عنه إلى اليمن قال : « **إياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب** » رواه البخارى [٣] . وقال ﷺ: « **ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة : فذكر منهم الملك الكذاب** » [٤] . وقال: « **إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة** » رواه البخارى [٥] وفيه أيضًا : « **وإنا والله لا نولى هذا العمل أحداً سأله أو أحد حرص عليه** » [٦] .

وقال رسول الله ﷺ : « **يا كعب بن عجرة أعاذك الله من إمارة السفهاء ، أمراء يكونون من بعدى لا يهتدون بهديى ولا يستنون بسنتى** » [٧] وعن أبى هريرة

العهد .

وثلاث حالات كلها مبنية فى القرآن . فإن اطمأننا إليهم وجب أن نفى لهم بعدهم وإن خفناهم فقد قال تعالى : ﴿ **وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ** ﴾ [الأنفال : ٥٨] .

قل لهم : ما بيننا عهد إذا خفت منهم ولا تنقض العهد بدون أن تخبرهم والثالث هم الذين نقضوا العهد : ﴿ **فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ** ﴾ [التوبة: ١٢] .

إذا نقضوا العهد فلا أيمان لهم ولا عهد لهم . فالمهم أن الدين دين الله وأن الدين

---

(١) صحيح : رواه البخارى (٦٦٠ ، ٦٨٠) ومسلم (١٠٣١) والترمذى (٢٣٩١) عن أبى هريرة .

(٢) صحيح : رواه أحمد (٢/ ١٦٠) ومسلم (١٨٢٧) والنسائى (٨/ ٩٢٢١) .

(٣) صحيح : رواه البخارى (١٤٥٨ ، ١٣٩٥) ومسلم (١٩ ، ١٣) وأبو داود (١٥٨٤) عن ابن عباس.

(٤) صحيح : رواه أحمد (٢/ ٤٨٠) ومسلم (١٠٧) عن أبى هريرة .

(٥) صحيح : رواه أحمد (٢/٤٤٨ ، ٤٧٦) والبخارى (٧١٤٨) عن أبى هريرة .

(٦) صحيح : رواه البخارى (٧١٧٩) ومسلم (٣/١٤٥٦ / ١٤) من أبى موسى الأشعرى .

(٧) صحيح : رواه أحمد (٣/٣٢١) وعبد الرزاق (٢٠٧١٩) وابن حبان (٤٥١٤) ورواه الترمذى (٦١٤) وصححه الألبانى فى التعليق الرغيب (٣/ ١٥ ، ١٥٠) .

ﷺ عن النبي ﷺ قال : « **من طلب قضاء المسلمين حتى يناله ثم غلب عدله جوره فله الجنة ، ومن غلب جوره عدله فله النار** » (١) .

وقال : « **ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة** » (٢) . وقال عمر لأبي ذر ﷺ : حدثني بحديث سمعته من رسول الله ﷺ ، فقال أبو ذر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **يجاء بالوالي يوم القيامة فينبذ به على جسر جهنم فيرتج به الجسر ارتجاجة لا يبقى منه مفصل إلا زال عن مكانه ، فإن كان مطيعًا لله في عمله مضى به ، وإن كان عاصيًا لله في عمله انخرق به الجسر فهوى به في جهنم مقدار خمسين عامًا** » . فقال عمر : من يطلب العلم بها يا أبا ذر ؟ قال : من سلت لله أنفه وألصق خده بالتراب(٣) .

وقال عمرو بن المهاجر ، قال لي عمر بن عبد العزيز ﷺ : إذا رأيتني قد ملت عن الحق فضع يدك في تلبابي ثم قل لي يا عمر ما تصنع .

يا راضيا باسم الظالم كم عليك من المظالم ، السجن جهنم والحق الحاكم ، ولا حجة لك فيما تخاصم ، القبر مهول فتذكر حبسك ، والحساب طويل فخلص نفسك ، والعمر كيوم فبادر شمسك ، تفرح بمالك والكسب خبيث ، وتمرح بآمالك والسير حثيث . إن الظلم لا يترك منه قدر أنملة . فإذا رأيت ظالما قد سطا فنم له، فربما بات فأخذت جنبه من الليل نملة أي قروح في الجسد .

سياسة: سياسة شرعية، سياسة اجتماعية، سياسة مع الأجانب، ومع المسالمين ومع كل أحد .

ومن فصل الدين عن السياسة فقد ضل . فهو بين أمرين : إما جاهل بالدين ولا يعرف ويظن أن الدين عبادات بين العبد وربه وحقوق شخصية وما أشبه ذلك. يظن أن هذا هو الدين فقط أو أنه بهره الكفرة وما هم عليه من القوة المادية . فظن أنهم هم المصيبون وأما عن عرف الإسلام حق المعرفة عرف أنه شريعة وسياسة .

---

(١) ضعيف: رواه أبو داود (٣٥٧٥) والبيهقي (١٠/ ٨٨) وضعفه الشيخ في ضعيف الجامع (٥٦٨٩).

(٢) سبق تخريجه .

(٣) قال المنذري (٣/ ١٣٩) رواه الطبراني في الكبير (٢/ ٣٩) وقال الهيثمي في المجمع (٥/ ٢٠٥) فيه سويد بن عبد العزيز وهو متروك ومعنى « سلت أنفعه » جدعه .

الكبيرة السابعة عشرة

الكـــبر

الكبر والفخر والخيلاء والعجب والتيه ـ قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ (١) . وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ (٢) .

وقال رسول الله ﷺ : « **بينما رجل يتبختر فى مشيه إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة** » (٣) . وقال ﷺ : « **يحشر الجبارون المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر يطؤهم الناس يغشاهم الذل فى كل مكان** » (٤) ، وقال بعض

الكبيرة السابعة عشرة

الافتخار والكبر

الافتخار : أن يمدح الإنسان فى نفسه ويفتخر بما أعطاه الله تعالى من نعمة . سواء نعمة الولد أو المال أو العلم أو الجاه أو قوة البدن . أو ما أشبه ذلك . المهم أن يمتدح الإنسان بما أنعم الله عليه فخرًا وعلوًا بين الناس وأما التحدث بنعمة الله على وجه إظهار نعمة الله على العبد . مع التواضع فإن هذا لا بأس به لقول الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى : ١١] .

ولقو النبى ﷺ : « **أنا سيد ولد آدم ولا فخر** » (٥) فقال : « ولا فخر » يعنى : لا أفتخر بذلك وأزهو بنفسى .

---

(١) سورة غافر : ٢٧ .

(٢) سورة النحل : ٢٣ .

(٣) صحيح : رواه أحمد (٢/ ٣٢٥ ، ٥٣١) والبخارى (٢٧٨٩) ومسلم (٢٠٨٨) عن أبى هريرة .

(٤) صحيح : رواه أحمد (٢/ ٢٧٩) والترمذى (٢٦٢٣) وصححه الشيخ فى صحيح الجامع(٨٠٤٠).

(٥) صحيح : رواه البخارى (٣٣٤٠) مسلم (١٩٤) .

السلف : أول ذنب عصى الله به الكبر . قال الله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** ﴾ (١) .

فمن استكبر على الحق لم ينفعه إيمانه كما فعل إبليس .

وعن النبى ﷺ قال : « **لا يدخل الجنة أحد فى قلبه مثقال ذرة من كبر** » . رواه مسلم (٢) ، وقال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾ (٣) .

وقال ﷺ : « **قال الله تعالى : العظمة إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى فيهما ألقيته فى النار** » رواه مسلم (٤) . المنازعة : المجاذبة .

وقال ﷺ : « **اختصمت الجنة والنار ، فقالت : الجنة : ما لى ولا يدخلنى إلا ضعفاء النفوس وسقطهم ؟وقالت النار:أوثرت بالجبارين والمتكبرين** » (٥) الحديث،

وأما البغى : فهو العدوان على الغير أن الإنسان يعتدى على غيره إما على ماله أو على بدنه أو على أهله أو على مقامه . وما أشبه ذلك . فالعدوان أنواع كثيرة . لكن يضمها كلها أنه انتهاك لحرمة أخيه المسلم وهذا أيضًا محرم . قال الله تعالى : ﴿ **فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى** ﴾ .

فنهى الله سبحانه وتعالى عباده أن يزكوا أنفسهم ، يعنى أن يمدحها افتخارًا على الخلق . فيقول مثلاً لصاحبه : أنا أعلم منك أنا أكثر منك طاعة . أنا أكثر منك مالاً . ما أشبه ذلك ، فهذا نسأل الله العافية ، تزكية للنفس ونوع من الافتخار ولا يعارضه قول الله تعالى : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا** ﴾ [الشمس : ٦]. وذلك أن التزكية المنهى عنها هى أن الإنسان يفتخر ويعلو ويزهو بما أعطاه الله تعالى من خير ومن عبادة ومن علم وأما

---

(١) سورة البقرة : ٣٤ .

(٢) صحيح : رواه مسلم (٩١) وأبو داود (٤٠٩١) والترمذى (١٩٩٨) وابن ماجه (٤١٧٣) ابن مسعود

(٣) سورة لقمان : ١٨ .

(٤) صحيح : رواه أحمد (٢/ ٤٤٤) ومسلم (٢٦٢٠) وأبو داود (٤٠٩٠) عن أبى هريرة .

(٥) صحيح : رواه البخارى (٤٨٤٨ ، ٤٨٤٩ ، ٤٨٥٠) ومسلم (٢٨٤٦) عن أبى هريرة .

وقال الله تعالى : ﴿ **وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾ (١) . أى لا تمل خدك معرضا متكبرًا والمرح التبختر .

وقال سلمة بن الأكوع : « **أكل رجل عند رسول الله ﷺ بشماله ، قال : كل بيمينك . قال : لا أستطيع ، فقال : لا استطعت ما منعه إلا الكبر ، فما رفعها إلى فيه بعد** » رواه مسلم (٢) . وقال ﷺ : « **ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ مستكبر** » (٣) العتل : الغليظ الجافى ، والجواظ : الجموع المنوع ، وقيل : الضخم المختال فى مشيته ، وقيل : البطين .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **ما من رجل يختال فى مشيته ويتعاظم فى نفسه إلا لقى الله وهو عليه غضبان** » (٤) . وصح من حديث أبى هريرة : أو ثلاثة يدخلون النار : أمير مسلط أى ظالم ، وغنى لا يؤدى

﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا** ﴾ فالمراد من سلك بها طريق الزكاة واجتنب طريق الردى . ولهذا قال : ﴿ **وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا** ﴾ [الشمس : ١٠] .

وهذه الآيات المتشابهات فى القرآن يتخذ منها أهل الباطل حجة فى التلبيس على الناس . يقول : انظر إلى القرآن تارة بقول : ﴿ **فلا تزكو أنفسكم** ﴾ .

وتارة يمدح من زكى نفسه . ولكن هؤلاء كما وصفهم الله تعالى هم الذين فى قلوبهم زيغ والعياذ بالله . كما قال الله تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ** ﴾ [آل عمران : ٧] .

وإلا فالقرآن لا يمكن أبدًا أن يكون فيه شىء متناقض . كما قال الله تعالى : ﴿ **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا** ﴾ .

---

(١) سورة لقمان : ١٨ .

(٢) صحيح : رواه أحمد (٤/ ٤٥-٤٦) ومسلم (٢٠٢١) .

(٣) صحيح : رواه (٤/ ٣٠٦) والبخارى (٤٩١٨) ومسلم (٢٨٥٣) عن رواية حارثة بن وهب .

(٤) صحيح : رواه أحمد (٢/ ١١٨) والبخارى فى الأدب المفرد (٥٤٩) صحيح الجامع (٥٧١١) .

الزكاة ، وفقير فخور (١) .

وفى صحيح البخارى عن رسول الله ﷺ قال : « **ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : المسبل ، والمنان ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب** » (٢) والمسبل هو الذى يسبل إزاره أو ثيابه أو سراويله حتى يكون إلى قدميه لأنه ﷺ قال : « **ما أسفل من الكعبين من الإزار فهو فى النار** » (٣) .

أما القرآن فلا اختلاف فيه . وقد أورد نافع بن الأزرق الخارجى المشهور عن ابن عباس رضي الله عنهما كثيرًا من الآيات المتشابهات التى ظاهرها التعارض . وأجاب عنها رضي الله عنهما فى آيات متعددة ذكرها السيوطى فى (الإتقان فى علوم القرآن) .

ثم استدل على تحريم البغى بقول الله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِ** ﴾ [الشورى : ٤٢] .

السبيل : التبعة واللوم والمذمة على هؤلاء الذين يظلمون الناس فى أموالهم أو فى أعراضهم أو فى أنفسهم أو فى أهليهم هؤلاء هم الذين عليهم السبيل والتبعية .

﴿ **وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِ** ﴾ يعنى : يعتدون بغير الحق . وإنما وصف الله البغى بغير حق . لأنه حقيقة ليس بحق . كل البغى فهو بغير الحق . فالقيد هنا ليس للاعتراض بل هو لبيان الواقع كثيرًا . أن تجد قيدًا يبين الواقع وليس قيدًا يخرج ما سواه . مثل قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [البقرة: ٢١] .

فهنا ليس هناك رب لم يخلقنا ورب خلقنا . بل هو لبيان الواقع أن الرب هو الذى خلقنا وهو الذى رزقنا فالحاصل أن الله تعالى بين أن السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق ثم حديث عياض بن حمار أن النبى ﷺ قال : « **الله أوحى**

---

(١) ضعيف : رواه أحمد (٢/ ٤٢٥) والترمذى (١٦٤٢) والحاكم (١/ ٣٨٧) وقال الحاكم عامر بن شبيب مستقيم الحديث وآخره الذهبى وأخرجه ابن خزيمة فى صحيحه (٣/ ٢٤٩) وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع ٣٧٠٣ .

(٢) صحيح : رواه أحمد (٥/ ١٤٨ ، ١٦٢) ومسلم (١٠٦) وأبو داود (٤٠٨٧) والترمذى (١٢١١).

(٣) رواه البخارى (٥٧٨٧) عن أبى هريرة .

وأشر الكبر الذى فيه من يتكبر على العباد بعلمه ويتعاظم فى نفسه بفضيلته فإن هذا لم ينفعه علمه ، فإن من طلب العلم للآخرة كسره علمه وخشع قلبه واستكانت نفسه ، وكان على نفسه بالمرصاد فلا يفتر عنها بل يحاسبها كل وقت ويتفقدها ، فإن غفل عنها جمحت عن الطريق المستقيم وأهلكته . ومن طلب العلم للفخر والرياسة وبطر على المسلمين وتحامق عليهم وازدراهم ، فهذا من أكبر الكبر، ولا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

***

إلى أن لا يبغى أحد على أحد » (١) .

هذا الشاهد من الحديث . وهو يدل على أن البغى أمر عظيم فيه عناية من الله سبحانه وتعالى يبين لعباده أنه لا يبقى أحد على أحد وأن الإنسان يتواضع لله عز وجل ويتواضع فى الحق والله الموفق .

---

(١) رواه مسلم (٢٨٦٥)) .

الكبيرة الثامنة عشرة

شهادة الزور

قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ الآية[١] . وفي الأثر عدلت شهادة الزور الشرك بالله تعالى مرتين ، وقال الله تعالى : ﴿ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾[٢] .

وفي الحديث : « لا تزول قدما شاهد الزور يوم القيامة حتى تجب له النار »[٣] .

الكبيرة الثامنة عشرة

شهادة الزور

شهادة الزور: أن يشهد بما يعلم أن الأمر بخلافه . أو يشهد بما لا يعلم أن الأمر بخلافه أو بوفاقه أو يشهد بما يعلم أن الأمر على وفاقه لكنه علي صفة غير الواقع . هذه ثلاثة أحوال وكلها حرام لا يحل لإنسان أن يشهد إلا بما علم على الوجه الذي علمه . فإن شهد بما يعلم أن الأمر بخلافه مثل أن يشهد لفلان بأنه يطلب فلانًا كذا وكذا وهو يعلم أنه كاذب . فإن هذا والعياذ بالله شهادة زور ومثل أن يشهد لفلان أنه فقد يستحق الزكاة وهو يعلم أنه غني ومثل ما يفعله بعض الناس عند الحكومة يشهد بأن فلانًا له عائلة عدد أفرادها كذا وكذا وهو يعلم أنه كاذب والأمثلة على هذا كثيرة ويظن هذا المسكين الذي شهد بشهادة الزور يظن أنه نافع لأخيه أنه بار به والواقع أنه ظالم لنفسه مظالم لأخيه أما كونه ظالم لنفسه خطأ هو لأنه اثم وأتى كبيرة من كبائر الذنوب . وأما كونه ظالمًا لأخيه فلأنه أعطاه

---

(١) سورة الفرقان: ٧٢ .

(٢) صحيح : سورة الحج : ٣٠ ، والأثر رواه أحمد (٤/ ٣٢١ ، ٣٢٢) وأبو داود (٣٥٩٩) وابن ماجه (٢٣٧٢) وصححه الألباني في التعليق الرغيب (٣/ ١٦٦) والرد على بليق (١٩٢).

(٣) موضوع : رواه ابن ماجه (٢٣٧٣) والحاكم (٤/ ٩٨) وقال الألباني موضوع ضعيف الجامع (٤٨٧١) والسلسلة الضعيفة (١٢٥٩) .

قال المصنف رحمه الله تعالى: شاهد الزور قد ارتكب عظائم :

(**أحدها**) الكذب والافتراء ، قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾(١) .

وفي الحديث : « **يطبع المؤمن على كل شيء ليس الخيانة والكذب** »(٢) .

(**وثانيها**) إنه ظلم الذي شهد له بأن ساق إليه المال الحرام فأخذه بشهادته فوجبت له النار ، وقال ﷺ : « **من قضيت له من مال أخيه بغير حق فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من نار** »(٣) .

مالا يستحق وجعله يأخذ المال بالباطل . وقد قال النبي ﷺ : « **انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا** » . قالوا : يا رسول الله . هذا المظلوم كيف ننصر الظالم ؟ قال: « **تمنعه من الظلم فذلك نصره** »(٤) .

فهؤلاء الذين يشهدون بالزور والعياذ بالله يظنون أنهم ينفعون إخوانهم وهم يضرون أنفسهم وإخوانهم .

قال تعالى : **﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾** [الحج: ٣٠] .

وأول ما يدخل في قول الزور شهادة الزور. وقد جعل الله تعالى ذلك من الرجس من الأوثان أي مع الشرك . فدل هذا على عظم شهادة الزور وقد قال الله تعالى: **﴿ وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾** [الفرقان: ٧٢]. يمدحهم وإذا كان هؤلاء مدحوا بعدم شهود الزور فأولى أن يمدحوا إذا لم يقولوا الزور . وإن كان عدم شهادة الزور مدحًا دل ذلك على أن شهادة الزور أو القول بالزور قدح وضرر .

قال : « **ألا أنبئكم بأكبر الكبائر** » « **ألا** » أداة عرض استفتح بها النبي ﷺ كلامه للتنبيه . تنبيه المخاطب إلى أمر ذي شأن . ولهذا قال : « **ألا أنبئكم بأكبر الكبائر** » قالوا

---

(١) سورة غافر : ٢٨. (٢) سبق تخريجه .

(٣) رواه البخاري (٢٦٨٠) ومسلم (١٧١٣) .

(٤) صحيح : رواه البخاري (٦٩٥٢) .

(**ورابعها**) أنه أباح ما حرم الله تعالى وعصمه من المال والدم والعرض . قال رسول الله ﷺ : « **ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، ألا وقول الزور ، ألا وشهادة الزور** » فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت ، رواه البخاري [١] . فنسأل الله تعالى السلامة والعافية من كل بلاء .

***

بلى يا رسول الله . قال :« **وكان متكئًا فجلس** » تعظيمًا لما سيقول قال « **ألا وقول الزور. وشهادة الزور** » وإنما عظم النبي ﷺ أمرها لكثرة الوقوع فيها وعدم اهتمام الناس بها فأرى الناس أن أمرها عظيم . كان يحدث عن الشرك وعقوق الوالدين وهو متكيء ثم جلس اهتمامًا بالأمر : « **ألا وقول الزور وشهادة الزور** » فما زال يكررها قال : حتى قلنا: ليته سكت وهذا دليل على عظم شهادة الزور وقول الزور. وعلى الإنسان أن يتوب إلى الله عز وجل من هذا لأنه يتضمن كما قلت ـ ظلم نفسه وظلم من شهد له . والله الموفق .

---

(١) سبق تخريجه .

الكبيرة التاسعة عشرة

شرب الخمر

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ (١).

فقد نهى عز وجل في هذه الآية عن الخمر وحذر منها ، وقال النبي ﷺ : «**اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث**» (٢)فمن لم يجتنبها فقد عصى الله ورسوله واستحق العذاب بمعصية الله ورسوله . قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ

الكبيرة التاسعة عشرة

شــرب الخمــر

الخمر :كل ما أسكر فهو خمر ، سواء كان من العنب أو من التمر أو من الشعير أو من البر أو من غير ذلك . كل ما أسكر فهو خمر قال النبي ﷺ : « **كل مسكر خمر وكل مسكر حرام** » (٣) .

والإسكار هو : تغطية العقل على وجه اللذة ، والطرب ليس مجرد تغطية العقل ولهذا البنج ليس مسكرًا وإن كان يغطي العقل .

والمبنج لا يدري ماذا حصل له لكن لخمر نسأل الله العافية يجد الإنسان من السكر لذة وطربًا ونشوى حتى يتصور أنه ملك من الملوك وأنه فوق الثريا وما أشبه ذلك . كما قيل في هذا : « **ونشرب بها فنزلنا ملوكًا**» .

---

(١) سورة المائدة : ٩٠ ، ٩١ .

(٢) رواه ابن حبان (٥٣٤٨) والبيهقي في الشعب (٥١٩٧) صحيح موقوف النسائي (٥٦٦٦) والتعليق على المختار (٣٢٠) .

(٣) صحيح : رواه مسلم (٢٠٠٣) وأبو داود (٦٧٩) والترمذي (١٨٦١) عن ابن عمر .

يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾(١) .

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : لما نزل تحريم الخمر مشى الصحابة بعضهم إلى بعض وقالوا : حرمت الخمر وجعلت عدلا للشرك(٢) . وذهب عبد الله بن عمرو إلى أن الخمر أكبر الكبائر ، وهي بلا ريب أم الخبائث وقد لعن شاربها في غير حديث . وعن ابن عمرو قال رضي الله عنه : قال : قال رسول الله ﷺ : « **كل مسكر خمر وكل خمر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا ومات يتب منها وهو مدمنها لم يشربها في الآخرة** » رواه مسلم(٣) .

وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن على الله عهدا لمن شرب المسكر أن يسقيه الله من طينة الخبال . قيل : يا رسول الله وما طينة الخبال ؟ قال:**

وكما قال حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه لابن أخيه النبي ﷺ فقال له حمزة وهو سكران: هل أنتم إلا عبيد أبي وهذه كلمة بشعة لكنه سكران . والسكران لا يؤاخذ بما يقول . وهذا قبل أن ينزل تحريم الخمر.

وكان الخمر على أربع مراحل :

المرحلة الأولى: إباحة . أن الله أباحه للعباد إباحة طيبة فقال تعالى : ﴿**وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا**﴾ [النحل : ٦٧] .

يعني تشربونه فتسكرون وتتجرون به فتحصلون رزقًا .

المرحلة الثانية : تعريض الله تعالى بتحريمه وقال تعالى : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا** ﴾ [البقرة : ٢١٩] .

---

(١) سورة النساء : ١٤ .

(٢) صحيح : أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ١٤٤) وقال صحيح ووافقه الذهبي وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد » (٥/ ٥٢) وقال رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ، والمنذري في الترغيب (٣/ ٢٦٠) وقال مثله .

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٠٠٣) وأبو داود (٣٦٧٩) والترمذي (١٨٦١) عن ابن عمر .

عرق أهل النار أو عصارة أهل النار » [١] .

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « **من شرب الخمر في الدنيا يحرمها في الآخرة** » [٢] .

ذكر أن مدمن الخمر كعابد وثن : رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **مدمن الخمر كعابد وثن** » [٣] .

ذكر أن مدمن الخمر إذا مات ولم يتب لا يدخل الجنة : روى النسائي من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « **لا يدخل الجنة عاق ولا مدمن خمر** » [٤] وفي رواية: « **ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة : مدمن الخمر ، والعاق لوالديه ، والديوث وهو الذي يقر السوء في أهله** » [٥] .

ولم ينه عنهما في هذه المرحلة الثانية :

المرحلة الثالثة : قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾ [النساء : ٨٣] .

فنهى عن قربان الصلاة في حال السكر وهذا يقتضي أنه يباح شرب الخمر في غير أوقات الصلاة .

المرحلة الرابعة : التحريم (البائن) قال تعالى في سورة المائدة : وهي من آخر ما نزل. قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ**

---

(١) صحيح : رواه أحمد (٣/ ٣٦١) ومسلم (٢٠٠٢) والنسائي (٨/ ٣٢٨) .

(٢) صحيح : رواه البخاري (٥٥٧٥) ومسلم (٢٠٠٣) عن ابن عمر .

(٣) ضعيف : رواه أحمد (١/ ٢٧٢) والطبراني (١٢٤٢٨) والبزار (٢٩٣٤) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٣٧) .

(٤) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٢٠١) والنسائي (٨/ ٢١٨) والطحاوي في مشكل الآثار (١/ ٣٩٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٥٥٣) .

(٥) صحيح : رواه أحمد (٢/ ٦٩ ، ١٢٨) والحاكم (٤/ ١٧٤) والبهيقي (٨/ ٢٨٨) وصححه الشيخ الألبانى في صحيح الجامع (٧٥٥٣) .

ذكر أن السكران لا يقبل الله منه حسنة : روى جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : « **ثلاثة لا يقبل لهم صلاة ولا ترفع لهم حسنة إلى السماء : العبد الأبق حتى يرجع إلى مواليه فيضع يده في أيديهم ، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى عنها ، والسكران حتى يصحو** » (١).

والخمر ما خامر العقل ، أي غطاه ، سواء كان رطبًا أو يابسًا أو مأكولاً أو مشروبًا ، وعن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ :« **لا يقبل الله لشارب الخمر صلاة ما دام في جسده شيء منها** » (٢). وفي رواية : « **من شرب الخمر لم يقبل الله منه شيئًا ، ومن سكر منها لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا ، فإن تاب ثم عاد كان حقًا على الله أن يسقيه من مهل جهنم** » (٣) .

الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة : ٩٠] . فاجتنبه الناس .لكن لما كانت النفوس تدعو إليها ، إلى الخمر ـ وشربها جعل لها رادع يردع الناس عن شربها . وهو العقوبة .

ولم يقدر لها النبي ﷺ شيئًا فعقوبة الشارب ليست حدًا . لكنها تعزير ولهذا جيء برجل شرب الخمر فقال النبي ﷺ ، اضربوه ولا قال : أربعين ولاثمانين ولا مائة ولا عشرة . فقاموا يضربونه منه الضارب بثوبه ومنهم الضارب بيديه . ومنهم الضارب بنعله لكن ضربوه نحو أربعين جلدة فلما انصرفوا وانصرف الرجل . قال رجل من القوم : أخزاه الله يعني أذله . وفضحه . فقال النبي ﷺ: لا تقل هكذا لا تدع عليه بالخزي . رجل شرب مسكرًا وجُلد وتطهر بالجلد لاتعينوا عليه الشيطان . فنهاهم النبي ﷺ أن يسبوه مع أنه شارب خمر.

إذا ما موقفنا من شارب الخمر . موقفنا أن ندعو له بالهداية . قل : اللهم اهده. الهم أصلحه . اللهم أبعده عن هذا وما أشبه ذلك أما أن تدعو عليه فإنك تعين عليه الشيطان .

---

(١) ضعيف: رواه ابن خزيمة (٩٤٠) وابن حبان (٥٣٥٥) والبيهقي (١/ ٣٨٩) وضعفه الشيخ في السلسلة الضعيفة (١٠٧٥).

(٢) الرواية الأولى رواها عبد بن حميد (٩٨٣) في المنتخب وإسنادها ضعيف .

(٣) والرواية الثانية أخرجها أحمد (٢/ ١٧٨) والحاكم (٤/ ١٤٦) وإسنادها حسن .

وقال رسول الله ﷺ : « **من شرب الخمر ولم يسكر أعرض الله عنه أربعين ليلة، ومن شرب الخمر وسكر لم يقبل منه الله صرفا ولا عدلا أربعين ليلة ، فإن مات فيها مات كعابد وثن ، وكان حقًا على الله أن يسقيه من طينة الخبال . قيل : يا رسول الله وما طينة الخبال ؟ قال : عصارة أهل النار القيح والدم** » [1] .

وقال عبد الله بن أبي أوفى : من مات مدمنا للخمر مات كعابد اللات والعزى. قيل : أرأيت مدمن الخمر هو الذي لا يستفيق من شربها ، قال : لا ولكن هو الذي يشربها إذا وجدها ولو بعد سنين .

وفي هذا دليل على أن الخمر محرم. وأن عليه عقوبة . لكن في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه انتشرت الفتوحات ودخل في دين الإسلام أناس جدد وكثر شرب الخمر في عهده وكان رضي الله عنه رجلاً حازمًا ناهيك به فأراد أن يعاقب شارب الخمر بعقوبة تكون أشد وأردع إلا أنه رضي الله عنه - لورعه وتحرزه - جمع الصحابة ، أي جمع ذوي الرأي . وليس المراد كل الصحابة . لأن السوقة وعامة الناس لا يصلحون لمثل هذه الأمور ولا لأمور السياسة. وليس لعامة الناس أن يلوكوا ألسنتهم بسياسة ولاة الأمور السياسية لها أناس والصُّحون والقدور لنا أناس آخرون . ولو أن السياسة صارت تلاك بين ألسن عامة الناس فسدت الدنيا. لأن العامي ليس عنده علم وليس عنده عقل وليس عنده تفكير وعقله وفكره لا يتجاوز قدمه ويدل لهذا قول الله تعالى : ﴿ **وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ** ﴾ [النساء : ٨٣] .

ونشروه . قال تعالى : ﴿ **وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ** ﴾ .

دل هذا على أن العامة ليسوا كأولى الأمر وأولي الرأي والمشورة فليس الكلام في السياسة من المجالات العامة . ومن أراد أن تكون العامة مشاركة لولاة الأمور في سياستها

---

(١) النسائي (٨/ ٣١٧) وابن ماجه (٣٣٧٧) وابن حبان (٥٣٣٣) وأحمد (٢/ ١٨٩) . وصححه الشيخ في صحيح الجامع (٦١٨٩) من غير لفظه (فإن مات فيما مات كعابد وثن) .

فصل

ذكر أن من شرب الخمر لا يكون مؤمنا حين يشربها : عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : « **لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، والتوب معروضة بعد** » . أخرجه البخاري [١] وفي الحديث : « **من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه** » [٢] وفيه من شرب الخمر ممسيًا أصبح مشركا ، ومن شربها مصبحاً أمسى مشركًا ، وفيه عن النبي ﷺ أنه قال : « **إن رائحة الجنة لتوجد من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا منان ولا مدمن خمر ولا عابد وثن**»[٣] .

وفي رأيها وفكرها . فقد ضل ضلالاً بعيدًا وخرج عن هدي الصحابة وهدي الخلفاء الراشدين وهدي سلف الأمة .

فالمهم أن عمر بن الخطاب لحزمه جمع ذوي الرأي من الصحابة وقال لهم مامعناه : «كثر شرب الخمر » . وإذا قل الوازع الديني . يجب أن يقوى الرادع السلطاني يعني إذا ضعف الأمر من الناحيتين : الوازع الديني والرادع السلطاني فسدت الأمة . فاستشارهم ماذا يصنع ؟ فقال عبد الرحمن بن عوف : يا أمير المؤمنين أخف الحدود ثمانون جلدة إرفع العقوبة إلى ثمانين جلدة . ويشير رضي الله عنه ـ أعني عبد الرحمن إلى حد القذف . فإن الله تعالى قال : ﴿ **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً** ﴾ [النور: ٤٠] .

هذا أخف الحدود فرفع عمر رضي الله عنه عقوبة شارب الخمر إلى ثمانين . وهذا كالنص الصريح على أن عقوبة شارب الخمر ليست حدًا . بل هي صريح لأنه قال : أخف الحدود

---

(١) سبق تخريجه . (٢) سبق تخريجه .

(٣) ضعيف: قال المنذري رواه الطبراني في الصغير(١/ ٢٥٠) من حديث أبي هريرة وإسناده ضعيف .

وروي الإمام أحمد من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا يدخل الجنة مدمن خمر ولا مؤمن بسحر ولا قاطع رحم ، ومن مات وهو يشرب الخمر سقاه الله من نهر الغوطة وهو ماء يجري من فروج الموسات ـ أي الزانيات ـ يؤذي أهل النار ريح فروجهن** » [(١)].

وقال رسول الله ﷺ : « **إن الله بعثني رحمة وهدي للعالمين ، بعثني لأمحق المعازف والمزامير وأمر الجاهلية ، وأقسم ربي تعالى بعزته لا يشرب عبد من عبيدي جرعة من الخمر إلا سقيته مثلها من حميم جهنم ، ولا يدعها عبد من عبادي من مخافتي إلا سقيته إياها في حظائر القدس مع خير الندماء** » [(٢)].

ثمانين . ووافقه الصحابة على هذا . ولم يقل عمر ﷺ : أنه ليس كذلك فرفعه عمر وجعل ذلك ثمانين جلدة من أجل أن يرتدع الناس . وقد جاء في السنة أن شارب الخمر إذا شرب فجلد ثم شرب فجلد ثم شرب فجلد ثم شرب الرابعة . فإنه يجب قتله هكذا جاء في السنة وأخذ بظاهره الظاهرية . وقالوا : شارب الخمر إذا جلد فبيقت فى الرابعة لأنه أصبح عنصرًا فاسدًا . لم ينفع فيه الإصلاح والتقويم .

وقال جمهور العلماء : لا يقتل بل يكرر عليه الجلد . كلما شرب جلد وتوسط شيخ الإسلام رحمه الله . فقال : إذا كثر شرب الخمر في الناس .ولم ينته الناس بدون القتل فإنه يقتل في الرابعة وهذا قول وسط روعي فيه الجمع بين المصحلتين مصلحة ما يدل عليه بعض النصوص الصريحة لأن عمر لم يرفع العقوبة إلى القتل . مع أنه يقول إن الناس كثر شربهم. وبين هذا الحديث الذي اخلتفت الناس في صحته وفي بقاء حكمه . هل هو منسوخ أو غير منسوخ وهل هو صحيح أو غير صحيح . فعلى كل حال فالذي اختاره شيخ الإسلام هو عين الصواب .

---

(١)حسن: رواه أحمد (٤/ ٣٩٩) والحاكم (٤/ ١٤٦) وحسنه الألبانى فى الصحيحة(٦٧٨).
(٢)ضعيف: رواه أحمد (٥/ ٢٥٧ ، ٢٦٨) والطبراني في الكبير (٨/ ٢٣٢) .

فصل

من لعن في الخمر : روى أبو داود إن رسول الله ﷺ قال : « **لعنت الخمر بعينها وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها** » (١). ورواه الإمام أحمد من حديث ابن عباس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **أتاني جبريل عليه السلام فقال : يا محمد إن الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومبتاعها وشاربها وآكل ثمنها وحاملها والمحمولة إليه وساقيها ومستقيها** » (٢) .

فصل

ذكر النهي عن عيادة شربة الخمر إذا مرضوا وكذلك لا يسلم عليهم : عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال:«لا تعودوا شراب الخمر إذا مرضوا» (٣) قال

أنه إذا كثر شرب الناس الخمر ولم ينته الناس بدون قتل فإنه يقتل الشارب في الرابعة.

وليت ولاة الأمور يعملون هذا العمل . ولو عملوا هذا العمل لحصل خير كثير وإندرأشر . وقل شرب الناس للخمر الذي بدأ ينتشر والعياذ بالله وفي بعض البلاد الإسلامية انتشر كانتشار الشراب المباح كعصير الليمون وعصير البرتقال وما أشبه ذلك . وهذا لاشك أنه مظهر غير مظهر المسلمين وأنه استباحة له في الواقع كونه يصبح منشورًا بين الناس . يفتح الإنسان الثلاجة ويشرب الخمر والعياذ بالله .

هكذا كأنه استباحه وهذا ينطبق عليه قول النبي ﷺ : « **ليكونن أقوام من أمتي يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف** » (٤).

---

(١) صحيح : رواه أحمد (٢/ ٢٥ ، ٧١) وأبو داود (٣٦٧٤) وابن ماجه (٣٣٨٠) وصححه الشيخ في الإرواء (١٥٢٩) والمشكاة (٢٧٧٧) والروض النضير (٥٤٦) .

(٢) رواه أحمد (١/ ٣١٦) والطبراني (١٢٩٣٦) والحاكم (٤/ ١٤٥) الصحيحة (٨٣٩) وصحيح الجامع (٧٢) .

(٣) إسناده ضعيف : رواه البخارى فى الأدب المفرد (١٠١٧) وضعفه الألبانى فى ضعيف الأدب المفرد (١٦٠) .

(٤) صحيح : رواه البخارى .

البخاري ، وقال ابن عمر : لا تسلموا على شربة الخمر [١] .

وقال ﷺ : « **لا تجالسوا شراب الخمر ولا تعودوا مرضاهم ولا تشهدوا جنائزهم وإن شارب الخمر يجيء يوم القيامة مسودا وجهه ، مدلعا لسانه على صدره، يسيل لعابه يقذره كل من رآه وعرفه أنه شارب خمر** » [٢] .

قال بعض العلماء : إنما ينهي عن عيادتهم لأن شارب الخمر فاسق ملعون ، قد لعنه الله ورسوله كما تقدم في قوله : لعن الله الخمور وشاربها الحديث ، فإن اشتراها وعصرها كان ملعونا مرتين ، وإن سقاها لغيره كان ملعونا ثلاث مرات ، فلذلك نهى عن عيادته والسلام عليه إلا أن يتوب فمن تاب تاب الله عليه .

فصل

ذكر أن الخمر لا يحل التداوي : عن أم سلمة ﵂ قالت : اشتكيت ابنة لي فنبذت لها في كوز ، فدخل عليها رسول الله وهو يغلي ، فقال : « **ما هذا يا أم سلمة ؟** » فذكرت له أني أدواي به ابنتي فقال رسول الله ﷺ : « **إن الله تعالى لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها** » [٣] .

ذكر أحاديث متفرقة رويت في الخمر : من ذلك ما ذكره أبو نعيم في « الحلية » عن أبي موسى ﵁ ، أتى النبي ﷺ بنبيذ في جرة له نشيش فقال : « **اضربوا بهذا الحائط فإن هذا شرب من لا يؤمن بالله واليوم الآخر** » [٤] .

وقال رسول الله ﷺ : « **من كان في صدره آية من كتاب الله وصب عليها الخمر لم**

---

(١) صحيح : ذكره البخاري معلقا كتاب الاستئذان باب من لم يسلم على من اقترف ذنبًا ولم يزد سلامه حتى تتبين توبته الفتح (١١/ ٤١) .

(٢) موضوع : رواه ابن عدي (٢/ ٢١٤) وذكره السيوطي في الآلي (٢/ ٢٠٥) .

(٣) صحيح على الشواهد : رواه الطبراني (٢٣/ ٧٤٩) والبيهقي (١٠/ ٥) وله شاهد من حديث ابن مسعود وله شاهد عند مسلم والحديث علقه البخارى موقوفا على ابن مسعود . انظر الصحيحة (١٦٣٣).

(٤) صحيح : رواه البيهقي (٨/ ٣٠٣) وأبو نعيم (٦/ ٨٤) وله شاهد فيقوى به حديث أبي داود (٣٧١٦) وابن ماجه (٣٤٠٩) الصحيحة (٣٠١٠) .

سيجيء يوم القيامة كل حرف من تلك الآية فيأخذ نصيبه حتى يوقفه بين يدي الله تبارك وتعالى فيخاصمه ، ومن خاصم القرآن خصم فالويل لمن كان القرآن خصمه يوم القيامة » (١) .

وجاء عن النبي ﷺ : « **ما من قوم اجتمعوا على مسكر في الدنيا إلا جمعهم الله في النار ، فيقبل بعضهم على بعض يتلاومون ، فيقول أحدهم للآخر : يا فلان لا جزاك الله عني خيراً فأنت الذي أوردتني هذا المورد ، ويقول له الآخر مثل ذلك** »(٢) ، وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « **من شرب الخمر في الدنيا سقاه الله من سم الأساودة شربة يتساقط لحم وجهه في الإناء قبل أن يشربها ، فإذا تساقط لحمه وجلده يتأذى به أهل النار ،ألا وشاربها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها شركاء في إثمها ، لا يقبل الله منهم صلاة ولا صوم ولا حجا حتى يتوبوا ، فإن ماتوا قبل التوبة كان حقًا على الله أن يسقيهم بكل جرعة شربوها في الدنيا من صديد جهنم، ألا وكل مسكر خمر وكل خمر حرام** » (٣) .

ويدخل في قوله ﷺ كل مسكر خمر (٤) : الحشيشة كما سيأتي الكلام عليها إن شاء الله تعالى . روى : « **إن شربة الخمر إذا أتوا على الصراط يتخطفهم الزبانية إلى نهر الخبال فيسقون بكل كأس شربوها من الخمر شربة من نهر الخبال ، فلو أن تلك الشربة تصب من السماء لأحرقت السماوات من حرها** » (٥) نعوذ بالله منها .

فصل

ذكر الآثار عن السلف في الخمر : ذكر ابن مسعود ؓ قال : إذا مات شارب الخمر فادفنوه ، ثم اصلبوه على خشبة ، ثم أنبشوا عنه قبره فإن لم تروا وجهه مصروفا عن القبلة وإلا فاتركوه مصلوبا (٦) . وعن الفضيل بن عياض أنه حضر عند

---

(١) لم أعثر عليه .
(٢) لم أعثر عليه .
(٣) لم أعثر عليه .
(٤) رواه مسلم (٢٠٠٣) عن ابن عمر .
(٥) لم أعثر عليه وذكره الهيثمي في الزواجر (٢/ ١٥٨ ـ ١٥٩) .
(٦) هذه الآثار لم أقف لها على إسناد وأثر ابن مسعود غريب جدا لا يعقل عنه .

تلميذ له حضرته الوفاة فجعل يلقنه الشهادة ولسانه لا ينطق بها ، فكررها عليه فقال: لا أقولها وأنا بريء منه ، فخرج الفضيل من عنده يبكي ، ثم رآه بعد مدة في منامه وهو يسحب إلى النار ، فقال له يا مسكين بم نزعت منك المعرفة ؟ فقال : يا أستاذ كان بي علة فأتيت بعض الأطباء فقال لي تشرب في كل سنة قدحا من الخمر وإن لم تفعل تبقى بك علتك ، فكنت أشربها في كل سنة لأجل التداوي ! فهذا حال من شربها للتداوي فكيف حال من يشربها لغير ذلك ؟ نسأل الله العفو والعافية من كل بلاء .

وسئل بعض التائبين عن سبب توبته فقال : كنت أنبش القبور فرأيت فيها أمواتا مصروفين عن القبلة ، فسألت أهلهم عنهم : فقالوا كانوا يشربون الخمر في الدنيا وماتوا من غير توبة . وقال بعض الصالحين : مات لي ولد صغير ، فلما دفنته رأيته بعد موته في المنام وقد شاب رأسه . فقلت : يا ولدي دفنتك وأنت صغير فما الذي شيبك ؟ فقال : يا أبتِ إلى جانبي رجل ممن كان يشرب الخمر في الدنيا ، فزفرت جهنم لقدومه زفرة لم يبق منها طفل إلا شاب رأسه من شدة زفرتها ، نعوذ بالله منها، ونسأل الله العفو والعافية مما يوجب العذاب في الآخرة .

فالواجب على العبد أن يتوب إلى الله تعالى قبل أن يدركه الموت وهو على أشر حالة ، فيلقى في النار ، نعوذ بالله منها .

فصل

والحشيشة المصنوعة من ورق القنب حرام كالخمر يحد شاربها ، كما يحد شارب الخمر وهي أخبث من الخمر ، من جهة أنها تفسد العقل والمزاج حتى يصير في الرجل تخنث ودياثة وغير ذلك من الفساد . والخمر أخبث من جهة أنها تفضي إلى المخاصمة والمقاتلة وكلاهما يصد عن ذكر الله وعن الصلاة .

وقد توقف بعض العلماء المتأخرين في حدها ، ورأى أن أكلتها تعزر بما دون الحد حيث ظنها تغير العقل من غير طرب بمنزلة البنج ولم يجد للعلماء المتقدمين فيها كلاما، وليس كذلك بل أكلتها ينتشون ويشتهونها كشراب الخمر وأكثر ، حتى لا

يصبروا عنها وتصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة إذا أكثروا منها ، مع ما فيها من الدياثة والتخنث وفساد المزاج والعقل وغير ذلك . لكن لما كانت جامدة مطعومة ـ ليست شرابا ـ تنازع العلماء في نجاستها على ثلاثة أقوال في مذهب الأمام أحمد وغيره، فقيل : هي نجسة كالخمر المشروبة ، وهذا هو الاعتبار الصحيح وقيل : لا ، لجمودها ، وقيل : يفرق بين جامدها ومائعها ، وبكل حال : فهي داخلة فيماحرم الله ورسوله من الخمر المسكر لفظا ومعنى ، قال أبو موسى : يا رسول الله أفتنا في شرابين كنا نصعنهما باليمن « البتع » وهو من العسل ينبذ حتى يشتد ، و« المزر » وهو من الذرة والشعير ينبذ حتى يشتد . قال : وكان رسول الله ﷺ قد أعطى جوامع الكلم بخواتمه ، فقال ﷺ :« **كل مسكر حرام** » رواه مسلم[1]، وقال ﷺ : «**ما أسكر كثيره فقليله حرام** » [2]، ولم يفرق ﷺ بين نوع ونوع لكنه مأكولا أومشروبا، على أن الخمر قد يصطنع بها يعني الخبز ، وهذه الحشيشة تذاب بالماء ، والخمر يشرب ويؤكل ، والحشيشة تشرب وتؤكل ، وإنما لم يذكرها العلماء لأنها لم تكن على عهد السلف الماضي وإنما حدثت في مجيء التتار إلى بلاد الإسلام وقد قيل في وصفها شعرا :

فآكلها وزراعها حلالا فتلك على الشقي مصيبتان

فوالله ما فرح إبليس بمثل فرحه بالحشيشة لأنه زينها للأنفس الخسيسة فاستحلوها واسترخصوها .

قل لمن يأكل الحشيشة جهـلا عشت في أكلها بأقبح عيشة
قيمة المرء جوهر فلــــماذا يا أخا الجهل بعته بحشيشــة

---

(١) صحيح : رواه أحمد (٣/ ٣٦١) ومسلم (٢٠٠٢) من طريق ورواه البخاري (٥٥٧٥) عن ابن عمر.
(٢) صحيح : رواه أحمد (٦/ ١٩٠) والبخاري (٥٥٨٥) ومسلم (٢٠٠١) عن عائشة .

حكاية (*)

عن عبد الملك بن مروان : أن شابا جاء إليه باكيا حزينا فقال : يا أمير المؤمنين إني ارتكبت ذنبا عظيمًا فهل لي من توبة ؟ قال : وما ذنبك ؟ قال : ذنبي عظيم . قال: وما هو فتب إلى الله تعالى فإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات . قال: يا أمير المؤمنين كنت أنبش القبور وكنت أرى فيها أمور عجيبة . قال : وما رأيت ؟ قال : يا أمير المؤمنين نبشت ليلة قبرًا فرأيت صاحبه قد حول وجهه عن القبلة فخفت منه ، وأردت الخروج وإذا أنا بقائل يقول في القبر : ألا تسأل عن الميت لماذا حول وجهه عن القبلة فقلت : لماذا حول ؟ قال : لأنه كان مستخفًا بالصلاة . هذا جزاء مثله . ثم نبشت قبرًا آخر فرأيت صاحبه قد حول خنزيرًا وقد شد بالسلاسل والأغلال في عنقه ، فخفت منه وأردت الخروج وإذا بقائل يقول لي : ألا تسأل عن عمله ، ولماذا يعذب ؟ فقلت : لماذا ؟ فقال : كان يشرب الخمر في الدنيا ومات من غير توبة . والثالث يا أمير المؤمنين نبشت قبرًا فوجدت صاحبه قد شد بالأرض بأوتار من نار وأخرج لسانه من قفاه ، فخفت ورجعت ، وأردت الخروج فنوديت : ألا تسأل عن حاله لماذا ابتلى ؟ فقلت : لماذا ؟ فقال : كان لا يتحرز من البول ، وكان ينقل الحديث بين الناس فهذا جزاءمثله . والرابع يا أمير المؤمنين نبشت قبرًا فوجدت صاحبه قد اشتعل عليه نارًا فخفت منه وأردت الخروج ، فقيل : ألا تسأل عنه وعن حاله ؟ فقلت : وما حاله ؟ فقال : كان تاركا للصلاة . والخامس يا أمير المؤمنين نبشت قبرًا فرأيته قد وسع على الميت مد البصر وفيه نور ساطع ، والميت نائم على سرير ، وقد أشرق نوره ، وعليه ثياب حسنة ، فأخذتني منه هيبة، وأردت الخروج فقيل لي : هلا تسأل عن حاله لماذا أكرم بهذه الكرامة . فقلت : لماذا أكرم ؟ فقيل لي : لأنه كان شابا طائعًا نشأ في طاعة الله عز وجل وعبادته . فقال عبد الملك عند ذلك : إن في هذا لعبرة للعاصين وبشارة للطائعين . فالواجب على المبتلى بهذه المعائب المبادرة إلى التوبة والطاعة ، جعلنا الله وإياكم من الطائعين ،

---

(١) هذه حكاية مختلقة مكذوبة ، والله أعلم.

الكبيرة العشرون

القمار

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [1] .

والميسر هو القمار بأي نوع كان : نرد أو شطرنج أو فصوص أو كعاب أو جوز أوبيض أو حصى أو غيره ، وهو من أكل أموال الناس بالباطل الذي نهى عنه الله بقوله : ﴿ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾ [البقرة: ١٨٨] ، وداخل في قول النبي ﷺ : « إن رجالا يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة »[2] ، وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال : « **من قال لصاحبه : تعالى أقامرك فليتصدق** »[3]، فإذا كان مجرد القول يوجب الكفارة أو الصدقة فمن ظنك بالفعل ؟!

الكبيرة العشرون

القمار

المراهنة معلومة عند كثير من الناس وهي أن يختلف اثنان في شيء فيقول أحدهما إن كان الأمر على ما أقول فعليك كذا وكذا مما يسمونه وإن كان الأمر على ما تقول أنت ، فعلى كذا وكذا مما يسمونه وهذا محرم لأنه من الميسر الذي قرنه الله عز وجل بالخمر . قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ

---

(١) سورة المائدة : ٩٠ ـ ٩١ .

(٢) صحيح : رواه البخاري (٣١١٨) .

(٣) صحيح : رواه البخاري (٤٨٦٠ ، ٦٣٠١) ومسلم (١٦٤٧) عن أبي هريرة .

فصل

اختلف العلماء في النرد والشطرنج إذا خليا عن رهن ، اتفقوا على تحريم اللعب بالنرد لما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم الخنزير ودمه** »[١] أخرجه مسلم . وقال ﷺ : « **من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله** »[٢] . وقال ابن عمر رضي الله عنه : اللعب بالنرد قمار كالدهن بودك الخنزير.

قال : أما الشطرنج فأكثر العلماء على تحريم اللعب بها ، سواء كان برهن أو بغيره . وأما بالرهن فهوقمار بلا خلاف ، وأما الكلام إذا خلا عن الرهن فهو أيضا قمار حرام عند أكثر العلماء ، وحكى إباحته في رواية عن الشافعي : إذا كان في خلوة ولم يشغل عن واجب ولا صلاة في وقتها . وسئل النووي رحمه الله عن اللعب بالشطرنج أحرام أم جائز ؟ فأجاب رحمه الله تعالى : هوحرام عند أكثر أهل العلم . وسئل أيضا رحمه الله عن لعب الشطرنج هل يجوز أم لا ، وهل يأثم اللاعب بها أم لا ؟ فأجاب رحمه الله: إن فوت به صلاة عن وقتها أو لعب بها على عوض فهو حرام ، وإلا فمكروه عند الشافعي ، وحرام عند غيره ، وهذا كلام

وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة : ٩٠ ، ٩١] .

وعلى هذا فهذه المقامرة حرام وتسمية بعض الناس لها حقًا لا يزيدها إلا قبحًا لأنه جعل الباطل حقًا وسماه بغيراسمه وأصبغ عليه صبغة الحل فيكون كاذبٌ فيما ادعاه مخادعًا فيما أظهره نسأل الله السلامة والعافية .

ومن قال : تعال أقامرك فليتصدق هذا أيضًا من دواء الشيء بضده المقامرة المخالفة على عوض . التي يسمونها الناس الرهن أراهنك أن هذا كذا وكذا . ويتراهنون على دراهم أو ما أشبه ذلك. فمن قال هذا فقد قال قولاً حرامًا فعليه أن يتوب ومن توبته أن يتصدق بدل ما يتواصوا أن يأخذ بهذه المقامرة . فيكون هذا من باب دواء الشيء بضده.

---

(١) صحيح : رواه أحمد (٥/ ٣٥٢ ، ٣٥٧) ومسلم (٢٢٦٠) عن بريدة .

(٢) صحيح : رواه أحمد (٤/ ٢٧٩) وأبو داود (٤٩٣٨) وابن ماجه (٣٧٦٢) صحيح الجامع (٦٥٢٩) والإرواء (٢٦٧٠) .

النووي في فتاويه.

والدليل على تحريمه على قول الأكثرين في قول الله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ ﴾ [المائدة:٣] إلى قوله : ﴿ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلَامِ ﴾ قال سفيان ووكيع بن الجراح : هي الشطرنج ، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الشطرنج ميسر الأعاجم . ومر رضي الله عنه على قوم يلعبون بها فقال : ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ؟ لأن يمس أحدكم جمرا حتى يطفيء خير له من أن يمسها [١] . ثم قال: والله لغير هذا خلقتم . وقال أيضا رضي الله عنه : صاحب الشطرنج أكذب الناس . يقول أحدهم : قتلت ، وما قتل . ومات وما مات . وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : لا يلعب الشطرنج إلا خاطيء [٢] . وقيل لإسحاق بن راهويه : أترى في اللعب بالشطرنج بأس ؟ فقال : البأس كله فيه . فقيل له : إن أهل الثغور يلعبون بها لأجل الحرب ، فقال : هو فجور ، وسئل محمد بن كعب القرظي عن اللعب بالشطرنج فقال : أدنى ما يكون فيها أن اللاعب بها أن يعرض يوم القيامة أو قال : يحشر يوم القيامة مع أصحاب الباطل . وسئل ابن عمر رضي الله عنهما عن الشطرنج فقال : هي أشر من النرد [٣] وتقدم الكلام عن تحريمه .

وسئل الإمام مالك بن أنس رحمه الله عن الشطرنج فقال : الشطرنج من النرد. بلغنا عن ابن عباس أنه ولى مالا ليتيم فوجدها في تركة والد اليتيم فأحرقها [٤] . ولو كان اللعب بها حلالا لما جاز له أن يحرقها لكونها مال اليتيم ، ولكن لما كان اللعب بها حراما أحرقها فتكون من جنس الخمر إذا وجد في مال اليتيم وجبت أراقته كذلك الشطرنج . وهذا مذهب حبر الأمة رضي الله عنه ، وقيل لإبراهيم النخعي : ما تقول

وكذلك أيضًا يقال : من فرط في واجب فإن دواءه أن يتوب إلى الله ويكثر من العمل الصالح حتى يكون دواء لذلك .

نسأل الله تعالى أن يتوب علينا وعليكم ويوفقنا لما يحبه ويرضاه .

---

(١) ضعيف: رواه البيهقي في الشعب (٦٥١٨) والسنن (١٠/ ٢١٢) وإسناده ضعيف .

(٢) حسن: رواه البيهقي في السنن (١٠/ ٢١٢) والشعب (٥/ ٢٤١) .

(٣)حسن: رواه البيهقي في الشعب (٥/ ٢٤١) وابن أبي الدنيا في ذم الملاهي (١٠٢).

(٤) صحيح : رواه البيهقي في السنن (٩٠/ ٢١٢) وابن أبي الدنيا في ذم الهوى ، (١٠١) وسنده صحيح .

في اللعب بالشطرنج ؟ فقال : إنها ملعونة [1] .

وروى أبو بكر الأثرم في جامعه عن واثلة بن الأسقع عن رسول الله ﷺ قال : « **إن لله في كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة إلى خلقه ليس لصاحب الشاه فيها نصيب ـ يعني لاعب الشطرنج ـ لأنه يقول شاه مات** »[2] ، وروى أبوبكر الأجري بإسناده عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال : « **إذا مررتم بهؤلاء الذين يعلبون الأزلام النرد والشطرنج وما كان من اللهو فلا تسلموا عليهم ، فإنهم إذا اجتمعوا وأكبوا عليها جاءهم الشيطان بجنوده فأحدق بهم ، كلما ذهب واحد منهم يصرف بصره عنها لكزه الشيطان بجنوده ، فلا يزالون يلعبون حتى يتفرقوا كالكلاب اجتمعت على جيفة فأكلت منها حتى ملأت بطونها ثم تفرقت ، ولأنهم يكذبون عليها فيقولون : شاه مات** » [3] وروى عنه ﷺ أنه قال : « **أشد الناس عذاباً يوم القيامة صاحب الشاه ، يعني صاحب الشطرنج ، ألا تراه يقول : قتلته ، والله مات ، والله افترى ، وكذب على الله** » [4] .

وقال مجاهد : ما من ميت يموت إلا مثل له جلساؤه الذين كان يجالسهم ، فاحتضر رجل ممن كان يلعب الشطرنج فقيل له : قل : لا إله إلا الله فقال : شاهك ثم مات ، فغلب على لسانه ما كان يعتاده حال حياته في اللعب ، فقال عوض كلمة الإخلاص : شاهك . وهذا كما جاء في إنسان أخر ممن كان يجالس شراب الخمر أنه حين حضره الموت فجاءه إنسان يلقنه الشهادة فقال له : اشرب واسقني ثم مات فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وهذا كما في حديث مروي : « **يموت كل إنسان على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عيه** » [5] ، فنسأل الله المنان بفضله أن يتوفانا مسلمين لا مبدلين ولا مغيرين ولا ضالين ولا زائغين إنه جواد كريم.

***

---

(١) رواه البيهقي في السنن (١٠/ ٢١٢) والشعب (٦٥٢٠) بسند ضعيف انظر الإرواء (٢٦٧٢) .

(٢) موضوع : رواه ابن حبان فى المجروحين (٢/ ٢٩٧) وابن الجوزى فى العلل المتناهية ، انظر الإرواء (٢٦٠١) .

(٣) لم أعثر عليه وقال المنذري وقد ورد ذكر الشطرنج في أحاديث لا أعلم صحتها.

(٤) لم أعثر عليه .

(٥) صحيح : رواه أحمد (٣/ ٣٣١ ، ٣٦٦) ومسلم (٢٨٧٨) عن جابر بلفظ «يبعث كل عبد على ما مات عليه ».

الكبيرة الحادية والعشرون
قذف المحصنات

قال الله تعالى: ﴿ إنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١). وقال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٢).

بين الله تعالى في الآية أن من قذف امرأة محصنة حرة عفيفة عن الزنا والفاحشة أنه ملعون في الدنيا والآخرة وله عذاب عظيم، وعليه في الدنيا الحد ثمانون جلدة وتسقط شهادته وإن كان عدلا. وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» (٣) فذكر منها قذف المحصنات الغافلات المؤمنات.

الكبيرة الحادية والعشرون
قذف المحصنات

الأعراض أيضًا محترمة. لا يحل للمسلم أن يغتاب أخاه أو أن يقذفه. بل إن القاذف إذا قذف شخصًا عفيفًا بعيدًا عن التهمة وقال: يا زاني أو أنت زاني أو أنت لوطي أوما أشبه. فإما أن يأتي بأربعة شهداء يشهدون على الزنى صريحًا وإلا فإن هذا القاذف يعاقب بثلاث عقوبات:

العقوبة الأولى: أن يجلد ثمانين جلدة.

والعقوبة الثانية: أن لا تقبل له شهادة أبدًا كلما شهد عند القاضي ترد شهادته. سواء شهد بالدماء أو شهد برؤية الهلال أو شهد بأي شيء آخر يرفض القاضي شهادته ويردها.

---

(١) سورة النور: ٢٣ ـ ٢٤.

(٢) سورة النور: ٤.

(٣) سبق تخريجه.

والقذف أن يقول لامرأة أجنبية حرة عفيفة مسلمة : يا زانية ، أو يا باغية ، أو يا قحبة . أو يقول لزوجها : يا زوج القحبة ، أو يقول لولدها : يا ولد الزانية أو يا ابن القحبة . أو يقول لبنتها : يا بنت الزانية ، أو يا بنت القحبة . فإن القحبة عبارة عن الزانية ، فإذا قال ذلك أحد من رجل أو امرأة لرجل أو لامرأة كمن قال لرجل يا زاني ، أو قال لصبي حر : يا علق ، أو يا منكوح ، وجب عليه الحد ثمانون جلدة، إلا أن يقيم البينة بذلك ، والبينة كما قال الله تعالى : أربعة شهداء يشهدون على صدقه فيما قذف به تلك المرأة أو ذاك الرجل ، فإن لم يقم البينة جلد إذا طالبته بذلك التي قذفها أو إذا طالبه بذلك الذي قذفه ، وكذلك إذا قذف مملوكه أو جاريته بأن قال لمملوكه : يا زاني أو لجاريته يا زانية أو يا باغية أو يا قحبة ، لم ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **من قذف مملوكه بالزنا أقيم عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال** » [(1)] . وكثير من الجهال واقعون في هذا الكلام الفاحش الذي عليهم العقوبة في الدنيا والآخرة ولهذا لما ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال :« **إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب** »[(2)] . فقال له معاذ بن جبل : يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال : « **ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكب الناس في النار**

العقوبة الثالثة : الفسق أن يكون فاسقًا بعد أن كان عدلاً فلا يزوج ابنته ولا أخيه ولا يتقدم إمامًا في المسلمين عند كثير من العلماء . ولا يولى أي ولاية لأنه صار فاسقًا . هذه عقوبة من يرمي شخصًا بالزنى أو باللواط .

إلا أن يأتي بأربعة شهداء . قال الله تعالى : ﴿ **لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ** ﴾ [النور : ١٣].

حتى لو فرض أن هذا الرجل من أصدق الناس ولم يأت بأربعة شهداء . فإنه يجلد ثمانين جلدة .

ولهذا شهد أربعة من الرجال على رجل بأنه زنى عند عمر بن الخطاب فجاء بهم عمر

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٨٥٨) ومسلم (١٦٦٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه

(٢) صحيح : رواه البخاري (٦٤٧٧) ومسلم (٢٩٨٨) عنه أيضًا .

على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم؟»[1] وفي الحديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت»[2] . وقال الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[3] وقال عقبة بن عامر : يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك وإن أبعد الناس إلى الله القلب القاسي»[4] .

وقال ﷺ : «إن أبغض الناس إلى الله الفاحش البذيء الذي يتكلم بالفحش ورديء الكلام»[5] ، وقانا وإياكم شر ألسنتنا بمنه وكرمه إنه جواد كريم .

***

فسألهم . قال للأول : تشهد أنه زنى ؟ قال : نعم . قال : تشهد أنك رأيت ذكره في فرجها غائبًا كما يغيب المرود في المكحلة ؟ قال : نعم . فجاء بالثاني . قال : نعم فجاء بالثالث . قال : نعم . فجاء بالرابع فتوقف . قال : أنا لا أشهد بالزنى لكني رأيت أمرًا منكرًا . قال : رأيت رجلاً يتحرك على امرأة يتحرك كتحرك المجامع . لكن لا أشهد . فجلد الثلاثة الأولين على ثمانين جلدة . لأنه تبين أنهم كذبة وأطلق الرابع .

فالأعراض من أشد الأشياء حرمة . ولهذا كما سمعتم قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾ [النور: ٤٠] .

هذه هي العقوبة الأولى .

﴿وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ﴾ وهذه هي الثانية .

﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ . وهذه هي الثالثة .

﴿ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور:٥] يعني : لا يكونوا فساقًا . لكن بشرط التوبة والإصلاح .

ما يكفي أن يقول : أنا تائب حتى ننظر هذا الرجل أصلح أم لم يصلح ؟

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٦١٦) وابن ماجه (٣٩٧٣) وصححه الألباني الإرواء (٤١٣).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٦٠١٨) ومسلم (٤٧) عنه أيضًا .

(٣) سورة ق ١٨ .

(٤) صحيح: رواه الترمذي(٢٤٠٦)وأحمد(١٤٨/٥، ١٤٩، ٢٥٩)صحيح الجامع (١٣٨٨) .

(٥) صحيح : ورد بغير هذا اللفظ عند الترمذي (٢٠٤٣ ٩ وأحمد (١/ ٤٠٥) ليس المؤمن باللعان ولا الفاحش البذيء وصححه الشيخ في صحيح الجامع ٥٣٨١ .

الكبيرة الثانية والعشرون

الغلول من الغنيمة

وهي من بيت المال ومن الزكاة . قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [(١)] ، وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [(٢)] .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال : قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره ، ثم قال : « **لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول : يا رسول الله أغثني ، فأقول لا أملك لك من الله شيئًا قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول : يا رسول أغثني ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئًا قد أبلغتك . لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول : يا رسول الله أغثني ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئًا قد أبلغتك . لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول يا رسول الله أغثني ، فأقول لا أملك من الله شيئًا قد أبلغتك . لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته رقاع يخفق ، فيقول : يا رسول الله أغثني ، فأقول : لا أملك لك**

الكبيرة الثانية والعشرون

الغلــول

فالجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام . كما أخبر بذلك النبي ﷺ والشهادة في سبيل الله تكفر كل شيء إلا الدين .

---

(١) سورة الأنفال : ٥٨ .

(٢) سورة آل عمران : ١٦١ .

من الله شيئًا قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت ، فيقول: يا رسول الله أغثني ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئًا قد أبلغتك »(١) .
أخرج هذا الحديث مسلم.

(قوله) : على رقبته رقاع تخفق - أي ثياب وقماش ، (قوله » : « على رقبته صامت - أي من ذهب أو فضة ، فمن أخذ شيئا من هذه الأنواع المذكورة من الغنيمة قبل أن تقسم بين الغانمين ، أو من بيت المال بغير إذن الإمام ، أومن الزكاة التي تجمع للفقراء جاء يوم القيامة حاملة على رقبته ، كما ذكر الله تعالى في القرآن : ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾(٢) .

ولقول النبي ﷺ : « أدوا الخيط والمخيط وإياكم والغلول فإنه عار على صاحبه يوم القيامة »(٣) ولقول النبي ﷺ لما استعمل ابن اللتبية على الصدقة وقدم ، وقال : هذا لكم وهذا أهدى لي . فصعد النبي ﷺ المنبر وحمد الله وأثنى عليه إلى أن قال:

وكذلك إذا غل الإنسان شيئًا مما غنمه فإنه لا يقال له : شهيد .

والبردة : نوع من الثياب . والعباءة معروفة . غلها : يعني كتمها . غنمها من أموال الكفار وقت القتال ،فكتمها يريد أن يختص بها لنفسه فعذب بها في نار جهنم . وانتفت عنه هذه الصفة العظيمة وهي الشهادة لأن النبي ﷺ قال : «كلا» يعني ليس بشهيد .

لأنه غل هذا الشيء البسيط . فأحبط جهاده وصار في النار قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [آل عمران : ١٦١] .

ففي هذا دليل على أنه لا ينبغي لنا أن نحكم على شخص بأنه شهيد . وإن قتل في

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٤٢٦) والبخاري (٣٠٧٣) ومسلم (١٨٣١) .
(٢) سورة آل عمران : ١٦١ .
(٣) صحيح : رواه أحمد (٥/ ٣١٨ ، ٣١٩) والترمذي (١٥٦١) والنسائي (٧/ ١٣١) وابن ماجه (٢٨٥٢) عن عبادة بن الصامت وصحح إسناده الشيخ الألباني في الإرواء (٥/ ٧٤ - ٧٥). السلسلة الصحيحة (٩٨٥) .

« والله لا يأخذ أحد منكم شيئًا بغير حقه إلا جاء يوم القيامة يحمله ، فلا أعرف رجلا منكم لقي الله يحمل بعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاه تيعر ، ثم رفع يده ﷺ فقال: اللهم هل بلغت ؟ » [(١)] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر (ففتح علينا) فلم نغنم ذهبا ولا ورقا ، غنمنا المتاع (الطعام) والثياب ، ثم انطلقنا إلى الوادي (يعني وادي القرى) ومع رسول الله ﷺ عبد وهبه له رجل من بني جذام (يدعى رفاعة بن يزيد من بني الضبيب) ، فلما نزلنا (الوادي) قام عبد رسول الله ﷺ يحل رحله ، فرمى بسهم فكان فيه حتفه ، فقلنا : هنيئًا له بالشهادة يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : **« كلا والذي نفسي بيده إن الشملة لتلتهب عليه نارا ، أخذها من الغنائم لم تصبها المقاسم »** . قال : ففزع الناس فجاء رجل بشراك أو شراكين (فقال: أصبت يوم خيبر) . فقال رسول الله ﷺ : **« شراك أو شراكان من نار »** متفق عليه[(٢)] . وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : كان على ثقل رسول الله ﷺ رجل يقال له كركرة فمات ، فقال النبي ﷺ : **« هو في النار »** فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءة قد غلها [(٣)] .

وعن زيد بن خالد الجهني أن رجلاً غل في غزوة خيبر فامتنع النبي ﷺ من الصلاة عليه ، وقال : **« إن صاحبكم غل في سبيل الله »** . قال : ففتشنا متاعه فوجدنا فيه خرزًا من خرز اليهود ما يساوى درهمين [(٤)] .

معركة بين المسلمين والكفار . لا نقول فلان شهيد . لاحتمال أن يكون غل شيئًا من الغنائم أو الفيء ولو غل قرشًا واحدًا . ولو مسمارًا زال عنه اسم الشهادة وكذلك

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٥٩٧) ومسلم (١٨٣٢) .

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤٢٣٤ ـ ٦٠٧٧) ومسلم (١١٥) .

(٣) صحيح: رواه البخاري (٣٠٧٤) وأحمد (٢/ ١٦٠) .

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٢٧١٠) والنسائي (٤/ ٦٤) وابن ماجه (٢٨٤٨) وصححه الألباني فى أحكام الجنائز (٧٩)، الإرواء (٧٢٦) والتعليق الرغيب (٢/ ١٨٩) .

قال الإمام أحمد رحمه الله : ما نعلم أن النبي ﷺ امتنع عن الصلاة على أحد إلا الغال ، وقاتل نفسه [١] . وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « **هدايا العمال غلول**»[٢] وفي الباب أحاديث كثيرة ويأتي بعضها في باب الظلم ، والظلم على ثلاثة أقسام : (**أحدها**) أكل المال بالباطل ، (وثانيها) : ظلم العباد بالقتل والضرب والكسر والجراح، و(ثالثها) : ظلم العباد بالشتم واللعن والسب والقذف . وقد خطب النبي ﷺ بمنى فقال : « **ألا إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا** » متفق عليه [٣] .

وقال ﷺ : « **لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول** » [٤] فنسأل الله لتوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم .

***

لاحتمال أن تكون نيته غيرصواب بأن ينوي بذلك الحمية أوأن يرى مكانه.

(١) صحيح: ورد أن النبيﷺ ترك الصلاة على من عليه دين وذلك في أول الإسلام ثم لما فتح الله عليه قال : « أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن توفى وعليه دين فعليّ قضاؤه » ومن ترك مالا فهور لورثته » رواه أحمد (٢/ ٢٩٠) مسلم (١٦١٩) وروى البخاري نحوه (٥٣٧١).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٥/ ٤٢٤) وابن عدي (١/ ٣٠٠) والبيهقي (١٠/ ١٣٨) وصححه الألباني في الإرواء (٢٦٢٢) .

(٣) صحيح: رواه البخاري (١٠٥ ، ١٧٤١) ومسلم (١٦٧٩) .

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٢٤) والترمذي (١) وابن ماجه (٢٧٣ ، ٢٧١) .

الكبيرة الثالثة والعشرون

السرقــة

قال الله تعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١) .

قال ابن شهاب : نكل الله بالقطع في سرقة أموال الناس ، والله عزيز في إنتقامه من السارق ، حكيم فيما أوجبه من قطع يده .

وقال ﷺ : « **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولكن التوبة معروضة** » (٢) ، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قطع في مجن قيمته ثلاث دراهم(٣)، وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يقطع يد السارق في ربع دينار فصاعدا (٤) . وفي رواية قال رسول الله ﷺ : « **لا يقطع يد السارق فيما دون ثمن المجن** » . قيل لعائشة رضي الله عنها : وما ثمن المجن ؟

الكبيرة الثالثة والعشرون

السرقـــــة

حديث عائشة رضي الله عنها أن امرأة من بني مخزوم سرقت وقد ببينت السرقة بأنها تستعير المتاع وتجحده . يعني تأتي إلى الناس وتقول : أعرني القدر . أعرني الدلو فيعيرونها إحسانًا إليهم ثم تجحد العارية وتقول ما أعرتموني .

---

(١) سورة المائدة : ٣٨ .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) صحيح : رواه البخاري (٩٥ ، ٩٦ ، ٩٨) ومسلم (١٦٨٦) .

(٤) صحيح : رواه البخاري (٦٧٨٩ ، ٦٧٩٠) ومسلم (٦٨٤) .

قالت: ربع دينار [١] . وفي رواية قال : « **اقطعوا في ربع دينار ولا تقطعوا فيما دون ذلك** » [٢] كان ربا الدينار يومئذ ثلاثة دراهم والدينار اثني عشر درهما) .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده** » [٣] . قال الأعمش : كانوا يرون أنه بيض الحديد ، والحبل كانوا يرون أن منها ما يساوي ثمنه ثلاثة دراهم.

فجعل النبي ﷺ جحد العارية في منزلة السرقة . لأن السارق يدخل البيوت في خفية ويأخذ وهذه سرقت أموال الناس في خفية . أخذتها منهم على أنها عارية . وأنها إحسان من أهلها أي من أهل الأموال ثم تجحد .

أمر النبي ﷺ أن تقطع يدها . وكانت من بني مخزوم من أشرف قبائل قريش فأهمهم ذلك أي لحقهم الهم في هذا كيف تقطع يد المخزومية ؟ فطلبوا من يشفع إلى رسول الله ﷺ فقالوا : من يجتريء عليه إلا أسامة بن زيد ؟ ولم يذكروا أبا بكر ولا عمرولا عثمان ولا من هو أعلى قدرًا من أسامة بن زيد . فإما أن يكونوا قد حاولوا ذلك ولم يفلحوا وإما أن يكونوا من الأصل علموا أنهم لن يشفعوا في حد من حدود الله .

المهم أنهم طلبوا من أسامة بن زيد ﷺ وأسامة هو أسامة بن زيد ابن حارثة . وزيد ابن حارثة كان عبدًا مملوكًا وهبته خديجة إلى النبي ﷺ فأعتقه وكان يحبه ويحب ابنه أسامة. تكلم أسامة مع النبي ﷺ في شأن المرأة لعله يرفع عنها القطع . فتلون وجه رسول الله ﷺ تغير لونه وقال له منكرًا عليه : « **أتشفع في حد من حدود الله** » . يعني ما كان ينبغي أن تشفع في حد من حدود الله .

ثم قام فاختطب أي خطب خطبة بليغة . لأن اختطب أبلغ من خطب . لزيادة الهمزة والتاء .

وقد قال علماء اللغة : إن زيادة المبني تدل على زيادة المعنى . يعني زيادة الحروف في

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٦٧٩٢ ، ٦٧٩٣ ، ٦٧٩) ومسلم (١٦٨٥) .

(٢) صحيح : رواه أحمد (٦/ ٨٠) والطبراني في الأوسط (٨/ ٣٠٦) .

(٣) صحيح : رواه البخاري (٦٧٨٣ ، ٦٧٩٩) ومسلم (١٦٨٧) .

وعن عائشة ﵂ قالت : كانت مخزومية تستعير المتاع وتجحده فأمر النبي ﷺ بقطع يده فأتى أهلها أسامة بن زيد فكلموا فيها فكلم النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ : « **يا أسامة لا أراك تشفع في حد من حدود الله تعالى** » ثم قام النبي ﷺ خطيبا فقال: « **إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها** » فقطع يد المخزومية [1] .

الكلمة تدل على زيادة معناه .

المهم أن قوله : اختطب . يعني خطب خطبة بليغة . ثم قال : « **إنما أهلك من كان قبلكم - يعني من الأمم - أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد** » . أهلكهم : يعني بذنوبهم بالعذاب والعقوبات .

إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . فصارت إقامتهم لحدود الله على حسب أهوائهم وفي هذا دليل على أن من سبقنا كانوا يسرقون وأن السرقة كبيرة فيهم بين الغني والفقير والشريف والضعيف .

ثم أقسم عليه الصلاة والسلام وهو البار الصادق بدون قسم أقسم قال : « **وأيم الله - أي : أحلف بالله - لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها** » .

اللهم صلى وسلم عليه هكذا العدالة . وهكذا تنفيذ حكم الله لا اتباع الهوى . أقسم بأن فاطمة بنت محمد وهي أشرف من المخزومية حسبًا ونسبًا . لأنها ﵂ سيدة نساء أهل الجنة. أقسم أنها لو سرقت لقطع يدها .

وفي قوله : « لقطعت يدها » قولان :

القول الأول : أن الرسول ﷺ نفسه يباشر القطع وهذا أبلغ .

الثاني : أنه يأمر من يقطع يدها .

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٧٨٨) ومسلم (١٦٨٨) .

وعن عبد الرحمن بن جرير قال : سألنا فضالة بن عبيد عن تعليق يد السارق في عنقه أمن السنة ؟ قال: أتى رسول الله ﷺ بسارق فقطع يده ثم أمر بها فعلقت في عنقه [1] . قال العلماء : ولا تنفع السارق توبته إلا أن يرد ما سرقه ، فإما كان

وأيا كان فإن الرسول ﷺ لا يمكن أن يدرأ الحد عن أحد لشرفه ومكانته أبدًا. الحد حق الله عز وجل : « **وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد لسرقت لقطعت يدها** » ثم أمر النبي ﷺ أن تقطع يد المرأة المخزومية فقطعت . وهكذا يجب على ولاة الأمور أن يكون الناس عندهم سواء في إقامة الحدود وألا يحابوا أحدًا لقربه أو لغناه أو لشرفه في قبيلته أو غير ذلك . الحد لله عز وجل تجب إقامته لله عز وجل انظر إلى قوله تعالى : ﴿ والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهم مائة جلدة ولا تأخذكم بهم رأفة في دين الله ﴾ .

ومن الرأفة الشفاعة لهم لا تشفع لأحد في حد أقمه ولا ترفق به ولا ترجمه . لا تقل هذا شريف . هذا ضعيف هذا أبو أولاد . أبدًا لا يهمك يعني لو زنى إنسان وهو محصن وثبت عليه الحد وله أولاد صغار وزوجات سوف يكون أرمل بعده والأولاد أيتامًا بعده . لا تبالي بهذا . أقم الحد عليه ارجمه حتى يموت ولا تقل هذا له أولاد صغار وزوجات . لا يهمك هذا . أقم الحد على كل من أتى بمعصية توجب الحد.

ولما كانت الأمة الإسلامية على هذه العدالة وعدم المبالاة وأنها لا تأخذها في الله لومة لائم كان لها العزة والقوة والنصر المبين ولما تخلت الأمة الإسلامية عن إقامة حدود الله وصارت المحسوبيات والوساطات تعمل عملها في إسقاط حدود الله عز وجل تدهورت الأمة الإسلامية إلى الحد الذي ترونه الآن . فنسأل الله تعالى أن يُعيد للأمة الإسلامية مجدها وتمسكها بدينها إنه على كل شيء قدير .

وبعد ذلك أن النبي ﷺ لعن السارق يسر البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده والسارق هو الذي يأخذ المال بخفية من حرز مثله . مثل أن يأتي بالليل أو في غفلة الناس فيفتح الأبواب ويسرق . هذا السارق إذا سرق نصابًا وهو ربع دينار أو ما يساويه من

---

(١) ضعيف : رواه أبو داود (٤٤١١) والترمذي (١٤٤٧) والنسائي (٨/ ٩٢) وابن ماجه (٢٥٨٧) وضعفه الشيخ في الإرواء (٢٤٣٢).

مفلسًا تحلل من صاحب المال ، والله أعلم .

***

الدراهم أو المتاع فإنها تقطع يده . يده اليمنى من مفصل الكف . لقول الله تعالى : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة : ٣٨] .

ولا فرق بين أن يكون السارق شريفًا أو وضيعًا أو ذكرًا أو أنثى وفي هذا الحديث يقول: يسرق البيضة ، والبيضة لاتبلغ نصاب السرقة . لأن نصاب السرقة ربع دينار . فكيف قال يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده .

قال بعض العلماء : إن المراد بالبيضة هنا بيضة الرأس الذي يجعلها الإنسان عند القتال على رأسه تقيه السهام . وهي مثمنة تساوي ربع دينار أو أكثر . والمراد بالحبل حبل السفن الذي تربط به في المرسى حتى لا تأخذها الأمواج . وهو أيضًا ذو قيمة .

وقال بعض العلماء : المراد بالبيضة بيضة الدجاجة لأن النبي ﷺ أطلقها . والبيضة عند الإطلاق لا يفهم منها إلا بيضة الدجاجة .

والحبل هو الحبل الذي يربط به الحطب وما أشبه ذلك . ولكن الرسول ﷺ قال : تقطع يده لأنه إذا اعتاد سرقة الصغير تجرأ على سرقة الغالي والمثمن . فقطعت يده وهذا أقرب إلى الصواب أن السارق ـ والعياذ بالله ـ إذا سرق الشيء اليسير تجرأ فسرق الشيء الكبير فتقطع يده .

الكبيرة الرابعة والعشرون
قطع الطريق

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ ﴾(١) .

قال الواحدي رحمه الله : معنى يحاربون الله ورسوله يعصونهما ولا يطيعونهما. كل من عصاك فهو محارب لك ، ويسعون في الأرض فساداً أي بالقتل والسرقة وأخذ الأموال ، وكل من أخذ السلاح على المؤمنين فهو محارب لله ورسوله وهذا قول مالك والأوزاعي والشافعي . (قوله تعالى) : ﴿أَن يُقَتَّلُوا ﴾ إلى قوله : ﴿أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ﴾ قال الوالبي عن ابن عباس رضي الله عنهما (أو) أدخلت للتخيير ومعناها الإباحة ، إن شاء الإمام قتل ، وإن شاء صلب ، وإن شاء نفى ، وهذا قول الحس وسعيد بن المسيب ومجاهد.

وقال في رواية عطية أو ليست للإباحة ، إنما هي مرتبة للحكم باختلاف الجنايات

الكبيرة الرابعة والعشرون
قطع الطريق

ـ الله ـ فرض عقوبة المحاربين لله ورسوله وهم قطاع الطرق الذين يعرضون للناس بالقوة ويأخذون أموالهم أويجمعون بين أخذ المال وقتل النفس فقال : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ ﴾ [المائدة: ٣٣] فإذا

---

(١) سورة المائدة : ٣٣.

فمن قتل وأخذ المال قتل وصلب. ومن أخذ المال ولم يقتل قطع ، ومن سفك الدماء وكف عن الأموال قتل ، ومن أخاف السبيل ولم يقتل نفى من الأرض ، وهذا مذهب الشافعي رضي الله عنه.

وقال الشافعي أيضا : يحد كل واحد بقدر فعله . فمن وجب عليه القتل والصلب قتل قبل صلبه كراهية تعذيبه ويصلب ثلاثا ثم ينزل ، ومن وجب عليه القتل دون الصلب قتل ودفع إلى أهله يدفنونه ، ومن وجب عليه القطع دون القتل فقطعت يده اليمنى ثم حسمت ، فإن عاد وسرق ثانيا قطعت رجله اليسرى ، فإن عاد وسرق قطعت يده اليسرى ، لما روى عن النبي ﷺ قال في السارق : « **إن سرق فاقطعوا يده ، ثم إن سرق فاقطعوا رجله ، ثم إن سرق فاقطعوا يده ، ثم إن سرق فاقطعوا رجله** »[1]. ولأنه فعل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ولا مخالف لهما من الصحابة[2]، ووجه كونها اليسرى اتفاق من صار إلى قطع الرجل بعد اليد على أنها اليسرى وذلك معنى قوله تعالى ﴿ **مِنْ خِلَافٍ** ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ **أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ** ﴾ . قال ابن عباس : هو أن يهدر الإمام دمه فيقول من لقيه فليقتله ، هذا فيمن يقدر عليه ، فأما من قبض عليه فنفيه من الأرض الحبس والسجن، لأنه إذا حبس ومنع من التقلب في البلاد فقد نفى منها . أنشد ابن

قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلوا وإذا قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا بدون صلب ، وإذا أخذوا المال ولم يقتلوا قطعت أيديهم اليمنى من مفصل الكف وأرجلهم اليسرى من مفصل العقب ، وإذا لم يأخذوا المال ولم يقتلوا بل أخافوا الناس فقط أبعدوا عن البلاد حتى ينكف شرهم فإن لم ينكف بذلك حبسوا ، وإنما استحق قطاع الطريق هذه العقوبة لعظم جريمتهم وعدوانهم وإخلالهم بالأمن .

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٤١٠) والنسائي (٨/ ٩٠) والبيهقي (٨/ ٢٧٢) وصححه الألباني في الإرواء ٢٤٣٤ .

(٢) **صحيح** :رواه ابن أبي شيبة (١١/ ٦١/ ٢) والبيهقي (٨/ ٢٧٣) وصححه الألباني في الإرواء (٢٤٣٩) .

قتيبة لبعض المسجونين شعرا :

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى

إذا جاءنا السجان يومًا لحاجـــة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيـا

قال : فبمجرد قطع الطريق وإخافة السبيل قد ارتكب الكبيرة فكيف إذا أخذ المال أو جرح أو قتل ؟ فقد فعل عدة كبائر مع ما غالبهم عليه من ترك الصلاة وإنفاق ما يأخذونه في الخمر والزنا واللواطة وغير ذلك . نسأل الله العافية من كل بلاء ومحنة، إنه جواد كريم غفور رحيم .

***

الكبيرة الخامسة والعشرون

اليمين الغموس

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [1] .

قال الواحد : نزلت في رجلين اختصما إلى النبي ﷺ في ضيعة ، فهم المدعي عليه أن يحلف ، فأنزل الله هذه الآية فنكل المدعي عليه عن اليمين وأقر للمدعي بحقه[2]. وعن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « **من حلف على يمين وهو فيها فاجر ليقتطع بها مال امرىء مسلم لقى الله تعالى وهو عليه غضبان** » . قال الأشعث: في والله نزلت ، كان بيني وبين رجل يهودي أرض فجحدني ، فقدمته إلى النبي ﷺ، فقال : ألك بينة ؟ قلت : لا ، قال اليهودي : احلف . قلت يا رسول الله إنه

الكبيرة الخامسة والعشرون

اليمين الكاذبة

وذلك أن الإنسان يجب عليه إذا حلف بالله أن يكون صادقًا سواء حلف على أمر يتعلق به أو على أمر يتعلق بغيره .

فإن حلف على يمين وهو فيها كاذب فإن كان يقتطع بها مال امرىء مسلم ولو يسيرًا . فإنه يلقى الله يوم القيامة وهو عليه غضبان مثال ذلك : إنسان ادعى عليه شخص قال : أنا أعطيتك ألف ريال . قال : لا ليس لك عندي شيء . والمدعى ليس عنده بينة . فقال القاضي للمنكر : احلف أنه ليس له عندك شيء . فحلف فقال والله: والله ما له عندى شيء : القاضى سيحكم بأنه لا حق له عليه لأن البينة على من ادعى واليمين على من أنكر فهذا الرجل الذي حلف وهو كاذب يلقى الله وهو عليه غضبان والعياذ بالله. ويحرم عليه الجنة ويدخله النار . نسأل الله العافية .

---

(١) سورة آل عمران : ٧٧ .

(٢) رواه ابن جرير (٧٢٨٣) عن الشعبي .

إذن يحلف فيذهب بمالي . فأنزل الله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً** ﴾ (١) أي : عرضا يسيرًا من الدينا وهما يحلفون عليه كاذبين ﴿ **أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ** ﴾ أي : لا نصيب لهم في الآخرة ﴿ **وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ** ﴾ أي : بكلام يسرهم ﴿ **وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ** ﴾ نظرا يسرهم ، يعني نظر الرحمة ﴿ **وَلا يُزَكِّيهِمْ** ﴾ ولا يزيدهم خيرا ولا يثني عليهم ، وعن عبد الله بن مسعود قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **من حلف على مال امريء مسلم بغير حق لقى الله وهو عليه غضبان** ». قال عبد الله : ثم قرأ علينا رسول الله ﷺ تصديقه من كتاب الله : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً** ﴾ إلى أخر الآية أخرجاه في الصحيحين (٢) . وعن أبي أمامة قال : كنا عند رسول الله ﷺ ، فقال: « **من اقتطع حق امريء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة** » فقال رجل : وإن كان يسيرًا يا رسول الله ؟ قال : « **وإن كان قضيبًا من أراك** » أخرجه مسلم في صحيحه (٣) . قال حفص بن ميسرة : ما أشد هذا الحديث . فقال أليس في كتاب الله تعالى : ﴿ **أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ** ﴾ ؟ الآية . وعن أبي ذر عن النبي ﷺ قال : « **لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا**

حتى قالوا : يا رسول الله وإن كان شيئًا يسيرًا . قال : وإن كان قضيبًا من أراك] قضيب : ما يملأ اليد من علف أو أعواد وما أشبه ذلك . يعني حتى ولو كان كذلك . أو إن القضيب هو العود الواحد من الأراك يعني من المساويك . حتى أن الإنسان إذا حلف على يمين يقتـطع بها مال امريء مسلم ولوعودًا من أراك . فإنه يحصل على هذا الوعيد الشديد. والعياذ بالله .

وأما ما يتعلق بنفسه مثل أن يقال له إنك فعلت كذا . فقال : والله ما فعلت وهو كاذب فهذا إن كان كاذبًا فإنه لا يستحق هذا الوعيد لكنه والعياذ بالله آثم . جمع بين

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٢٥١٦ ، ٢٣٥٧) ومسلم (١٣٨) .

(٢)صحيح : رواه البخاري (٧٤٤٥) ومسلم (١٣٨) .

(٣) صحيح : رواه مسلم (١٣٧) وأحمد (٥/ ٢٦٠) وابن ماجه (٢٣٢٤) .

يزكيهم ولهم عذاب أليم » فقرأ بها رسول الله ﷺ ثلاث مرات ، فقال أبو ذر : خابوا وخسروا يا رسول الله من هم ؟ قال: « المسبل ، والمنان ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»[1].

وقال ﷺ : « **الكبائر الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، واليمين الغموس** » أخرجه البخاري في صحيحه [2] والغموس هي التي يتعمد الكذب فيها ، سميت غموسًا لأنها تغمس الحالف في الإثم ، وقيل تغمسه في النار .

فصل

ومن ذلك الحلف بغير الله عز وجل كالنبي والكعبة والملائكة والسماء والماء والحياة والأمانة ، وهي من أشد ماهنا ، والروح والرأس وحياة السلطان ونعمة السلطان وتربة فلان . عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « **إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن حلف فليحلف بالله أو ليصمت**» [3] .وفي رواية في الصحيح: «**فمن كان حالفا فلا يحلف إلا بالله أو ليسكت** » [4] . وعن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **لا تحلفوا بالطواغي ولا بآبائكم** » رواه مسلم[5]. الطواغي : جمع طاغية وهي الأصنام ، ومنه الحديث : هذه طاغية دوس [6] أي صنمهم معبودهم . وعن بريدة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من حلف**

الكذب وبين الحلف بالله عز وجل كاذبًا . فتتضاعف عليه العقوبة .

فعلى المسلم أن يكون محترمًا لله عز وجل معظمًا له لا يكثر اليمين وإذا حلف فليكن صادقًا حتى يكون بارًا بيمينه .

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٥/ ١٤٨ ، ١٦٢) ومسلم (١٠٦) .

(٢) صحيح: رواه البخاري (٦٦٧٥) عن ابن عمرو .

(٣، ٤) صحيح: رواه البخاري (٣٨٣٦ ، ٦١٠٨ ، ٦٦٤٦ ، ٦٦٤٨) ومسلم (١٦٤٦) .

(٥) صحيح: رواه مسلم (١٦٤٨) .

رواه البخاري (٧١١٦) .

بالأمانة فليس منا » رواه أبو داود وغيره [١] ، وعنه ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **من حلف فقال إني بريء من الإسلام ، فإن كان كاذبًا فهو كما قال ، وإن كان صادقًا فلن يرجع إلى الإسلام سالما** » [٢] وعن ابن عمر ﷺ أنه سمع رجلاً يقول : والكعبة ، فقال : لا تحلف بغير الله فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك » رواه الترمذي وحسنه ابن حبان في صحيحه والحاكم ، وقال : صحيح على شرطهما [٣] . قال : وفسر بعض العلماء قوله : « كفر أو أشرك» على التغليظ كما روى عن النبي ﷺ أنه قال : « **الرياء شرك** » ، وقال ﷺ: « **من حلف فقال في حلفه : واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله** »[٤]، وقدكان في الصحابة من هو حديث عهد بالحلف بها قبل إسلامه ، فربما سبق لسانه إلى الحلف بها فأمره النبي ﷺ أن يبادر بقول : لا إله إلا الله ليكفر بذلك ما سبق إلى لسانه ، وبالله التوفيق .

***

(١) صحيح: رواه أحمد (٥/ ٣٥٢) وأبود اود (٣٢٥٣) وصححه الشيخ في صحيح الجامع (٦٢٠٣).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٥/ ٣٣٥ ، ٣٥٦) والنسائي (٢/ ١٤٠) وابن ماجه (٢٠٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٢١) .

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢/ ١٢٥) وأبو داود (٣٢٥١) والترمذي (١٥٣٥) وصححه الشيخ في صحيح الجامع (٢٦٠٤) .

(٤) صحيح: رواه البخاري (٦١٠٧) ومسلم (١٦٤٧) .

الكبيرة السادسة والعشرون

الظلم

أكل أموال الناس، وأخذها ظلما، وظلم الناس بالضرب والشتم والتعدي والاستطالة على الضعفاء.

قال الله تعالى: ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٤٣) وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ (٤٤) وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ ﴾ [1] وقال الله تعالى: ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [2]. وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ ﴾ [الشورى: ٤٢].

وقال ﷺ: « إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ». ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [3].

الكبيرة السادسة والعشرون

الظلـــم

اعلم أن الظلم هو النقص. قال الله تعالى: ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا﴾ [الكهف: ٣٣].

يعني لم تنقص منه شيئًا. والنقص إما أن يكون بالتجرؤ على مالا يجوز للإنسان. وإما بالتفريط فيما يجب عليه وبذلك يدور الظلم على هذين الأمرين. أما ترك واجب

---

(١) سورة إبراهيم: ٤٢ ـ ٤٥.

(٢) سورة الشعراء: ٢٢٧.

(٣) صحيح رواه البخاري (٤٦٨٦) ومسلم (٢٥٨٣) عن أبي موسى الأشعري.

وقال ﷺ : « **من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو شيء فلتحلله اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولادرهم ، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، فإن لم يكن دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه** » (١).

وقال ﷺ عن ربه تبارك وتعالى أنه قال : « **يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا** » (٢).

وقال رسول الله ﷺ : « **أتدرون من المفلس ؟** » قالوا : يا رسول الله المفلس فينا من لا درهم ولا متاع ، فقال : « **إن المفلس من أمتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام وحج ، فيأتي وقد شتم هذا ، وأخذ مال هذا ، ونبش عن عرض هذا ، وضرب هذا ، وسفك دم هذا . فيؤخذ لهذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته**

وإما فعل محرم .

والظلم نوعان : ظلم يتعلق بحقوق الله عز وجل ، وظلم يتعلق بحقوق العباد . وأعظمها المتعلق بحقوق الله عز وجل والإشراك به . فإن النبي ﷺ سئل أي الذنب أعظم؟ فقال : « أن تجعل لله ندًا وهو خلقك » ويليه الظلم في الكبائر ثم الظلم في الصغائر.

أما في حقوق الله فالظلم يدور على ثلاثة أشياء بينها النبي ﷺ في خطبة الوداع . فقال : « **إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا** » سبق تخريجه .

الظلم في النفس هو الظلم في الدماء . يكون بأن يعتدي الإنسان على حق غيره . يسفك الدماء أو الجروح أو ما أشبه ذلك . الظلم في الأموال بأن يعتدي الإنسان ويظلم غيره في الأموال . إما بعدم بذل الواجب وإما بإتيان محرم وإما بأن يمتنع من واجب عليه. وإما بأن يفعل شيئًا محرمًا في مال غيره .

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٤٤٩) وأحمد (٢/ ٤٣٥ ، ٥٠٦) عن أبي هريرة .

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٧) والترمذي (٢٤٩٥) وابن ماجه (٤٢٥٧) .

قبل أن ينقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النار » . وهذه الأحاديث كلها في الصحاح [1] وتقدم حديث : **« إن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة »** [2] وتقدم قوله لمعاذ حين بعثه إلى اليمن : **« واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب »** [3] . وفي الصحيح **« من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين يوم القيامة »** [4] .

وفي بعض الكتب يقول الله تعالى : **« اشتد غضبي على من ظلم من لم يجد له ناصرا غيري »** . وأنشد بعضهم :

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً فالظلم يوجع عقباه إلى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبـــــه يدعو عليك وعين الله لم تنم

وأما الظلم في الأعراض فيشتمل الاعتداء على الغير بالزنى واللواط والقذف وما أشبه ذلك . وكل الظلم بأنواعه محرم ولن يجد الظالم من ينصره أمام الله تعالى . قال الله تعالى : ﴿ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾ أي أنه يوم القيامة لايجد الظالم حميما أي صديقًا ينجيه من عذاب الله ولا يجد شفيعًا يشفع له فيطاع لأنه منبوذ بظلمه وغشمه وعدوانه .وقال تعالى : **﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾**[البقرة : ٢٧٠] .

يعني لا يجدون أنصاراً ينصرونهم ويخرجونهم من عذاب الله سبحانه وتعالى في ذلك اليوم .

حديث جابر بن عبد الله ﷺ أن النبي ﷺ قال : **«اتقوا الظلم »** اتقوا : يعني احذروا والظلم هو كما سبق أن بينا يكون في حق الله ويكون في حق العباد قوله ﷺ : **« اتقوا الظلم »** أي : لا تظلموا أحدًا لا أنفسكم ولا غيركم «فإن الظلم ظلمات يوم القيام » يوم

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٣٠٣ ، ٣٣٤) ومسلم (٢٥٨١) والترمذي (٢٤١٨) عن أبي هريرة .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) صحيح: رواه أحمد (١/ ١٨٨ ،١٨٩) والبخاري (٢٤٥٢) ومسلم (١٦١٠) عن سعيد بن زيد.

وكان بعض السلف يقول : لا تظلم الضعفاء فتكون من أشرار الأقوياء ، وقال أبو هريرة رضي الله عنه : إن الحبارى لتموت في وكرها هزالا من ظلم الظالم . وقيل : مكتوب في التوراة : ينادي مناد من وراء الجسر - يعني الصراط - يا معشر الجبابرة الطغاة ، ويا معشر المترفين الأشقياء إن الله يحلف بعزته وجلاله أن لا يجاوز هذا الجسر اليوم ظالم .

عن جابر قال : لما رجعت مهاجرة الحبشة عام الفتح إلى رسول الله ﷺ قال : **«ألا تخبروني بأعجب ما رأيتم بأرض الحبشة ؟»** فقال فتية كانوا منهم : بلى يا رسول الله بينما نحن يومًا جلوس إذ مرت بنا عجوز من عجائزهم تحمل على رأسها قلة من ماء ، فمرت بفتى منهم فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرت المرأة على ركبتيها وانكسرت قلتها . فلما قامت التفتت إليه ثم قالت : سوف تعلم يا غادر إذا وضع الله الكرسي وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون . سوف تعلم من أمري وأمرك عنده غدا . قال : فقال رسول الله ﷺ : **«صدقت كيف يقدس الله قومًا لا يؤخذ من شديدهم لضعيفهم»**[1] .

إذا ما الظلوم استوطأ الظلم مركبا ولج عتوا في قبيح اكتسابه

القيامة ليس هناك نور إلا من أنار الله تعالى له . وأما من لم يجعل الله له نورًا فما له من نور .

والإنسان إن كان مسلمًا فله نور بقدر إسلامه . ولكن إن كان ظالمًا فقد من هذا النور بمقدار ما حصل من الظلم لقوله ﷺ : **« اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»**[2] .

ومن الظلم : مطل الغنى يعني أن لا يوفي الإنسان ما عليه وهو غني به لقوله ﷺ : **«مطل الغنى ظلم »**[3] .

وما أكثر الذين يماطلون في حقوق الناس يأتي إليه صاحب الحق فيقول : يا فلان

---

(١) صحيح : رواه ابن ماجه (٤٠١٠) وابن حبان (٥٠٥٨) وصححه الألباني في مختصر العلو (٥٩/ ٤٦) وصحيح الجامع (٤٥٩٧ ، ٤٥٩٨) .

(٢) صحيح : رواه مسم (٢٥٧٨) .

(٣) صحيح : رواه أحمد (٢/ ٢٧٩) والبخارى (٢٢٨٧) ومسم(١٥٦٤).

فكله إلى صرف الزمان وعـــدله سيبدو له مالم يكن في حسابه

وروى عن النبي ﷺ أنه قال : « **خمسة غضب الله عليهم إن شاء أمضى غضبه عليهم في الدنيا وإلا أمر بهم في الآخرة إلى النار : أمير قوم يأخذ حقه من رعيته ولا ينصفهم من نفسه ولا يدفع الظلم عنهم وزعيم قوم يطيعونه ولا يساوي بين القوي والضعيف ويتكلم بالهوى ، ورجل لا يأمر أهله وولده بطاعة الله ولا يعلمهم أمر دينهم ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يوفه أجرته ، ورجل ظلم امرأة صداقها** »[1] .

وعن عبد الله بن سلام قال : إن الله تعالى لما خلق الخلق واستووا على أقدامهم رفعوا رؤوسهم إلى السماء ، وقالوا : يا رب مع من أنت ؟ قال : مع المظلوم حتى يؤدي إليه حقه . وعن وهب بن منبه قال : بني جبار من الجبابرة قصرا وشيده ، فجاءت عجوز فقيرة فبنت إلى جانبه كوخا تأوي إليه ، فركب الجبار يوما وطاف حول القصر ، فرأى الكوخ فقال : لمن هذا ؟ فقيل لامرأة فقيرة تأوي إليه فأمر به فهدم ، فجاءت العجوز فرأته مهدومًا فقالت : من هدمه ؟ فقيل : الملك رآه فهدمه

أعطني حقي . فيقول : غدًا . فيأتيه من غد فيقول بعد غد وهكذا فإن هذا الظلم يكون ظلمات يوم القيامة على صاحبه .

واتقو الشح » الشح : الحرص على المال . فإنه أهلك من كان قبلكم لأن الحرص على المال نسأل الله السلامة يوجب للإنسان أن يكسب المال من أي وجه كان . من حلال أو حرام . بل قال النبي ﷺ « حملهم » أي حمل من كان قبلنا على « أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » بسفك الشحيح الدماء إذا لم يتوصل إلى طمعه إلا بالدماء . كما هو الواقع عند أهل الشح . يقطعون الطريق على المسلمين ويقتلون الرجل ويأخذون متاعه ويأخذون بعيره .

وكذلك أيضًا يعتدون على الناس في داخل بيوتهم . ويهتكون حجب بيوتهم

---

(١) الزواجر (٢/ ١٢٢) وأورده المؤلف بلفظ روى مما يدل على ضعفه

فرفعت العجوز رأسها إلى السماء ، وقالت : يا رب إذا لم أكن أنا حاضرة فأين كنت أنت ؟ قال : فأمرالله أن يقلب القصر على من فيه فقلبه ..

وقيل : لما حبس خالد بن برمك وولده قال : يا أبتي بعد العز صرنا في القيد والحبس . فقال : يا بني دعوة المظلوم سرت بليل غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها ، وكان يزيد بن حكيم يقول : ما هبت أحدًا قط هيبتي رجلا ظلمته ، وأنا أعلم أنه لا ناصر له إلا الله يقول لي : حسبي الله والله بيني وبينك .

وحبس الرشيد أبا العتاهية فكتب إليه من السجن هذين البيتين شعرًا :

أما والله إن الظلم شـــوم وما زال المسيء هو المظلوم

ستعلم يا ظلوم إذا ألتـقينا غدا عند المليك من الملـوم

وعن أبي أمامة قال : يجيء الظالم يوم القيامة حتى إذا كان على جسر جهم لقيه المظلوم وعرفه ما ظلمه به ، فما يبرح الذين ظلموا بالذين ظلموا حتى ينزعوا ما بأيديهم من الحسنات ، فإن لم يجدوا لهم حسنات حملوا عليهم من سيئاتهم مثل ما ظلموهم حتى يردوا إلى الدرك الأسفل من النار (١) . وعن عبد الله بن أنيس قال :

فيأخذون المال بالقوة والغلبة .

فحذر النبي ﷺ من أمرين : من الظلم ومن الشح فالظلم هو الاعتداء على الغير . والشح هو الطمع فيما عند الغير فكل ذلك حرام . ولهذا قال الله تعالى في كتابه : ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر : ٩] .

فدلت الآية على أن من لم يوق شح نفسه فلا فلاح له . المفلح من وقاه الله شح نفسه. نسأل الله السلامة أن يعيذنا وإياكم من الظلم . وأن يقينا شح أنفسنا وشرورها .

نقل المؤلف عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « **من ظلم في الأرض قيد شير طوقه**

---

(١) رواه الطبراني (٥٩٧٦) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٥٤) رجال وثقوا فهو حسن إن شاء الله.

سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **يحشر العباد يوم القيامة حفاة عراة غرلا بهما فيناديهم مناد بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب ، أنا الملك الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة أو أحد من أهل النار أن يدخل النار وعنده مظلمة أن أقصده حتى اللطمة فما فوقها ولا يظلم ربك أحداً** » . قلنا : يا رسول الله كيف وإنما نأتي حفاة عراة . فقال : « **بالحسنات والسيئات جحزاء ولا يظلم ربك أحداً** »[1] . وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « **من ضرب سوطا ظلما اقتص منه يوم القيامة** » [2] . ومما ذكر أن كسرى اتخذ مؤدبا لولده يعلمه ويؤدبه حتى إذا بلغ الولد الغاية في الفضل والأدب استحضره المؤدب يوما وضربه ضربا شديدا من غير جرم ولا سبب ، فحقد الولد على المعلم إلى أن كبر ومات أبوه فتولى الملك بعده فاستحضر المعلم وقال له : ما حملك على أن ضربتنى يوم كذا وكذا من غير جرم

يوم القيامة من سبع أرضين » .

هذا الحديث يتناول نوعًا من أنواع الظلم وهو الظلم في الأراضي . وظلم الأراضي من أكبر الكبائر لأن النبي ﷺ : « **لعن من غير منار الأرض** » .

قال العلماء : منار الأرض حدودها . لأنه مأخوذ من (المنور) وهو العلامة فإذا غير الإنسان من هذه الأرض بأن أدخل شيئًا من هذه الأرض إلى أرض غيره . فإنه ملعون على لسان النبي ﷺ . واللعنة : الطرد والإبعاد عن رحمة الله .

وثمة عقوبة أخرى . وهو ما ذكره في هذا الحديث . أنه إذا ظلم قيد شبر طوقه يوم القيامة من سبع أرضين . لأن الأرضين سبع . كما جاءت به السنة صريحًا . وكما ذكره الله تعالى في القرآن إشارة في قوله تعالى : ﴿ **الله الذى خق سبع سموات ومن الأرض مثلهن** ﴾ [الطلاق : ١٢] .

ومعلوم أن المماثلة هاهنا ليس في الكيفية . لأن بين السماء والأرض من الفرق كما

---

(١) صحيح : رواه أحمد (٣/ ٤٩٥) والبخاري في الأدب المفرد (٩٧٠) وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٧٢٢) .

(٢) صحيح : رواه الطبراني في الأوسط (١٤٦٨) والبخاري في الأدب المفرد (١٨٥) وصححه الألباني في الصحيحة (٥٣٥١) والأدب المفرد (١٣٧) .

ولا سبب، فقال المعلم : اعلم أيها الملك إنك لما بلغت الغاية في الفضل والأدب علمت أنك تنال الملك بعد أبيك ، فأردت أن أذيقك ألم الضرب وألم الظلم حتى لا تظلم أحدا، فقال : جزاك الله خيرًا ثم أمر له بجائزة وصرفه . ومن الظلم أخذ مال اليتيم ، وتقدم حديث معاذ بن جبل حين قال له رسول الله ﷺ : « **واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب** »[1] .

وفي رواية أن دعاء المظلوم يرفع فوق الغمام ويقول الرب تبارك وتعالى : «**وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين** »[2] . وأنشدوا شعرا :

توق دعا المظلوم إن دعـــــاءه ... ليرفع فوق السحب ثم يجـــاب

توق دعا من ليس بين دعــــائه ... وبين إله العالمـــين حجــــــاب

ولا تحسبن الله مطــــــــرحًا له ... ولا أنه يخفى عليه خطـــــــاب

فقد صح أن الله قال: وعـزتي ... لأنصر المظـلوم وهو مشـــــاب

بينهما من المسافة السماء أكبر بكثير من الأرض . وأوسع وأعظم . قال الله تعالى : ﴿**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾ [الذاريات : ٤٧] . أي بقوة . وقال تعالى : ﴿**وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا**﴾ [النبأ : ١٢] . أي قوية .

فالإنسان إذا ظلم قيد شبر من الأرض فإنه يطوق من سبع أرضين يوم القيامة . أي يجعل له طوقًا في عنقه والعياد بالله . يحمله أمام الناس أمام العالم . يخزي به يوم القيامة. وقوله : « **قيد شبر من الأرض** » ليس هذا على سبيل القيد. بل هو على سبيل المبالغة يعني . فإن ظلم ما دونه طوقه أيضًا . لكن العرب يذكرون مثل هذا للمبالغة . يعني ولو كان شيئًا قليلاً فإنه سيطوقه يوم القيامة وفي هذا الحديث : دليل على أن من ملك الأرض ملك قعرها إلى الأرض السابعة فليس لأحد أن يضع نفقًا تحت أرضه إلا بإذنه .

---

(١) صحيح: سبق تخريجه .

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٣٠٥) والترمذي (٣٥٩٨) وابن ماجه (١٧٥٢) وصححه الألباني في السلسلة (١٢١١)

فمن لم يصدق ذا الحديث فإنه　　جهول وإلا عقله فمصـــــاب

فصل

ومن أعظم الظلم المماطلة بحق عليه مع قدرته على الوفاء لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « **مطل الغنى ظلم** »[1] وفي رواية : « **لي الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته** »[2] أي يحل شكايته وحبسه .

فصل

ومن الظلم أن يظلم المرأة حقها من صداقها ونفقتها وكسوتها وهو داخل في قوله ﷺ : « **لي الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته** »[3] .

وعن ابن مسعود ﷺ قال : يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة فينادي به على رؤوس الخلائق هذا فلان ابن فلان من كان له عليه حق فليأت إلى حقه . قال : فتفرح المرأة إن يكون لها حق على أبيها وأخيها أو زوجها ثم قرأ : ﴿ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾ . قال : فيغفر الله من حقه ما شاد ولا يغفر من حقوق

يعني لو فرض أن لك أرضًا مسافتها ثلاثة أمتار بين أرض لجارك فأراد جارك أن يفتح نفقًا بين الأرضين ويمر من تحت أرضك . فليس له الحق في ذلك . لأنك تملك الأرض وما تحتها إلى الأرض السابعة . كما أن الهواء لك إلى السماء فلا أحد يستطيع أن يبني على أرضك سقفًا إلا بإذنك .

ولهذا قال العلماء : الهواء تابع للقرار والقرار ثابت إلى الأرض السابعة فالإنسان له من فوق ومن تحت . لا أحد عليه يتجرأ.

قال أهل العلم : ولوكان عند جارك شجرة فامتدت أغصانها إلى أرضك وصار الغصن إلى أرضك . فإن الجار يوليه عن أرضك وإن لم يمكن ليه فإنه يقطع . إلا بإذن منك

---

(١) صحيح : رواه أحمد (٢/ ٢٧٩) والبخاري (٢٢٨٧) ومسلم (١٥٦٤) .

(٢) حسن : رواه أحمد (٤/ ٢٢٢) والنسائي (٧/ ٣١٦) وأبو داود (٣٦٢٨) وابن ماجه (٢٤٢٧). وحسنه الشيخ الألباني المشكاة (٢٩١٩) والإرواء (١٤٣٤) .

(٣) سبق تخريجه .

الناس شيئًا ، فينصب العبد للناس ثم يقول الله تعالى لأصحاب الحقوق : ائتوا إلى حقوقكم . قال : فيقول الله تعالى للملائكة : خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل ذي حق حقه بقدر طلبته ، فإن كان وليا لله وفضل له مثقال ذرة ضاعفها الله تعالى له حتى يدخله الجنة بها ، وإن كان عبدا شقيا ولم يفضل له شيء فتقول الملائكة : ربنا فنيت حسناته وبقى طالبوه ، فيقول الله : خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته ، ثم صك له صكا إلى النار [١]. ويؤيد ذلك ما تقدم من قول النبي ﷺ : **«أتدرون من المفلس ؟ فذكر أن المفلس من أمته من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ، ويأتي وقد شتم هذا وضرب هذا وأخذ مال هذا ، فيؤخذ لهذا من حسناته ولهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار »** [٢] .

وإقرار . لأن الهواء لك وهو تابع للقرار .

أما حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه فقد قال النبي ﷺ : **« إن الله ليملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته »** .

يملي له : يعني يمهل له حتى يتمادى في ظلمه والعياذ بالله فلا يعجل له في العقوبة. وهذا من البلاء نسأل الله أن يعيذنا وإياكم . فمن الاستدراج أن يملي للإنسان في ظلمه . فلا يعاقب له سريعًا حتى يتكدس على الإنسان المظلم . فإذا أخذه الله لم يفلته . أخذه أخذ عزيز مقتدر . ثم قرأ النبي ﷺ : **﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾** [هود : ١٠٢] .

فعلى الإنسان الظالم أن لا يغتر بنفسه ولا بإملاء الله له . فإن ذلك مصيبة فوق مصيبته لأن الإنسان إذا عوقب بالظلم عاجلاً . فربما يتذكر ويتعظ ويدع الظلم . لكن إذا أملى له واكتسب آثامًا أو ازداد ظلمًا . ازدادت عقوبته والعياذ بالله فيؤخذ على غرة . حتى إذا أخذه لم يفلته .

---

(١) رواه ابن جرير (١٨/ ٤٢) وأبو نعيم (٤/ ٢٠٢) .

(٢) سبق تخريجه .

فصل

ومن الظلم أن يستأجر أجيرًا أو إنسانًا في عمل ولا يعطيه أجرته لما ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال : « **يقول الله تعالى : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته : رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع حرا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجرته** » (١) . وكذلك إذا ظلم يهوديًا أو نصرانيًا أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفسه فهو داخل في قوله تعالى : « **أنا حجيجه** » - أو قال : « **أنا خصمه** » - يوم القيامة . ومن ذلك أن يحلف على دين في ذمته كاذبا فاجرا لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: « **من اقتطع حق امريء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة . قيل : يا رسول الله وإن كان شيئًا يسيرًا ؟ قال : وإن كان قضيبا من أراك** » (٢) .

فخف القصاص غدا إذا وفيت ما كسبت يداك اليوم بالقسطاس

في موقف منا فيه إلا شاخص أو معطه أو مقنع للرأس

أعضاؤهم فيه الشهود وسجنهم نار وحاكمهم شديد البأس

إن تمطل اليوم الحقوق مع الغنى فغدا تؤديها مع الإفلاس

وقد روى أنه لا إكراه للعبد يوم القيامة من أن يرى من يعرفه خشية أن يطالبه بمظلمة ظلمه بها في الدنيا كما قال النبي ﷺ : « **لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء** » (٣) . وقال ﷺ : « **من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أومن شيء فليتحلل منه اليوم من قبل أن يكون دينار ولا درهم . إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه ثم طرح في النار** » (٤). وروى عبد الله بن أبي الدنيا

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٢٢٧ ، ٢٢٧٠) .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨٢) والترمذي (٢٤٢٠) .

(٤) سبق تخريجه .

بسنده إلى أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال : « **أول من يختصم يوم القيامة الرجل وامرأته والله ما يتكلم لسانها ولكن يداها ورجلاها يشهدان عليها بما كانت تعنت لزوجها في الدنيا ويشهد على الرجل يده ورجله بما كان يولي زوجته من خير أو شر ، ثم يدعى بالرجل وخدمه مثل ذلك فما يؤخذ منهم دوانيق ولا قراريط ولكن حسنات هذا الظالم تدفع إلى هذا المظلوم ، وسيئات هذا المظلوم تحمل على هذا الظالم ، ثم يؤتى بالجبارين في مقامع من حديد فيقال سوقوهم إلى النار** » (١).

وكان شريح القاضي يقول : سيعلم الظالمون حق من انتقصوا أن الظالم ينتظر العقاب والمظلوم ينتظر النصر والثواب . وروى أنه إذا أراد الله بعبده خير سلط الله عليه من يظلمه ودخل طاوس اليماني على هشام بن عبد الملك فقال له : اتق الله يوم الأذان ، قال هشام : وما يوم الأذان ؟ قال : قال الله تعالى : ﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (٢) . فصعق هشام . فقال طاوس : هذا ذل ذا الصفة فكيف بذل المعاينة ؟ يا راضيا باسم الظالم كم عليك من المظالم ؟ السجن جهنم ، والحق الحاكم!

فصل

في الحذر من الدخول على الظلمة ومخالطتهم ومعونتهم ، قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ (٣) والركون هاهنا السكون إلى الشيء والميل إليه بالمحبة ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : لا تميلوا كل الميل في المحبة ولين الكلام والمودة، وقال السدي وابن زيد : لاتداهنوا الظلمة . وقال عكرمة : هو أن يطيعهم ويودهم، وقال أبو العالية : لا ترضوا بأعمالهم ﴿ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ فيصيبكم لفحها ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : مالكم من مانع يمنعكم من عذاب الله ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ لا تمنعون من عذابه ، وقال الله تعالى : ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا

---

(١) ضعيف جدًا : رواه الطبراني في الكبير (٣٩٦٩) وأورده الذهبى فى الميزان هذا الحديث وقال هذا باطل .

(٢) سورة الأعراف : ٤٤ . (٣) سورة هود : ١١٣ .

وَأَزْوَاجَهُمْ﴾[١] أي أشباههم وأمثالهم وأتباعهم . وعن ابن مسعود ﷺ : قال : قال رسول الله ﷺ : « **سيكون أمراء يغشاهم غواش أو حواش من الناس يظلمون ويكذبون ، فمن دخل عليهم وصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ، ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه** »[٢]. وعنه ﷺ عن النبي ﷺ : «**من أعان ظالما سلط عليه** » [٣] ، وقال سعيد بن المسيب رحمه الله : لا تملأوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكار من قلوبكم لئلا تحبط أعمالكم الصالحة ، وقال مكحول الدمشقي : ينادي مناد يوم القيامة أين الظلمة وأعوانهم ؟ فيما يبقى أحد مد لهم حبرا أو حبر لهم دواة أو بري لهم قلما فما فوق ذلك إلا حضر معهم فقال : إني رجل أخيط ثياب السلطان هل أنا من أعوان الظلمة؟ فقال سفيان : بل أنت من الظلمة أنفسهم ، ولكن أعوان الظلمة من يبيع منك الأبرة والخيوط ، وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال : « **أول من يدخل النار يوم القيامة السواطون** » الذين يكون معهم الأسواط يضربون بها الناس بين يدي الظلمة[٤]، وعن ابن عمرو ﷺ قال : الجلاوزة والشرط كلاب النار يوم القيامة [٥]. الجلاوزة : أعوان الظلمة .

وقد روى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام أن مر بني إسرائيل أن لا يتلوا من ذكرى فإني أذكر من ذكرني ، وأن ذكرى إياهم أن ألعنهم ، وفي رواية : فإني أذكر من ذكرني منهم باللعنة . وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « **لا يقف أحدكم في موقف يقتل فيه رجل ظلما فإن اللعنة تنزل على من حضر ذلك المكان إذا لم**

---

(١) سورة الصافات : ٢٢ .

(٢) صحيح: رواه أحمد (٣/ ٢٤) وابن حبان (٢٨٦) ورواه الترمذي (٦١٤) بلفظ مقارب وصحح الشيخ الألباني رواية الترمذي في التعليق الرغيب (٣/ ١٥ ، ١٥٠) .

(٣) موضوع: رواه أبو حفص الكشافي في جزء حديثه (١٤١ ـ ١٤٢) وقال الشيخ في السلسلة الضيعفة (١٩٣٧) موضوع .

(٤) ضعيف : رواه الطبراني في الأوسط (٦٦٣٥) وابن عدي (٧/ ٢٦٧) وقال : حديث غير محفوظ.

(٥) ضعيف : رواه أبو نعيم فى الحلية (٤/ ٢١) ضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع (٦٣٤١) . والضعيفة (٣٤٧٢) .

يدفعوا عنه » [١] .

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال ك « **أتى رجل في قبره فقيل له : إنا ضاربوك مائة ضربة فلم يزل يتشفع إليهم حتى صاروا إلى ضربة واحدة فضربوه ، فالتهب القبر عليه نارا فقال : لم ضربتموني هذه الضربة ؟ فقالوا : إنك صليت صلاة بغير طهور ومررت برجل مظلوم فلم تنصره** » [٢] فهذا حال من لم ينصر المظلوم مع القدرة على نصره فكيف حال الظالم ؟ .

وثد ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **انصر أخاك ظالما أو مظلومًا** » ، فقال : يا رسول الله ﷺ أنصره إذا كان مظلومًا فكيف أنصره إذا كان ظالمًا ؟ قال : « **تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره** » [٣] .

ومما حكى قال بعض العارفين : رأيت في المنام رجلا ممن يخدم الظلمة والمكاسين بعد موته بمدة في حالة قبيحة فقلت له : ما حالك ؟ قال : شر حال ، فقلت : إلى أين صرت ؟ قال : إلى عذاب الله . قلت : فما حال الظلمة عنده ؟ قال: شرحال ، أما سمعت قول الله عز وجل: ﴿ **وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ** ﴾ [٤] .

ومما حكى قال بعضهم : رأيت رجلاً مقطوع اليد من الكتف وهو ينادي من رآني فلا يظلمن أحدا فتقدمت إليه ، فقلت له : يا أخي ما قصتك ؟ قال : يا أخي قصة عجيبة ، وذلك إني كنت من أعوان الظلمة فرأيت يومًا صيادًا وقد اصطاد سمكة كبيرة فأعجبتني ، فجئت إليه فقلت : أعطني هذه السمكة ، فقال : لا

---

(١) ضعيف: رواه الطبراني (١١٦٧٥) الكبير وقال الهيثمي (٦/ ٢٨٢) فيه أسد بن عطاء قال الأزدي مجهول ومندل وثقه وأبو حاتم وضعفه أحمد وغيره وبقية رجاله ثقات .

(٢) ضعيف: رواه الطبرانى (١٢/ ٣٣٩) وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع (٢٥٧).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٢٤٤٣ ـ ٢٤٤٤) وأحمد (٣/ ٩٦) والترمذي (٢٢٨٢) عن أنس ومسلم عن جابر (٢٥٨٤) .

(٤) الشعراء : ٢٢٧ .

أعطيكها أنا آخذ بثمنها قوتا لعيالي ، فضربته وأخذتها منه قهرًا ومضيت بها . قال : بينما أنا أمشي بها حاملها إذ عضت على إبهامي عضة قوية فلما جئت بها رلى بيتي وألقيتها من يدي ضربت على أبهامي والمتني ألما شديدًا حتى لم أنم من شدة الرجع والآلم وورمت يدي ، فلما أصبحت أتيت الطبيب وشكوت له الألم ، فقال : هذه بدء الآكلة أقطعها وإلا تقطع يدك ، فقطعت إبهامي ثم ضربت على يدي فلم أطق النوم ولا القرار من شدة الألم ، فقيل لي : أقطع كفك فقطعته ، وانتشر الألم إلى الساعد وألمني ألم شديدًا ، ولم أطق القرار ، وجعلت أستغيث من شدة الألم ، فقيل لي : اقطعها إلى المرفق فقطعتها ، فانتشر الألم إلى العضد وضربت على عضدي أشد من الألم الأول ، فقيل : أقطع يدك من كتفك وإلا سرى إلى جسدك كلها فقطعتها . فقال لي بعض الناس : ما سبب ألمك ؟ فذكرت قصة السمكة واستحللت منه وأرضيته لما قطعت من أعضائك عضوا ، فاذهب الآن وأطلب رضاه قبل أن يصل الألم إلى بدنك قال : فلم أزل أطلبه في البلد حتى وجدته ، فوقعت على رجليه أقبلها وأبكي وقلت له : يا سيدي سألتك بالله ألا عفوت عني . فقال لي : ومن أنت ؟ قلت : أنا الذي أخذت منك السمكة غصبا ، وذكرت ماجرى وأريته يدي فبكى حين رآه . ثم قال : يا أخي قد أحللتك منها لما قد رأيته بك من هذه البلاء ، فقلت : يا سيدي بالله هل كنت قد دعوت على لما أخذتها ؟ قال : نعم. قلت : اللهم إن هذا تقوى على بقوته على ضعفي على ما رزقتني ظلما فأري قدرتك فيه. فقلت : يا سيدي قد أراك الله قدرته في وأنا تائب إلى الله عز وجل عما كنت عليه من خدمة الظلمة ، ولا عدت أقف لهم على باب ، ولا أكون من أعوانهم ما دمت حيا . إن شاء الله ، وبالله التوفيق .

موعظة

إخواني كم أخرج الموت نفسًا من دارها لم يدراها ، وكم أنزل أجسادا بجارها لم يجارها ، وكم أجرى العيون كالعيون بعد قرارها ـ شعر :

يا معرضًا بوصال عيش ناعم ستصد عنه طائعًا أوكارهًا

إن الحوادث تزعج الأحرار عن   أوطانها والطير عن أوكارها

أين من ملك المغارب والمشارق ؟ وعمر النواحي وغري الحدائق ؟ ونال الأماني وركب العواتق ؟(١) صاح به من داره غراب بين ناعق ؟، وطرقه في لهوه أقطع طارق ، وزجرت عليه رعود وصواعق ، وحل به ما شيب بعض المفارق وقلاه الحبيب الذي لم يفارق ، وهجره الصديق الرفيق الصادق ، ونقل من جوار المخلوقين إلى جوار الخالق . نازله والله الموت فلم يحاشه(٢) ، وأذله بالقهر بعد عز جأشه(٣) ، وأبدله خشن التراب بعد لين فراشه ، ومزقه الدود في قبره كتمزيق قماشه ، وبقى في ضنك شديد من معاشه ، وبعد عن الصديق فكأنه لم يماشه(٤) .

ما نفعه والله الاحتراز (٥) ، ولا ردت عنه الركاز (٦) ، بل ضره من الزاد والإعواز ، وصار والله عبرة للمجتاز (٧) ، وقطع شاسعًا من السبل الأوفاز (٨) ، وبقى رهينًا لا يدري أهلك أم فاز . وهذا لك بعد أيام ، وما أنت فيه الآن أحلام ، ودنياك لا تصلح وما سمعت ستراه غدا على التمام ، ويقع لي ولك ، ويحك ! أما يؤثر فيك هذا الكلام؟

التحلل من المظالم

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ : فيما نقله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **من كان عنده مظلمة لأخيه . من عرضه أو غيره فليتحلله منه اليوم ـ يعني في الدنيا ـ قبل ألا يكون دينار ولا درهم** » .

---

(١) أي البنات في أول سن الشباب .
(٢) فلم تبعداه .
(٣) قوته ورأسه .
(٤) أي يسير معه .
(٥) الانتباه والحذر .
(٦) الكنز المدفون .
(٧) من الجواز ـ أي المرور والسير .
(٨) جمع مفازة وهي الصحراء أو الأرض الفسيحة .

. . . .

وذلك يوم القيامة فإنه في الدنيا يمكن أن يتحلل الإنسان من المظالم التي عليه بأدائها إلى أهلها . أو استحلالهم منه ا لكن في الآخرة ليس هناك شيء إلا الأعمال الصالحة . فإذا كان يوم القيامة اقتص من الظالم للمظلوم من حسناته ، يؤخذ من حسناته التي هي رأس ماله في ذلك اليوم فإن بقى منه شيء وإلا أخذ من سيئات المظلوم وحملت على الظالم والعياذ بالله فارداد بذلك سيئآت إلى سيئاته .

وظاهر هذا الحديث أنه يجب على الإنسان أن يتحلل من ظلم أخيه حتى في العرض سواء علم أم لم يعلم . وذلك أن المظالم إما أن تكون بالنفس أو بالمال أو بالعرض لقول النبي ﷺ : « **إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم** » [سبق تخريجه].

فإن كانت بالنفس مثل أن يكون قد جنى عليه أو ضربه حتى جرحه . أو قطع عضواً من أعضائه أوقتل له قتيلاً فإنه يتحلل منه بأن يمكن صاحب الحق من القصاص . أو من بذل الذمة . إذا لم يكن القصاص أو اختيرت الدية .

أما إن كانت في المال فإنه يعطيه ماله . إذا كان عنده مال لأحد . فالواجب أن يعطيه صاحبه . فإن غاب عنه ولم يعرف مكانه وأيس منه فإنه يتصدق به عنه . والله سبحانه وتعالى يعلم ويودي إلى صاحب الحق حقه . وإن كان قد مات ـ أي : صاحب الحق فإنه يوصله إلى ورثته . فإن لم يعلمهم بأن جهلهم ولم يدر عنهم تصدق به عنهم والله تعالى يعلمهم ويعطيهم حقهم .

أما إن كانت في العرض مثل أن يكون قد سب شخصًا في مجالس أو اغتاب فلابد أن يتحلل منه إذا كان قد علم بأنه سبه فيذهب إليه ويقول أنا فقلت كذا وفعلت كذا . وأنا جئتك معتذرًا فإن عذره فهذا من نعمة الله على الجميع . لأن الله يقول : « **فمن عفا وأصلح فأجره على الله فإنه لا يحب الظالمين** » الشورى : ٤٠] .

وإن لم يعف فليعطه مالا يشبعه من المال حتى يحلله . فإن أبى فإن الله تعالى إذا علم أن توبة الظالم توبة حقيقية فإنه سبحانه وتعالى يرضى المظلوم يوم القيامة .

وقال بعض العلماء في مسألة العرض : إذا كان المظلوم لم يعلم فلا حاجة أن يعلمه .

. . . .

مثل أن يكون قد سبه في مجلس من المجالس وتاب فإن لا حاجة أن يعلمه . ولكن يستغفر له ويدعو له بالخير ويثني عليه بالخير في المجالس التي كان يسبه فيها . وبذلك يتحلل منه .

والمهم أن الأمر خطير وحقوق الناس لابد أن تعطى لهم إما في الدنيا وإما في الآخرة.

قال المؤلف رحمه الله ـ : فيما نقله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : **«أتدرون من المفلس ؟»** الاستفهام هنا للاستعلام الذي يراد به الإخبار ، لأن المستفهم تارة يستفهم عن جهل ولا يدري فيسأل غيره . وتارة يستفهم لتنبيه المخاطب لما يلقى إليه أو لتقرير الحكم . فمثال الثاني قول النبي ﷺ وقد سئل عن بيع الرطب بالتمر : **« أينقص إذا جف»** يعني الرطب قالوا : نعم فنهى عن ذلك.

أما في هذا الحديث فيسخبر غير الصحابة عن أمر لا يعلمونه . أولا يعلمون مراد النبي ﷺ به . قال : **« أتدرون من المفلس ؟ »** قالوا : يا رسول الله الملفلس فينا من لا درهم عنده ولا متاع . يعني ليس عنده نقود ولا عنده متاع أي : أعيان من المال . أي : إن المفلس يعني الفقيروهذا هو المعروف من المفلس بين الناس : فإذا قالوا : من المفلس ؟ يعني الذي ليس عنده فلوس ولا عنده متاع . بل هو فقير .

فقال النبي ﷺ : **« المفلس من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة »** وفي رواية **«من يأتي بحسنات مثل الجبال »** أي : يأتي بحسنات عظيمة . فهو عنده ثروة من الحسنات لكنه يأتي وقد شتم هذا . وضرب هذا وأخذ مال هذا . وسفك دم هذا . أي : اعتدى على الناس بأنواع الاعتداء . والناس يريدون أخذ حقهم مالا يأخذونه في الدنيا يأخذونه في الآخرة فيقتص لهم منه . فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته . وهذا من حسناته بالعدل والقصاص بالحق فإن فنيت حسناته أخذ من سيئاتهم فطرحت عليه ثم طرح في النار والعياذ بالله . تنقضي حسناته . ثواب الصلاة ينتهي وثواب الزكاة ينتهي وثواب الصيام ينتهي كل ما عنده من حسنات ينتهي . فيؤخذ من سيئاتهم ويطرح عليه ثم يطرح في النار والعياذ بالله وصدق النبي ﷺ فإن هذا المفلس حقًا . أما مفلس الدنيا فإن الدنيا تأتي

. . . .

وتذهب ربما يكون الإنسان فقيراً فيمسي غنيًا أو بالعكس .

لكن الإفلاس كل الإفلاس أن يفلس الإنسان من حسناته التي تعب عليها وكانت أمامه يوم القيامة يشاهدها ثم تؤخذ منه لفلان وفلان .

وفي هذا التحذير من العدوان على الخلق . وأنه يجب على الإنسان أن يؤدي ما للناس في حياته قبل مماته . حتى يكون القصاص في الدنيا مما يستطيع أما في الآخرة فليس هناك درهم ولا دينار حتى يفدى نفسه . ليس فيه إلا الحسنات . يقول الرسول ﷺ : **«فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته أخذ من سيئاتهم ثم طرح عليه . وطرح في النار»** .

ولكن هذا الحديث لايعني أنه يخلد في النار . بل يعذب بقدر ماحصل عليه من سيئات الغير التي طرحت عليه . ثم بعد ذلك مآله إلى الجنة . لأن المؤمن لايخلد في النار. ولكن النار حرها شديد لا يصبر الإنسان على النار ولو للحظة واحدة . هذا على نار الدنيا فضلاً عن نار الآخرة . أجارني الله وإياكم منها .

الكبيرة السابعة والعشرون

المكاس

وهو داخل في قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١) .

والمكاس من أكبر أعوان الظلمة ، بل هو من الظلمة أنفسهم . فإنه يأخذ مالا يستحق ويعطيه لمن لا يستحق ، ولهذا قال النبي ﷺ : « **المكاس لا يدخل الجنة** » . وقال ﷺ : « **لا يدخل الجنة صاحب مكس** » رواه أبو داود (٢) ، وما ذاك إلا لأنه يتقلد مظالم العباد . ومن أين للمكاس يوم القيامة أن يؤدي للناس ما أخذ منهم ؟

الكبيرة السابعة والعشرون

المكاس

أيها الناس لقد قل الورع في هذا الزمان ، وأصبح المال غاية بعد أن كان وسيلة ، أصبح الرجل لا يهمه إلا كسب المال ، ولا يهمه من أين اكتسبه من حرام أو حلال ، وهذا كما أنه نقص في الدين فهو نقص في العقل والتدبير ، كيف تتجاوز الحلال إلى الحرام وأنت ترى المال يذهب وأنت عنه تنقل ؟ كيف ترضى أن تكدس المال لغيرك عليك إثمه والتعب في تحصيله ؟ ولغيرك غنمه وثمرات عاقبته ، هل رأيت أحدًا قبلك خلد للمال أو خلد المال له ؟ فاتق الله أيها المؤمن وأجمل في الطلب فإن رزق الله لا يدرك بمعصيته وإنما يدرك بطاعته : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ② وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣] .

---

(١) سورة الشورى : ٤٢ .

(٢) ضعيف: رواه أحمد (٤/ ١٤٣ ، ١٥٠) وأبو داود (٢٩٣٧) وضعفه الشيخ في الإرواء رقم (٦٣١) وضعيف الجامع (٦٣٤١) .

إنما يأخذون من حسناته إن كانت له حسنات ! وهو داخل في قول النبي ﷺ : «**أتدرون من المفلس ؟** » قالوا يا رسول الله ﷺ المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال : « **إن المفلس من أمتي من يأتي بصلاة وزكاة وصيام وحج ، ويأتي وقد شتم هذا وضرب هذا وأخذ مال هذا ، فيؤخذ لهذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من سيئاتهم فطرحت عليه ثم طرح في النار** »(١) .

وفي حديث المرأة التي طهرت نفسها بالرجم : لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له أو لقبلت منه ، والمكاس من فيه شبه من قاطع الطريق وهو من اللصوص . وجابي المكس وكاتبه وشاهده وآخذه من جندي وشيخ وصاحب رواية شركاء في الوزر آكلون للسحت والحرام ، وصح أن رسول الله ﷺ قال : « **لا يدخل الجنة لحم نبت من السحت . النار أولى به** »(٢) والسحت : كل حرام قبيح الذكر يلزم منه العار .

أيها الناس لقد كثرت في المحاكم الخصوم وصار الناس يتباهون أيهم يغلب في الخصومة وهو يرى أن الحق لغيره لكنه يدعي ما ليس له أو ينكر ما يجب عليه ظلما وعدوانا ثم يعلل نفسه بأن القاضي حكم له ، يظن أن حكم القاضي يقلب الحلال حرام والحرام حلالا ولكن الأمر ليس كذلك فالقاضي يحكم بالظاهر وليس له إلا ما يسمع من الخصمين وأما الباطن فإن الله تعالى هو الذي يحكم به يوم تبلى السرائر ولا يوجد للظالم من قوة ولا ناصر ، قال النبي ﷺ : « **أنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له بنحو مما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئًا فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار** » .

أيها المسلمون إن بعض الناس لما غلت البيوت والأراضي صاروا يدعون ما ليس لهم وينكرون ماكان عليهم ومن هؤلاء من يكون شريكًا في أرض فيتولى بعض الشركاء بيعها أو

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) صحيح: رواه البيهقي في الشعب (٥٣٧٣ ، ٥٣٧٤) وصححه الألباني بلفظ (لا يدخل الجنة جسد تغذي بحرام) المشكاة ٢٨٨٧ من طريق أبي بكر.

(٣) صحيح : رواه البخارى (٢٦٨٠) مسلم (١٧١٣) .

وذكره الواحدي رحمه الله في تفسير قول الله تعالى : ﴿ قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ﴾ [١] . وعن جابر أن رجلاً قال : يا رسول الله إن الخمر كانت تجارتي ، وإني جمعت من بيعها مالاً ، فهل ينفعني ذلك المال إن عملت فيه بطاعة الله تعالى؟ فقال رسول الله ﷺ : «إن أنفقته في حج أو جهاد أو صدقة لم يعدل عند الله جناح بعوضة . إن الله لا يقبل إلا الطيب » ، فأنزل الله تعالى تصديقًا لقول رسول الله ﷺ: ﴿ قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ﴾ [٢]، قال عطاء والحسن : الحلال والحرام ، فنسأل اللهالعفو والعافية .

موعظة

أين من حصن الحصون المشيدة واحترس ؟ ، وعمر الحدائق فبالغ وغرس ، ونصب لنفسه سرير العز وجلس ، وبلغ المنتهى ورأس الملتمس ،وظن في نفسه البقاء ولكن خاب الظن في النفس ، ازعجه والله هازم اللذات ، واختلس ، ونازله بالقهر فأنزله عن الفرس ، ووجه به إلى دار البلاء فانطمس ، وتركه في ظلام ظلمة من الجهل والدنس ، فالعاقل من أباد أيامه فإن العواقب في خلس .

تبني وتجمع والآثار تندرس وتأمل اللبث والأعمار تختلس

ذا اللب فكر فما في العيش من طمع لابد ما ينتهي أمر وينعكس

تصيرها وهو عالم بذلك وراض به في أول الأمر ومقتنع حتى إذا تغيرت الأمور أتى بالحجج التي قد تنفعه في الدنيا ولكن لا تنفعه في الآخرة وسوف يأتي يوم القيامة حاملا لكل شبر ظلمه كما قال النبي ﷺ من اقتطع شبر من الأرض ظلمًا طوقه الله به يوم القيامة من سبع أرضين [٣] يا ويح الظالم يوم القيامة وياويله يأتي في ذلك اليوم الحسير الشديد حاملا مظلمته مطوقا بها من سبع أرضين وقد فارقها في الدنيا لم يخلد لها ولم تخلد له[٤].

---

(١) سورة المائدة : ١٠٠ .

(٢) ضعيف : أسباب النزول للواحدي ص ١٢١ وقال السيوطي في « الباب القول في أسباب النزول » بسند ضعيف .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) انظر الكبيرة السابقة والتحلل من المظالم .

أين الملوك وأبناء الملوك ومـــــن كانوا إذا الناس قاموا هيبة جلســـوا

ومن سيوفهم في كـل معتـــــرك تخشى ؟ ودونهم الحجاب والحــرس

أضحوا بمهلكة في وسط معــركة صرعى وصاروا ببطن الأرض وأنطمسوا

وعمهم حدث وضمهم جـــدث باتوا فهم جثث في الرمس قد حبسوا

كأنهم قط ما كانوا وماخلـــقوا ومات ذكرهم بين الورى ونســـوا

والله لو عاينت عيناك ما صنعـت أيدي البلي بهم والدود يفتـــرس

لعاينت منظرا تشجي القلـوب له وأبصرت مـنكرا من دونه الِبلـــس

من أوجه ناضرات حار ناظرهـــا في رونق الحسن منها كيـف ينطـمس

وأعظم باليات ما بها رمـــق وليس تبقي لهذا وهي تنتهـــس

وألسن ناطقات زانـهـــا أدب ما شأنها شأنـــها بالآفة الخـــرس

حتام يا ذا النهي لا ترعوي سفـها ودمع عينيك لا يهمـي وينبجس[1]

موعـظـة

يا من يرحل في كل يوم مرحلة ، وكتابه قد حوى حتى الخردلة ، ما ينتفع بالنذير والنذر متصلة ، ولا يصغى إلى ناصح وقد عذله ، ودروعه مخرقة والسهام مرسله ، ونور الهدى قد بدا ولكن ما رآه ولا تأمله وهو يؤمل البقا ، ويرى مصير من قد أمله الحساب والزلزلة . ونعم جلدك فلابد للديدان أن تأكله . فيا عجبا من فتور مؤمن موقن بالجزاء والمسألة استيقن من غرور ويله . ويحك يا هذا من استدعاك وفتح منزله فقد أولادك لو علمت منزله ، فبادر ما بقى من عمرك واستدرك أوله . فبقية عمر المؤمن جوهرة قيمة .

(١) الجدث : القبر ، الرمس : التراب ، ينبجس : ينبطح .

الكبيرة الثامنة والعشرون

أكل الحرام وتناوله على أي وجه كان

قال الله عز وجل : ﴿ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾ (١) .

أي لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل . قال ابن عباس رضي الله عنهما : يعني باليمين الباطلة الكاذبة يقتطع بها الرجل مال أخيه بالباطل والأكل بالباطل على وجهين : أحدهما : أن يكون على جهة الظلم نحو الغصب والخيانة والسرقة .

والثاني : على جهة الهزل واللعب كالذي يؤخذ في القمار والملاهي ونحو ذلك، وفي صحيح البخاري : أن رسول الله ﷺ قال : « **إن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة** » (٢) . وفي صحيح مسلم حين ذكر النبي ﷺ : «**الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يارب يا رب ومطعمه حرام**

الكبيرة الثامنة والعشرون

أكـــل المـــال

في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم » . إن في هذا الحديث لعبرة لمن كان له قلب إنه يدل بوضوح على أن كثرة الدنيا وتنعيم العبد بها ليس علامة على أن الله يحبه فإن الكفار يتمتعون بما يتمتعون به من الدنيا وهم أعداء الله وموضع سخطه وبغضه ولكن العلامة على محبة الله للعبد هو الدين الذي يلتزم به العبد شرائع الله في عباداته ومعاملاته وآدابه وأخلاقه فإذا رأيت الرجل ذا دين فإن

---

(١) سورة البقرة : ١٨٨ .

(٢) سبق تخريجه .

ومشربه حرام وملبسه حرام ، وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك » [(١)]، وعن أنس ﷺ قال : قلت: يا رسول الله ﷺ ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة فقال ﷺ : **« يا أنس أطب كسبك تجب دعوتك ، فإن الرجل ليرفع اللقمة من الحرام إلى فيه فلا يستجاب له دعوة أربعين يوما »** [(٢)].

وروى البيهقي بإسناده إلى رسول الله ﷺ قال : **« إن الله يحب قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم ، وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين إلا من يحب ، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه ولا يكسب عبد مالا حرامًا فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق منه فيقبل منه ولايتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار . إن الله لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن »** [(٣)].

الله يحبه لأن الله لا يعطي الدين إلا من يحب ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** ﴾ [آل عمران: ٣١] .

وهذا الحديث يدل بوضوح على أن من اكتسب مالا على وجه محرم فهو خاسر مهما كسب لأنه إما أن ينفق هذا المال في حاجته الدنيوية وإما أن يتصدق به لطلب الثواب في الآخرة وأما أن يبقى بعده بدون إنفاق ولا صدق وقد بين النبي ﷺ حكم هذه الثلاث بأنه إن أنفقته لم يبارك له فيه وإن تصدق به لم يقبل منه وإن بقى بعده كان زاده إلى النار . هذه نتائج من اكتسب المال بطريقة محرمة أضف إلى هذه النتائج نتيجة الطمع وإغراق القلب في طلب المال ، استمع إلى قول النبي ﷺ الثابت عنه في الصحيحين يقول إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض قيل وما بركات الأرض قال : زهرة الدنيا ، ثم قال ﷺ : إن هذا المال خضرة حلوة من أخذه بحقه ووضعه في حقه فنعم

---

(١) صحيح : رواه مسلم (١٠١٥) والترمذي (٢٩٨٩) .

(٢) ضعيف : الحديث الذي طلب فيه الدعاء هو سعد بن أبي وقاص وليس أنس . رواه الطبراني في الأوسط (٦٤٩٥) عن ابن عباس ورواه المنرذي بصيغة التمريض (رُوى) .

(٣) صحيح: رواه أحمد (١/ ٣٨٧) والحاكم (١/ ٣٤) والبيهقي في الشعب (٥٩٩) والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٤) وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (٢٧١٤) مرفوعًا وصححه موقوفًا في صحيح الأدب المفرد (٢٠٩) .

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :« **الدنيا حلوة نضرة من اكتسب فيها مالا من حله وأنفقه في حقه أثابه وأورثه جنته ، ومن اكتسب فيها مالا من غير حله وأنفقه في غير حقه أدخله الله تعالى دار الهوان. ورب متخوض (فيما اشتهت نفسه من الحرام) له النار يوم القيامة** » [1]وجاء عنه ﷺ أنه قال : « **من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أي باب أدخله النار** » [2] . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لأن يجعل أحدكم في فيه ترابًا خير من أن يجعل في فيه حراما » [3] وقد روى عن يوسف بن أسباط رحمه الله قال : إن الشاب إذا تعبد قال الشيطان لأعوانه : انظروا من أين مطعمه ، فإن كان مطعم سوء قال : دعوه يتعب ويجتهد فقد كفاكم نفسه . إن إجهاده مع أكل الحرام لا ينفعه ويويد ذلك ما ثبت في الصحيح من قوله ﷺ عن الرجل الذي مطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام ، فأنى

المعونة هو وإن أخذه بغير حقه أو قال ومن لم يأخذه بحقه كان كالذي يأكل ولا يشبع ويكون عليه شهيدًا يوم القيامة . أخذ المال بحقه أن يكتسبه بطريق مباح وأخذ المال بغير حقه أن يأخذه بطريق غير مباح والميزان يكون الطريق مباحا أو غير مباح ليس هو الهوى النفسي ولا القانون الوضعي وإنما هو كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فما أحله الله ورسوله فهو الحق ، وما حرمه الله ورسوله فهو غير الحق . وصدق رسول الله ﷺ وبرهنت الوقائع على صدقه فإن الناس يشاهدون من يكتسب المال بالطرق المحرمة قد ملأ صدره الطمع وأحرق نفسه الشح ، أيديهم مملوئة من المال وقلوبهم خالية منه يقول الناس إنهم أغنياء وهم أشد في طلب المال من الفقراء لأنهم كما قال النبي ﷺ كالذي يأكل ولا يشبع .

---

(١) صحيح: رواه البيهقي في الشعب (٥١٣٩) حققه الألبانى فى (١١٠٣) عن ابن عمر وصححه الشيخ في الصحيحة (١٥٩٢) وصحيح الجامع (٣٤١٠)مختصرا .

(٢) حسن: رواه الطبراني (١٦٦٠ ، ١٦٦١ ، ١٦٦٢) عن جندب مرفوعًا (من استطاع منكم أن لا يصيب وما حراما ولا محجمة من دم حرام لا يأتي بابا من أبواب الجنة إلا بينه وبين أن يدخلها » وإسناده لا بأس به .

(٣) ضعيف: رواه البيهقي في الشعب (٥٣٧٩) وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع (٤٤٦).

يستجاب لذلك؟ [١] وقد روى في حديث أن ملكا على بيت المقدس ينادي كل يوم وكل ليلة : «**من أكل حراما لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا** » الصرف : النافلة ، والعدل: الفريضة .

وقال عبد الله بن المبارك : « لأن أرد درهما من شبهة أحب إلى من أتصدق بمائة ألف ومائة » وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « **من حج بمال حرم فقال لبيك ، قال ملك : لا لبيك ولا سعديك حجك مردود عليك** » [٢] . وروى الإمام أحمد في مسنده عن رسول الله ﷺ إنه قال : « **من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم من حرام لم يقبل الله له صلاة ما دام عليه** » [٣] . وقال وهب بن الورد : لو قمت قيام السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك أحلال أم حرام [٤] .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : « **لا يقبل الله صلاة امريد وفي جوفه حرام حتى يتوب إلى الله تعالى منه** » . وقال سفيان الثوري : من أنفق الحرام في الطاعة كمن طهر الثوب بالبول والثوب لا يطهره إلا الماء ، والذنب لا يكفره إلا الحلال . وقال عمر رضي الله عنه : قال قال : رسول الله ﷺ : « **لا يدخل الجنة جسد غذي بالحرام** » [٥] وعن

يشاهدون من يأكل لا يقلع عن طلبه ولا يفتر في طلبه يشاهدون من يتحيل على أكل الربا وقد زين له سوء عمله فرآه حسنا لا يرعوي عن تحيله ولا يتوانى في ذلك يشاهدون من يكذب في السلعة أو ثمنها منهمكا في عادته السيئة لا يقلع عنها . يشاهدون من يعامل بالغش والتموية والتغرير على الناس لا يزال مستمرا في عمله . يشاهدون من يأخذ الرشوة على أعماله الملزم بها من قبل الوظيفة فيتوانى في القيام بعمله حتى يضطر الناس إلى بذل الرشوة له يشاهدونه مشغوفا بهذا العمل ومنهمكًا فيه . يشاهدون من يربحون من وراء

---

(١) صحيح مسلم (١٠١٥).
(٢) ضعيف: رواه ابن الجوزى فى العلل المتناهية (٢/ ٩٣٠) انظر الضعيفة (١٠٩١).
(٣)ضعيف : رواه أحمد (٢/ ٩٨) بسند ضعيف كما في ضعيف الجامع (٥٤٢٨) .
(٤) صحيح: رواه أبو نعيم (٨/ ١٥٤) .
(٥) حسن: رواه أحمد (٣/ ٣٩٩) وابن حبان (٥٥٦٧) والبيهقي في الشعب (٥٣٧٧) بإسناد حسن.

زيد بن أرقم قال : كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج ـ أي قد كاتبه على مال ـ وكان يجيئه كل يوم بخراجه فيسأله : من أين أتيت بها ؟ فإن رضيه أكله وإلا تركه . قال: فجاءّ ذات ليلة بطعام وكان أبوبكر صائما فأكل منه لقمة ونسى أن يسأله ، ثم قال له: من أين جئت بهذا ؟ فقال : كنت تكهنت بأناس بالجاهلية وما كنت أحسن الكهانة ، إلا أني خدعتهم ، فقال أبو بكر : أف لك كت تهلكني ! ثم أدخل يد في فيه فجعل يتقيأ ولا يخرج ، فقيل له : أنها لا تخرج إلا بالماء ، فدعا بماء فجعل يشرب ويتقيأ فقال ﷺ : لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها . إني سمعت رسول الله يقول : « **كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به** » فخشيت أن ينبت بذلك في جسدي من هذه اللقمة [١] . وقد تقدم قوله ﷺ : « **لا يدخل الجنة جسد غذى بحرام** » [٢] ، وإسناده صحيح . قال العلماء رحمهم الله : ويدخل في هذا الباب : المكاس ، والخائن ، والزغلي [٣] والسارق ، والبطال ، وآكل الربا وموكله ، وآكل مال اليتيم وشاهد الزور ، ومن استعار شيئًا فجحده ، وآكل الرشوة ، ومنقص الكيل والوزن ، ومن باع شيًا فيه عيب فغطاه ، والمقامر ، والساحر ، والمنجم ، والمصور،

المشافات في المساهمات العقارية في الأراضي أو غيرها لا يتورعون عن الكسب بهذه الطرق المحرمة يرى الواحد منهم يزيد في قطع الأراضي التي له فيها شركة لا لغرض في القطعة ولكن من أجل رفع ثمنها ليزيد ربحه الذي هو في الحقيقة خسران . فكيف يليق بالمؤمن وهو يعلم بهذه العقوبات ويشاهد تلك النتائج أن يسعى لكسب المال من طريق محرم كيف يرضى أن يخسر دينه من أجل الكسب الظاهري في دنياه كيف يليق به أن يجعل الوسيلة غاية والغاية وسيلة ألم يعلم أن المال وسيلة لقيام الدين والدنيا وإن اكتسابه بطريق محرم هدم للدين والدنيا .

---

(١) صحيح : القصة صحيحة من رواية البخارى (٢٤٨٣) إلى قوله «فقاء كل شىء فى بطنه والحديث رواه البيهقى (٥٧٣٥) وأبو نعيم (١ / ٣١) بنحوه بسند ضعيف جدا وفيه عبد الواحد ابن زيد قال عنه النسائى متروك .

(٢) سبق تخريجه . (٣) الغاش .

والزانية ، والنائحة والعشرية ، والدلال ، إذا أخذ أجرته بغير إذن من البائع ، ومخبر المشتري بالزائد ومن باع حرا فأكل ثمنه .

فصل

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **يؤتى يوم القيامة بأناس معهم من الحسنات كأمثال جبل تهامة ، حتى إذا جيء بهم جعلها الله هباء منثورا ثم يقذف بهم في النار**». **فقيل : يا رسول الله ، كيف ذلك ؟ قال : « كانوا يصلون ، ويصومون ، ويزكون ، ويحجون ، وغير أنهم كانوا إذا عرض لهم شيء من الحرام أخذوه فأحبط الله أعمالهم** »[1] . وعن بعض الصالحين أنه رؤي بعد موته في المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : خيراً ، غير أني محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها فلم أردها . فنسأل الله تعالى العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم رؤوف رحيم .

موعظة

عباد الله أما الليالي والأيام تهدم الآجال ؟ أما مال المقيم في الدنيا إلى الزوال : أما آخر الصحة يؤول إلى الاعتلال ، أما غاية السلامة نقصان الكمال ، أما بعد استقرار المنى هجوم الآجال ، أما أنبئتم عن الرحيل وقد قرب الانتقال أما بانت لكم العبر وضربت لكم الأمثال ؟

وعزيز ناعـــم ذل له ... كل صعب المرتقي وعر المرام

فكساه بعد لين ملـبس ... خشنا بالرغم منه في الرغام

ووجوه ناضرات بدلت ... بعد لون الحسن لونا كالقتام

وشموس طالعات أفلت ... بعد ذاك النور منها بالظـلام

---

(١) صحيح بالشواهد : قال السيوطي في الدر (٥/ ١٢٢) أخرجه عن سمويه في فوائد عن سالم مولى أبي حذيفة وأخرجه ابن ماجه (٤٢٤٥) وصححه الألباني فى الصحيحة(٥٠٥).

ومنيف شـــامخ بنيانـــه اين الأعطاف مهتز القـــوام

أف للدنيا فما شيمتـــها غير نقض العقد أو خفر الذمام

فأستعدوا الزاد تنجوا واعملوا صالحا من قبل تفويض الخيام

يا متعلقا بزخرف يروق بقاؤه كلمح البروق ، يا مضيعا فى الهوى واجبات الحقوق، تبارز الخالق وتستحي من المخلوق ، يا موثرا أعلى العلالي ساترا ذلك الفسوق ، ألا سترى ذلك الفسوق ! يا متولها مهاد الهوى وهو في سجن الردى مرموق ، إبك على نفسك العليلة فإنك بالبكاء محقوق ، عجبا لمن رأى فعل الموت بصحبه ، وأيقن بتلفه وما قضى نحبه ، وسكن الإيمان بالآخرة في قلبه ، ونام غافلا على جنبه ، ونسى جزاءه على جرمه وذنبه وأعرض إلى ريه من الهوى عن ربه ، كأني به وقد سقى كأس حمام يستغيث من شربه ، وأفرده الموت عن أهله وسربه ، ونقله رلى قبره ذل فيه بعد عجبه . فياذا اللب جز على قبره وعج به ، لقد خرقت المواعظ المسامع وما أراه انتفع به السامع ، لقد بدا نور المطالع لكنه أعمى المطالع ، ولقد بانت العبر بآقار الغير لمن اغتر بالمصارع ، فما بالها لا تسكب المدامع ؟ يا عجب لقلب عند ذكر الحق غير خاشع ، لقد نشبت فيه مخالب المطامع . يا من شبيه قد أتى هل ترى ما مضى من العمر براجع ؟ انتبه لما بقى وانته وراجع ، فالهول عظيم والحساب شديد والطريق شاسع ، ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ⑦ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴾ [الطور: ٧ ـ ٨) .

الكبيرة التاسعة والعشرون

أن يقتل الإنسان نفسه

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ (١) .

قال الواحدي في تفسير هذه الآية : ولا تقتلوا أنفسكم ، أي لا يقتل بعضكم بعضا لأنكم أهل دين واحد ، فأنتم كنفس واحدة ، هذا قول ابن عباس والأكثرين وذهب قوم إلى أن هذا نهي عن قتل الإنسان نفسه ، ويدل على صحة هذا ما أخبرنا به أبو منصور محمد بن محمد المنصوري بإسناده عن عمرو بن العاص ، قال : احتلمت في ليلة باردة وأنا في غزوة ذات السلاسل ، فأشفقت إن أغتسلت أن

الكبيرة التاسعة والعشرون

قتل النفس (الانتحار)

من قتل نفسه بشيء عذب به في جهنم يعني إذا قتل الإنسان نفسه بشيء فإنه يعذب به في جنهم .

رجل أكل سمًا ليموت فمات . فإنه يتحسى هذا السم في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها والعياذ بالله ـ صعد إلى السقف فأسقط نفسه حتى هلك فإنه يعذب بمثل ذلك في جهنم . قتل نفسه بسكين فإنه يعذب بها في جهنم ـ قتل نفسه بعصاة فإنه يعذب بها في جهنم . قتل نفسه بقنابل فإنه يعذب بها في جهنم . من ذلك فعل بعض الناس الذين ينتحرون . يلبس الإنسان قنابل يحزمها على بطنه ثم يذهب إلى فئة من العدو ويطلقها فيكون هو أول من يموت هذا يعتبر قاتلاً لنفسه ويعذب بما قتل به نفسه في جهنم والعياذ بالله ـ وهؤلاء يلقون على أنفسهم الفدائيين . ولكنهم قتلوا أنفسهم فيعذبون في نار جهنم بما قتلوا به

---

(١) سورة النساء : ٢٩ ـ ٣٠ .

أهلك، فتيممت فصليت بأصحابي اصبح ، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال : « **يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب ؟** » فأخبرته الذي منعني من الاغتسال فقلت : إني سمعت الله يقول : ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا** ﴾ [النساء: ٢٩] . فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئًا [(١)] . فدل هذا الحديث على أن عمرو تأول هذه الآية هلاك نفسه لا نفس غيره ولم ينكره ذلك عليه النبي ﷺ . قوله : ﴿ **وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ** ﴾ كان ابن عباس يقول : الإشارة تعود إلى كل مانهى عنه من أول السورة إلى هذا الموضع. وقال قوم : الوعيد راجع إلى أكل المال بالباطل وقتل النفس المحرمة ، وقوله تعالى: ﴿ **عُدْوَانًا وَظُلْمًا** ﴾ مع العدوان أن يعدو ما أمر الله به ﴿ **وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا** ﴾ أي أنه قادر على إيقاع ما توعد به من إدخال النار . وعن جندب ابن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال : « **كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع ،**

أنفسهم وليسوا بشهداء . لأنهم فعلوا فعلاً محرمًا . والشهيد هو الذي يتقرب إلى الله تعالى بفعل ما أمره به لا بفعل ما نهاه عنه . والله عز وجل يقول :﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا** ﴾ [النساء: ٢٩] . ويقول: ﴿ **وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [البقرة : ١٩٥].

لكننا نقول هؤلاء الذين نسمع عنهم يفعلون ذلك نرجوا ألا يعذبوا لأنهم جاهلون متأولون . لكنهم ليس لهم أجر وليسوا بشهداء لأنهم فعلوا ما لم يأذن به الله بل ما نهى الله عنه . فإن قال قائل : أليس الصحابة يغامرون فيدخلون صف الأعداء من الروم وغير الروم ؟ قلنا : بلى لكن هل هذا قتل لأنفسهم ؟ ليس بقتل صحيح أنهم على خطر لكن فيه احتمال النجاة . ولهذا يدخلون صفوف الروم فيقتلون من شاء الله ثم يرجعون إلى الجيش . وكذلك ما فعله البراء بن مالك في وقعة اليمامة فإنهم لما وصلوا إلى حائط مسليمة الكذاب وجدوا الباب مغلقًا ولم يتمكنوا من دخوله فطلب من الجيش أن يلقوه من وراء الجدار ليفتح لهم الباب . فألقوه من وراء الجدار من أجل أن يفتح لهم الباب ففعلوه حتى يدخلوا على مسيلمة الكذاب . وفعلاً فتح لهم الباب ونجا.

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٤/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤) وأبو داود (٣٣٤) وصححه الشيخ الألباني في السلسلة (١٥٤).

فأخذ سكينا فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات . قال الله تعالى : بادرني عبد بنفسه حرمت عليه الجنة ». مخرج في الصحيحين[١] وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **«من قتل نفسه بحديدة ، فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا فيها أبدا، ومن قتل نفسه بسم فسمه في يده تحساه في ناره جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن نزل من جبل فقتل نفسه فهو ينزل في نار جهنم خالدا فيها أبدا »** ، مخرج في الصحيحين[٢] . وفي حديث ثابت بن الضحاك قال: قال رسول الله ﷺ : **«لعن المؤمن كقتله ، ومن قذف مؤمنا بكف فهو كقتله ، ومن قتل نفسه بشيئ عذب به يوم القيامة »** [٣] . وفي الحديث الصحيح عن الرجل الذي آلمته الجراح فأستعجل الموت، فقتل نفسه بذباب سيفه فقال رسول الله ﷺ: **«هو من أهل النار»** [٤] .

فلا يمكن أن نستدل بمثل هذه الوقائع على جواز الانتحار الذي يفعله هؤلاء من سلطان ولكن نقول نرجو من الله عز وجل أن لا يآخذهم بما صنعوا . لأنهم صنعوا ذلك عن جهل وحسن نية . فمن قتل نفسه بشئ فإنه يعذب به في نار جهنم .

واعلم أنه ورد فيمن قتل نفسه بشيء [أنه يعذب به في جهنم خالدًا مخلدا فيها أبدا] فذكر التأبيد . فهل يعني ذلك أنه كافر لأنه لا يستحق الخلود المؤبد إلا الكفار ؟

الجواب : لا ليس بكافر . بل يغسل ويكفن ويصلى عليه ويدعى له بالمغفرة كما فعل النبي ﷺ في الرجل الذي قتل نفسه بمشاقص . فقدم إلى الرسول ﷺ ليصلي عليه . لكنه لم يصل عليه وقال صلوا عليه . فصلوا عليه بأمر الرسول ﷺ وهذا يدل على أنه ليس بكافر وحيئذ لا يستحق الخلود المؤبد . فما ذكر في الحديث من ذكر التأبيد إن كانت اللفظة محفوظة عن النبي ﷺ فالمراد شدة التهديد والتنفير من هذا العمل . وإلا فليس بكافر .

سؤال وجوابه : الاضراب عن الطعام حتى يموت هذا من قتل النفس .

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٤٦٣) ومسلم (١١٣) .

(٢) [illegible] رواه البخاري (٥٧٧٨) ومسلم (١٠٩).

(٣) رواه البخاري (٦١٠٥) ومسلم (١١٠) .

(٤) [illegible] رواه البخاري (٦٦٠٧) ومسلم (١١٢) .

فنسأل الله أن يلهمنا رشدنا وأن يعيذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، إنه جواد كريم غفور رحيم .

موعظـة

ابن آدم كيف تظن أعمالك مشيدة ، وأنت تعلم أنها مكيدة ؟ وكيف تترك معاملة المولى وتعلم أنها مفيدة ؟ وكيف تقصر في زادك وقد تحققت أن الطريق بعيدة؟ يا معرضا عنا إلى متى هذا الجفاء والإعراض ؟ يا غافلا عن الموت والعمر لاشك في انقراض . يا مغترا في أمله وأيدي المنايات في أجله تقرضه بمقراض ، يا مغرورا بصحته وبدنه كل يوم في انتقاض ، يا من يفني كل يوم بعضه ستفني والله الأبعاض . يا غافلا عن الزاد وقد أنذره بعد السواد البياض ، يا قليل الاحتراس ونبل المنايا طوال عراض . يا من يساق إلى موارد التلف وقد نزحت الحياض ، يا ضاحكا وعيون الفنا غير غماض عجبا لمن هذه الأوقات بين يديه كيف يقدر جفنه على الإغماض ؟!

الكبيرة الثلاثون
الكذب في غالب أقواله

قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ (١)، وقال الله تعالى : ﴿ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴾ (٢)أي الكاذبون ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ (٣).

وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ، وما زال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا . وإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا** » (٤).

وفي الصحيحين أيضًا أنه ﷺقال : « **آية المنافق ثلاث وإن صلى وصام وزعم**

الكبيرة الثلاثون
الكـذب

والكذب على الناس نوعان أيضًا : كذب يظهر الإنسان فيه أنه من أهل الخير والصلاح والتقي والإيمان وهو ليس كذلك . بل هو من أهل الكفر والطغيان والعياذ بالله . فهذا هو النفاق . النفاق الأكبر الذين قال الله فيهم : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٨] .

---

(١)سورة آل عمران : ٦١ .

(٢)سورة الذاريات : ١٠ .

(٣)سورة غافر: ٢٨ .

(٤) صحيح :رواه البخاري (٦٠٩٤) ومسلم (٢٦٠٧) عن ابن مسعود .

أنه مسلم : إذا حدث كذب ، وإذا واعد أخلف ، وإذا ائتمن خان »(١) .

وقال ﷺ : « أربع من كن فيه كان منافقا خالصً ومن كانت فيه خصلة منها كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا ائتمن خان ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر ، وإذا حدث كذب »(٢) . وفي صحيح البخاري في حديث منام النبي ﷺ قال: « فأتينا على رجل مضطجع لقفاه ، وآخر قائم عليه بكلوب من حديد يشرشر شدقه إلى قفاه وعيناه إلى قفاه ، ثم يذهب إلى الجانب الأخر فيفعل به مثل ما فعل في الجانب الأول ، فما يرجع إليه حتى يصح مثل ما كان ، فيفعل به كذلك إلى يوم القيامة فقلت لهما : من هذا ؟ فقالا : إنه كان يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق »(٣) .

لكنهم يقولون بألستهم ويحلفون على الكذب . وهم يعلمون وشواهد ذلك في القرآن والسنة كثيرة . إنهم أعني المنافقين ـ أهل الكذب يكذبون على الناس في دعوى الإيمان وهم كاذبون وانظر إلى قول الله تعالى في سورة (المنافقون) حيث صدر هذه السورة ببيان كذبهم حيث قال تعالى : ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ [المنافقون: ١] . أكد هذه الجملة بكم مؤكد ؟ بثلاث مؤكدات (نشهد) (إن) (اللام) ثلاثة مؤكدات. يؤكدون أنهم يشهدون أن محمدًا رسول الله ﷺ . فقال الله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ [المنافقون : ١] .

في قولهم : [نشهد إنك لرسول الله] . هذا أيضًا من أنواع الكذب هو أشد أنواع الكذب على الناس . لأن فاعله والعياذ بالله منافق . ونوع آخر من أنواع الكذب وهو : الكذب في الحديث بين الناس : الجاري بين الناس يقول : قلت لفلان كذا وهو لم يقله . قال فلان كذا وهولم يقله . جاء فلان وهو لم يأت . وهكذا . هذا أيضًا محرم ومن

---

(١) رواه البخاري (٣٣) ومسلم (٥٩) عن أبي هريرة .

(٢) رواه البخاري (٣٤) ومسلم (٥٨) عن ابن مسعود .

(٣) سبق تخريجه .

وقال ﷺ « يطبع المؤمن كل شيء ليست الخيانة والكذب »(١) .

وفي الحديث : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث »(٢) . وقال ﷺ : «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : شيخ زان ، وملك كذاب ، وعائل مستكبر »(٣) . العائل : الفقير . وقال ﷺ : « ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به الناس فيكذب . ويل له ، ويل له ، ويل له »(٤) . وأعظم من ذلك الحلف كما أخبر الله تعالى عن المنافقين بقوله : ﴿ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(٥) ، وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة لا يكلمهم

علامات النفاق كما قال النبي ﷺ : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب....» .

ومن الأدلة على تحريم الكذب منها قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ [الإسراء : ٣٦] .

لا تقف أي : لا تتبع ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا . وإذا كان هذا نهيًا عما لا تحط به علما فما بالك بما أحطت به علما وأخبرت بخلافه ؟ يكون هذا أشد وأعظم . وبهذا نعرف أن الإنسان إذا تكلم بكلام فإما أن يكون قد أحاط به علما . فكلامه هذا مباح في الأصل ما لم يجر إلى مفسدة الثاني : أن يقفوا ما يعلم أن الأمر بخلافه فهذا كذب واضح وصريح والثالث : أن يقف ما لم يحط به علما ولا يعلم أن الأمر بخلافه فهذا منهي عنه ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ فينهي أن يتكلم الإنسان في حالين . في الحالة الأولى أن يعلم أن الأمر بخلاف ما يتكلم به . والحالة الثانية : أن يتكلم في أمر لا يعلمه . هذا كله منهي عنه . أما إذا تكلم بما يعلم فهذا أمر

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) رواه أحمد (٢ / ٤٦٥ ، ٥١٧) والبخاري (٦٠٦٦) ومسلم (٢٥٦٣) عن أبي هريرة .

(٣) رواه البخاري (٢٣٤٨) ومسلم (١٠٨) وأبو داود (٣٤٧٤) .

(٤) رواه أبو داود (٤٩٩٠) والترمذي (٢٣١٥) وحسنه الشيخ في غاية المرام (٣٧٦) والمشكاة (٤٨٣٨) وصحيح الجامع (٨٠١٣) .

(٥) سورة المجادلة : ١٤ .

الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : رجل على فضل ما يمنعه ابن السبيل ، ورجل بايع رجلا سلعة فحلف بالله لأخذتها بكذا وكذا فصدقه وأخذها وهو على غير ذلك ، ورجل بايع إماما لا يبايعه إلا للدنيا فإن أعطاه منها وفي له وإن لم يعطه لم يف له» (١)، وقال ﷺ: « كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق وأنت له به كاذب » (٢)، وفي الحديث أيضًا : « من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين وليس بعاقد » (٣)، وقال رسول الله ﷺ: « أفرى الفرى على الله أن يرى الرجل عينيه ما لم تريا » (٤)معناه أن يقول : رأيت في منامي كيت وكيت ولم يكن رأي شيئًا . وقال ابن مسعود ﷺ: لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى ينكت في قلبه نكتة سوداء ، حتى يسود قلبه فيكتب عند الله من الكاذبين .

لا بأس به .

وذكر الآية الآخرى ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [سورة ق : ١٨] . (من قول) نكرة في سياق ماذا ؟ في سياق النفي . ومؤكد عمومها بمن ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ . أي قول تقوله عندك . رقيب عتيد . رقيب عتيد يعني حاضر يراقب يكتب ما تقول : ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ . ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الزخرف : ٨٠].

ما أعظم الأمر كل كلمة تخرج منك تكتب وسوف تلقي ذلك يوم القيامة كما قال تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء : ١٣ ، ١٤] .

أنت حسيب نفسك قال بعض السلف : والله لقد أنصفك من جعلك حسيبًا على

---

(١) ضعيف : أحمد (٤ / ١٨٣) والبيهقي في الشعب ((٤٤٧٩) وضعفه الشيخ في السلسلة الضعيفة (١٢٥١) .

(٢) ...... أحمد (١ / ٢١٦ ، ٣٥٩) والبخاري (٧٠٤٢) .

رواه أحمد (٤ / ١٠٦) والبخاري (٧٠٤٣).

البخاري (٧٠٤٣) .

فينبغي للمسلم أن يحفظ لسانه عن الكلام ، إلا كلامًا ظهرت فيه المصلحة . فإن في السكوت سلامة والسلامة لا يعدلها شيء . وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت** » [(١)]. فهذا الحديث المتفق على صحته نص صريح في أنه لا ينبغي للإنسان أن يتكلم إلا إذا كان الكلام خيرا وهو الذي ظهرت مصلحته للمتكلم قال أبو موسى : قلت يا رسول الله أي المسلمين أفضل ؟ قال : « **من سلم المسلمون من لسانه ويده** » [(٢)]. وفي الصحيحين : « **إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها ـ أي ما يفكر فيها بأنها حرام ـ يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب** » [(٣)]. وفي موطأ الإمام مالك من رواية بلال بن الحارث المزني أن رسول الله ﷺ قال : « **إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى بها له رضوانه إلى يوم يلقاه ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه** » والأحاديث

نفسك .

والحاصل أن الله يقول : ﴿ **مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾ . هذا الرقيب العتيد أي الحاضر يكتب كل شيئ . كل قولك سواء كان لك أو عليك أو من اللغو الذي ليس لك ولا عليك .

ولما كان الإمام أحمد رحمه الله مريضًا يئس من مرضه . قيل له : إن فلانً وأظنه طاووسًا يقول إن الملك يكتب حتى أنين المريض وهو يئس من شدة المرض يكتب عليه أمسك رحمه الله ـ أعني الإمام أحمد ـ أمسك عن الأنين وصار يتصبر ولا يئس. خوفًا من ماذا ؟ من أن يكتب عليه . هؤلاء الذين يحفظون ألسنتهم وجوارحهم ويعرفون قدر الأمور

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٦٠١٨) ومسلم (٤٢) .

(٢)سبق تخريجه .

(٣) صحيح : رواه الترمذي (٢٣١٩ ٩ وابن ماجه (٣٩٦٩) والبيهقي في الشعب (٤٦٠٦) وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٨٦) .

الصحيحة بنحو ما ذكرنا كثيرة وفيما أشرنا إليه كفاية . وسئل بعضهم : كم وجدت في ابن آدم من العيوب ؟ فقال : هي أكثر من أن تحصي ، والذي أحصيته ثمانية آلاف عيب ، ووجدت خصلة إن استعملها سترت العيوب كلها ، وهي حفظ اللسان. جنبنا الله معاصيه واستعملناه فيما يرضيه إنه جواد كريم .

. أمسك حتى عن الأنين .

أما نحن نسأل الله أن يعاملنا وإياكم بالعفو فإطلاق اللسان عندنا كثير . وقد قال الرسول الله : « **من كان يؤمن بالله واليوم فليقل خيراً أو ليصمت** » .

نسأل الله أن يعيننا وإياكم على أنفسنا . وأن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه من القول والعمل.

ثم ذكر الأحاديث . منها حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «**إياكم والكذب . فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار . ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا . وعليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة . ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا** » .

ففي هذا الحديث حذر النبي ﷺ من الكذب فقال : « **إياكم والكذب** » يعني ابتعدوا عنه واجتنبوه . وهذا يعم الكذب في كل شيء ولا يصح قول من قال : إن الكذب إذا لم يتضمن ضرراً على الغير فلا بأس به . فإن هذا قول باطل لأن النصوص ليس فيها هذا القيد النصوص تحرم الكذب مطلقًا . ثم بين الرسول ﷺ أن الكذب يهدي إلى الفجور . يعني إذا كذب الرجل في حديثه فإن لا يزال فيه الأمر حتى يصل به إلى الفجور . يعني إذا كذب الرجل في حديثه فإنه لا يزال فيه الأمر حتى يصل به إلى الفجور والعياذ بالله . وهو الخروج عن الطاعة والتمرد والعصيان . والفجور يهدي إلى النار . قال الله تعالى : ﴿**كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (٨) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ (٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ**﴾ [المطففين : ٧ ـ ١١] . ثم قال : « ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا » . والعياذ بالله أي من الكذابين . لأن الكذب . نسأل الله لنا وكلم السلامة منه ومن سائر الآثام .

إذا اعتاده الإنسان صار يكذب في كل شيء . وصدق عليه وصف المبالغة فكتب عند

. . . .

الله كذابا .

وأما الصدق فحث عليه النبي ﷺ فقال : « **عليكم بالصدق** » إذا تحدثتم فاصدقوا « فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة » .

قال الله تعالى : ﴿**كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ**﴾ [المطففين : ١٨ ، ٢١] .

فإذا صدق الإنسان وعود لسانه على الصدق . هداه إلى البر والبر يهدي إلى الجنة يعني يوصل إليها [ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا] والصديقية منزلة عالية . هي التي تلي منزلة النبوة . كما قال الله تعالى : ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا**﴾ [النساء : ٦٩] .

واعلم أن الكذب يتضاعف جرمه بحسب ما يؤدي إليه . فالكذب في المعاملات أشد من الكذب في مجرد الإخبار . فإذا صار الرجل يكذب في بيعه وشرائه وأخذه وعطائه صار هذا أشد . لأنه إذا كذب في البيع والشراء تمحق بركة بيعه قال النبي ﷺ : «**البيعان بالخيار فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما** » .

وما ترتب على الكذب في البيع والشراء من زيادة في الثمن أو زيادة في المبيع فإنه سحت والعياذ بالله . لأنه مبني على الكذب . والكذب باطل . وما بني على الباطل فهو باطل . وكذلك الكذب في وصف السلعة . يقول الإنسان مثلا : هذه السلعة فيها كذا وكذا من الصفات المرغوبة وهو كاذب . هذا أيضًا من أكل المال بالباطل . ومن ذلك ما يفعله بائعوا السيارات كما يقولون : يعطي الإنسان سيارته هذا الدلال وهو لا يدري أن فيها العيب الفلاني ثم يقول عند عرضها للبيع كل عيب فيها ولا يظهر العيب الحقيقي . فهذا حرام ولا يجوز إذا كان البائع يعلم العيب لكن كتمه وقال للمشتري: أصبر في كل عيب هذا حرام إذاكان يعلم أن فيها عيبًا .

أما إذا كان لا يعلم لكنه يخشى أن يكون فيها عيب لا يطلع عليه فلا بأس أن يترك البراءة من كل عيب مشبوه .

موعظة

أيها العبد : لا شيء أعز عليك من عمرك وأنت تضيعه ، ولا عدو لك كالشيطان وأنت تطيعه ، ولا أضر من موافقة نفسك وأنت تصافيها ، ولا بضاعة سوى ساعات السلامة وأنت تسرف فيها . لقد مضى من عمرك الأطايب فما بقي بعد شيب الذوائب ؟ يا حاضر البدن والقلب غائب ، اجتماع العيب والشيب من جملة المصائب يمضي زمن الصبا وحب الحبائب . كفى زجراً واعظًا تشيب منه الذوائب . يا غافلا فإنه أفضل المناقب ، أين البكا لخوف العظيم الطالب ؟ أين الزمان الذي ضاع في الملاعب ؟ نظرت فيه آخر العواقب ؟ كم في القيامة مع دمع ساكب على ذنوب قد حواها كتاب الكاتب ؟! من لي إذا قمت في موقف المحاسب وقيل لي : ما صنعت في كل واجب ؟ كيف ترجو النجاة وتلهو بأسر الملاعب ، إذا أتتك الأماني بظن الكاذب ؟ . الموت صعب شديد مر المشارب ، يلقى شره بكأس صدور الكتائب. فانظر لنفسك وانتظر قدوم الغائب يأتي بقهر ويرمي بسهم صائب . يا أملا أن تبقى سليما من النوائب بنيت بيتا كنسيج العناكب . أين الذين علوا متون الركايب، ضاقت بهم المنايا سبل المذاهب وأنت بعد قليل حليف المصايب ، فانظر وتفكر وتدبر قبل العجايب .



الكبيرة الحادية والثلاثون

القاضي السوء

قال الله تعالى : ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (١) . وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٢) . قال الله تعالى : ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٣) .

روي الحاكم بإسناده وفي صحيحه عن طلحة بن عبيد الله ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال : « **لا يقبل الله صلاة إمام حكم بغير ما أنزل الله** » (٤) .

وصحح الحاكم أيضًا من حديث بريدة ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ : «**القضاة ثلاثة : قاض في الجنة وقاضيان في النار ، قاض عرف الحق فقضى به فهو في الجنة ، وقاض عرف الحق فجار متعمداً فهو في النار ، قضى بغير علم فهو في النار** » قالوا : فما ذنب الذي يجهل ؟ قال : « **ذنبه أن لا يكون قاضيًا حتى يعلم** » (٥) .

القاضي الســـوء

أهم عدل في الإمام أن يحكم بين الناس بشريعة الله ، لأن شريعة الله هي العدل ، وأما من حكم بالقوانين الوضعية المخالفة للشريعة فهو من أشد الولاة جورًا ـ والعياذ بالله ـ

---

(١) سورة المائدة : ٤٤ .

(٢) سورة المائدة : ٤٥ .

(٣) سورة المائدة : ٤٦ .

(٤) ضعيف: رواه الحاكم (٤ / ٨٩) وقال صحيح الإسناد وتعقبه الذهبي بقوله (إشارة مظلم وفيه عبد الله بن محمد العدوي ومسلم وذكره المنذري في الترغيب (٣ / ١٦٩) وقال عبد الله هذا واه جدًا وهذا الحديث مما أنكر عليه .

(٥) صحيح: رواه أبو داود (٣٥٧٣) والترمذي (١٣٢٥) وابن ماجه (٢٣١٥) وصححه الشيخ الألبانى في الأرواء (٢٣٦١٤) وصحيح الجامع (٤٤٤٦ ، ٤٤٤٧) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من جعل قاضيا فقد ذبح بغير سكين** » [١] . وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : بغير للقاضي أن يكون يومًا في القضاء ويوما في البكاء على نفسه . وقال محمد بن واسع رحمه الله : أول من يدعى يوم القيامة إلى الحساب القضاة . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **يؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يود أنه لم يقض بين اثنين في تمرة** » [٢] . وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إن القاضي ليزل في زلقة في جهنم أبعد من عدن** » [٣] . وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **ليس من وال ولا قاض إلا يؤتى به يوم القيامة حتى يوقف بين يدي الله عز وجل على الصراط ثم تنشر سريرته فقرأ على رؤوس الخلائق ، فإن كان عدلا نجاه الله بعدله ، وإن كان غير ذلك انتفض به ذلك الجسر أنتفاضا ، فصار بين كل عضو من أعضائه مسيرة كذا وكذا ، ثم ينخرق به الجسر إلى جهنم** » [٤] .

وقال مكحول : لو خيرت بين القضاء وبين ضرب عنقي لاخترت ضرب عنقي على القضاء . وقال أيوب السختياني : إني وجدت أعلم الناس أشدهم هربا منه . وقيل للثوري : إن شريحا قد استقضى ، فقال : أي رجل قد أفسدوه ! ودعا مالك ابن المنذر محمد بن واسع ليجعله على قضاء البصرة فأبى ، فعاودوه وقال : لتجلسن، وإلا جلدتك . فقال : إن تفعل فإنك سلطان ، وإن ذليل الدنيا خير من

وأبعد الناس من أن يظله الله بظله يوم لا ظل إلا ظله ، لأنه ليس من العدل أن تحكم بين عباد الله بشريعة غير شريعة الله ، من جعل لك هذا؟ احكم بين الناس بشريعة ربهم عز

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٣٥٧١ ، ٣٥٧٢) والترمذي (١٣٢٣) وحسنه الشيخ في الروض النضير (١١٣٦، المشكاة ٣٧٣٣ ، وصحيح الجامع ٦٥٩٤) .

(٢) ضعيف رواه أحمد (٦ / ٧٥) وابن حبان (٥٠٥٥) ضعيف الجامع (١٥١٦) .

(٣) ضعيف : رواه عبد بن حميد في المنتخب (١٠٨) وسند ضعيف .

(٤) ضغيف: الزواجر (٢ / ١٨٧) ضعيف الجامع (٢٢٥٣) .

ذليل الآخرة ! وقال وهب بن منبه : إذا هم الحاكم بالجور أو عمل به أدخل الله النقص على أهل مملكته حتى في الأسواق والأرزاق والزرع والضرع وكل شيء ، وإذا هم بالخير أو العدل أدخل الله البركة في أهل مملكته كذلك . وكتب عامل عمال حمص إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه . أما بعد فإن مدينة حمص قد تهدمت واحتاجت إلى إصلاح . فكتب إليه عمر : حصنها بالعدل ونق طرقها من الجور ، والسلام .

قال : ويحرم على القاضي أن يحكم وهو غضبان [١] ، وإذا اجتمع في القاضي قلة علم وسوء قصد وأخلاق زعرة [٢] وقلة ورع فقد تم خسرانه ووجب عليه أن يعزل نفسه ، ويبادر بالخلاص . فنسأل الله العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى، إنه جواد كريم .

موعظة

يا من عمره كلما زاد نقص ، يا من يأمن ملك الموت وقد أقتص ، يا مائلا رلى الدنيا هل سلمت من النقض ؟ يا مفرطًا في عمره هل بادرت الفرص ؟ يا من إذا أرتقي في منهاج الهدى ثم لاح له الهوى نكص ، من لك يوم الحشر عند نشر

وجل ، فأعظم العدل أن يحكم الإمام بشريعة الله . ومن ذلك أن يأخذ الحق حتى من نفسه ومن أقرب الناس إليه ، لقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ﴾ [النساء : ١٣٥] .

ومن ذلك أيضًا ألا يفرق بين قريبه وغيره ، فتجده إذا كان الحق على القريب تهاون في تنفيذه وجعل يسوف ويؤخر ، وإذا كان لقريبه على غيره بادر فاقتص منه ، فإن هذا ليس من العدل . والعدل بالنسبة لولي الأمر له فروع كثيرة وأنواع كثيرة لا يتسع المقام الآن لذكرها .

---

(١) روي البخاري (٧١٥٨) ومسلم (١٧١٧) بلفظ (لا يقض القاضي بين اثنين وهو غضبان).

(٢) أي أخلاقه سيئة .

القصص . عجبًا لنفس أمست بالليل هاجعة ، ونسيت أهوال يوم الواقعة ، ولأن تقرعها المواعظ فتصغى لها سامعة ، ثم تعود الزواجر عنها ضائعة والنفوس غدت في كرم الكريم طامعة ، وليست له في حال من الأحوال طائعة ، والأقدام سعت في الهوى في طرق شاسعة ، بعد أن وضحت من الهدى سبل واسعة ، والهمم شرعت في مشارع الهوى متنازع ، لم تكن مواعظ العقول لها نافعة ، وقلوب تضمر التوبة إذا فرغت بزواجر رادعة ، ثم تعود إلى ما لا يحل مرارا متتابعة .



الكبيرة الثانية والثلاثون
أخذ الرشوة على الحكم

. قال الله تعالى : ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١) .

أي لا تدلوا بأموالكم إلى الحكام ، أي لا تصانعوهم بها ولا ترشوهم ليقتطعوا لكم حقًا لغيركم وأنتم تعلمون أنه لا يحل لكم . وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لعن الله الراشي والمرتشي في الحكم » أخرجه الترمذي وقال : حديث حسن (٢) . وعن عبد الله بن عمرو : لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي (٣) . قال العلماء : فالراشي هو الذي يعطي الرشوة ، والمرتشي هو الذي يأخذ الرشوة ، وإنما تلحق اللعنة الراشي إذا قصد بها أذية مسلم أو ينال بها ما لا يستحق ، أما إذا

الرشـــــوة

إن من حماية الله لهذه الأمانة أن حرم على عباده كل ما يكون سببا لضياعها أو نقصها فحرم الرشوة وهي بذل المال للتوصل به إلى باطل أما بإعطاء الباذل ما ليس من حقه أو إعفائه مما هو حق عليه يقول الله تعالى : ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ويقــول سبحانه فــي ذم اليهـود

---

(١) سورة البقرة : ١٨٨ .

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢ / ٣٨٧ ، ٣٨٨) والترمذي (١٣٣٦) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي وصحيح بن ماجه وصحيح الجامع (٥٠٩٣) .

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢ / ١٦٤ ، ١٩٠ ، ٢١٢) وأبو داود (٣٥٨٠) والترمذي (١٣٣٧) وبن ماجه (٢٣١٣) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي وصحيح ابن ماجه وانظر الحديث السابق .

أعطى ليتوصل إلى حق له ويدفع عن نفسه ظلما فإنه غير داخل في اللعنة . وأما الحاكم فالرشوة عليه حرام أبطل بها حقا أو دفع بها ظلما . وقد روي في حديث آخر : « **إن اللعنة على الرائش أيضًا** » (١) وهو الساعي بينهما ، وهو تابع للراشي في قصده خير لم تلحقه اللعنة وإلا لحقته .

فصل

ومن ذلك ما روي أبو داود في سننه عن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **من شفع لرجل شفاعة فأهدى له عليها هدية فقد أتى بابا كبيراً من أبواب الربا** » (٢) . وعن ابن مسعود قال : السحت أن تطلب لأخيك الحاجة فتقضى فيهدي إليك هدية فتقبلها منه (٣) ، وعن مسروق أنه كلم ابن زياد في مظلمة فردها فأهدى إليه صاحب وصيفا فردها ولم يقبلها ، وقال سمعت ابن مسعود يقول: من رد عن مسلم مظلمة فأعطاه على ذلك قليلا أو كثيراً فهو سحت . فقال الرجل: يا أبا عبد الرحمن ما كنا نظن أن السحت إلا الرشوة في الحكم . فقال : ذلك كفر، نعوذ بالله منه ونسأل الله العفو والعافية في كل بلاء ومكروه .

﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ [المائدة:٤٢] والرشوة من السحت كما فسر الآية ابن مسعود وغيره وعن عبد الله بن عمر ﷺ عنهما قال لعن رسول الله الراشي والمرتشي وفي لفظ لعنة الله على الراشي والمرتشي . وهذا إما خبر من النبي ﷺ أو دعاء على الراشي والمرتشي بلعنة الله وهي الطرد والإبعاد عن رحمة الله كما لعن الشيطان فطرد وأبعد عن رحمة الله عز وجل أيها المسلمون إن الطرد من رحمة الله لا تكون إلا على أمر عظيم ومنكر كبير وإن الرشوة لمن أكبر الفساد في الأرض لأن بها تغيير حكم الله وتضييع حقوق

---

(١) ضعيف: رواه ابن أبي شيبة (٦ / ٥٤٩ ، ٥٨٧) والطبراني في ٢ / ٩٤ / ١٤١٥ وضعفه الشيخ في ضعيف الجامع (٤٦٨٧) .

(٢) صحيح: رواه أحمد (٥ / ٢٦١) وأبو داود (٣٥٢٤) صحيح الجامع (٦٣١٦) .

(٣) حسن: رواه عبد الرزاق (٨ / ١٤٧ ، ١٤٨) والبيهقى فى الكبرى (١٠ / ١٣٩) (٥١١٦) في الشعب ورجاله ثقات .

حكاية

عن الإمام أبي عمر الأوزاعي رحمه الله ـ وكان يسكن ببيروت ـ أن نصرانيا جاء إليه فقال : إن والي بعلبك ظلمني بمظلمة ، وأريد أن تكتب إليه وأتاه بقلة عسل ، فقال الأوزاعي رحمه الله : إن شئت رددت القلة وكتبت لك إليه ، وإن شئت أخذت القلة . فكتب له إلى الوالي أن ضع عن هذا النصراني من خراجه . فأخذ القلة والكتاب ومضى إلى الوالي فأعطاه الكتاب فوضع عنه ثلاثين درهما بشفاعة الإمام ، رحمه الله وحشرنا في زمرته .

موعظة

* عباد الله : تدبروا العواقب ، واحذروا قوة المناقب ، واخشوا عقوبة المعاقب ،

عباد الله وإثبات ما هو باطل ، ونفي ما هو حق ، إن الرشوة فساد في المجتمع وتضييع للأمانة وظلم للنفس يظلم الراشي نفسه ببذل المال لينل الباطل ويظلم المرتشي نفسه بالمحاباة في أحكام الله يأكل كل منهما ما ليس من حقه ويكتسب حراما لا ينفعه بل يضره ويسحت مالة أو بركة مالة إن بقى المال .

إن الرشوة تكون في الحكم فيقضي من أجلها لمن لا يستحق أو يمنع من يستحق أو يقدم من غيره أحق بالتقديم وتكون الرشوة في تنفيذ الحكم فيتهاون من عليه تنفيذه بتنفيذه من أجل الرشوة سواء كان ذلك بالتراخي في التنفيذ أو بعمل ما يحول بين المحكوم عليه وألم العقوبة إن كان الحكم عقوبة إن الرشوة تكون في الوظائف والمسابقة فيها فيقدم من أجلها ما لا ينجح أو تعطي له أسئلة المسابقة قبل الإمتحان فيولي الوظيفة من غيره أحق منه وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال من استعمل رجلا من عصابة ـ أي من طائفة ـ وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين (رواه الحاكم وصحح إسناده) وإن الرشوة تكون في تنفيذ المشاريع ينزل مشروع عمل في المناقصة فيبذل أحد المتقدمين رشوة فيرسو المشروع عليه مع أن غيره أنصح قصدًا وأتقن عملاً ولكن الرشوة عملت عملها. وإن الرشوة تكون في التحقيقات الجنائية أو الحوادث أو غيرها فيتساهل المحقق في التحقيق من أجل الرشوة وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا فما أخذ بعد ذلك فهو غلول (رواه أبو داود من حديث عبد الله بن بريدة عن

وخافوا سلب السالب ، فإنه والله طالب غالب . أين الذين قعدوا في طلب المنى وقاموا ، وداروا على توطئة دار الرحيل وحاموا ؟ ما أقل ما لبثوا وما أوفى ما أقاموا! لقد وبخوا في نفوسهم في قعر قبورهم على ما أسلفوا ولاموا .

أما والله لو علم الأنـــام لما خلقوا لما هجعوا وناموا

لقد خلقوا لأمر لو رأتـه عيون قلوبهم تاهوا وهاموا

ممات ، ثم قبر ، ثم حشر وتوبيخ وأهوال ، عظـام

ليوم الحشر قد عملت رجال فصلوا من مخافته وصاموا

ونحن إذا أمرنا أو نهينـا كأهل الكهف أيقاظ نيـام

يا من بأقذار الخطايا قد تلطخ ، وبآفات البلايا قد تضمخ ، يا مَن سمع كلام من لام ووبخ ، يعقد عقد التوبة حتى إذا أمسى يفسخ ، يا مطلقا لسانه والملك يحصى وينسخ ، يا من طير الهوى في صدره قد عشش وفرخ ، كم أباد الموت ملوكا

أبيه) والغلول إثمه عظيم فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال استشهد مولاك أو قال غلامك فلان قال بل يجبر إلى النار في عباءة غلها(١) . وأغرب من ذلك أن تدخل الرشوة في التعليم والثقافة فينجح من أجلها من لا يستحق النجاح أو تقدم له أسئلة الإمتحان أو يشار إلى أماكنها من المقررات أو يتساهل المراقب في مراقبة الطالب من أجلها فيتقدم هذا الطالب مع ضعف مستواه العلمي ويتأخر من هو أحق منه لقوة مستواه العلمي .

إن الأعمال أيها المسلمون دروسًا يأخذها الناس بعضهم من بعض فإذا فشت الرشوة في جهة من جهاته انتشرت في بقية الجهات وصار على من عمل بها أولا وزرها ووزر من عمل بها مقتديا به إلى يوم القيامة .

فاتقوا الله عباد الله وحافظوا على دينكم وأمانتكم وفكروا قليلا أيما خير لكم أن تكونوا قائمين بالعدل بعيدين عن الدناءة حائزين لرضا الله ومثوبته أم تكونوا حائزين متخلدين إلى الأرض متعرضين لسخط الله وعقوبته .

---

(١) صحيح: ورواه البخارى (٣٠٧٤) .

كالجبال الشمخ ، كم أزعج قواعد كانت في الكبر ترسخ ، وأسكنهم ظِلم اللحود من ورائهم برزخ ، يا من قلبه من بدنه بالذنوب أوسخ ، يا مبارزًا بالعظام أتأمن أن يخسف بك أو تمسخ يا من لازم العيب بعد اشتمال الشيب ففعله يؤرخ ، والحمد لله دائمًا أبدًا .

❊ ❊ ❊

الكبيرة الثالثة والثلاثون
تشبه النساء بالرجال وتشبه الرجال بالنساء

في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « **لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء** »[١] . وفي رواية : « **لعن الله الرجلة من النساء** »[٢]. وفي رواية قال : « **لعن الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء** »[٣] . يعني اللاتي يتشبهن بالرجال في لبسهم وحديثهم ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لعن الله المرأة تلبس لبسة الرجل والرجل يلبس لبسة المرأة** »[٤] . فإذا لبست المرأة زي الرجال من المقالب والفرج والأكمام الضيقة فقد شابهت الرجال في لبسهم فتلحقها لعنه الله ورسوله ولزوجها إذا أمكنها من ذلك أي رضى به ولم ينهها لأنه مأمورًا بتقويمها على طاعة الله ونهيها عن المعصية لقول الله تعالى : ﴿ **قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ** ﴾[٥] أي أدبوهم وعلموهم ومروهم بطاعة

الكبيرة الثالثة والثلاثون
تشبه النساء بالرجال والرجال بالنساء

وذلك أن الله سبحانه وتعالى خلق الذكور والإناث وجعل لكل منهما مزية الرجال يختلفون عن النساء في الخلقة والخلق والقوة والدين وغير ذلك . والنساء كذلك يختلفن عن الرجال . فمن حاول أن يجعل الرجال مثل النساء أو أن يجعل النساء مثل الرجال فقد

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٥٨٨٥ ، ٦٨٣٤) والترمذي (٢٧٨٤) وأبو داود (٤٠٩٧) .

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٠٩٩) صحيح الجامع (٥٠٩٦) .

(٣) صحيح: رواه أحمد (١ / ٢٥٢ ، ٢٢٧ ، ٢٥٤) والبخاري (٥٨٨٦) والترمذي (٢٧٨٥) .

(٤) صحيح: رواه أحمد (٢ / ٣٢٧) وأبو داود (٤٠٩٨) وابن ماجه (٣٩٠٣) صحيح الجامع (٥٠٩٥) .

(٥) سورة التحريم : ٦ .

الله وانهوهم عن معصية الله كما يجب ذلك عليكم في حق أنفسكم ، ولقول النبي ﷺ : « **كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته . الرجل راع في أهله ومسؤول عنهم يوم القيامة** » [(١)] . وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « **ألا هلكت الرجال حين أطاعوا النساء** » [(٢)] . وقال الحسن : والله ما أصبح اليوم رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا أكبه الله تعالى في النار .

وقال ﷺ : « **صنفان من أهل النار لم أرهما . قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا**

حاد الله في قدره وشرعه لأن الله سبحانه وتعالى له حكمة فيما خلق وشرع ولهذا جاءت النصوص بالوعيد الشديد اللعن وهو الطرد والإبعاد عن رحمة الله لتشبه الرجل بالمرأة أو المرأة بالرجل . فمن تشبه بالنساء فهو ملعون على لسان النبي ﷺ ومن تشبهت بالرجل فهي ملعونة على لسان النبي ﷺ كما في حديث ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ لعن المخنثين من الرجال .

وفي لفظ المتشبهين من الرجال وبالنساء وهؤلاء هم المخنثون في هذا الحديث ولعن المترجلات من النساء يعني المتشبهات بالرجال . واللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله فإذا تشبه الرجل بالمرأة في لباسه ولا سيما إذا كان لباس محرمًا كالحرير والذهب أو تشبه بالمرأة في كلامها وصار يغير لسانه في الكلام حتى كأنما تتكلم امرأة أو تشبه بالمرأة في مشيتها أو في غير ذلك مما يختص بالمرأة فإنه ملعون على لسان أشرف الخلق ونحن نلعن من لعنه رسول الله . فالمتشبه من الرجال بالنساء ملعون كذلك المرأة إذا تشبهت بالرجال فهي ملعونة . لو صارت تتكلم كما يتكلم الرجل أو جعلت لها عمامة كما يلبس الرجل أو

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٥١٨٨) ومسلم (١٨٢٩) .

(٢) ضعيف: رواه الحاكم (٤ / ٢٩١) والطبراني في الأوسط (٤٢٧) وضعفه الشيخ في السلسلة الضعيفة برقم (٤٣٦) وضعيف الجامع (٦١١٠) وقد صح بلفظ (لن يفلح قوم تملكهم امرأة) رواه البخاري (٤٤٢٧) والترمذي (٢٢٦٢) .

وكذا »[1] أخرجه مسلم . (قوله) : كاسيات أي من نعم الله ، عاريات من شكرها وقيل : هو أن تلبس المرأة ثوبا رقيقا يصف لون بدنها . ومعنى مائلات قيل: عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه ، مميلات أي يعلمن غيرهن الفعل المذموم ، وقيل : مائلات متبخترات مميلات باكتافهن وقيل : يمتشطن المشطة الميلاء وهي مشطة البغايا، ومميلات يمشطن غيرهن تلك المشطة . رؤوسهن كأسنمة البخت أن يكبرنها ويعظمنها بلف عصابة أو عمامة أو نحوهما . وعن نافع قال : كان ابن عمر وعبد الله بن عمرو عن الزبير بن عبد المطلب إذ أقبلت امرأة تسوق غنما متنكبة قوسًا . فقال عبد الله بن عمر : أرجل أنت أم امرأة ؟ فقالت : امرأة . فالتفت إلى ابن عمرو فقال : إن الله تعالى لعن على لسان نبيه ﷺ المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء .

جعلت ثيابها كثياب الرجل ومن ذلك النبطلون فإن لباس البنطلون خاص بالرجال . النساء عليهن أن يلبسن الثياب الساترة والنبطلون كما نعلم جميعًا يكشف المرأة تتبين أفخاذها وسوقها يعني سيقانها وما أشبه ذلك . فلهذا نقول لا يحل للمرأة أن تلبس البنطلون حتى عند زوجها لأن ليست العلة العورة . العلة التشبه فإذا تشبهت المرأة بالرجال فهي ملعونة على لسان محمد ﷺ . ولهذا أردف المؤلف رحمه الله حديث ابن عباس بحديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « **صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس** » . « رواه مسلم » .

قال العلماء : وهؤلاء هم الشرط الذين يضربون الناس بغير حق (معهم سياط كأذناب البقر) . يعني : سوط طويل وله ريشة يضربون بها الناس بغير حق . أما بحق فإنه يضرب المعتدي ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ**﴾ [النور : ٢] .

لا ترأفوا بهما اجلدوهما تمامًا . لكن من ضرب الناس بغير حق فهو من أصناف أهل النار. والعياذ بالله .

الثاني : [النساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة . لا

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢١٢٨) وأحمد (٢ / ٣٥٦ ، ٤٤٠) .

ومن الأفعال التي تلعن عليها المرأة إظهار الزينة والذهب واللؤلؤ من تحت النقاب، وتطيبها بالمسك والعنبر والطيب إذا خرجت ، ولبسها الصباغات والأرز والحرير والأقبية القصار مع تطويل الثوب وتوسعة الأكمام وتطويلها إلى غير ذلك إذا خرجت ، وكل ذلك من التبرج الذي يمقت الله عليه ويمقت فاعله في الدنيا والآخرة، وهذه الأفعال التي قد غلبت على أكثر النساء ، قال عنهن النبي ﷺ : **«اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء »** (١) ، وقال ﷺ : **« ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء »** (٢) . فنسأل الله أن يقينا فتنتهن وأن يصلحهن وإيانا بمنه وكرمه .

يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا] .

هؤلاء أيضًا النساء كاسيات عاريات . قيل : كاسيات بثيابهن كسوة حسية عاريات من التقوى. لأن الله تعالى قال : ﴿ **ولباس التقوى ذلك خير** ﴾ [الأعراف : ٢٦] .

وعلى هذا فيشمل هذا الحديث كل امرأة فاسقة فاجرة وإن كان عليها ثياب فضفاضة . لأن المراد بالكسوة الظاهرة كسوة الثياب عاريات من التقوى . لأن العاري من التقوى لا شك أنه عار . كما قال تعالى : ﴿ **ولباس التقوى ذلك خير** ﴾ . وقيل كاسيات عاريات أي عليهن كسوة حسية لكن لا تستر . إما لضيقها وإما لخفتها تكون رقيقة ما تستر وإما لقصرها . كل هذا يقال للمرأة التي تلبس ذلك إنها كاسية عارية مميلة مائلة . مميلة يعني تميل المشطة كما فسرها بعضهم بأنها المشطة المائلة التي تجعل المشطة على جانب فإن هذا من الميل . لأنها مميلات بمشط ولا سيما أن هذا الميل الذي جاءنا إنما وردنا من النساء الكفار . وهذا والعياذ بالله ابتلى به بعض النساء . فصارت تفرق ما بين الشعر من جانب واحد . فتكون هذه مميلة أي قد أمالت مشطتها .

وقيل : مميلات أي فاتنات غيرهن لما يخرجن به من التبرج والطيب وما أشبه ذلك فهن مميلات لغيرهن ولعل اللفظ يشمل المعنيين . لأن القاعدة أن النص إذا كان يحتمل معنيين ولا مرجح لأحدهما فإنه يحمل عليهما جميعًا . وهنا لا مرجح ولا منافاة لاجتماع

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٥١٩٨) ومسلم (٢٧٣٧) .

(٢) صحيح: رواه البخاري (٥٠٩٦) ومسلم (٢٧٤٠) .

موعظة

ابن آدم كأنك بالموت وقد فجأك وهجم وألحقك بمن سبقك من الأمم ، ونقلك إلى بيت الوحدة والظلم ، ومن ذلك إلى عسكر الموتى مخيمة بين الخيم . مفرقًا من

المعنيين فيكون شاملاً لهذا وهذا . وأما قوله : مائلات فمعناه منحرفات عن الحق وعما يجب عليهن من الحياء والحشمة .

تجدها في السوق تمشي مشية الرجل بقوة وجلد . حتى إن بعض الرجال لا يستطيع أن يمش هذه المشية لكنها هي تمشي كأنها جندي من شدة مشيتها وضربها بالأرض وعدم مبالاتها. كذلك أيضًا تضحك إلى زميلتها معها تضحك وترفع الصوت على وجه يثير الفتنة وكذلك تقف على صاحب الدكان تماكثه في البيع والشراء وتضحك معه وربما تمديدها إليه . لأجل يضع عليها ساعة اليد وما أشبه ذلك من المفاسد والبلاء .

وهؤلاء مائلات لا شك أنهن مائلات عن الحق . نسأل الله العافية رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة . البخت نوع من الإبل لها سنام طويل ينضجع يمينا أو شمالاً . هذه ترفع شعر رأسها حتى يكون مائلاً يمينًا أو يسارًا كأسنمة البخت المائلة . وقال بعض العلماء : بل هذه المرأة تضع على رأسها عمامة كعمامة الرجل حتى يرتفع الخمار ويكون كأنه سنام إبل من البخت . وعلى كل حال فهذه تجمل رأسها بتجميل يفتن . لا يدخلن الجنة ولا يجد من ريحها . نعوذ بالله يعني : لا يدخلن الجنة ولا يقربنها .وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا . من مسيرة سبعين عامًا أو أكثر . ومع ذلك لا تقرب هذه المرأة الجنة والعياذ بالله . لأنها خرجت عن الصراط فهي كاسية عارية مميلة مائلة على رأسها ما يدعو إلى الفتنة والزينة وفي هذا دليل على تحريم هذا النوع من اللباس . لأنه توعد عليه بالحرمان من الجنة . وهذا يدل على أنه من الكبائر . وكذلك المتشبهون من الرجال بالنساء تشبههم من كبائر الذنوب .

وهنا مسألة تشكل على بعض النساء وعلى بعض الناس أيضًا بفعل الإنسان ما فيه التشبه ويقول أنا ما نويت . أنا لم أنو التشبه . فيقال : إن الشبه صورة غالبة متى وجدت حذر التشبه سواء بنية أو بغير نية . فمتى ظهر أن هذا تشبه ويشبه الكافرات ويشبه الفاجرات والعاريات . أو يشبه الرجال من المرأة أو المرأة من الرجل متى ظهر التشبه فهو

مالك ما اجتمع ومن تملك ما انتظم ، ولا تدفعه بكثرة الأموال ولا بقوة الخدم ، وندمت على التفريط غاية الندم ، فيا عجبا لعين تنام وطالبها لم ينم ، متى تحذر مما توعد وتهدد ، ومتى تضرم نار الخوف في قلبك وتتوقد ، إلى متى حسناتك تضمحل وسيئاتك تجدد ، إلى متى لا يهولك زجر الواعظ وإن شدد ، إلى متى أنت بين الفتور والتواني تتردد ، متى تحذر يوما فيه الجلود تنطق وتشهد ؟ متى تترك ما يفنى فيما لا ينفذ ، متى تهب بك في بحر الوجد ريح الخوف والرجاء ، متى تكون في الليل قائمًا إذا سجا ، أين الذين عاملوا مولاهم وانفردوا ، وقاموا في الدجى وركعوا وسجدوا ، وقدموا إلى بابه في الأسحار ووفدوا ، وصاموا هواجر النهار فصبروا واجتهدوا ، ولقد ساروا وتخلفت وفاتك ما وجدوا . وبقيت في أعقابهم وإن لم تلحق بعدوا :

يا نائم الليل متي ترقـــد   قم يا حبيبي قد دنا الموعـــد
من نام حتى ينقضى ليلـــه   لم يبلغ المنزل قبل أن يجهـــد
فقل لذوي الألباب أهل التقـى   قنطرة العرض لكم موعـــد

* * *

حرام سواء كان بقصد أو بغير قصد . لكن إذا كان بقصد فهو أشد وإن كان بغير قصد قلنا: يجب عليك أن تغير ما تشبهت به حتى تبتعد عن التشبه . وأما حديث أبي هريرة رواه أبو داود بإسناد حسن أن الرسول ﷺ نهى أن تلبس المرأة لبسة الرجل ويلبس الرجل لبسة المرأة . هذا يؤيد ما قلنا فيما سبق أن التشبه يكون باللباس والمشية والهيئة وغير ذلك. نسأل الله لكم ولنا السلامة وأن يحفظ ذكورنا وإناثنا مما فيه الفتنة والغلط .

« سؤال وجوابه » المميلون من الرجال ربما يكون أخبث يعني يوجد بعض الشبان ولا سيما إذا كان جميلاً يميل لباسه ويتغنج حتى كأنه يدعو الناس إلى نفسه .

الكبيرة الرابعة والثلاثون

الديوث المستحسن علي أهله والقواد الساعي بين الإثنين بالفساد

قال الله تعالى : ﴿ الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ثلاثة لا يدخلون الجنة : العاق

الديـــــوث

لقد ضل أقوام اعتنوا بتنمية أموالهم ورعايتها وصايانتها وضغطها فأشغلوا أفكارهم وأبدانهم وانشغلوا بها عن راحتهم ومنامهم ثم نسوا أهلهم وأولادهم وما هي قيمة هذه الأموال بالنسبة للأهل والأولاد أليس من الأجدر بهؤلاء أن يخصصوا شيئًا من قواهم الفكرية والجسمية لتربية أهلهم وأولادهم حتى يكونوا بذلك شاكرين لنعمة الله ممتثلين لأمره حيث يقول جل وعلا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦] لقد جعل الله لكم الولاية ، وحملكم مسؤولية الأهل أمركم بأن تقوا أنفسكم وأهليكم تلك النار المزعجة ، لم يأمركم أن تقوا أنفسكم فحسب بل أنفسكم وأهليكم ومن عجب أن هؤلاء المضيعين لأمر الله في حق أولادهم وأهليهم لو أصابت نار الدنيا طرفا من ولده أو كادت لسعى بكل ما يستطيع لدفعها وهرع إلى كل طبيب للشفاء من صرفها أما نار الآخرة فلا يحاول أن يخلص أهله وأولاده منها . أيها الناس إن على كل واحد منا أن يراقب أهله وأولاده في حركاتهم وسكناتهم في ذهابهم وإيابهم في أصحابهم وأخلائهم حتى يكون على بصيرة من أمرهم ويقين في اتجاهاتهم وسيرهم فيقر ما يراه من ذلك صالحا وينكر ما يراه فاسدا ويكلمهم بصراحة ويأخذ منهم ويرد عليهم ولا يغضب فيضيعوهم ويعرض عنهم فإن ذلك يزيد من البلاء والفساد .

---

(١) سورة النور : ٢ .

لوالديه والديوث رجلة النساء » [(١)] . وروي النسائي أن رسول الله ﷺ قال : **«ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة : مدمن خمر والعاق لوالدين والديوث الذي يقر الخبث في أهله »** [(٢)] يعني المستحسن على أهله نعوذ بالله من ذلك .

قال المصنف رحمه الله تعالى : فمن كان يظن بأهله الفاحشة ويتغافل لمحبته فيها أو لأن لها عليه دينا وهو عاجز ، أو صداقًا ثقيلا ، أو له أطفال صغار فترفعه إلى القاضي وتطلب فرضهم فهودون من يعرض عنه ، ولا خير فيمن لا غيره له . فنسأل الله العافية من كل بلاء ومحنة إنه جواد كريم .

موعظـــة

أيها المشغول بالشهوات الفانيات متى تستعد لممات آت ، حتى متى لا تجتهد في إلحاق القوافل الماضيات ، أتطمع وأنت رهين الوساد في لحاق السادات ؟ هيهات هيهات هيهات ! يا آملا في زعمه اللذات احذر هجوم هازم اللذات ، احذر مكائده فهي كوامن في عدة الأنفاس واللحظات :

إن الإنسان إذا لم يقيم على مراقبة أهله وأولاده وتربيتهم تربية صالحة فمن الذي يقوم عليها؟ هل يقوم عليها أباعد للناس ومن لا صلة له فيهم أو يترك هؤلاء الأولاد والأغصان الغضة تعصف بها رياح الأفكار المضللة والإتجاهات المنحرفة والأخلاق الهدامة فينشأ من هؤلاء جيل فاسد لا يرعى لله ولا للناس حرمة ولا حقوقا ، جيل فوضوي لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرا متحررا من كل رق إلا من رق الشيطان منطلقا من كل قيد إلا من قيد الشهوة والطغيان نعم لا بد أن تكون هذه هي النتيجة إلا أن يشاء الله . إن بعض الناس يقول معتذرًا أنا لا أستطيع تربية أولادي إنهم كبروا وتمردوا على وجوابنا على هذا أن تقول لو سلمنا هذا العذر جدلا أو حقيقة واقعة ثم فكرنا لوجدنا أنك أنت السبب في سقوط

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢ / ٧٩، ١٢٨) والحاكم (١ / ٧٢) والبيهقي (١٠ / ٢٢٦) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٣٠٥٢) .

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢ / ١٣٤) والنسائي (٥ / ٨٠) والطبراني (١٣١٨٠) وصححه الشيخ في صحيح الجامع (٣٠٦٣) وانظر الحديث رقم (٣٠٦٢) .

تمضي حلاوة ما أخفيت وبعدها   تبقى عليك سرارة التبعـــات

يا حسرة العاصين يوم معادهـم   لو أنهم سبقوا إلى الجنـــات

لو لم يكن إلا الحياء من الـذي   ستر العيوب لأكثروا الحسـرات

يا من صحيفته قد جفت ، وموازينه بكثرة الذنوب قد خفت ، أما رأيت أكفاء عن مطامعها كفت ، أما رأيت عرائس آحاد إلى اللحود قد زفت ؟ أما عانيت أبدان المترفين وقد أدرجت في الأكفان ولفت ، أما عاينت طور الأجسام في الأرحام ؟ ومتى تنتبه لخلاص نفسك أيها الناعس ، متى تعتبر بربع غيرك الدارس ؟ أين الأكاسرة الشجعان الفوارس ؟ وأين المنعمون بالجواري والظباء الخنس الكوانس ؟ أين المتكبرون ذوو الوجوه العوابس ؟ أين من اعتاد سعة القصور ؟! حبس في القبور في أضيق المحابس ! أي الرافل في أثوابه ؟ عرى في ترابه عن الملابس ، أين الغافل في أمله وأهله عن أجله ؟ سلبته أكف الخالس ، أين جامع الأموال سلب المحروس وهلك الحارس ! حق لمن مكر الدنيا أن يهجرها ، ولمن جهل نفسه أن يزجرها ، ولمن تحقق نقلته أن يذكرها ، ولمن غمر بالنعماء أن يشكرها ، ولمن دعى إلى دار السلام أن يقطع مفاوز الهوى ليحضرها .



هيبتك من نفوسهم لأنك أضعت أمر الله فيهم في أول أمرهم فتركتهم يتصرفون كما يشاؤون لا تسألهم عن أموالهم ولا تأنس لهم بالإجتماع إليهم لا تجتمع معهم على غداء ولا عشاء ولا ينقادون لك أو يأخذوا بتوجيهاتك ولو أنك اتقيت الله في أول أمرك وقمت بتربيتهم على الوجه الذي أمرت لأصلح لك أمر الدنيا والآخرة : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا (٧٠) يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فا[illegible]﴾ [الأحزاب : ٧٠ ـ ٧١].

الكبيرة الخامسة والثلاثون
المحلل والمحلل له

صح من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لعن المحلل والمحلل له [(١)] .
قال الترمذي : والعمل على ذلك عند أهل العلم منهم عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ، وعبد الله بن عمر ، وهو قول الفقهاء من التابعين ورواه الإمام أحمد في مسنده والنسائي في سننه أيضًا بإسناد صحيح . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سئل رسول الله ﷺ عن المحلل فقال : « **لا ، إلا نكاح رغبة ، لا نكاح ذلة ولا استهزاء بكتاب الله عز وجل حتى يذوق العسيلة** » [(٢)] . ورواه أبو إسحاق الجوزجاني . وعن عقبة ابن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : « **ألا أخبركم بالتيس المستعار ؟** » قالوا : بلى يا رسول الله : قال : « **هو المحلل ، لعن الله المحلل والمحلل له** » . رواه ابن ماجه بإسناد صحيح [(٣)] .

الكبيرة الخامسة والثلاثون
المحلل والمحلل له

ينبغي أولاً أن نبين ما هو زواج التحليل .

زواج التحليل أن يعمد رجل إلى امرأة طلقها زوجها ثلاث تطليقات أي طلقها زوجها ثم راجعها ثم طلقها ثم راجعها ثم طلقها الثالثة فهذه المرأة لا تحل لزوجها الذي طلقها ثلاث تطليقات إلا إذا نكحت زوجًا غيره نكاح رغبة وجامعها ثم فارقها بموت أو طلاق لم

---

(١) صحيح: رواه النسائي (٢ / ٩٨) وأحمد (١ / ٤٤٨) والبيهقي (٧ / ٢٠٨) وصححه الشيخ الألباني في الأرواء (١٨٩٧) .

(٢) ضعيف: رواه الطبراني في الكبير (١١٥٦٧) بسند ضعيف وصح بلفظ مقارب عند البخارى (٥٢٦٥) مسلم (١٤٣٣) .

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه (١٩٣٦) والحاكم (٢ / ١٩٨) والبيهقي (٧ / ٢٠٨) وصححه الشيخ في الأرواء (٦ / ٣٠٩ ، ٣١٠) .

وعن ابن عمر أن رجلا سأله فقال : ما تقول في امرأة تزوجتها أحلها لزوجها لم يأمرني ولم يعلم ؟ فقال له ابن عمر : لا إلا نكاح رغبة إن أعجبتك أمسكتها وإن كرهتها فارقتها ، وإنا كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله ﷺ (١). وأما الآثار عن الصحابة والتابعين فقد روي الأثرم وابن المنذر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : «لا أوتي بمحلل ولا محلل له إلا رجمتهما» . وسئل ابن عمر بن الخطاب عن تحليل المرأة لزوجها فقال : (ذلك السفاح) (٢). وعن عبد الله بن شريك العامري قال : سمعت ابن عمر رضي الله عنهما وقد سئل عن رجل طلق ابنة عم له ، ثم ندم ورغب فيها فأراد رجل أن يتزوجها ليحلها له . فقال ابن عمر : كلاهما زان وإن مكثا عشرين سنة أو نحو ذلك إذا كان يعلم أنه يريد أن يحللها (٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سأله رجل فقال : ابن عمي طلق امرأته ثلاثًا ثم ندم فقال : ابن عمك عصى ربه فأندمه ، وأطاع الشيطان فلم يجعل له مخرجا . فقال : كيف ترى في رجل يحلها له ؟ فقال : من يخادع الله يخادعه (٤). وقال إبراهيم

أو فسخ فإنها تحل للزوج الأول لقوله ـ تعالى : ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ . إلى قوله تعالى : [فإن طلقها] . أي الثالثة : ﴿ فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٢٩] .

فيعمد رجل من الناس إلى امرأة طلقها زوجها ثلاث تطليقات فيتزوجها بنية أنه متى حللها للأول طلقها أي متى جامعها طلقها فتعتد منه ثم تعود لزوجها الأول .

وهذا النكاح نكاح فاسد فقد لعن النبي ﷺ المحلل والمحلل له وسمي المحلل التيس المستعار لأنه كالتيس يستعيره صاحب الغنم لمدة معينة ثم يرده إلى

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في الأوسط (٢/ ١٧٤) وصححه الشيخ في الأرواء (١٨٩٨) .

(٢) صحيح: رواه عبد الرازق (١٠٧٧٦) وابن أبي شيبة (٤ / ٢٩٤) بسند صحيح .

(٣) صحيح: رواه عن الرزاق (١٠٧٧٨) .

(٤) صحيح: رواه عن الرزاق (١٠٧٧٩) وذكره الشيخ في الأرواء (١٨٩٩) .

النخعي : إذا كان نية أحد الثلاثة الزوج الأول أو الزوج الآخر أو المرأة التحليل فنكاح الآخر باطل ولا تحل للأول [١]. وقال الحسن البصري : إذا هم أحد الثلاثة بالتحليل فقد أفسد [٢]. وقال سعيد بن المسيب إمام التابعين في رجل تزوج امرأة ليحلها لزوجها الأول ، فقال : لا تحل [٣]. وممن قال بذلك مالك بن أنس ، والليث بن سعد ، وسفيان الثوري ، والإمام أحمد . وقال إسماعيل بن سعيد : سألت الإمام أحمد عن الرجل يتزوج المرأة وفي نفسه أن يحللها لزوجها الأول ولم تعلم المرأة بذلك ؟ فقال : هو محلل وإذا أراد بذلك الإحلال فهو ملعون ، ومذهب الشافعي رحمه الله : إذا شرط التحليل في العقد بطل العقد ، لأنه عقد بشرط قطعه دون غايته فبطل كنكاح المتعة ، وإن وجد الشرط قبل العقد فالأصح الصحة ، وإن عقد كذلك ولم يشرطا في العقد ولا قبله لم يفسد العقد ، وإن تزوجها على أنه إذا أحلها طلقها ففيه قولان أصحهما أنه يبطل . ووجه البطلان أنه شرط يمنع صحته دوام النكاح فأشبه التأقيت وهذا هو الأصح في الرافعي . ووجه الثاني أنه شرط فاسد قارن العقد فلا يبطل كما لو تزوجها بشرط أن لا يتزوج عليها ولا يسافر بها والله أعلم . فنسأل الله أن يوفقنا لما يرضيه ، ويجنبنا معاصيه ، إنه جواد كريم غفور

هذا الرجل كالتيس طلب منه الزواج من هذه المرأة ثم فارقها .

هذا هو نكاح التحليل ويقع في صورتين :

الصورة الأولى :أن يشترط ذلك على العقد فيقال للزوج : زوجك ابنتنا بشرط أن تجامعها ثم تطلقها .

الصورة الثانية :أن يقع بدون شرط ولكن بنية والنية قد تكون من الزوج وقد تكون من الزوجة وأوليائها فإذا كانت من الزوج فإن الزوج وهو الذي بيده الفرقة فلا تحل له

---

(١)رواه ابن أبي شيبة (٤ / ٢٩٥) وسعيد بن منصور (١٩٩٤) .

(٢)رواه بن أبي شيبة (٤ / ٢٩٥) وسعيد بن منصور (١٩٩٥) .

(٣)رواه سعيد بن منصور (١٩٨٩) .

رحيم . قال فضية الشيخ

موعظـــة

لله در قوم تركوا الدنيا قبل تركها ، وأخرجوا قلوبهم بالنفر عن ظلام شكلها ، التقطوا أيام السلامة فغنموا ، وتلذذوا بكلام مولاهم فاستسلموا لأمره وسلموا ، وأخذوا مواهبه بالشكر وتسلموا ، هجروا في طاعته لذيذ الكرى وهربوا إليه من جميع الورى ، وآثروا طاعته من علم ودرى . ورضوا فلم يعترضوا على ما جرى ، وباعوا أنفسهم فيا نعم البيع ويا نعم الشراء أسلموا إليه لما سلموا الروح ، وخدموه والصدر لخدمته مشروح ، وقرعوا بابه وإذا الباب مفتوح ، وواصلوا البكاء فالجفن بالدمع مقروح ، وقاموا في الأسحار قيام من يبكي وينوح ، وصبروا على مقطعات الصوف ولبس المسوح ، وراضوا أنفسهم فإذا المذموم ممدوح . تعرفهم بسيماهم عليهم آثار الصدق تلوح، قد عبقوا بنشر أنسة رائحة ارتياحهم تفوح ، من طيب الثنا روائح لهم بكل مكان تستنشق ، ممسكة النفحات إلا أنها وحشية لسواهم لا تعبق.

* * *

الزوجة في هذا العقد لأنه لم ينوي المقصود من النكاح وهو البقاء مع الزوجة والألفة والمحبة وطلب العفة والأولاد وغير ذلك من مصالح النكاح فلا يكون النكاح صحيحًا.

وأمانية المرأة أو أوليائها فهذا محل خلاف بين العلماء ولم يتحرر عندي الآن أي القولين أصح .

والخلاصة : أن نكاح التحليل نكاح محرم ونكاح لا يفيد حلها للزوج الأول لأنه غير صحيح .

الكبيرة السادسة والثلاثون

عدم التنزه من البول وهو شعار النصارى

قال الله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ (١) ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : مر النبي ﷺ بقبرين ، فقال : « **إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستبرىء من البول** » (٢) أي لا يتحرر منه . مخرج في الصحيحين، وقال رسول الله ﷺ : « **استنزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه** » رواه الدارقطني (٣) .

ثم إن من لم يتحرز من البول في بدنه وثيابه فصلاته غير مقبولة . وروي الحافظ أبو نعيم في « الحلية » عن شقي بن ماتع الأصبحي عن رسول الله ﷺ قال : «**أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى ، يسعون ما بين الحميم والجحيم ، ويدعون بالويل والثبور ، ويقول أهل النار لبعضهم البعض : ما بال هؤلاء قد آذونا على ما بنا من الأذى . قال : فرجل مغلق عليه تابوت من جمر ، ورجل يجر أمعاءه ، ورجل**

الكبيرة السادسة والثلاثون

الاستبراء من البول

وذلك من أجل التحذير عن فعلهما . لأن فعلهما كبير كما جاء في الرواية : [بلى إنه كبير] أحدهما لا يستبريء من البول وإذا لم يستبرئ من البول صلى بغير طهارة . والآخر يمشي بالنميمة يفسد بين عباد الله والعياذ بالله ويلقى بينهم العداوة والبغضاء فالأمر كبير .

---

(١) سورة المدثر : ٤ .

(٢) صحيح رواه البخاري (١٣٧٨ ، ٣٥٢ ، ١٣٦١) ومسلم (٢٩٢) وأبو داود (٢٠) .

(٣) صحيح : رواه ابن أبي شيبة (١ / ٤٤ / ٢) وابن ماجه (٣٤٨) والحاكم (١ / ١٨٣) والدارقطني (١ / ١٢٨) صحيح الجامع (٣٠٠٢) والأرواء (٢٨٠) .

يسيل فمه قيحا ودما ، ورجل يأكل لحمه . قال : فيقال لصاحب التابوت : ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا الأذى ؟ فيقول : إن الأبعد مات وفي عنقه أموال الناس ، ثم قال للذي يجر أمعاءه : ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ، فيقول : إن الأبعد كان لا يبالي أين ما أصاب البول منه (ولا يغسله) . ثم يقال للذي يسيل فمه قيحا ودما : ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ فيقول : إن الأبعد كان ينظر كل كلمة قبيحة فستلذها » . وفي رواية : « **كان يأكل لحوم الناس ويمشي بالنميمة ، ثم يقال للذي يأكل لحمه . ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ فيقول : إن الأبعد كان يأكل لحوم الناس ـ يعني بالغيبة »** [1] ، فنسأل الله العفو والعافية بمنه وكرمه إنه أرحم الراحمين .

موعظـــــــة

أيها العبيد تذكروا بمصارع الذين سبقوا ، وتدبروا في عواقبهم أين انطلقوا ؟ ، واعملوا أنهم قد تقاسموا وافترقوا ، أما أهل الخير فسعدوا وأما أهل الشر فشقوا ، فانظر لنفسك قبل أن تلقي ما لقوا .

والمرء مثل هلال عند مطلعـــــــه	يبدو ضئيلا لطيفا ثم يتســـــــق
يزداد حتى إذا ما تم أعقبـــــــه	كر الجديدين نقصا ثم يمتحـــــق
كان الشباب رداء قد بهجت بـــه	فقد تطاير منه للبلا خـــــــرق
ومات مبتسم جد المشيب بـــــه	كالليل ينهض في أعجازه الأفـــق
عجبت والدهر لا تفنى عجائبـــه	من راكنين إلى الدنيا وقد صدقــوا
وطالما نغصت بالفجع صاحبهـــا	بطارق الفجع والتنغيض قد طرقـوا
دار تعد بها الآجال مهلكـــــــة	وذو التجارب فيها خائف فـــــرق

(١) ضعيف : رواه ابن أبي الدنيا في الغيبة (٤٩) والهيثمي (١٨٦) وأبو نعيم (٥ / ١٦٧) والطبراني في الكبير (٧٢٢٦) بسند ضعيف .

يا للرجال لمخدوع بباطلهـــــا بعد البيان ومغرور بها يثـــــــق

أقول والنفس تدعوني لزخرفها أين الملوك ، ملوك الناس والسوق

أين الذين إلى لذاتها جنحـــوا قد كان قبلهم عيش ومرتفـــــــق

أمست مساكنهم قفرا معطلـــة كأنهم لم يكونوا قبلها خلقـــــوا

يا أهل لذة دار لا بقاء لهـــــا إن اغترار بظل زائل حمـــــــق

* * *

الكبيرة السابعة والثلاثون

الرياء

قال الله تعالى مخبرا عن المنافقين: ﴿ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ (١) وقال الله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ. الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ. وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ (٢) ، وقال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ ﴾ (٣) ، وقال الله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (٤) .

أي لا يرائي بعمله . وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد في سبيل الله فأتى به فعرفه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جريء ، وقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار ورجل وسع الله عيه وأعطاه من أصناف المال فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك . قال :**

الكبيرة السابعة والثلاثون

الرياء

سبق ذكره عند ذكر الكبيرة الأولى .

---

(١) سورة النساء : ١٤٢ .

(٢) سورة الماعون : ٤ ، ٧ .

(٣) سورة البقرة : ٢٦٤ .

(٤) سورة الكهف : ١١٠ .

كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار . ورجل تعلم العلم وعلمه ، وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن : قال : كذبت ولكنك تعلمت ليقال هو عالم ، وقرأت ليقال هو قارىء ، ثم أمر فسحب على وجهه حتى ألقى في النار » رواه مسلم[1]. وقال ﷺ : « من سمع الله به ، ومن يرائي يراءى به »[2]. قال الخطابي : معناه من عمل عملا على غير إخلاص إنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه جوزي على ذلك بأنه يشهره ويفضحه ، فيبدو عليه ما كان يبطنه ويسره من ذلك ، والله أعلم .

وقال ﷺ : « اليسير من الرياء شرك » [3]. وقال ﷺ : « أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » ، فقيل : وما هو يا رسول الله ؟ قال : « الرياء . يقول الله تعالى يوم يجازى العباد بأعمالهم : (اذهبوا إلى الذين كنتم تراءونهم بأعمالكم فانظروا هل تجدون عندهم جزاء) » [4]. وقيل في قوله تعالى : ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [5] قيل : كانوا عملوا أعمالاً كانوا يرونها في الدنيا حسنات بدت لهم يوم القيامة سيئات ، وكان بعض السلف إذا قرأ هذه الآية يقول ويل لأهل الرياء . وقيل : إن المرائي يناي به يوم القيامة بأربعة أسماء : يا مرائي ، يا غادر ، يا فاجر ، يا خاسر ، اذهب فخذ أجرك ممن عملت له فلا أجر لك عندنا . وقال الحسن : المرائي يريد أن يغلب قدر الله فيه هو رجل سوء ، يريد أن يقول الناس هو صالح ، فكيف يقولون وقد حل من ربه محل الأرذياء ؟ فلا بد من قلوب المؤمنين

---

(١) رواه مسلم (١٩٠٥) .

(٢) سبق تخريجه..

(٣) سبق تخريجه .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) سورة الزمر : ٤٧ .

أن تعرفه . وقال قتادة : إذا راءى العبد يقول الله : انظروا إلى عبدي كيف يستهزئ بي ، وروي أن عمربن الخطاب رضي الله عنه نظر إلى رجل وهو يطاطئ رقبته ، فقال : يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ، ليس الخشوع في الرقاب إنما الخشوع في القلوب ، وقيل إن أبا أمامة الباهلي رضي الله عنه أتى على رجل في المسجد وهو ساجد يبكي في سجوده ويدعو ، فقال له أبو أمامة : أنت ، أنت ، لو كانت هذا في بيتك ! وقال محمد بن المبارك الصوري : أظهر السمت بالليل فإنه أشرف من إظهاره بالنهار ، لأن السمت بالنهار للمخلوقين ، والسمت بالليل لرب العالمين . وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : للمرائي ثلاث علامات : يكسل إذا كان وحده ، وينشط إذا كان في الناس ، ويزيد في العمل إذا أثنى عليه ، وينقص إذا ذم به . وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : ترك العمل لأجل الناس رياء ، والعمل لأجل الناس شرك ، والإخلاص أن يعافيك الله منهما ، فنسأل الله المعونة والإخلاص في الأعمال والأقوال والحركات والسكنات إنه جواد كريم .

موعظة

عباد الله ! إن أيامكم قلائل ومواعظكم قواتل ، فليخبر الأواخر الأوائل ، وليستيقظ الغافل قبل سير القوافل ، يا من يوقن أنه لا شك راحل ، وما له زاد ولا رواحل ، يا من لج في لجة الهوى متى ترتقي إلى الساحل ؟ هل انتبهت من رقاد شامل ، وحضرت المواعظ بقلب غير غافل ، وقمت في الليل قيام عاقل ، وكتبت بالدموع سطور الرسائل ، تخفى بها زفرات الندم والوسائل ، وبعثتها في سفينة دمع سائل لعلها ترسو على الساحل . واأسفا لمغرور جهول غافل ، لقد أثقل بعد الكهوله بالذنب الكاهل ، وقد ضيع البطالة وبذل الجاهل ، وركن إلى ركوب الهوى ركبة مائل ، يبني البنيان ويشيد المعاقل ، وهو عن ذكر قبره متشاغل ، ويدعى بعد هذا أنه عاقل . تالله لقد سبقه الأبطال إلى أعلى المنازل ، وهو يؤمل في بطالته فوز العامل وهيهات هيهات ما فاز باطل بطائل :

أيها المعجب فخــــرا بمقاصير البيـــــوت

إنما الدنيا محـــــل لقيام وقنـــــوت

فغدا تنزل بيتـــــا ضيقا بعد النحـــوت

بين أقوام سكـــوت ناطقات في الصمـــوت

فارض في الدنيا بثـوب ومن العيش بقـــوت

وأتخذ بيتا ضعيفًـــا مثل بيت العنكبـــوت

ثم قل : يا نفس هــذا بيت مثواك فمـــوتي

❊ ❊ ❊

الكبيرة الثامنة والثلاثون

التعلم للدنيا وكتمان العلم

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (١) يعني العلماء بالله عز وجل ، قال ابن عباس : يريد إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني . وقال مجاهد والشعبي : العالم من خاف الله تعالى . وقال الربيع بن أنس : من لم يخش الله فليس بعالم . وقال الله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ (٢) .

نزلت هذه الآية في علماء اليهود، وأراد ﴿ الْبَيِّنَاتِ ﴾ الرجم والحدود والأحكام ﴿وَالْهُدَىٰ ﴾ أمر محمد ، ونعته ﴿مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ ﴾ أي بني إسرائيل ﴿فِي الْكِتَابِ ﴾ أي في التوراة ، ﴿أُولَٰئِكَ ﴾ يعني الذين يكتمون ﴿يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ ، قال ابن عباس : كل شيء لا الجن والإنس . وقال ابن مسعود : ما تلاعن اثنين من المسلمين إلا رجعت تلك اللعنة على اليهود والنصارى الذي يكتمون أمر محمد ﷺ وصفته . وقال الله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا

الكبيرة الثامنة والثلاثـون

التعلم للدنيا وكتمان العلم

أما حديث أبي هريرة فهو فيمن طلب علمًا مما يبتغي به وجه الله وذلك هو العلم الشرعي علم الكتاب والسنة . إذا طلب الإنسان علمًا من علم الكتاب والسنة لا يريد إلا أن ينال به عرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يعني ريحها . وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا . فمثلاً لو أن إنسانًا تعلم علم العقائد . لأجل أن يقال فلان جيد في العقيدة أو

---

(١) سورة فاطر : ٢٨ .

(٢) سورة البقرة : ١٥٩ .

تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون ﴾[1] .

قال الواحدي : نزلت هذه الآية في يهود المدينة ، أخذ الله ميثاقهم في التوراة ليبين شأن محمد ﷺ ونعته ومبعثه ولا يخفونه ، وهو قول الله تعالى : ﴿ لتبيننه للناس ولا تكتمونه ﴾ ، وقال الحسن : هذا ميثاق الله تعالى على علماء اليهود أن يبينوا للناس ما في كتابهم ، وفيه ذكر رسول الله ﷺ وقوله : ﴿فنبذوه وراء ظهورهم﴾ . قال ابن عباس : أي ألقوا ذلك الميثاق خلف ظهورهم ، ﴿واشتروا به ثمنا قليلا﴾ ، يعني ما كانوا يأخذونه من سفلتهم برياستهم في العلم ، وقوله : ﴿فبئس ما يشترون﴾ قال ابن عباس : قبح شراؤهم وخسروا . وقال رسول الله ﷺ : « **من تعلم علما مما يبتغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيبه عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة** » يعني ريحها رواه أبو داود[2] وقد مر حديث أبي هريرة في الثلاثة الذين يسحبون إلى النار، أحدهم الذي يقال له : إنما « **تعلمت ليقال عالم وقد قيل** »[3] ، وقال ﷺ : « **من ابتغى العلم ليباهي به العلماء أو ليماري به السفهاء أو تقبل أفئدة الناس إليه،**

لأجل أن يوظف أو ما أشبه ذلك . أو علم الفقه أو علم التفسير أو علم الحديث ليرائى به الناس . فإنه لا يجد ريح الجنة والعياذ بالله يعني يحرم دخولها .

وأما العلوم التي ليست مما يتبغي بها وجه الله كعلوم الدنيا : كعلم الحساب والهندسة والبناء لو تعلمه الإنسان يريد عرضًا من الدنيا فلا شيء عليه . لأن هذا العلم دنيوي يراد للدنيا .

والحديث الذي فيه الوعيد مقيد بالعلم الذي يبتغي به وجه الله فإن قال قائل : كثير من الطلبة الآن يدرسون في الكليات يريدون الشهادة . الشهادة العليا . فيقال : إنما

---

(١) سورة آل عمران : ١٨٧ .

(٢) رواه أحمد (٢ / ٣٣٨) وأبو داود (٣٦٦٤) وابن ماجه (٢٥٢) وصححه الشيخ في صحيح الجامع (٦١٥٩) .

(٣) سبق تخريجه .

فإلى النار » . وفي لفظ : « **أدخله الله النار** » [1] أخرجه الترمذي ، وقال ﷺ : «**من سئل عن علم فكتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نار** » [2] . وكان من دعاء رسول الله ﷺ : « **أعوذ بك من علم لا ينفع** » [3] . وقال ﷺ : « **من تعلم علما لم يعمل به لم يزده العلم إلا كبرا** » [4] . وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**يجاء بالعالم السوء يوم القيامة فيقذف في النار فيدور بقصبه كما يدور الحمار بالرحا فيقال له : بما لقيت هذا وإنما أهتدينا بك فيقول : كنت أخالفكم إلى ما إنهاكم عنه** » [5] . وقال هلال ابن العلاء : طلب العلم شديد وحفظه أشد من طلبه والعمل به أشد من حفظه ، والسلامة منه أشد من العمل به فنسأل الله السلامة من كل بلاء والتوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم .

الأعمال بالنيات . إذا كان يريد بالشهادات العليا أن ينال الوظيفة والمرتبة فهذا أراد به عرضًا من الدنيا . وإن أراد بذلك أن يتبوأ مكانًا لينفع الناس ليكون مدرسًا . ليكون مديرًا . ليكون موجهًا . فهذا خير ولا بأس به لأن الناس أصبحوا الآن لا يقدرون الإنسان بعلمه وإنما يقدرونه بشهادته .

فإذا قال قائل مثلاً لو أبقيت بدون شهادة مهما بلغت من العلم لن يجعلوني معلمًا لكني أتعلم وآخذ شهادة لأجل أن أكون معلمًا أنفع المسلمين فهذه نية طيبة وليس فيها شيء.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٦٥٤) صحيح الجامع (٥٩٣٠) .

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٣٦٥٨) والترمذي (٢٦٤٩) وابن ماجه (١٦٦) صحيح الجامع (٦٢٨٤).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٧٢٢) والنسائي (٥٥٥١) وابن ماجه (٢٥٠) والترمذي (٣٤٨٢) .

(٤) ضعيف: روي نحوه بن ماجه (٢٥٨) وضعفه الشيخ في الضعيفة (٥٠١٧) .

(٥) ضعيف : رواه الأصبهاني في الترغيب (٢١٣٦) وسند ضعيف وقد ورد معناه في البخاري (٣٢٦٧) ومسلم (٢٩٨٩) .

موعظـة

ابن آدم ! متى تذكر عواقب الأمور ؟ متى ترحل الرحال عن هذه القصور ؟ إلى متى أنت في جميع ما تبني تدور ؟ أين من كان من قبلكم في المنازل والدور ؟ أين من ظن بسوء تدبيره أنه لا يحور ؟ رحل والله الكل فاجتمعوا في القبور ؟ واستوطنوا أخشن المهاد إلى نفخ الصور ، فإذا قاموا إلى فصل القضاء والسماء تمور ، كشفوا الحجاب المخفي وهتك المستور ، وظهرت عجائب الأفعال وحصل ما في الصدور ، ونصب الصراط فكم من قدم عثور ، ووضعت عليه كلاليب لخطف كل مغرور ، وأصبحت وجوه المتقين تشرق كالبدور . وباءوا بتجارة لن تبور ، ودعا أهل الفجور بالويل والثبور ، وجيء بالنار تقاد بالأزمة وهي تفور ، ﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴾ [الملك: ٧].

ليس في الدنيا لمـن آ من بالبعث سـرور

إنما يفرح بالـدن يا جهول أو كفـور

إنما الدنيا متـاع كل ما فيها غـرور

فتذكر هول يـوم السماء فيه تمـور

* * *

الكبيرة التاسعة والثلاثون

الخيانــة

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

قال الواحدي رحمه الله تعالى : نزلت هذه الآية في أبي لبابة حين بعثه رسول الله ﷺ إلى بني قريظة لما حاصرهم وكان أهله وولده فيهم ، فقالوا : يا أبا لبابة ما ترى لنا إن نزلنا على حكم سعد فينا ؟ فأشار أبو لبابة إلى حلقه أي أنه الذبح فلا تفعلوا ، فكانت تلك منه خيانة لله ورسوله قال أبو لبابة : فما زالت قدماي من مكاني حتى عرفت أني خنت الله ورسوله (٢) ، وقوله : ﴿وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ عطف على النهي أي ولا تخونوا أماناتكم . قال ابن عباس : الأمانات

الكبيرة التاسعة والثلاثون

الخيانة

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « **أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا . ومن كان فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها** » [سبق تخريجه.

قوله : « **أربع من كن فيه** » أي من اتصف بهن كان منافقًا خالصًا لأنه أتى بجميع الأعمال التي يتصف بها المنافقين والعياذ بالله . والمراد بالنفاق هنا النفاق العملي الذي يكون عليه أهل النفاق العقدي وليس نفاق الاعتقاد لأن نفاق الاعتقاد نفاق كفر والعياذ بالله وهو الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر . أما هؤلاء الذين يتصفون بهذه الصفات فإنهم

---

(١) سورة الأنفال : ٢٨ .

(٢) قال السيوطي في الدر (٣ / ٣٢٣) رواه سعيد بن منصور وابن أبي حاتم .

الأعمال التي ائتمن الله عليها العباد ، يعني الفرائض يقول : لا تنقضوها . قال الكلبي : أما خيانة الله ورسوله فمعصيتهما ، وأما خيانة الأمانة : فكل واحد مؤتمن على ما افترضه الله عليه ، إن شاء خانها وإن شاء أداها لا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى . وقوله : ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنها أمانة من غير شبهة ، وقال تعالى : ﴿ **إن الله لا يهدي كيد الخائنين** ﴾ أي لا يرشد كيد من خان أمانته يعني أنه يفتضح في العاقبة بحرمان الهداية . وقال ﷺ : « **آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان** » [1]. وقال رسول الله ﷺ: « **لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له** »[2]. والخيانة قبيحة في كل شيء وبعضها شر من بعض ، وليس من خانك

يؤمنون بالله واليوم الآخر إيمانًا حقيقيًا ولكنهم يستعملون هذه الصفات وفيها شيء من النفاق . أولاً قال : « **إذا أؤتمن خان** » إذا ائتمنه إنسان على شيء خانه فمثلاً إذا أعطى وديعة وقيل له خذها احفظها دراهم أو ساعة أو قلم أو متاع أو غير ذلك يكون فيها يستعملها لنفسه أو يتركها فلا يحفظها في مكانها أو يظفر بها من يتسلط عليه ويأخذها . المهم أنه لا يؤدي الأمانة فيها . كذلك إذا أؤتمن على حديث سري وقيل له لا تخبر أحدًا ذهب يخبر . قال لي فلان . وبعض الناس والعياذ بالله يبتلى بحب الظهور والشهرة إذا ائتمنه أحد من ولاة الأمور أو من كبراء القوم ووجهائهم ذهب يتحدث . قال لي الأمير كذا . قال لي الوزير كذا . قال لي الشيخ كذا . يتجمل عند الناس بأنه ممن يحادثه الكبراء والشرفاء . وهذه من خيانة الأمانة والعياذ بالله . ومن ذلك أيضًا الأمانات في الولايات . يكون الإنسان وليًا على يتيم على ماله وحضانته وتربيته فلا يقوم بالواجب . يهمل ماله وربما يستقرضه لنفسه ولا يدري هل يستطيع الوفاء فيما بعد أم لا ؟ ولا يقربه بالتي هي أحسن . هذا أيضًا من خيانة الأمانة ومن ذلك أيضًا أن الإنسان لا يقوم بواجب التربية في أهله وأولاده وقد ائتمنه الله عليهم فقال جل وعلا :

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) حسن: رواه ابن أبي شيبة في الإيمان (٧) وفي المنتقى (١١ / ١١) وأحمد (٣ / ١٣٥ ، ١٥٤، ٢١٠) وحسنه الشيخ في صحيح الجامع (٢١٧٩) .

فليس كمن خانك في أهلك ومالك وارتكب العظائم . وعن رسول الله ﷺ أنه قال : « **أد الأمانة إلى من آئتمنك ولا تخن من خانك** »[١] . وفي الحديث أيضًا : «**يطبع المؤمن كل شيء ليس الخيانة والكذب** »[٢] وقال رسول الله ﷺ : « **يقول الله: أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه** »[٣] ، وفيه أيضًا : « **أول ما يرفع من الناس الأمانة ، وآخر ما يبقى الصلاة ، ورب مصل لا خير فيه** »[٤] . وقال رسول الله ﷺ : « **إياكم والخيانة فإنها بئست البطانة** »[٥] ، وقال ﷺ : « **هكذا أهل النار وذكر منهم رجلا لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه** »[٦] . وقال ابن مسعود :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم :٦].

ولم يجعل الله لك سلطانًا عليهم إلا ليسألك ، عنهم يوم القيامة حتى تتمنى أنك لم يكن بينك وبينهم صلة . قال الله تعالى : ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ . وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ . لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ [عبس : ٣٤ ، ٣٧] . ومن خيانة الأمانة أن يكون الإنسان إمامًا للناس يصلي بهم الجمعة والجماعات فلا يقوم بالواجب . تجده مرة يتقدم ومرة يتأخر ومرة يطيل بهم إطالة غير مشروعة ومرة لا يطمئن في صلاته ولا يهتم بمن وراءه . هذا من خيانة الأمانة . والمهم أن خيانة الأمانة تكون في جميع الأحوال في الأمانات وفي المعاملات وفي الأخلاق وفي كل شيء .

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (١٢٦٤) وصححه الألباني في الصحيحة (٤٢٣٠) الروض النقير (١٦) والمشكاة (٢٩٣٤) .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) ضعيف : رواه أبو داود (٣٣٨٣) والخطيب فى تاريخه (٣١٦/٤) وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع (١٧٤٨) .

(٤) صحيح: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق (ص ٢٨) وأبو نعيم في الحلية (٦ / ٢٦٥) وصححه الشيخ في السلسلة الصحيحة (١٧٣٩) .

(٥) حسن: رواه أبو داود (١٥٤٧) والنسائي (٨ / ٢٦٣) وابن ماجه (٣٣٥٤) وحسنه الشيخ في صحيح الجامع (١٢٨٣) .

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٥) .

«يؤتى يوم القيامة بصاحب الأمانة الذي خان فيها فيقال له : أد أمانتك ، فيقول : أني يا رب وقد ذهبت الدنيا ؟ قال : فتمثل له كهيئتها يوم أخذها في قعر جهنم ، ثم يقال له : انزل إليها فأخرجها ، قال : فينزل إليها فيحملها على عاتقه فهي عليه أثقل من جبال الدنيا ، حتى إذا ظن أنه ناج هوت وهوى في أثرها أبد الآبدين ثم قال : الصلاة أمانة ، والوضوء أمانة ، والغسل أمانة ، والوزن أمانة ، والكيل أمانة، وأعظم ذلك الودائع » ، اللهم عاملنا بلطفك وتداركنا بعفوك قال فضيلة الشيخ

موعظــة

عباد الله ! ما أشرف الأوقات وقد ضيعتموها ، وما أجهل النفوس وقد أطعمتوها ، وما أدق السؤال عن الأموال فانظروا كيف جمعتموها ، وما أحفظ الصحف بالأعمال فتدبروا ما أودعتموها ، قبل الرحيل عن القليل والمناقشة عن النقير والفتيل قبل أن تنزلوا بطون اللحود ، وتصيروا طعامًا للدود في بيت بابه مسدود ، ولو قيل فيه للعاصي ما تختار لقال أعود ولا أعود :

أين أهل الديار من قوم نـــوح ثم عاد من بعدهم وثمـــــود

بينما القوم في النمارق والإستبـ ـرق أفضت إلي التراب الخدود

وصحيح أضحي يعود مريضـــا وهو أدنى للموت ممن يعـــود

❊ ❊ ❊

الكبيرة الأربعون

المنـــان

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى ﴾ (١)

قال الواحدي : هو أن يمن بما أعطى ، وقال الكلبي : بالمن على الله في صدقته والأذى لصاحبها ، وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « **ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : المسبل ، والمنان ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب** » (٢) .

المسبل هو الذي يسبل إزاره أو ثيابه أو قميصه أو سراويله حتى تكون إلى القدمين، لأنه ﷺ قال : « **ما أسفل من الكعبين من الإزار فهو في النار** » (٣) . وفي الحديث أيضًا : « **ثلاثة لا يدخلون الجنة : العاق لوالديه ، والمدمن الخمر ، والمنان** » رواه النسائي (٤) وفيه أيضًا : « **لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان** » (٥) والخب

الكبيرة الأربعون

المنـــان

وذلك أن الإنسان إذا أعطى أحدًا من الناس عطاء ، إن كان صدقة فقد أعطاها لله عز وجل وإن كان إحسانًا فالإحسان مطلوب فإذا كان كذلك فإنه لا يجوز للإنسان أن يمن بالعطية فيقول أنا أعطيتك كذا أنا أعطيتك كذا سواء قاله في مواجهته أو في غيره مواجهته

---

(١) البقرة : ٢٦٤ .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) ضعيف : رواه الترمذي (٢٠٢٩) وابن ماجه (٣٦٩١) والبيهقي في الشعب (١٠٨٦٢) وضعفه الشيخ في ضعيف الجامع (٦٣٥٤) .

هو المكر والخديعة ، والمنان هو الذي يعطي شيئًا أو يتصدق به ثم يمن به . وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « إياكم والمن بالمعروف فإنه يبطل الشكر ويمحق الأجر »[(١)] ، ثم تلا رسول الله ﷺ قول الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ ﴾ .

وسمع ابن سيرين رجلا يقول لآخر : أحسنت إليك وفعلت وفعلت . فقال له ابن سيرين : أسكت فلا خير في المعروف إذا أحصى . وكان بعضهم يقول : من من بمعروفه سقط من شكره ، ومن أعجب بعمله حبط أجره . وأنشد الشافعي رحمه الله تعالى :

لا تحملن من الأنـــــام بأن يمنوا عليك مـــــنه

واختر لنفسك حظهـــــا وأصبر فإن الصبر جنـــة

منن الرجال على القلوب أشد من وقع الأسنـــــه

وأنشد بعضهم فقال :

. مثل أن يقول بين الناس أعطيت فلانًا كذا . وأعطيت فلانًا كذا ليمن بذلك عليه .

ثم استدل المؤلف لذلك بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤] فدل هذا على أن الإنسان إذا منّ فإن الصدقة تبطل ولا ثواب له فيها وهو من كبائر الذنوب . وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٢٦٢] . ثم ذكر حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : المسبل ، والمنان ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب».

المسبل : يعني الذي يجر إزاره أو قميصه أو مشلحته خيلاء وتبخترًا . فهذا له هذا

---

(١) لم أعثر عليه بهذا اللفظ .

وصاحب سلفت منه إلى يـــــد أبطأ عليه مكافأتي فعاداني

لما تيقن أن الدهر حاربنـــــي أبدى الندامة مما كان أولاني

أفسدت بالمن ما قدمت من حسـن ليس الكريم إذا أعطى بمنان

قال فضيلة الشيخ:

موعظـــة

يا مبادرا بالخطايا ما أجهلك ! إلى متى تغتر بالذي أمهلك ، كأنه قد أهملك ؟ فكأنك بالموت وقد جاء بك وأنهلك ، وأذن الرحيل وقد أفزعك الملك ، وأسرك بالبلا بعد الهوى وعقلك ، وندمت على وزر عظيم قد أثقلك . يا مطمئنا بالفاني ما أكثر ذلك ، ويا معرضا عن النصح كأن النصح ما قيل لك ، أين حبيبك الذي كان وأين أنتقل ؟ أما وعظك التلف في جسده والمقل ، أي كثير المال ؟ ، أين طول الأمل؟، أما خلا وحده في لحده بالعمل ، أين من جر ثوبه الخيلاء غافلا ورفل ؟ أما سافر به وإلى الآن ما وصل ، أين من تنعم في قصره فكأنه في الدنيا ما كان وفي قبره لم يزل ؟، أين من تفوق واحتفل ؟ غاب والله نجم سعوده وأفل . أين الأكاسرة والجبابرة العتاة الأول ، ملك أموالهم سواهم والدنيا دول .

❊ ❊ ❊

العقاب الشديد . لا يكلمه الله يوم القيامة ولا يزكيه وله عذاب أليم .

والمنان : المنان بما أعطى إذا أعطى أحدًا شيئًا صار لمن به .

والمنفق لسلعته بالحلف الكاذب : يعني الذي يحلف على السلعة حلفًا كاذبًا أن تزيد قيمتها هذا أيضًا من الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم . والله الموفق .

الكبيرة الحادية والأربعون
التكذيب بالقدر

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (١) .

قال ابن الجوزي في تفسيره : في سبب نزولها قولان : أحدهما : أن مشركي مكة أتوا رسول الله ﷺ يخاصمونه في القدر فنزلت هذه الآية . وانفرد بإخراجه مسلم (٢) وروي أبو أمامة أن هذه الآية في القدرية (٣) . والقول : الثاني : أن أسقف نجران جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد تزعم أن المعاصي بقدر وليس كذلك . فقال ﷺ : « **أنتم خصماء الله** » فنزلت هذه الآية :

﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ . يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ . إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (٤) .

وروي عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال : « **إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة أمر مناديا فنادى نداء يسمعه الأولون والآخرون : أين خصماء**

الكبيرة الحادية والأربعون
التكذيب بالقـدر

* ضل في القدر طائفتان :

إحداهما : الجبرية الذين قالوا إن العبد مجبر على عمله وليس له فيه إرادة ولا قدرة.

---

(١) سورة القمر (٤٩) .

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢ / ٤٤٤) ومسلم (٢٦٥٦) .

(٣) ضعيف: رواه ابن عدي (٥ / ٣٨) والواحدي في أسباب النزول (٨٢٧) من طريق عفير ابن معدان وهو ضعيف .وقال الهيثمى فى المجمع (٧/٢٦) رواه الطبرانى فى الأوسط من رواية بقية وهو مدلس حبيب بن محمد ومجهول

(٤) ضعيف: رواه الواحدي (٨٢٨) وإسناده ضعيف .

الله ؟ فتقوم القدرية فيؤمر بهم إلى النار »[١] . يقول الله : ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ . إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ، وإنما قيل لهم خصماء الله لأنهم يخاصمون في أنه لا يجوز أن يقدر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها[٢] .

وروي هشام بن حسان عن الحسن قال : والله لو أن قدريا صام حتى يصير كالحبل ، ثم صلى حتى يصير كالوتر لكبه الله على وجهه في سقر ، ثم قيل له ذق مس سقر ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [٣] وروي مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر، قال رسول الله ﷺ : « كل شيء بقدر حتى العجز والكيس »[٤] . وقال ابن عباس : كل شيء خلقناه بقدر مكتوب في اللوح المحفوظ قبل وقوعه[٥] قال الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات:٩٦]. قال ابن جرير : فيها وجهان ، أحدهما : أن تكون بمعنى المصدر فيكون المعنى : والله خلقكم وعملكم ، والثاني : أن تكون بمعنى الذي فيكون المعنى : والله خلقكم وخلق الذي تعملونه بأيديكم من الأصنام ، وفي هذه الآية دليل على أن أفعال العباد مخلوقة والله أعلم .

الثانية : القدرية الذين قالوا إن العبد مستقبل بعمله في الإرادة والقدرة . وليس لمشيئة الله تعالى وقدرته فيه أثر .

والرد على الطائفة الأولى الجبرية بالشرع والواقع :

أما الشرع : فإن الله تعالى أثبت للعبد إرادة ومشيئة وأضاف العمل إليه قال الله

---

(١) ضعيف: رواه ابن أبي عاصم (٣٣٦) والطبراني في الأوسط (٦٥١٠) وضعفه الألباني في ظلال الجنة .

(٢) ضعيف: رواه الطبراني في الكبير (١١١٦٣) وقال الهيثمي (٧ / ١١٧) وفيه عبد الوهاب بن مجاهد وهو ضعيف .

(٣) ضعيف : رواه ابن الجوزى فى تفسيره (٨/ ١٠٢) بسند فيه ضعف .

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢ / ١١٠) والبخاري في خلق أفعال العباد (ص ٢٥) ومسلم (٢٦٥٧) .

(٤) صحيح: رواه البخاري في خلق أفعال العباد (ص ٢٦) بلفظ (كل شيء بقدر حتى وضعك يدك على خدك) .

وقال الله تعالى : ﴿ **فألهمها فجورها وتقواها** ﴾ الإلهام إيقاع الشيء في النفس، قال سعيد بن جبير : ألزمها فجورها وتقواها . وقال ابن زايد : جعل ذلك فيها بتوفيقه إياها للتقوى وخذلانه إياها للفجور والله أعلم .

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ إنه قال : « **إن الله من على قوم فألهمهم الخير فأدخلهم في رحمته ، وابتلى قومًا فخذلهم وذمهم على أفعالهم ولم يستطيعوا غير ما ابتلاهم فعذبهم وهو عادل** » ﴿ **لا يسأل عما يفعل وهم يسألون** ﴾ (١) .وعن معاذ بن جبل ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما بعث الله نبيًا قط وفي أمته قدرية ومرجئة، إن الله لعن القدرية والمرجئة على لسان سبعين نبيا** » (٢) . وعن عائشة ﷺ قالت : قال رسول الله ﷺ : « **القدرية مجوس هذه الأمة** » (٣) .

وعن ابن عمر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **لكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمة** » (٤) « **الذين يزعمون أن لا قدر ، وأن الأمر أنف . قال : فإذا لقيتهم فأخبرهم أني منهم بريء وأنهم براء مني** » ثم قال : « **والذي نفسي بيده لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه في سبيل الله ما قبل حتى يؤمن بالقدر خيره وشره** » ثم

تعالى: ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ﴾ [آل عمران: ١٥٢] .

وقال : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف : ٢٩] .

وقال : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[فصلت: ٤٦].

---

(١) ضعيف: رواه الدارقطني في الإفراد (٢ / ٦٤) ، وذكر الألباني في الضعيفة (١٦٤٠) وفي ضعيف الجامع (١٦٦٣) .

(٢) ضعيف: رواه ابن أبي عاصم (٣٢٥) وضعفه الشيخ في ظلال الجنة .

(٣) حسن: رواه أبو داود (٤٦٩١) وابن أبي عاصم (٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٤٤٢) .

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٩١) ، (٤٦٩٥) والترمذي (٢٧٣٨) صحيح الجامع (٥١٦٣) والمشكاة (١٠٧) .

ذكر حديث جبريل وسؤاله النبي ﷺ : « قال : ما الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالقدر خيره وشره » (١) .

قوله : « إن تؤمن بالله » الإيمان بالله التصديق بأنه سبحانه وتعالى موجود موصوف بصفات الجلال والكمال ، منزه عن صفات النقص ، وأنه فرد صمد خالق جميع المخلوقات ، متصرف فيها بما يشاء في ملكه ما يريد . والإيمان بالملائكة هو التصديق بعبوديتهم لله : ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ . لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ ، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ (٢) .

والإيمان بالرسل هو التصديق بأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله تعالى أيدهم الله بالمعجزات على صدقهم ، وأنهم بلغوا عن الله تعالى رسالاته وبينوا للمكلفين ما أمرهم الله به ، وأنه يجب احترامهم ، وأن لا يفرق بين أحد منهم .

والإيمان باليوم الآخر هو التصديق بيوم القيامة وما اشتمل عليه من الإعادة بعد الموت والنشر والحشر والحساب والميزان والصراط والجنة والنار ، وأنهما دار ثوابه وعقابه للمحسنين والمسيئين إلى غير ذلك مما صح به النقل . والإيمان بالقدر : هو

وأما الواقع : فإن كل إنسان يعلم الفرق بين أفعاله الاختيارية التي يفعلها بإرادته كالأكل والشرب والبيع والشراء وبين ما يقع عليه بغير إرادته كالإرتعاش من الحمى والسقوط من السطح . فهو في الأول فاعل مختار بإرادته من غير جبر . وفي الثاني غير مختار ولا مريد لما وقع عليه .

والرد على الطائفة الثانية « القدرية » بالشرع والعقل :

أما الشرع : فإن الله تعالى خالق كل شيء وكل شيء كائن بمشيئته وقد بين الله تعالى في كتابه أن أفعال العباد تقع بمشيئته فقال تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ

---

(١) صحيح : رواه مسلم (٨) .

(٢) سورة الأنبياء ٢٦ ـ ٢٨ .

التصديق بما تقدم ذكره ، وحاصله ما دل عليه قوله سبحانه : ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [١] وقوله : ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ .

ومن ذلك قوله ﷺ في حديث ابن عباس : « **واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف** » [٢] .

ومذهب السلف وأئمة الخلف أن من صدق بهذه الأمور تصديقا جازما لا ريب فيه ولا تردد كان مؤمنا حقا ، سواء كان ذلك عن براهين قاطعة أو اعتقادات جازمة والله أعلم .

فصل

أجمع سبعون رجلا من التابعين وأئمة المسلمين والسلف وفقهاء الأمصار على أن السنة التي توفى عليها رسول الله ﷺ أولها : الرضا بقضاء الله وقدره ، والتسليم لأمره ، والصبر تحت حكمه ، والأخذ بما أمر الله به ، والنهي عما نهى الله عنه ، وإخلاص العمل لله ، والإيمان بالقدر خيره وشره ، وترك الماء والجدال والخصومات في الدين ، والمسح على الخفين ، والجهاد مع كل خليفة برًا وفاجرًا ، والصلاة على من مات من أهل القبلة .

يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة : ٢٥٣] .

وقال تعالى : ﴿**وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾ [السجدة : ١٣] .

وأما العقل فإن الكون كله مملوك لله تعالى . والإنسان من هذا الكون فهو مملوك لله تعالى ولا يمكن للملوك أن يتصرف في ملك المالك إلا بإذنه ومشيئته .

---

(١) سورة الصافات : ٩٦ .

(٢) صحيح: رواه أحمد (١ / ٢٩٣ ، ٣٠٣) والترمذي (٢٥١٦) وصححه الشيخ في صحيح الجامع (٧٩٥٧) .

والإيمان : قول وعمل ونية ، يزيد بالطاعة وينقص المعصية ، والقرآن كلام الله نزل به جبريل على نبيه محمد ﷺ غير مخلوق ، والصبر تحت لواء السلطان على ما كان به من عدل أو جور ، ولا نخرج على الأمراء بالسيف وإن جاروا ولا نكفر أحدا من أهل القبلة وإن عمل بالكبائر إلا أن استحلوها ، ولا نشهد لأحد من أهل القبلة بالجنة لخير أتى به إلا من شهد له النبي ﷺ ، والكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ . وأفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي رضي الله عنهم أجمعين ونترحم على جميع أزواج النبي ﷺ وأولاده وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين .

فائـــدة

فيها من كلام الناس ما هو كفر ، صرحت به العلماء منها : ما لو سخر باسم من أسماء الله أو بأمره أو وعده أو وعيده ، كفر ، ولو قال : لو أمرني الله بكذا ما فعلت ، كفر ، ولو صارت القبلة في هذه الجهة ما صليت إليها ، ولو قيل له : ألا تترك الصلاة فإن الله يؤاخذك فقال : لو آخذني بها مع ما في من المرض والشدة لظلمني ، كفر . ولو قال : لو شهد عندي الأنبياء والملائكة بكذا ما صدقت ، كفر. ولو قيل له : قلم أظافرك فإنها سنة ، فقال : لا أفعل وإن كانت سنة ، كفر . ولو قال : فلان في عيني كاليهودي ، كفر . ولو قال : إن الله جلس للإنصاف أو قام للإنصاف ، كفر . وجاء في وجه : من قال لمسلم : لا ختم الله لك بخير أو سلبك الإيمان ، كفر وجاء أيضًا أن من طلب يمين إنسان فأراد أن يحلف بالله فقال : أريد أن تحلف بالطلاق ، كفر . واختلفوا في من قال : رؤيتي لك كرؤية الموت ، فقال بعضهم يكفر . ولو قال : لو كان فلان نبيًا ما آمنت به ، كفر . ولو قال : إن كان ما قاله صدقا نجونا ، كفر . ولو صلى بغير وضوء استهزاءً أو استحلالاً ، كفر . ولو تنازع رجلان فقال أحدهما : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فقال الآخر : لا حول ولا قوة إلا بالله لا تغني من جوع ، كفر . ولو سمع أذان المؤذن فقال : إنه يكذب، كفر . ولو قال : لا أخاف القيامة ، كفر . ولو وضع متاعه فقال : سلمته إلى الله

فقال له رجل : سلمته إلى من لا يتبع السارق ، كفر . ولو جلس رجل على مكان مرتفع تشبيها بالخطيب فسألوه المسائل وهم يضحكون أو قال أحدهم : قصعة ثريد خير من العلم ، كفر . ولو ابتلى بمصائب فقال أخذت مالي وولدي وماذا تفعل ، كفر . ولو ضرب ولده أو غلامه فقال له رجل : ألست بمسلم ؟ فقال : لا ـ متعمدًا كفر . ولو تمنى أن لا يحرم الله الزنا أو القتل أو الظلم ، كفر . ولو شد على وسطه حبلا فسئل عنه فقال : هذا زنار فالأكثرون على أنه يكفر . ولو قال معلم الصبيان: اليهود خير من المسلمين لأنهم يعطون معلمي صبيانهم ، كفر . ولو قال : النصراني خير من المجوسي ، كفر . وقول قيل لرجل : ما الإيمان ؟ فقال : لا أدري ، كفر . ومن ذلك ألفاظ مستكرهه مستنكره وهي : لا دين لك ، لا إيمان لك ، لا يقين لك، أنت فاجر ، أنت منافق ، أنت زنديق ، أنت فاسق . ومن ذا وأشباهه كله حرام ويخشى عبد العبد بها سلب الإيمان والخلود في النار ، فنسأل الله المنان بلطفه أن يتوفانا مسلمين على الكتاب والسنة إنه أرحم الراحمين .

موعظة

عباد الله ! أين الذين كنزوا الكنوز وجمعوا وثملوا من الشهوات وشبعوا ، وأملوا البقاء فيما نالوا فيها ما طمعوا ، وفنيت أعمارهم بما غروا به وخدعوا ؟ نصب لهم شيطانهم أشراك الهوى فوقعوا ، وجاءهم ملك الموت فذلوا وخضعوا ، وأخرجهم من ديارهم فلا والله ما رجعوا ، فهم مفترقون في القبور فإذا نفخ في الصور اجتمعوا .

وكيف قرت لأهل العلم أعينهم ... أو ستلذوا لذيذ العيش أو هجعوا

والموت ينذرهم جهرا علانية ... لو كان للقوم أسماع لقد سمعوا

والنار ضاحية لابد موردهم ... وليس يدرون من ينجو ومن يقع

قد أمست الطير والأنعام آمنة ... والنون في البحر لا يخشى لها فزع

والآدمي بهذا الكسب مرتهن ... له رقيب على الأسرار يطلع

حتى يرى فيه يوم الجمع منفـــــردا   وخصمه الجلد والأبصار والسمـــع
وإذا يقومون والأشهاد قائمـــــة   والجن والأنس والأملاك قد خشعوا
وطارت الصحف في الأيدي منتشـرة   فيها السرائر والأخبار تطلـــــع
فكيف بالناس والأنباء واقفـــــة   عما قليل وما تدري بما تقـــــع
أفي الجنان وفوز لا أنقطاع لـــــه   أم في الجحيم فلا تبقى ولا تـــدع
تهوى بسكانها طورا وترفعهـــــم   إذا رجوا مخرجا من غمها قمعـــوا
طال البكاء فلم ينفع تضرعهـــــم   هيهات لا رقية تغني ولا جـــــزع

❊ ❊ ❊

الكبيرة الثانية والأربعون

التسمع على الناس وما يسرون

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ [١] . قال ابن الجوزي رحمه الله : قرأ أبو رزين والحسن والضحاك وابن سيرين بالحاء . قال أو عبيدة : التجسس والتحسس واحد ـ وهو التبحث ـ ومنه الجاسوس . وقال يحيى بن أبي كثير : التجسس بالجيم: عن عورات الناس ، وبالحاء الاستماع لحديث القوم . قال المفسرون : التجسس : البحث عن عيب المسلمين وعوراتهم . فالمعنى : لا يبحث أحدكم عن عيب أخيه ليطلع عليه إذا ستره الله . وقيل لابن مسعود : هذا الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمرا قال : إنا نهينا عن التجسس فإن يظهر لنا شيء نأخذ به [٢] .

وقال رسول الله ﷺ : « **من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الآنك يوم القيامة** » . أخرجه البخاري [٣] ، والآنك : الرصاص المذاب . نعوذ بالله منه ، ونسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم .

الكبيرة الثانية والأربعون

التسمع على الناس بما يُسِرُّون

[من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الآنك يوم القيامة] يعني الذي يتسمع إلى أناس وهم يكرهونَ أن يسمع فإنه يصب في أذنيه الآنك يوم القيامة .

قال العلماء : « الآنك » هو الرصاص المذاب والعياذ بالله .

---

(١) سورة الحجرات : ١٢ .

(٢) صحيح: زاد المسير (٧ / ٤٧١) وأثر ابن مسعود رواه أبو داود (٤٨٩) وإسناده صحيح .

(٣) صحيح: رواه البخاري (٧٠٤٢) والحميدي (٥٣١) وابن حبان (٥٦٨٥) والطبراني (١٨٥٥) والبيهقي (٧ / ٢٦٩) وأحمد (١ / ٢١٦ ، ٣٥٩) .

موعظة

عباد الله ! إن المنايا قد دقت واقتربت ، فالنفوس رهينة قد جمعت وتعبت كأنكم بأكف الردى قد أخذت وسلبت ، رب شمس طالعة على القبر قد غربت ، يا فراخ الفنا ! فخاخ البلى قد نصبت ، عباد الله : كل المعاصي قد سطرت وكتبت والنفوس رهينة بما جنت واكتسبت ﴿ **لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت** ﴾ . يا من يغتر بالأماني والآمال الكواذب ، ومبارز بالقبايح وما يدري من يحارب ، يا حاضر البدن غير أن القلب غائب ، أرضيت أن تفوتك الخيرات والرغائب ؟ يا من عمره يفنى في عمره ويسري كالنجائب ، يا من شاب وماتاب هذا من العجائب ، يا عجبا كيف نام المطلوب وما غفل الطالب ؟!

❊ ❊ ❊

والرصاص المذاب بنار جهنم أعظم من نار الدنيا بتسع وستين مرة . وسواء كانوا يكرهون أن يسمع لغرض صحيح أو لغير غرض لأن بعض الناس يكره أن يسمعه غيره ولو كان الكلام ما فيه خطأ ولا فيه سب . ولكن لا يريد أن أحدًا يسمعه . وهذا يقع فيه بعض الناس .

تجده مثلاً إذا رأى اثنين يتكلمون يأخذ المصحف ويجلس قريبًا منهم ثم يبدأ يطالع المصحف كأنه يقرأ . وهو يستمع إليهم وهم يكرهون ذلك . هذا الرجل يصب في أذنيه الآنك يوم القيامة فيعذب هذا العذاب والعياذ بالله .

الكبيرة الثالثة والأربعون

النمام

وهو من ينقل الحديث بين الناس على جهة الإفساد بينهم . هذا بيانها .

وأما أحكامها فهي حرام بإجماع المسلمين ، وقد تظاهرت على تحريمها الدلائل الشرعية من الكتاب والسنة . قال الله تعالى : **﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ . هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾** (١) .

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : **« لا يدخل الجنة نمام »** (٢) وفي الحديث أن رسول الله ﷺ مر بقبرين قال : **« إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ، أما أنه كبير. أما أحدهما فكان لا يستبرئ من بوله ، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة . ثم أخذ جريدة رطبة فشقها إثنتين وغرز في كل قبر واحدة ، وقال لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا »** (٣) .

الكبيرة الثالثة والأرب...

النمام

النميمة : أن ينقل الإنسان كلام الناس بعضهم في بعض من أجل الإفساد بينهم . وهي من كبائر الذنوب وقد كشف للنبي ﷺ عن رجلين يعذبان في قبورهما . وأخبر أن أحدهما كان يمشي بالنميمة .

---

(١) سورة القلم ١٠ ، ١١ .

(٢) صحيح: رواه أحمد (٥ / ٣٩١ ، ٣٩٦) ومسلم (١٠٥) ورواه البخاري (٦٠٥٦) ومسلم (١٠٥) بلفظ قتات .

(٣) سبق تخريجه .

وقوله : وما يعذبان في كبير أي ليس بكبير تركه عليهما ، أو ليس بكبير في زعمهما . ولهذا قال في رواية آخرى : « **بلى إنه كبير** » وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **تجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه** » (١) « **ومن كان ذا لسانين في الدنيا فإن الله يجعل له لسانين من نار يوم القيامة** » (٢) . ومعنى من كان ذا لسانين أن يتكلم مع هؤلاء بكلام وهؤلاء بكلام وهو بمعنى صاحب الوجهين . قال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله : إنما تطلق في الغالب على من ينم قول الغير إلى المقول فيه بقوله فلان يقول فيك كذا . وليست النميمة مخصوصة بذلك بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كره المنقول عنه أو المنقول إليه أو ثالث ، وسواء أكان الكشف بالقول أو الكتابة أو الرمز أو الإيماء أو نحوها ، وسواء كان من الأقوال أو الأعمال ، وسواء كان عيبا أو غيره . فحقيقة النميمة إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه . وينبغي للإنسان أن يسكت عن كل ما رآه من أحوال الناس إلا ما في حكايته فائدة للمسلمين أو دفع معصية . قال : وكل من حملت إليه النميمة وقيل له قال فيك فلان كذاوكذا لزمه ستة أحوال : (الأول) : أن لا يصدقه لأنه « نمام » فاسق وهو مردود الخبر . (الثاني) : أن ينهاه

وذلك أن بعض الناس والعياذ بالله يفتن فيكن شغوفًا بنقل الكلام ويقول فلان قال فيك كذا وكذا قد يكون صادقًا وقد يكون كاذبًا حتى إن كان صادقًا فإنه حرام . ومن كبائر الذنوب . وقد نهى الله تعالى أن يطاع مثل هذا الرجل قال تعالى : ﴿ **وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ . هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ** ﴾ [القلم : ١٠ ، ١١] .

وقال بعض أهل العلم : من نمْ إليك الحديث نمه عنك . يعني من نقل كلام الناس إليك فإنه ينقل كلامك أنت . فاحذره ولا تطعه ولا تلتفت إليه . وفي هذا دليل على حسن تعليم النبي ﷺ حيث يأتي بالأساليب التي يكون فيها انتباه المخاطب ولا سيما إذا رأى الإنسان من المخاطب غفلة . فإنه ينبغي أن يأتي بالأسلوب الذي ينبهه . لأن المقصود

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٣٤٩٣ ، ٣٤٩٤ ، ٣٤٩٥) ومسلم (٢٥٢٦) .

(٢) صحيح : رواه البخاري (١٣١٠) والطيالسي (٦٤٤) وابن حبان (٥٧٥٦) .

عن ذلك وينصحه ويقبح فعله ، (الثالث) : أن يبغضه في الله عز وجل فإنه بغيض عند الله والبغض في الله واجب ، (الرابع) : أن لا يظن في المنقول عنه السوء لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [(١)] ، (الخامس) : أن لا يحمله ما حكي له على التجسس والبحث عن تحقق ذلك ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ ، (السادس) : أن لا يرضى لنفسه ما نهى المنام عنه فلا يحكي نميمته ، وقد جاء أن رجلا ذكر لعمر بن عبد العزيز رجلا بشيء فقال عمر : يا هذا إن شئت نظرنا في أمرك ، فإن كنت صادقًا فأنت من أهل هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ [(٢)] ، وإن كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية ﴿ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ [(٣)] ، وإن شئت عفونا عنك ، فقال : العفو يا أمير المؤمنين لا أعود إليه أبدًا .

ورفع إنسان رقعة إلى الصاحب بن عباد رحمه الله يحثه فيها على أخذ مال اليتيم وكان له مال كثير فكتب على ظهر الرقعة : النميمة قبيحة وإن كانت صحيحة ،

من الخطاب هو الفهم .

والاستيعاب والحفظ . فيأتي الإنسان بالأساليب المفيدة في ذلك .

فإذا قال قائل : إذا كان الشخص ينقل كلام الإنسان في الإنسان نصيحة . مثل أن يرى شخصًا مغرورًا بشخص يفضي إليه أسراره ويلازمه . والشخص هذا يفضي أسرار صاحبه الذي يفضي إليه أسراره ويخدعه . فهل له أن يتكلم فيه ؟ فالجواب : نعم له أن يتكلم فيه ويقول يا فلان احذر هذا الشخص فإنه ينقل كلامك ويقول فيك كذا وكذا. لأن هذا من باب النصيحة ليس غرضه أن يفرق بين الناس ولكن غرضه أن يسدي النصيحة إلى صاحبه .

والله تعالى يقول : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾ [البقرة : ٢٢٠] . والله الموفق

---

(١) سورة الحجرات : ١٢ .

(٢) سورة الحجرات : ٦ .

(٣) سورة القلم : ١١ .

والميت رحمه الله ، واليتيم جبره الله ، والمال ثمرة الله ، والساعي لعنه الله .

وقال الحسن البصري: من نقل إليك حديثا فاعلم أنه ينقل إلى غيرك حديثك وهذا مثل قول الناس: من نقل إليك نقل عنك فاحذره . وقال ابن المبارك :ولد الزنا لا يكتم الحديث أشار به إلى أنكل من لا يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على أنه ولد الزنا استنباط من قول الله تعالى: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾[1] ، والزنيم هو الدعي.

وروي أن بعض السلف الصالحين زار أخا له وذكر له عن بعض إخوانه شيئًا يكرهه ، فقال له : يا أخي أطلت الغيبة وأتيتني بثلاث جنايات : بغضت إلى أخي، وشغلت قلبي بسببه ، واتهمت نفسك الأمينة . وكان بعضهم يقول : من أخبرك بشتم عن أخيك فهو الشاتم لك . وجاء رجل إلى علي بن الحسن رضي الله عنهما فقال : إن فلانا شتمك وقال عنك كذا وكذا ، فقال : اذهبْ بنا إليه ، فذهب معه وهو يرى أن ينتصر لنفسه ، فلما وصل إليه قال : يا أخي إن كان ما قلت في حقا فغفر الله لي ، وإن كان ما قلت في باطلا فغفر الله لك ، وقيل في قول الله تعالى : ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ يعني امرأة أبي لهب ، أنها كانت تنقل الحديث بالنميمة . سمي النميمة حطبا لأنها سبب العداوة ، كما أن الحطب سبب لاشتعال النار . ويقال : عمل النمام أضر من عمل الشيطان لأن عمل الشيطان بالوسوسة وعمل النمام بالمواجهة .

حكايـة

روي أن رجلا رأى غلامًا يباع وهو ينادي عليه ليس به عيب إلا أنه نمام فقط ، فاستخف بالعيب واشتراه ، فمكث عنده أياما ثم قال لزوجة سيده : إن سيدي يريد أن يتزوج عليك أو يتسرى ، وقال أنه لا يحبك فإن أردت أن يعطف عليك ويترك ما عزم عليه فإذا نام فخذي الموسى واحلقي شعرات من تحت لحيته على ذلك إذا نام زوجها ، ثم جاء إلى زوجها وقال سيدي : إن سيدتي زوجتك قد اتخذت لها صديقا ومحبا غيرك ومالت إليه ، وتريد أن تخلص منك ، وقد عزمت على ذبحك الليلة، وإن لم تصدقني فتناوم لها الليلة وانظر كيف تجيء إليك وفي يدها شيء تريد أن

(١) سورة القلم : ١٢ .

تذبحك به ، وصدقه سيده . فلما كان الليل جاءت المرأة بالموسى لتحلق الشعرات من تحت لحيته والرجل يتناوم لها فقال في نفسه : والله صدق الغلام بما قال ، فلما وضعت المرأة الموسى وأهوت إلى حلقه قام وأخذ الموسى منها وذبحها به ، فجاء أهلها فرأوها مقتولة فقتلوه ، فوقع القتال بين الفريقين بشؤم ذلك العبد المشئوم (١) .

فلذلك سمي الله النمام فاسقا في قوله تعالى : ﴿ إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ (٢) .

موعظة

يا من أسره الهوى فما يستطيع له فكاكا ، يا غافلا عن التلف وقد أدركه إدراكا ، يا مغرورا بسلامته وقد نصب له الموت أشراكا ، تفكر في إرتحالك وأنت على حالك فإن لم تبكي فتباكى .

بكيت فما تبكي شباب صباك	كفاك نذير الشيب فيك كفاك
ألم تر أن الشيب قد قام ناعيا	مكان الشباب الغض ثم نعاكا
ألم تر يوم مر إلا كأنه	بإهلاكه للهالكين عناكا
ألا أيها الفاني وقد حان حينه	أتطمع أن تبقى فلست هناكا
ستمضي ويبقى ما تراه كما ترى	فينساك ما خلفته ، هو ذاكا
تموت كما مات الذين نسيتهم	وتنسى ويهوى الحي بعد هواكا
كأنك قد أقصيت بعد تقرب	إليك وإن باك عليك بكاكا
كأن الذي يحثو عليك من الثرى	يريد بما يحثو عليك رضاكا
كأن خطوب الدهر لم تجر ساعة	عليك إذا الخطب الجليل أتاكا
ترى الأرض كم فيها رهون دفينة	غلقن فلم يقبل لهن فكاكا

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الغيبة (١٣٣) وفي الصمت (٢٧١) .

(٢) سورة الحجرات : ٦ .

الكبيرة الرابعة والأربعون

اللعان

قال النبي ﷺ : « **سباب المسلم فسوق وقتاله كفره** »(١) . وقال ﷺ : « **لعن المؤمن كقتله** » أخرجه البخاري(٢) . وفي صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة** »(٣) وقال ﷺ : « **لا ينبغي لصديق أن يكون لعانا** »(٤) وفي الحديث : « **ليس المؤمن بطعان ولا بلعان ولا بالفاحش ولا بالبذئ** »(٥) . والبذئ : هو الذي يتكلم بالفحش ورديْ الكلام . وعن رسول الله ﷺ قال : « **إن العبد إذا لعن شيئًا صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ، ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها ، ثم تأخذ يمينا وشمالا ، فإذا لم تجد مساغا رجعت إلى الذي لعن إن كان أهلا لذلك ، وإلا رجعت إلى قائلها** »(٦) ، وقد عاقب النبي ﷺ من لعنت ناقتها بأن سلبها إياها ، قال

الكبيرة الرابعة والأربعون

اللعـــن

اللعن معناه: الطرد والإبعاد عن رحمة الله فإذا قلت : اللهم العن فلانًا . فإنك تعني

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٠٤٤ ، ٦٠٤٨) ومسلم (٦٤) .

(٢) صحيح: رواه البخاري (٦٠٤٧) ومسلم (١١٠) .

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٥٩٨) .

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٥٩٧) .

(٥) سبق تخريجه .

(٦) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٠٥) وابن أبي الدنيا في الصمت (٢٠٢) وصححه الشيخ في السلسلة الصحيحة (١٢٦٩) وصحيح الجامع (١٦٧٢) .

عمران بن حصين : بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره من الأنصار على ناقة فضجت فلعنتها ، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال : « **خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة** » . قال

عمران فكأني أنظر إليها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد . أخرجه مسلم(١) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **إن أربى الربا استطالة المرء في عرض أخيه المسلم** »(٢) .

وعن عمرو بن قيس قال : إذا ركب الرجل دابته قالت : اللهم اجعله بي رفيقا رحيما فإذا لعنها قالت : على أعصانا لله ورسوله لعنه الله عز وجل .

فصل

في جواز لعن أصحاب المعاصي غير المعينين قال الله تعالى : ﴿ **أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾(٣) . وقال : ﴿ **ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ** ﴾(٤) .

أن الله يبعده ويطرده عن رحمته والعياذ بالله ولهذا كان لعن المعين من كبائر الذنوب .

يعني لا يجوز أن تلعن إنسانًا بعينه . فتقول : اللهم العن فلانًا . أو تقول : لعنة الله عليك . أو ما أشبه ذلك . حتى لو كان كافرًا وهو حيّ فإنه لا يجوز أن تلعنه . لأن النبي ﷺ لما صار يقول : « **اللهم العن فلانًا . اللهم العن فلانًا يعينهم** . قال الله له: ﴿ **ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون**﴾ [آل عمران: ١٢٨] .

ومن الناس من تأخذه الغيرة فيلعن الرجل المعين إذا كان كافرًا وهذا لا يجوز . لأنك لا تدري لعل الله أن يهديه . وكم من إنسان كان سن أشد الناس عداوة

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٩٥) .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) سورة هود : ١٨ .

(٤) سورة آل عمران : ٦١ .

وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **لعن الله آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه**[١] . وإنه قال : « **لعن الله المحلل والمحلل له** »[٢] وأنه قال : « **لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة** »[٣] . فالواصلة : هي التي تصل شعرها ، والمتسوصلة : هي التي يوصل لها ، والنامصة : هي التي تنتف الشعر من الحاجبين ، والمتنمصة : التي يفعل بها ذلك . وأنه ﷺ لعن الصالقة والحالقة والشاقة[٤] . فالصالقة : هي التي ترفع صوتها عند المصيبة ، والحالقة : هي التي تحلق شعرها عند المصيبة ، والشاقة : هي التي تشق ثيابها عند المصيبة .

وأنه ﷺ لعن المصورين[٥] ، وأنه لعن من غير منار الأرض[٦] أي حدودها ، وأنه قال : « **لعن الله من لعن والديه ، ولعن من سب أمه** »[٧] . وفي السنن أنه قال: « **لعن الله من أضل أعمى عن الطريق**[٨] ، **ولعن الله من أتى بهيمة**[٩] ، **ولعن الله من**

للمسلمين والإسلام هداه الله وصار من خيار عباد الله المؤمنين . ونضرب لهذا مثلاً: عمر ابن الخطاب الرجل الثاني بعد أبي بكر في هذه الأمة كان من ألد أعداء الإسلام ففتح الله عليه فأسلم . خالد بن الوليد كان يقاتل المسلمين في أحد وهو من جملة من كر عليهم وداهمهم . عكرمة بن أبي جهل .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) صحيح: رواه البخاري (٥٩٣١) ومسلم (٢١٢٥) .

(٤) صحيح: رواه البخاري (١٢٩٦) ومسلم (١٠٤) .

(٥) صحيح: رواه البخاري (٢٠٨٦) .

(٦) صحيح: رواه أحمد (١ / ١٨٨ ، ١٥٢) ومسلم (١٩٧٨) .

(٧) سبق تخريجه .

(٨، ٩) صحيح: رواه أحمد (١ / ٢١٧، ٣١٧) وأبو يعلى (٢١٢) والبيهقي في الشعب (٤٩٨٨) وفي السنن (٨ / ٢٣١) صحيح الجامع (٥٧٦٧) .

عمل عمل قوم لوط[١] ، « وأنه لعن من أتى كاهنا »[٢] ، « أو امرأة في دبرها »[٣] ، « ولعن النائحة ومن حولها »[٤] ، « ولعن من أم قوما وهم له كارهون »[٥] ، «ولعن الله امرأة باتت وزوجها عليها ساخط »[٦] ، « ولعن رجلا سمع : حي على الصلاة ، حي على الفلاح ثم لم يجب » . « ولعن من ذبح لغير الله »[٧] ، « ولعن السارق »[٨] . « ولعن من سب الصحابة »[٩] ، « ولعن المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء »[١٠] ، « ولعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال »[١١] ، « ولعن المرأة تلبس لبسة الرجل والرجل يلبس لبسة

وغيرهم من كبار الصحابة الذين كانوا من أول ألد أعداء المسلمين فهداهم الله عز وجل . ولهذا قال : ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٢٨]. أما إذا مات الإنسان على الكفروعلمنا أنه مات كافرًا فلا بأس أن يلعنه . لأنه ميئوس من هدايته والعياذ بالله . لأنه مات على الكفر . ولكن ما الذي نستفيده من

---

(١) **صحيح:** رواه أحمد (١ / ٢١٧، ٣١٧) وأبو يعلى (٢١٢) والبيهقي في الشعب (٤٩٨٨) وفي السنن (٨ / ٢٣١) صحيح الجامع (٥٧٦٧) .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) **صحيح:** رواه أحمد وأبو داود انظر في الجامع (٤٦٩٣) .

(٥) **صحيح:** ورد بغير لعن عن أبي أمامة عند الترمذي وانظر صحيح الجامع (٣٠٥٧) .

(٦) **صحيح:** رواه البخاري (٣٢٣٧) ومسلم (١٤٣٦) .

(٧) سبق تخريجه .

(٨) سبق تخريجه .

(٩) **حسن:** رواه الطبراني وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٣٤٠) وصحيح الجامع (٥١١١).

(١٠) سبق تخريجه .

(١١) سبق تخريجه .

المرأة[(١)] . «لعن من سل سخيمته على الطريق يعني تغوط على طريق الناس»[(٢)] ، «ولعن السلتاء» . والمرأة السلتاء : التي لا تخضب يديها ، والمرأ التي لا تكتحل، «ولعن من خبب امرأة على زوجها أو مملوكا على سيده»[(٣)] - يعني أفسدها أو أفسده - «ولعن من أتى حائضًا أو امرأة في دبرها»[(٤)] ، «ولعن من أشار إلى أخيه بحديدة»[(٥)] ، «ولعن مانع الصدقة يعني الزكاة»[(٦)] ، «لعن من انتسب إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه»[(٧)] ، «ولعن من كوى دابة في وجهها»[(٨)] . «ولعن الشافع والمشفع في حد من حدود الله إذا بلغ الحاكم» ، «ولعن المرأة إذا خرجت من دارها بغير إذن زوجها»[(٩)] ، «ولعنها إذا باتت هاجرة فراش زوجها حت ترجع»[(١٠)] ، «ولعن تارك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا أمكنه» ، «ولعن

لعنه ربما يدخل هذا - أعني لعنه - في قول النبي ﷺ : «ولا تسبوا الأموات فإنهم أفضوا إلى ما قدموا» . ونحن نقول لهذا الرجل الذي يلعن الكافر أو الذي مات على

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) صحيح: بلفظ أخر .

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢ / ٣٩٧) وأبو داود (٢١٧٥) صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٢٤) .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) صحيح: رواه ومسلم (٢٦١٦) والترمذي (٢١٦٢) .

(٦) سبق تخريجه .

(٧) سبق تخريجه .

(٨) صحيح: رواه مسلم وابن حبان (٢٠٠٣ - ٢٠٠٥) وأبو داود (٢٥٦٤) والطبراني في (١٤٠ / ٢) انظر الصحيحة (٢١٤٩) .

(٩) موضوع: رواه الخطيب في التاريخ (٢٠٠ ، ٢٠١) وقال الألباني في موضوع السلسلة الضعيفة (١٠٢٠) .

(١٠) صحيح: رواه البخاري (٣٢٣٧) ومسلم (١٤٣٦) بغير لفظ اللعن .

الفاعل والمفعول به ـ يعني اللواط »[1] « ولعن الخمرة وشاربها وساقيها ومستقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها والدال عليها » . وقال ﷺ : « ستة لعنتهم ولعنهم الله وكل نبي مجاب الدعوة : المكذب بقدر الله ، والزائد في كتاب الله ، والمتسلط بالجبروت ليعز من أذل الله ويذل من أعزه الله ، والمستحل لحرم الله ، والمستحل لحرم الله ، والمستحل من عترتي ما حرم الله ، والتارك لسنتي »[2] . « ولعن الزاني بأمراة جاره »[3] ، « ولعن ناكح يده »[4] ، «لعن ناكح الأم وابنتها »[5] ، « ولعن الراشي والمرتشي في الحكم والرائش » يعني الساعي بينهما[6] « ولعن من كتم العلم »[7] « ولعن المحتكر »[8] ، « ولعن من أخفر مسلما يعني خذله ولم ينصره »[9] ، «ولعن الوالي إذا لم يكن فيه رحمة »[10] ، «ولعن المتبتلين من الرجال الذين يقولون لا نتزوج »[11] ، « والمتبتلات من النساء »

الكفر نقول : إن لعنك إياه لا فائدة منه في الواقع . لأنه قد استحق الطرد والإبعاد عن رحمة الله . فليس من أهل رحمة الله أبدًا . بل هو من أصحاب النار هم فيها خالدون . وكذلك أيضًا البهائم . لا يجوز أن تلعن البهيمة : البعير ، الحمار ، بقرة، شاة . لا يجوز أن تلعنه فهذه أحاديث ساقها المؤلف رحمه الله في التحذير من اللعن. فمنها أن النبي ﷺ قال : « ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا بالفاحش بالبذي». وهذا يدل على

---

(١) سبق تخريجه .
(٢) سبق تخريجه .
(٣) سبق تخريجه .
(٤) لم يرو بلفظ اللعن .
(٥) ورد بغير اللعن .
(٦) سبق تخريجه .
(٧) سبق تخريجه .
(٨) ورد أحاديث في المحتكر وكلها ضعيفة انظر ضعيف الجامع (٥٣٥٥ ، ٥٣٥٦ ، ٥٣٥٧).
(٩) صحيح رواه البخارى (١٨٧٠ ، ٣١٧٢، ٣١٧٩) ومسلم (٣١٧٠) .
(١٠) روى مسلم (١٨٢٨) « اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه. . .».
(١١) ضعيف رواه أحمد (٢/ ٢٨٧، ٢٨٩) وضعفه الهيثمى فى (مجمع الزوائد) .

ولعن راكب الفلاة وحده»، «لعن من أتى بهيمة»[١] نعوذ بالله من لعنته ولعنه رسوله .

فصل

اعلم أن لعن المسلم المصون حرام بإجماع المسلمين ، ويجوز لعن أصحاب الأوصاف المذمومة كقولك : لعن الله الظالمين ، لعن الله الكافرين ، لعن الله اليهود والنصارى ، لعن الله الفاسقين ، لعن الله المصورين . ونحو ذلك كما تقدم ، وأما لعن إنسان بعينه من اتصف بشيء من المعاصي كيهودي أو نصراني أو ظالم أو زان أو سارق أو آكل ربا فظواهر الأحاديث إنه ليس بحرام . وأشار الغزالي رحمه الله إلى تحريمه إلا في حق من علمنا أنه مات على الكفر ، كأبي لهب وأبي جهل وفرعون وهامان وأشباههم ، قال : لأن اللعن هو الإبعاد عن رحمه الله وما ندري ما يختم به لهذا الفاسق والكافر . قال : وأما الذين لعنهم رسول الله ﷺ بأعيانهم كما قال : **«اللهم العن رعلا وذكوان وعصية عصو الله ورسوله »[٢]** . وهذه ثلاث قبائل من العرب فيجوز أنه ﷺ علم موتهم على الكفر ، قال : ويقرب من اللعن الدعاء على الإنسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الإنسان : لا أصح الله جسمه ولا سلمه

أن هذه الأمور نقص في الإيمان . وإنها تسلب عن المؤمن حقيقة الإيمان وكمال الإيمان . فلا يكون طعانًا يطعن في الناس بأنسابهم أو بأعراضهم أو بشكلهم وهيئاتهم أو بآمالهم ولا باللعان الذي ليس له هم إلا اللعنة . قل كلمة لعنك الله . قل كذا لعنك الله لماذا تقول كذا ؟ أو يقول لأولاده : لعنكم الله هاتوا هذا أو ما أشبه ذلك .

فالمؤمن ليس باللعان ولا بالفاحش الذي يفحش في كلامه بصراخ أو نحو ذلك . ولا بالبذي الذي يعتدي على غيره . فالمؤمن مؤمن مسالم . ليس عنده فحش في قوله ولا في فعله ولا غير ذلك لأنه مؤمن . وكذلك حديث اللعنة أن الإنسان إذا لعن شخصًا أو شيئًا من الأشياء. صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء الأولى ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبواب الأرض دونها ثم تذهب يمينًا وشمالاً ثم ترجع إلى الذي لعن.

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) صحيح: رواه مسلم (٦٧٥) .

الله وما جرى مجراه وكل ذلك مذموم ، وكذلك لعن جميع الحيوانات والجمادات فهذا كله مذموم ، قال بعض العلماء : من لعن من لا يستحق اللعن فليبادر بقوله إلا أن يكون لا يستحق .

فصل

ويجوز للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر وكل مؤدب أن يقول لمن يخاطبه في ذلك : ويلك ، أو يا ضعيف الحال ، أو يا قليل النظر لنفسه ، أو يا ظالم نفسه ، أو ما أشبه ذلك ، بحيث لا يتجاوز إلى الكذب ، ولا يكون فيه لفظ قذف صريح أو كناية أو تعريض ولو كان صادقًا في ذلك . وإنما يجوز ما قدمناه ويكون الغرض من ذلك التأديب والزجر ، ويكون الكلام أوقع في النفس والله أعلم .

اللهم نزه قلوبنا عن التعلق لمن دونك ، واجعلنا من قوم تحبهم ويحبونك ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين .

فإن كان أهلاً لها فقد استحقها وإلا رجعت إلى قائلها . وهذا وعيد شديد على من لعن من ليس أهلاً للعن فإن اللعنة تتجول في السماء والأرض واليمين والشمال ثم ترجع في النهاية إلى قائلها إذا لم يكن الملعون أهلاً لها .

ثم ذكر حديث عمران بن حصين . امرأة كانت على بعير لها فضجرت منها وتعبت وسأمت ولعنتها . قالت : لعنك الله . فسمع ذلك النبي ﷺ فأمر أن يأخذ ما عليها من الرحل والمتاع وتعرى يعني البعير ثم تصرف . قال: فلقد رأيتها في الناس لا يتعرض لها أحد. لأن النبي ﷺ أمر أن تصرف وهذا من باب التعزير . تعزير هذه المرأة أن تلعن دابة لا تستحق اللعن . ولهذا قال : لا تصحبنا دابة ملعونة لأن هذه المرأة لعنتها . والملعون لا ينبغي أن يستعمل فلذلك نهى النبي ﷺ عنها وتركها . فيكون هذا تعذيراً للمرأة التي لعنت هذه الدابة وهي لا تستحق .

موعظـــة

يا قليل الزاد والطريق بعيد ، يا مقبلا على ما يضر تاركا لما يفيد ، أتراك يخفى عليك الأمر الرشيد ، إلى متى تضيع الزمان وهو يحصى برقيب وعتيد .

مضى أمسك الماضي شهيدًا معـدلا ... وأعقبه يوم عليك شهـيد
فإن كنت بالأمس اقترفت إســاءة ... فبادر بإحسان وأنت حـميد
ولا تبق فضل الصالحات إلى غـد ... فرب غد يأتي وأنت فـقيد
إذا ما المنايا أخطأتك وصــادفت ... حميمك فأعلم أنها ستعـود

❊ ❊ ❊

الكبيرة الخامسة والأربعون
الغدر وعدم الوفاء بالعهد

قال الله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾ [(١)] .

قال الزجاج : كل ما أمر الله به أو نهى عنه فهو من العهد . وقال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [(٢)] .

قال الواحدي : قال ابن عباس في رواية الوالبي (العهود) يعني ما أحل وما حرم وما فرض وما حد في القرآن . وقال الضحاك : بالعهود التي أخذ الله على هذه الأمة أن يوفوا بها مما أحل وحرم وما فرض من الصلاة وسائر الفرائض والعهود وكذا العهود جمع عهد . العقد بمعنى المعقود وهو الذي أحكم ما فرض الله علينا فقد أحكم ذلك ، ولا سبيل إلى نقضه بحال . وقال مقاتل بن حيان : ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾

الكبيرة الخامسة والأربعون
الغـــدر

الغدر : خيانة الإنسان في موضع الاستئمان . بمعنى أن يأتمنك أحد في شيء ثم تغدر به . سواء أعطيته عهداً أم لم تعطه . وذلك لأن الذي ائتمنك : اعتمد عليك ووثق بك فإذا خنته فقد غدرت به .

ثم استدل المؤلف على تحريم الغدر بوجوب الوفاء لأن الشيء يعرف بضده . ووجوب الوفاء ساق له المؤلف رحمه الله آيتين . الآية الأولى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ [المائدة : ١] .

---

(١) سورة الإسراء : ٣٤ .
(٢) سورة المائدة : ١ .

التي عهد الله إليكم في القرآن ، مما أمركم به من طاعته أن تعملوا بها ونهيه الذي نهاكم عنه وبالعهود الذي بينكم وبين المشركين وفيما يكون من العهد بين الناس والله أعلم .

وقال النبي ﷺ : « **أربع من كن فيه كان منافقًا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب ، وإذا ائتمن خان وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر** » مخرج في الصحيحين [(١)].

وقال رسول الله ﷺ : « **لكل غادر لواء يوم القيامة يقال هذه غدرة فلان ابن فلان** » [(٢)]وقال رسول الله ﷺ : « **يقول الله عز وجل ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة:**

يعني ائتوا بها وافية شاملة على حسب العقد الذي اتفقت مع صاحبك عليه . وهذا يشمل كل العقود . يشمل عقود البيع . فإذا بعت شيئًا على أخيك فالواجب عليك أن تفي بالعقد إن كان بينكما شرط فأوفه سواء كان عدميًا أم وجوديًا . فمثلاً إذا بعت على أخيك بيتًا واشترطت عليه أن تسكنه لمدة سنة فالواجب على المشتري أن يمكنك من هذا وألا يتعرض لك . لأنه شرط عليك أن يسكنه سنة . وهذا مقتضى العقد . بعت على أخيك شيئًا واشترطت عليه أن يصبر بالعيب الذي فيه . يعني قلت : فيه عيب فاصبر به فيجب عليك أن توفي بذلك وأن لا ترده . وإذا رددته فلا حق لك . لكن يجب عليك من الأصل ألا ترده .

وها هنا مسألة يتخذها بعض الناس والعياذ بالله وهي حرام يبيع الشيء ويعرف أن فيه عيبًا ثم يقول للمشتري . ترى ما بعت عليك إلا ما أمامك واصبر بجميع العيوب . وهذا ما يعرف عندهم في حارات السيارات حارات تحت المكرفون . تجد السمسار الذي هو الدلال . ينادي بأعلى صوته ويقول : ترى ما بعت عليك إلا الإطارات . ما بعت عليك إلا الكبوت . ما بعت عليك إلا كذا وكذا وهو يعلم أن فيها العيب الفلاني لكن لا يذكره خداعًا والعياذ بالله لأنه لو ذكره لنقصت القيمة . فإذا لم يذكره صار المشتري مترددًا يحتمل

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣١٨٦) ومسلم (١٧٣٦) .

رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع حرا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجره » . أخرجه البخاري [١] وقال رسول الله ﷺ : **« من خلع يدا من طاعة لقى الله يوم القيامة ولا حجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية »** أخرجه مسلم [٢] .

وقال رسول الله ﷺ : **« من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع ، فإن جاء أحد ينازعه فاضربوا عنق الآخر »** [٣] .

* * *

فيها عيب . يحتمل ما فيها عيب . فيدفع ثمنًا أكثر مما لو علم بالعيب المعين . وهذا الذي باع على هذا الشرط . ولو التزم المشتري بذلك . إذا كان بها عيب حقيقة فإنه لا يبرأ منه يوم القيامة سوف يطالب به ولا ينفع هذا الشرط . الواجب إذا علمت في السلعة عيبًا أن تبين أن فيها العيب الفلاني . نعم لو فرض أن إنسانًا اشترى سيارة وبقيت عنده يومًا أو يومين ولم يعلم بها عيب ولم يشترط عليه عيب . ثم أراد أن يسلم منها قال بعت عليك هذا الذي أمامك معيب أو سليم . ما على منها فهذا لا بأس به .

والمهم أن من علم العيب في السلعة يجب أن يبينه ومن لم يعلم فله أن يشترط على المشتري أنه لا ردّ له . ولا يعود عليه بشيء ولا بأس به من الوفاء بالعقود ما يحصل بين الزوجين عند العقد . تشترط المرأة شروطًا أو يشترط الزوج شروطًا . فيجب على من يشترط عليه أن يوفي بالشرط مثل أن تشترط عليه ألا تسكن مع أهله . فيجب عليه أن

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٢٢٧ ، ٢٢٧٠) وأحمد (٢ / ٢٤٢) .

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٨٥١) .

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٨٤٤) وأبو داود (٤٢٤٨) والنسائي (٧ / ١٥٢ ، ١٥٤) وابن ماجه (٤٩٥٦) وابن حبان (٥٩١٦) .

. . . .

يوفي لأن بعض النساء لا ترغب في أن تسكن مع أهل الزوج لكونها سمعت عنهم أنهم نكد وأنهم أصل تشويش وأهل نميمة فنقول شرطت ألا أسكن مع أهلك فيجب عليه أن يوفي بذلك . لأن الله تعالى قال : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ** ﴾ . أو شرطت عليه ألا يخرجها من بيتها . مثلاً هي ربة أولاد من زوج سابق وتزوجها رجل جديد فقالت شرطت ألا تخرجني من بيتي . فيجب عليه أن يوفي بهذا الشرط وألا ينكد عليها . لا يقول أنا ما أخرجتها من بيتها . ولكن ينكد عليها حتى تمل وتتعب هذا حرام . لأن الله تعالى قال : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ** ﴾ . اشترطت عليه مهرًا معينًا . قالت : شرط أن تعطيني مهري مثلاً عشرة آلاف يجب عليه أن يوفي . ولا يماطل لأنه مشروط عليه . ولكن لو اشترطت هي أو هو شرطًا فاسدًا فإنه لا يقبل. مثل لو اشترطت عليه . قالت : شرط أن تطلق زوجتك الأولى فهذا الشرط لا يقبل ولا يوفي به وذلك لأن النبي ﷺ قال : « **لا تسأل المرأة طلاق أختها لتدفع ما في إنائها** » [رواه البخارى] .

أو قال : « **ما في صحفتها** » . هذا الشرط محرم لأنه عدوان على الغير فيكون باطلاً ولا يجب الوفاء به . بل هو لا يجب الالتزام به أصلاً لأنه شرط فاسد . أما لو اشترطت ألا يتزوج عليها وقبل فشرط صحيح لأنه ما فيه عدوان على أحد . فيه منع الزوج من أمر يجوز له باختياره وهذا لا بأس به . لأن الزوج هو الذي أسقط حقه وهو ليس فيه عدوان على أحد . فإذا اشترطت ألا يتزوج عليها فتزوج فلها أن تفسخ النكاح . رضى أم أبي . لأنه خالف الشرط .

فالمهم أن الله أمر بالوفاء بالعقود في كل شيء يجب أن تفي بالعقد في كل شيء وألا تخون ولا تغدر ولا تكتم عيبًا ولا تدلس قول الله تعالى : ﴿ **وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً** ﴾ [الإسراء : ٣٤] .

أمر الله أن يوفي بالعهد يعني إذا عاهدت أحدًا وقلت : عليك عهد الله ألا أفعل كذا أو لا أخبر بما أخبرتني به أو ما أشبه ذلك فإنه يجب عليك أن تفي بالعهد لأن العهد سوف تسأل عنه يوم القيامة . ولهذا قال : ﴿ **وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً** ﴾ . أي : مسئولاً عنه يوم القيامة ثم ذكر أحاديث سبق لنا الكلام عليها . أي شرحها وأعظمها أنه ينصب

. . . .

لكل غادر يوم القيامة لواء اللواء ما يكون في الحرب مثل العلم « **يرفع لكل غادر لواء تحت استه** » والعياذ بالله أي تحت مقعدته . ويرتفع هذا اللواء بقدر غدرته إن كانت كبيرة صار كبيرًا . وإن كانت صغيرة صار صغيرًا ويقال : هذه غدرة فلان بن فلان . والعياذ بالله .

وفي هذا الحديث دليل على إن الغدر من كبائر الذنوب . لأن فيه هذا الوعيد الشديد وفيه أيضًا أن الناس يُدعَون يوم القيامة بآبائهم لا بأمهاتهم . وأن ما ذكر من أن الإنسان يوم القيامة يدعى باسم أمه فيقال يا فلان بن فلانة . فليست الحقيقة بل إن الإنسان يدعى باسم أبيه كما يُدعى به في الدنيا .

وفي الحديث الآخر أيضًا التنبيه على مسألة يفعلها كثير من الناس اليوم . وهي أنهم يستأجرون الأجراء ولا يعطون لهم أجرًا هذا الذي يفعل يستأجر الأجير ولا يعطيه أجره يكون الله عز وجل خَصْمه يوم القيامة . كما قال تعالى في الحديث القدسي : «**ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بي ثم غدر** » . يعني : عاهد بي ثم غدر والثاني « **رجل باع حرًا فأجل ثمنه** » حتى لو كان ابنه أو أخاه الأصغر ثم باعه وأكل ثمنه يكون الله عز وجل خصمه يوم القيامة . والثالث : « **هذا الرجل الذي استأجر أجيرًا فاستوفى منه وقام الأجير بالعمل كاملاً ثم لم يعطه أجرته** » ومن ذلك ما يفعله بعض الناس اليوم في العمال الذين يأتون بهم من الخارج . تجده يستأجره بأجرة معينة مثلا ستمائة ريال في الشهر ثم إذا جاء به إلى هنا ماطل به وآذاه ولم يؤت له حقه وربما يقول له تريد أن تبقى هنا بأربعمائة ريال وإلا سافرت هذا والعياذ بالله يكون الله خصمه يوم القيامة . ويأخذ من حسناته ويعطيها هذا العامل . لأن قوله إما أن تعمل بأربعمائة وإلا سفرتك . هذا استأجره بستمائة ولم يعطه أجره . فيدخل في هذا الوعيد الشديد وهؤلاء الذين يأتون بالعمال ولا يعطونهم أجورهم أو يأتون بهم وليس عندهم شغل . ولكن يتركوهم في الأسواق . ويقول اذهب وما حصلته فلي نصفه أو مثلاً يقول اذهب وعليك في الشهر ثلاثمائة ريال أو أربعمائة ريال . كل هذا حرام والعياذ بالله . ولا يحل لهم وما أكلوه فإنه سحت وكل جسد نبت من السحت فالنار أولى به وهؤلاء الذين يأكلون أموال هؤلاء العمال المساكين .

. . . .

هؤلاء لا تقبل لهم دعوة والعياذ بالله . يدعون الله فلا يستجب لهم . لأن النبي ﷺ ذكر: «**الرجل يطيل السفر أشعث أغبر . يمد يده إلى السماء : يا رب يا رب . ومطعمه حرام وملبسه حرام وغُذي من حرام فأنى يستجاب له**» (١) .

وما يأكل هؤلاء من أجور هؤلاء العمال أو يظلمونهم به . فإنهم يأكلونه سحتًا . نسأل الله العافية .

فعلى الإنسان أن يتقي الله أنا أعلم أنكم سوف تبلغون هذا إلى هؤلاء الظلمة والعياذ بالله الذين عاقبهم الله عقوبة عاجلة والعياذ بالله ما هي العقوبة العاجلة ؟

استمراء هذا العمل والاستمرار فيه والإصرار عليه . فإن الإصرار على الذنب عقوبة والعياذ بالله إذا لم يمن الله على الإنسان بالتوبة من الذنب فاعلم أن استمراره في هذا الذنب عقوبة من الله له . لأنه لا يزداد بهذا الذنب من الله إلا بعدًا ولا تزداد سيئاته إلا كثرة. ولا يزداد إيمانه إلا نقصًا . فنسأل الله لنا ولهم الهداية والتوفيق .

---

(١) صحيح : رواه مسلم (١٠١٥).

الكبيرة السادسة والأربعون
تصديق الكاهن والمنجم

قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (١) .

قال الواحدي في تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ قال الكلبي: لا تقل ما ليس لك به علم ، وقال قتادة : لا تقل سمعت ولم تسمع ورأيت ولم تر وعلمت ولم تعلم (٢) . والمعنى : لا تقولن في شيء بما لا تعلم ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ .

قال الوالبي عن ابن عباس : يسأل الله العباد فيم استعملوها وفي هذا زجر عن النظر إلى ما لا يحل والاستماع إلى ما يحرم وإرادة ما لا يجوز ، والله أعلم .

الكبيرة السادسة والأربعون
إتيان الكاهن والمنجم

الكهان : جمع كاهن . والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل فيقول مثلا، كذا وكذا في يوم كذا وكذا . أو يقول للإنسان : ستكون سعيدًا في اليوم الفلاني . أو سيصيبك حادث في اليوم الفلاني أو ما أشبه ذلك ـ هؤلاء هم الكهان .

أما المنجمون : فهم الذين يمتهنون علم النجوم يعني يتخذونه مهنة . ولكن النجوم تنقسم إلى قسمين : جائز ومحرم .

نتكلم عن الكهان : الكهان هم أناس من بني آدم لهم أولياء من الجن والجن أعطاهم

---

(١) سورة الإسراء : ٣٦ .

(٢) صحيح: رواه الطبري (١٥ / ٨٦) عن قتادة موقوفًا بإسناد صحيح .

وقال الله تعالى : ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ**﴾ (١).

قال ابن الجوزي: عالم الغيب هو الله عز وجل وحده لا شريك له في ملكه فلا يظهر : أي فلا يطلع على غيبة الذي لا يعلمه أحد من الناس ﴿ **إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ**﴾ ، لأن الدليل على صدق الرسل إخبارهم بالغيب . والمعنى : إن من ارتضاه للرسالة أطلعه على ما شاء من الغيب ففي هذا دليل على أن من زعم أن النجوم تدل على الغيب فهو كافر والله أعلم (٢) . وقال رسول الله ﷺ : « **من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ** » (٣) . وروينا في الصحيحين عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح في أثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس بوجهه فقال : « **هل تدرون ماذا قال ربكم ؟** » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « **أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر . فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب ،**

الله قدرة عظيمة على الأشياء سرعة وقوة . فهم يصعدون إلى السماء . ولكل واحد منهم مقعد معين . يسترقون السمع . أي ما يسمعونه من الملائكة . فيقضى الله تبارك وتعالى الأمر في السماء ثم يخطفون منه شيئًا . فينزلون إلى أوليائهم من البشر من بني آدم وهم الكهان . ثم يضيف هذا الكاهن إلى هذا الذي سمعه من السماء . كما قال النبي ﷺ وهو الصادق : (مائة كذبة) .

يعني يزيدون على ما سمعوا . فيصادف أن هذه الكلمة المسموعة من السماء تقع كما سمعها الجني . وقد ذكرت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ سئل عن الكهان فقال : « **ليسوا بشيء** » .

---

(١) سورة الجن (٢٦ ، ٢٧) .

(٢) زاد المسير (٨ / ٣٨٥) .

(٣) صحيح : رواه أحمد (٢ / ٤٢٩) والحاكم (١ / ٨) صحيح الجامع (٥٦٣٩).

وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب » [١] .

قال العلماء : إن قال مسلم مطرنا بنوء كذا وكذا يريد أن النوء هو الموجد والفاعل المحدث للمطر صار كافرا مرتدا بلا شك ، وإن قال مريد أنه علامة نزول المطر وينزل المطر عند هذه العلامة ونزوله بفعل الله خلقه لم يكفر ، واختلفوا في كراهته ، والمختار أنه مكروه لأنه من ألفاظ الكفار وهذا ظاهر الحديث .

(وقوله) : في أثر سماء ـ السماء هنا المطر ـ والله أعلم . وقال رسول الله ﷺ: **« من أتى عرافا فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يوما »** [٢] رواه مسلم وعن عائشة ﵂ قالت : سألت رسول الله ﷺ أنا عن الكهان فقال : **« ليسوا بشيء »** قالوا : يا رسول الله أليس قد قال كذا وكذا ؟ فقال رسول الله ﷺ : **« تلك الكلمة من الحق يحفظها الجنى فيقرها في أذن وليه (أي يلقيها) فيخلط معها مائة كذبة »** . مخرج في الصحيحين [٣] . وعن عائشة ﵂ قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول:

لأن الكهان كثروا إبَّان عهد النبي ﷺ قبل أن ينزل عليه الوحي . وصارت الجن كما ذكر الله عنهم : ﴿كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا﴾ [الجن : ٩] ـ يعني من السماء ـ ﴿مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ فلما بعث النبي ﷺ صار الجني إذا قعده بمقعده يستمع جاءه شهاب من نار فأحرقه ﴿ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن : ٩] .

فسئل النبي ﷺ عن الكهان فقال : **« ليسوا بشيء »** يعني لا تعبأوا بهم ولا تأخذوا بكلامهم ولا يهمكم أمرهم قالوا : يا رسول الله إنهم يقولون القول فيكون حقًا . فأخبر النبي ﷺ أن هذا الحق الذي يقع ممزوج بمائة كذبة وأن سببه أن الجني الذي له ولي من البشر يخطف الخبر من السماء ويوحيه إلى وليه من الإنس فيتحدث ثم يقع ما كان حقًا .

وما كان باطلاً ينسى عند الناس وكأنه لم يكن هؤلاء الكهان يجب علينا أن نكذبهم

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٨٤٦) ومسلم (٧١) .

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٢٣٠) وأحمد (٥ / ٣٨٠) .

(٣) صحيح: رواه البخاري (٥٧٦٢ ، ٦٢١٣) ومسلم (٢٢٢٨) .

« إن الملائكة تنزل في العنان ـ وهو السحاب ـ فتذكر الأمر قضى في السماء ، فيسترق الشيطان السمع فيسمعه فيوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم» رواه البخاري [(١)] .

وعن قبيصة بن أبي المخارق رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«العيافة والطيرة والطرق من الجبت »** رواه أبو داود [(٢)] وقال : الطرق : الزجر ، أي زجر الطير ، وهو يتيامن أو يتشاءم بطيرانه . فإن طار إلى جهه اليمين تيمن ، وإن طار إلى جهة اليسار تشاءم . قال أبو داود : العيافة الخط . قال الجوهري : الجبت كلمة تقع على الأصنام والكاهن ، والساحر ونحو ذلك . وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : **« من أقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»** [(٣)] ، وقال علي بن أبي طالب : الكاهن ساحر والساحر كافر . فنسأل الله العافية والعصمة في الدنيا والآخرة .

وألا نصدقهم ومن أتاهم وسألهم وصدقهم فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ يعني كفر بالقرآن . ووجه كفره أن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ **قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ** ﴾ [النمل : ٦٥] .

فإذا ادعى هؤلاء علم الغيوب وصدقهم الإنسان صار مضمون تصديقه إياهم تكذيب قول الله : ﴿ **قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾ أما المنجمون : فهم الذين يتعاطون النجوم وعلم النجوم قسمان :

قسم لا بأس به : وهو ما يسمى بعلم التسيير يعني علم سير النجوم يستدل به على الفصول وعلى طول النهار وقصر النهار حاجة لا بأس بها ولا حرج بها . لأن الناس

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري (٢٢١٠) .

(٢) **ضعيف:** رواه عبد الرزاق (١٩٥٠٢) ، وابن سعد (٧ / ٣٥ ، وأحمد (٣ / ٤٧٧) وأبو داود (٣٩٠٧) وضعفه الشيخ في ضعيف أبي داود (٨٤٢) .

(٣) **صحيح:** رواه أحمد (١ / ٣١١) وأبو داود (٣٩٠٥) وابن ماجه (٣٧٢٦) وصححه الشيخ في السلسلة الصحيحة (٧٩٣) وصحيح الجامع (٦٠٧٤) .

موعظة

عباد الله تفكروا في سلفكم قبل تلفكم ، وانظروا في أموركم قبل حلول قبوركم، فتأهبوا للرحيل قبل فوات تحويلكم ، أين الأقران والأخوان ، أين من شيد الإيوان ، رحلوا والله عن الأوطان ومزقت في اللحود تلك الأكفان هتف نذيرهم بأهل العرفان ﴿ **كل من عليها فان** ﴾ تقلبت بهم الأحوال . ولعب بهم في أيدي الليالي . وشغلوا عن الأولاد والأموال ، ونسيهم أحباؤهم بعد ليال . عانقوا التراب وفارقوا الأموال فلو أذن لأحدهم في المقال لقال :

من رآنا فليحدث نفسه — أنه واقف على قرب الزوال
وصروف الدهر لا يبقى لها — ولما تأتي به صم الجبال
رب ركب قد أناخوا حولنا — يشربون الخمر بالماء الزلال
والأباريق عليهم قدمت — وعتاق الخيل تردى بالجلال
عمروا دهرا بعيش ناعم — أبيض دهرهم غير محال
ثم أضحوا لعب الدهر بهم — وكذاك الدهر يودي بالرجال

***

يهتدون به لمصالحهم .

ومن ذلك علم جهات النجوم مثل القطب الشمالي معروف جهة الشمال الجدي معروف قرب القطب من ناحية الشمال يستدل به على القبلة وعلى الجهات . قال الله تعالى: ﴿ **وَعَلامَاتٍ** ﴾ [النحل : ١٦] . يعني الجبال : ﴿ **وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ** ﴾ .

يهتدون في ظلمات البر والبحر إذا لم يكن سحاب يغطي النجوم اهتدوا بها . ففي القصيم إذا أردت أن تستقبل القبلة اجعل القطب خلف أذنك اليمنى . إذا جعلته خلف أذنك اليمنى فقد استقبلت القبلة . وفي كل منطقة وجهة يحجبها . فصار علم التسيير ما يتعلمه الإنسان للزمان والمكان . للزمان مثل الفصول وقت الشتاء. وقت الصيف .

. . . .

المكان : الجهات .

القسم الثاني : علم التأثير مقابل علم التسيير ـ علم التأثير أن يتخذ من علم النجوم سببًا يدّعى به أن ما حصل في الأرض فإنه من سبب النجم . كالذين يقولون في الجاهلية مُطرنا بنوء كذا وكذا . هذا هو المحرم . ولا يجوز اعتماده . لأنه لا علاقة لما يحدث في الأرض فيما يحدث بالسماء . السماء مستقلة . فما حصل من أثر في السماء فإنه لا يؤثر على الأرض . فالنجوم لا دخل لها في الحوادث .

بعض الناس والعياذ بالله يقول : هذا الولد وُلِد في النوء الفلاني فسيكون سعيدًا . هذا الولد وُلدَ في النوء الفلاني فسيكون شقيًا ؟ من قال هذا ؟ ويسمونه الطالع أي طالع هذا الولد . هذا هو المحرم الذي من صدق المنجم فيه فهو كمن صدق الكاهن .

هذه الأحاديث التي ذكرها المؤلف والآثار فيها دليل على ما سبق أنه يحرم أنه يأتي الإنسان الكهان فيصدقهم أتى عرافًا فسأله لم تقبل له صلاة أربعين يومًا . مجرد ما يسأل العراف . ومنه الكهان لا تقبل له صلاة أربعين يومًا . فإن صدقه فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ .

أما إذا أتى الكاهن ليبين كذبه وزيفه فهذا لا بأس به . بل قد يكون أمرًا محمودًا كما فعل النبي ﷺ فقال له : ماذا خبأت لك ـ يعني ما الذي أضمرت في نفسي ـ قال : الدخ ـ وعجز أن يكمل الكلمة ؟ لأن الرسول ﷺ أضمر في نفسه الدخان . ولكنه عجز أن يدركها قال: الدخ. قال له النبي ﷺ : **« إخسأ فلن تعدو وقدرك »** [البخارى ومسلم].

وأما ما يتعلق بذلك . . . أي بالتنجيم والكهانة فمنه التطير . استعمال الطيور . وكانوا في الجاهلية يستعملون الطيور يطيرونه من الأرض إن اتجه للأمام مضى في سفره وإن طار ثم رجع رجع من سفره . وإن طار فذهب يمينًا تيمن في سفره وقال هذا سفر طيب وخير وإن ذهب يسارًا معنى في سفره لكن يعتقد أن السفر شاقًا لماذا ؟ لأن الطير ذهب إلى الشمال والشمال غير مرغوبة ـ هذه عادتهم والعياذ بالله . الطيور لا تغني شيئًا هذا كله أبطله النبي ﷺ لئلا يتعلق الإنسان بأحد سوى الله . وأمر الإنسان إذا هم بأمر يتبين له أن يستخير . يصلي ركعتين من غير الفريضة ويقول الدعاء المعروف للاستخارة:

. . . .

اللهم إني استخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تعلم ولا أعلم وتقدر ولا أقدر وأنت علام الغيوب . اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر ـ ويسميه ـ خيراً لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري ـ أو قال عاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي وإن كنت تعلم أنه شر لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري أو قال عاجل أمري وآجله ـ فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به (١) .

حينئذٍ إذا قدر الله له شيئًا بعد هذه الاستخارة فهو خير له يمضي ويتوكل على الله وإن صرف الله همته عنه . فهذا يعني بأنه ليس بخير له .

وأما الاستقسام بالأزلام والطير وما أشبه ذلك فكله لا خير فيه .

(١) صحيح : رواه البخارى ٦٣٨٢ ، وأبو داود (١٥٢٤) والترمذى (٤٧٨) وابن ماجه (١٣٨٣) والنسائى (٦/ ٨٠) .

الكبيرة السابعة والأربعون

نشوز المرأة على زوجها

قال الله تعالى : ﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيراً﴾ (١)

قال الواحدي رحمه الله تعالى : النشوز ههنا معصية الزوج وهو الترفع عليه بالخلاف . وقال عطاء : هو أن تتعطر له وتمنعه نفسها وتتغير عما كانت تفعله من الطواعية . ﴿ فَعِظُوهُن﴾ بكتاب الله وذكروهن ما أمرهن الله به ، ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ ، قال ابن عباس هو أن يوليها ظهره على الفراش ولا يكلمها . وقال الشعبي ومجاهد : هو أن يهجر مضاجعتها فلا يضاجعها ، ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ ضربًا غير مبرح . وقال ابن عباس : أدبا مثل اللكزة ، وللزوج أن يتلافى نشوز امرأته بما أذن الله له مما ذكره الله في هذه الآية : ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ ﴾ فيما يلتمس منهن ﴿ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ﴾ ، قال ابن عباس : فلا تتجنوا عليهن العلل . وفي الصحيحين : أن رسول

الكبيرة السابعة والأربعون

نشوز الزوجـة

قوله أن النبي ﷺ قال : « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تـجيء لعنتها الملائكة حتى تصبح أو قال حتى ترجع » (٢) .

وذلك أن الواجب عليها إذا دعاها الرجل إلى حاجته أن تجيبه إلا إذا كان هناك عذر شرعي كما لو كانت مريضة لا تستطيع معاشرته إياها . أو كان عليها عذر يمنعها من الحضور إلى فراشه . فهذا لا بأس به . وإلا فإنه يجب عليها أن تحضر وأن

---

(١) سور النساء (٣٤) . (٢) البخارى (٣٢٣٧) مسلم (١٤٣٦) .

الله ﷺ قال : « **إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأت لعنتها الملائكة حتى تصبح**»[١]. وفي لفظ : « **فبات وهو عليها غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح** » ولفظ الصحيحين أيضًا : « **إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها زوجها** » [٢]، وعن جابر ﷺ عن النبي ﷺ : « **ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ، ولا ترفع لهم إلى السماء حسنة : العبد الآبق حتى يرجع إلى مواليه فيضع يده في أيديهم ، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى عنها ، والسكران حتى يصحو** » [٣]، وعن الحسن قال : حدثني من سمع النبي ﷺ يقول : « **أول ما تسأل عنه المرأة يوم القيامة عن صلاتها وعن بعلها** »[٤].

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال : « **لا يحل لامرأة تؤمن بالله وباليوم الآخر**

تجيبه .

وإذا كان هذا في حق الزوج على الزوجة فكذلك ينبغي للزوج إذا رأى من أهله أنهم يريدون التمتع فإنه ينبغي أن يجيبهم ليعاشرها كما تعاشره . فإن الله تعالى قال: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ [النساء : ١٩] وأما الثاني : فإنه لا يجوز للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ولا تأذن في بيته إلا بإذنه . المسألة الأولى الصيام . والصيام نوعان : نوع واجب : فلها أن تصوم بغير إذن زوجها .

ونوع تطوع : فلا تصوم إذا كان شاهدًا إلا بإذنه .

أما إذا كان غائبًا فهي حرة . لكن إذا كان شاهداً . فلا تصم . لأنه ربما يدعوها إلى حاجته وهي صائمة فيقع في حرج وتقع هي كذلك في حرج أما إذا كان في صوم الواجب . كما لو كان عليها أيام من رمضان ولم يبق على رمضان الثاني إلا

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٢٣٧) ومسلم (١٤٣٦) .

(٢) صحيح: رواه البخاري (٥١٩٤) ومسلم (١٤٣٦) .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) ضعيف : رواه أبو الشيخ في (ثواب الأعمال وهو مرسل) . وهو من مراسيل الحسن .

أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ولا تأذن في بيته إلا بإذنه » أخرجه البخاري [(١)].

ومعنى شاهد أي حاضر غير غائب وذلك في صوم التطوع فلا تصوم حتى تستأذنه لأجل وجوب حقه وطاعته وقال ﷺ : « **لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها** » رواه الترمذي [(٢)] . وقالت عمة حصين ابن محصن وذكرت زوجها للنبي ﷺ فقال : « **انظري من أين أنت منه فإنه جنتك ونارك** » أخرجه النسائي [(٣)] ، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه** » [(٤)] . وجاء عنه ﷺ أنه قال : « **إذا خرجت المرأة من بيت زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع أو تتوب** » [(٥)] ، وقال رسول الله ﷺ : « **أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة** » [(٦)] .

بمقدار ما عليها فهنا يجب عليها أن تصوم سواء أذن أم لم يأذن . فمثلاً إذا كانت المرأة عليها من رمضان عشرة أيام . ولم يبق على رمضان الثاني إلا عشرة أيام تصوم لأن هذا واجب . أما إذا كان عليها عشرة أيام من رمضان وقد بقي على رمضان الثاني شهر أو شهران أو أكثر . فله أن يمنعها من الصوم . ولا يحل لها أن تصوم إلا بإذنه . وذلك أن الوقت واسع وإذا كان واسعًا فلا ينبغي لها أن تضيق على زوجها . وإذا أذن لها وسامحها ووافق . فإن كان الصوم واجبًا حرم عليه أن يفسده بالجماع .

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٥١٩٥) ومسلم (١٠٢٦) .

(٢) صحيح: رواه الترمذي (١١٥٩) وابن حبان (٤١٦٢) صحيح الجامع (٥٢٩٤) .

(٣) صحيح: رواه أحمد (٤ / ٣٤١) (٦ / ٤١٩) والطبراني في الأوسط (٥٣٢) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة .

(٤) صحيح موقوفا: أخرجه النسائي في عشرة النساء (٢٥١) موقوفًا وبسنده صحيح .

(٥) موضوع: أخرجه الخطيب في التاريخ (٦ / ٢٠٠ ، ٢٠٠١) وقال الألباني في الضعيفة موضوع (١٠٢٠) وضعيف الجامع (٢٢٢١) .

(٦) ضعيف: رواه ابن أبي شيبة (٧ / ٤٧ / ١) والترمذي (١١٧١) وابن ماجه (١٨٥٤) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٢٢٦) .

فالواجب على المرأة أن تطلب رضا زوجها وتجتنب سخطه ولا تمتنع منه متى أرداها لقول النبي ﷺ : « **إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلتأته وإن كانت على التنور** »[(١)] ، قال العلماء : إلا أن يكون لها عذر من حيض أو نفاس فلا يحل لها أن تجيئه ولا يحل للرجل أيضًا أن يطلب ذلك منها في حال الحيض والنفاس ، ولا يجامعها حتى تغتسل لقول الله تعالى : ﴿ **فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ** ﴾[(٢)] أي لا تقربوا جماعهن حتى يطهرن . قال ابن قتيبة : (يطهرن) ينقطع عنهن الدم ، فإذا تطهرن أي اغتسلن بالماء ، والله أعلم . ولما تقدم من قول النبي ﷺ : « **من أتى حائضًا أو امرأة من دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد** »[(٣)] .

وفي حديث آخر : « **ملعون من أتى حائضًا أو امرأة في دبرها** »[(٤)] . والنفاس

لأنه أذن فيه وقد شرعت في صوم الواجب فليزمها إتمامه وإن كان تطوعًا فله أن يجامعها فيه ولو فسد الصوم . لأن التطوع لا يلزمه إتمامه .

لكن لو قالت : أنت أذنت لي وهذا وعد منك بأنك لا تفسد صومي وجب عليه الوفاء وحرم عليه أن يفسد صومها . لقول الله تعالى : ﴿ **وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً** ﴾ [الإسراء : ٣٤] وأما قوله : ولا تأذن في بيته إلا بإذنه يعني لا تدخل أحدًا إلى البيت إلا بإذنه . فإن منعها أن تدخل أحدًا معينًا . قال : فلان لا يدخل عليَّ . حرم عليها أن تدخله بيته. لأن البيت له .

وأما إذا كان رجلاً واسع الصدر لا يهمه أن يدخل إلى أهله أحد فلا يلزمه أن تستأذنه لكل واحد .

---

(١) صحيح: وأحمد (٤ / ٢٢ ، ٢٣).والترمذي (١١٦٠) انظر الصحيحة (١٢٠٢) والمشكاة (٣٢٥٧) .

(٢) سورة البقرة : ٢٢٢ .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) سبق تخريجه .

مثل الحيض إلى الأربعين ، فلا يحل للمرأة أن تطيع زوجها إذا أراد إتيانها في حال الحيض والنفاس ، وتطيعه فيما عذا ذلك ، وينبغي للمرأة أن تعرف أنها كالمملوك للزوج فلا تتصرف في نفسها ولا في ماله إلا بإذنه وتقدم حقه على حقها ، وحقوق أقاربه على حقوق أقاربها ، وتكون مستعدة لتمتعه بها بجميع أسباب النظافة ، ولا تفتخر عليه بجمالها ، ولا تعيبه بقبح إن كان فيه .

قال الأصمعي : دخلت البادية فإذا امرأة حسناء لها بعل قبيح فقلت لها : كيف ترضين لنفسك أن تكوني تحت مثل هذا ؟ فقالت : اسمع يا هذا ، لعله أحسن فيما بينه وبين الله خالقه فجعلني ثوابه ولعلي أسأت فجعله عقوبتي .

وقال عائشة ﵂ : يا معشر النساء لو تعلمن بحق أزواجكن عليكن لجعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن قدمي زوجها بخد وجهها .

وقال ﷺ : « **نساؤكم من أهل الجنة الودود التي آذت أو أذيت أتت زوجها حتى تضع يدها في كفه فتقول : لا أذوق غمضا حتى ترضى** »[1] .

ويجب على المرأة دوام الحياء عن زوجها ، وغض طرفها قدامه ، والطاعة لأمره، والسكوت عند كلامه ، والقيام عند قدومه ، والابتعاد عن جميع ما يسخطه، والقيام معه عند خروجه ، وعرض نفسها عليه عند نومه ، وترك الخيانة له في غيبته في فراشه وماله وبيته ، وطيب الرائحة وتعاهد الفم بالسواك وبالمسك والطيب ، ودوام الزينة بحضرته ، وتركها الغيبة ، وإكرام أهله وأقاربه وترى القليل منه كثيراً .

---

(١) رواه النسائي في عشرة النساء (٢٥٧) . والطبراني (١٩ / ١٤٠ / ٣٠٧) وفي الأوسط (٥٦٤٨) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٠٤) .

فصل

في فضل المرأة الطائعة لزوجها وشدة عذاب العاصية ، ينبغي للمرأة الخائفة من الله تعالى أن تجتهد لطاعة الله ورسوله وطاعة زوجها وتطلب رضاه جهدها ، فهو جنتها ونارها . لقول النبي ﷺ : « **أيما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة**»[(١)] ، وفي الحديث أيضًا : « **إذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وأطاعت بعلها دخلت من أي أبواب الجنة شاءت** » [(٢)] ،

وروي عنه ﷺ أنه قال : « **يستغفر للمرأة المطيعة لزوجها ، الطير في الهواء والحيتان في الماء ، والملائكة في السماء ، والشمس والقمر ما دامت في رضا زوجها وأيما امرأة عصت زوجها فعليها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . وأيما امرأة كلحت في وجه زوجها فهي في سخط الله إلى أن تضاحكه وتسترضيه . وأيما امرأة خرجت من دارها بغير إذن زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع** » [(٣)] ،

وجاء عن رسول الله ﷺ أيضًا قال : « **أربع من النساء في الجنة ، وأربع في النار . فأما الأربع اللواتي في الجنة : فامرأة عفيفة طائعة لله ولزوجها ، ولود صابرة قانعة باليسر مع زوجها ، ذات حياء ، إن غاب عنها حفظت نفسها وماله ، وإن حضر أمسكت لسانها عنه ، والرابعة امرأة مات عنها زوجها ولها أولاد صغار فحبست نفسها على أولادها وربتهم وأحسنت إليهم ولم تتزوج خشية أن يضيعوا . وأما الأربع اللواتي في النار من النساء : فامرأة بذيئة اللسان على زوجها أي طويلة اللسان على زوجها أي طويلة اللسان فاحشة الكلام ، إن غاب عنها زوجها لم تصن نفسها وإن حضر أذته بلسانها . والثانية : امرأة تكلف زوجها ما لا يطيق . والثالثة : امرأة لا تستر نفسها من الرجال وتخرج من بيتها متبرجة . والرابعة : امرأة ليس لها هم إلا**

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) صحيح: رواه ابن حبان (٤١٦٣) والطبراني في الأوسط (٤٥٩٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٦١) .

(٣) لم أعثر عليه .

الأكل والشرب والنوم وليس لها رغبة في الصلاة ولا في طاعة الله ولا طاعة رسوله ولا في طاعة زوجها » .

« فالمرأة إذا كانت بهذه الصفة وتخرج من بيتها بغير إذن زوجها كانت معلونة من أهل النار إلا أن تتوب إلى الله » [١] ، وقال النبي ﷺ : **« اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء »** [٢] وذلك بسبب قلة طاعتهن لله ورسوله ولأزواجهن وكثرة تبرجهن ، والتبرج إذا أرادت الخروج لبست أفخر الثياب وتجملت وتحسنت وخرجت تفتن الناس بنفسها فإن سلمت هي بنفسها لم يسلم الناس منها . ولهذا قال النبي ﷺ : **« المرأة عورة فإذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان »** [٣] .

وأعظم ما تكون المرأة من الله ما كانت في بيتها ، وفي الحديث أيضًا : **« المرأة عورة فاحبسوها في البيوت »** [٤] ، فإن المرأة إذا خرجت إلى الطريق قال لها أهلها : أين تريدين ؟ قالت : أعود مريضا ، أشيع جنازة ، فلا يزال بها الشيطان حتى تخرج عن دارها . وما ألتمست المرأة رضا الله بمثل أن تقعد في بيتها وتعبد ربها وتطيع بعلها . وقال علي رضي الله عنه لزوجته فاطمة رضي الله عنها : يا فاطمة ما خير للمرأة ؟ قالت : أن لا ترى الرجال ولا يرونها . وكان علي رضي الله عنه يقول : ألا تستحون ، ألا تغارون ؟ يترك أحدكم امرأته تخرج بين الرجال تنظر إليها ! وكانت عائشة وحفصة رضي الله عنهما يوما عند النبي ﷺ جالستين ، فدخل ابن أم مكتوم كان أعمى فقال النبي ﷺ : **« احجبا منه »** ، فقالتا : يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال ﷺ : **«أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه ؟ »** [٥] .

---

(١) صحيح: ورد عن سعد بلفظ (أربع من السعادة ـ وأربع عن الشفاء) انظر صحيح الجامع (٨٨٧) .

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣٢٤١) ومسلم (٢٧٣٧) .

(٣) صحيح: رواه الترمذي (١١٧٣) وابن حبان (٥٥٩٨ ، ٥٥٩٩) صحيح الجامع (٦٦٩٠).

(٤) لم أعثر عليه .

(٥) ضعيف: رواه أبو داود (٤١١٢) والترمذي (٢٧٧٨) وضعفه الشيخ الألباني في الأرواء (١٨٠٦) والمشكاة (٣١١٦) .

فكما أنه ينبغي للرجل أن يغض طرفه عن النساء ، فكذلك ينبغي للمرأة أن تغض طرفها عن الرجال ، كما تقدم من قول فاطمة ﵂ : أن خير ما للمرأة أن لا ترى الرجال ولا يروها . فإن اضطرت للخروج لزيارة والديها وأقاربها ولأجل حمام ونحوه مما لا بد لها منه ، فلتخرج بإذن زوجها غير متبرجة في ملحفة وسخة في ثياب بيتها ، وتغض طرفها في مشيتها ، وتنظر إلى الأرض لا يمينا ولا شمالا ، فإن لم تفعل ذلك وإلا كانت عاصية . وقد حكى أن امرأة كانت من المتبرجات في الدنيا، وكانت تخرج من بيتها متبرجة ، فماتت فرآها بعض أهلها في المنام وقد عرضت على الله عز وجل في ثياب رقاق ، فهبت ريح فكشفتها فأعرض الله عنها ، وقال : خذوا بها ذات الشمال إلى النار فإنها كانت من المتبرجات في الدنيا .

وقال علي بن أبي طالب ﵁ : دخلت على النبي ﷺ أنا وفاطمة ﵂ وجدناه يبكي بكاء شديدا ، فقلت له : فداك أبي وأمي يا رسول الله ، ما الذي أبكاك ؟ قال: « **يا علي ليلة أسرى بي إلى السماء رأيت نساء من أمتي يعذبن بأنواع العذاب، فبكيت لما رأيت من شدة عذابهن ، ورأيت امرأة معلقة بشعرها يغلي دماغها ، ورأيت امرأة معلقة بلسانها والحميم يصب في حلقها ، ورأيت امرأة قد شدت رجلاها إلى ثدييها ويداها إلى ناصيتها ، ورأيت امرأة معلقة بثدييها ، ورأيت امرأة رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار عليها ألف ألف لون من العذاب ، ورأيت امرأة على صورة الكلب والنار من فيها وتخرج من دبرها والملائكة يضربون رأسها بمقامع من نار** » ، فقامت فاطمة ﵂ وقالت حبيبي وقرة عيني ما كان أعمال هؤلاء حتى وضع عليهن العذاب ؟ فقال ﷺ : « **يا بنية أما المعلقة بشعرها فإنها كانت لا تغطي شعرها من الرجال، وأما التي كانت معلقة بلسانها فإنها كانت تؤذي زوجها ، وأما المعلقة بثدييها فإنها كانت تفسد فراش زوجها ، وأما التي تشد رجلاها إلى ثدييها ويداها إلى ناصيتها وقد سلط عليها الحيات والعقارب فإنها كانت لا تنظف بدنها من الجنابة والحيض وتستهزئ بالصلاة ، وأما التي رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار فإنها كانت نمامة كذابة ، وأما التي على صورة الكلب والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها فإنها كانت منانة حسادة ، ويا بنيه الويل لامرأة تعصي زوجها** »

---

١ لم أعثر عليه وإن كان ظاهر البطلان .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تؤذي المرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين : لا تؤذيه قاتلك الله** »[١] .

فصل

وإذا كانت المرأة مأمورة بطاعة زوجها وبطلب رضاه ، فالزوج أيضًا مأمور بالإحسان إليها واللطف بها ، والصبر على ما يبدو منها من سوء خلق وغيره ، وإيصالها حقها من النفقة والكسوة والعشرة الجميلة لقول الله تعالى : ﴿**وعاشروهن بالمعروف**﴾ ولقول النبي ﷺ : « **استوصوا بالنساء ، ألا إن لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا . فحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن ، وحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون ، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون**»[٢]. وقوله ﷺ : « **عوان** » أي أسيرات جمع عانية وهي الأسيرة ، شبه رسول الله ﷺ المرأة في دخولها تحت حكم الرجل بالأسير ، وقال ﷺ : « **خيركم خيركم لأهله** »[٣] ، وفي رواية : « **خيركم ألطفكم بأهله** »[٤] وكان رسول الله ﷺ شديد اللطف بالنساء . وقال ﷺ : « **أيما رجل صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله الأجر مثل ما أعطى أيوب عليه السلام على بلائه ، وأيما امرأة صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله من الأجر مثل ما أعطى آسية بنت مزاحم امرأة**

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٥ / ٢٤٢) والترمذي (١١٨٤) وابن ماجه (٢٠١٤) صحيح الجامع (٧١٩٢) .

(٢) صحيح : رواه مسلم (١٢١٨) .

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٣٨٩٥) والدارمي (٢٢٦٠) وابن حبان (٤١٧٧) الصحيحة (٥١٣/١).

(٤) صحيح: ورد بلفظ (من أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله) صحيح الجامع (٣٣١٦).

فرعون»[١] .

وقد روي أن رجلا إلى عمر رضي الله عنه يشكو خلق زوجته ، فوقف على باب عمر ينتظر خروجه ، فسمع امرأة عمر تسطيل عليه بلسانها تخاصمه وعمر ساكت لا يرد عليها ، فانصرف الرجل راجعا وقال: إن كان هذا حال عمر مع شدته وصلابته ـ وهو أمير المؤمنين ـ فكيف حالي ؟ فخرج عمر فرآه موليا على بابه فناداه وقال : ما حاجتك يا رجل ؟ فقال : يا أمير المؤمنين جئت أشكو إليك سوء خلق امرأتي واستطالتها علي فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت : إذا كان حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي ؟ فقال عمر : يا أخي إني احتملتها لحقوق لها على : إنها طباخة لطعامي ، خبازة لخبزي ، غسالة لثيابي ، مرضعة لولدي . . . وليس ذلك كله بواجب عليها ، ويسكن قلبي بها عن الحرام فأنا أحتملها لذلك . فقال الرجل : يا أمير المؤمنين وكذلك زوجتي . قال عمر : فاحتملها يا أخي فإنها هي مدة يسيرة.

وحكي أن بعض الصالحين كان له أخ في الله كان من الصالحين يزوره في كل سنة مرة ، فجاء لزيارته فطرق الباب ، فقالت امرأته : من ؟ فقال : خو زوجك في الله جئت لزيارته ، فقالت : راح يحتطب لا رده الله ولا سلمه وفعل به وفعل وجعلت تذمذم عليه فبينما هو واقف على الباب وإذا بأخيه قد أقبل من نحو الجبل وقد حمل حزمة الحطب على ظهر أسد وهو يسوقه بين يديه ، فجاء فسلم على أخيه ورحب به ، ودخل المنزل وأدخل الحطب وقال للأسد : أذهب بارك الله فيك ، ثم أدخل أخاه والمرأة على حالها تذمذم وتأخذ بلسانها وزوجها لا يرد عليها ، فأكل مع أخيه شيئًا ثم ودعه وانصرف وهو متعجب من صبر أخيه على تلك المرأة . قال : فلما كان العام الثاني جاء أخوه لزيارته على عادته فطرق الباب فقالت امرأته : من بالباب ؟ قال : أخو زوجك فلان في الله ؟ فقالت : مرحبا بك وأهلا وسهلا ، أجلس فإنه سيأتي إن شاء الله بخير وعافية . قال : فتعجب من لطف كلامها وأدبها، إذ جاء أخوه وهو يحمل الحطب على ظهره فتعجب أيضًا لذلك ، فجاء

---

(١) لم أعثر عليه .

فسلم عليه ودخل الدار وأدخله وأحضرت المرأة طعاما لهما وجعلت تدعو لهما بكلام لطيف ، فلما أراد أن يفارقه قال : يا أخي أخبرني عما أريد أن أسألك عنه . قال : وما هو يا أخي ؟ قال : عام أول أتيتك فسمعت كلام امرأة بذيئة اللسان قليلة الأدب تذم كثيرًا ورأيتك قد أتيتك من نحو الجبل والحطب على ظهر الأسد وهو مسخر بين يديك ، ورأيت العام كلام المرأة لطيفًا لا تذمذم ورأيتك قد أتيت بالحطب على ظهرك فما السبب ؟ قال : يا أخي ، توفيت تلك المرأة الشرسة وكنت صابرا على خلقها وما يبدو منها . كنت معها في تعب وأنا أحتملها ، فكان الله قد سخر لي الأسد الذي رأيت يحمل عني الحطب بصبري عليها واحتمالي لها ، فلما توفيت تزوجت هذه المرأة الصالحة وأنا في راحة معها فانقطع عني الأسد ، فاحتجت أن أحمل الحطب على ظهري لأجل راحتي مع هذه المرأة المباركة الطائعة . فنسأل الله أن يرزقنا الصبر على ما يجب ويرضى ، إنه جواد كريم .



الكبيرة الثامنة والأربعون
التصوير في الثياب والحيطان والحجر والدراهم وسائر الأشياء سواء كانت من شمع أو عجين أو حديث أو نحاس أو صوف أو غير ذلك .و الأمر بإتلافها

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (١) .

قال عكرمة : هم الذين يصنعون الصو ، وعن ابن عمر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الذين يصنعون الصور يعذبون يوم القيامة ، يقال لهم : أحيوا ما خلقتم** » . مخرج في الصحيحين(٢) ، وعن عائشة ﷺ قالت : قدم رسول الله ﷺ من سفر وقد أسرت سهوة لي بقرام فيه تماثيل فلما رآه رسول الله ﷺ تلون وجهه وقال : « **يا عائشة : أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله عز**

الكبيرة الثامنة والأربعون
التصوير

التصوير ينقسم إلى قسمين :

قسم متفق على تحريمه : وهو أن يصور ما فيه روح على وجه تمثال من خشب أو حجر أو طين أو جبس أو ما أشبه ذلك فهذا إذا صوره على صورة حيوان أو إنسان أو أسد أو أرنب أو قرد أو غير ذلك فهذا حرام بالإتفاق . فاعله ملعون على لسان النبي ﷺ ويعذب يوم القيامة فيقال له : أحيى ما خلقت .

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٧ .

(٢) صحيح: رواه البخاري (٥٩٥١ ، ٧٥٥٨) ومسلم (٢١٠٨) .

وجل » . قالت عائشة رضي الله عنها : فقطعته فجعلت منه وسادتين . مخرج في الصحيحين[١] . القرام بكسر القاف وهو الستر ، والسهوة كالصفة تكون بين يدي البيت . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **كل مصور في النار ، يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب في نار جهنم** » مخرج في الصحيحين[٢] ، وعنه رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ فيها أبدًا** »[٣] ، وعنه ﷺ أنه قال : « **يقول الله عز وجل : ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي ، فليخلقوا حبه ، أو ليخلقوا شعيرة ، أو ليخلقوا ذرة** » . مخرج في الصحيحين[٤] .

وقال ﷺ : « **يخرج عنق من النار يوم القيامة فيقول : إني وكلت بثلاثة إني بكل من دعا مع الله ألها آخر ، وبكل جبار عنيد ، وبالمصورين** »[٥] . وقال رسول الله

وفي حديث ابن عباس قال : كل مصور في النار . . . فإذا كانت لابد فاعلاً فاصنع الشجر وما لا روح فيه .

والقسم الثاني : تصور ما لا روح فيه مثل الأشجار والشمس والقمر والنجوم والأنهار والجبال . وما أشبهها هذه جائزة لكن ما كان ينمو كالنبات فمن العلماء من لم يعجزه كمجاهد رحمه الله من التابعين والمشهورين قال : كل ما ينمو فإنه لا يجوز أن يصور ولو كان لا روح له . لأنه في الحديث الصحيح أن الله قال : « **فليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة أو ليخلقوا ذرة** » .

ولكن الذي عليه جمهور العلماء أن الذي لا روح فيه فلا بأس أن يصوره سواء كان مما ينمو كالأشجار أو مما لا ينمو كالشمس والبحار والقمر والأنهار وما أشبهها .

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٥٩٥٤) ومسلم (٢١٠٦) .

(٢) صحيح: رواه البخاري (٢٢٢٥) ومسلم (٢١١٠) .

رواه البخاري (٥٩٦٣) ومسلم (٢١١٠) .

(٤) صحيح: رواه البخاري (٥٩٥٣ ، ٧٥٥٩) ومسلم (٢١١١) .

(٥) صحيح: رواه أحمد (٢ / ٣٣٦) والترمذي (٢٥٧٤) صحيح الجامع (٨٠٥١) .

ﷺ : « **لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة** » مخرج في الصحيحين [١] .

وفي سنن أبي داود عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة ولا جنب** » [٢] وقال الخطابي رحمه الله تعالى قوله ﷺ : « **لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة ولا جنب** » يريد الملائكة الذين ينزلون بالرحمة والبركة دون الملائمة الذين هم الحفظة ، فإنهم لا يفارقون الجنب وغير الجنب ، وقد قيل : إنه لم يرد الجنب الذي أصابته الجنابة فأخر الإغتسال إلى أوان حضور الصلاة ، ولكنه الذي يجنب ولا يغتسل ويتهاون بالغسل ويتخذه عادة ، فإن النبي ﷺ كان يطوف على نسائه بغسل واحد [٣] ، وفي هذا تأخير الإغتسال عن أول وقت وجوبه . وقالت عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله ﷺ ينام وهو جنب ولا يمس ماء [٤] .

القسم الثالث : تصوير ما فيه روح لكن بالتلوين والرسم فهذا قد اختلف فيه العلماء فمنهم من يقول : إنه جائز كما رواه البخاري من حديث زيد بن خالد - أظن - قال : « إلا رقمًا في ثوب » فاستثنى الرقم لأن الرقم لا يماثل ما خلق الله عز وجل إذ إن ما خلق الله عز وجل جسم ملموس . وأما هذا فهو مجرد رقم وتلوين فيجوز ولو باليد.
ولكن جمهور العلماء على أنه لا يجوز . وهو الصحيح أنه لا يجوز لتصوير لا بالتمثال ولا بالرقم ما دام المصور من الأشياء التي بها الروح ولم يحدث في عهد النبي ﷺ ما حدث في زماننا هذا من الصور الفوتوغرافية وهل تدخل في النهي أو لا تدخل . وإذا تأملت النص وجدت أنها لا تدخل لأن الذي يصور صورة فوتوغرافية لا يصور في

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٥٩٤٨ ، ٥٩٥٨) ومسلم (٢١٠٦) .

(٢) ضعيف : رواه أحمد (١ / ٨٣ ، ١٠٤ ، ١٣٩ ، ١٥٠) وأبو داود (٢٢٧) والنسائي (١ / ١٤١) وضعفه الشيخ في ضعيف الجامع (٦٢٠٣) .

(٣) صحيح: رواه ومسلم (١٠٩) .

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٢٢٨) والترمذي (١١٨ ، ١١٩) وابن ماجه (٥٨١) صحيح الجامع (٥٠١٩) .

وأما الكلب ، فهو أن يقتني كلبا لا لزرع ولا لضرع ولا صيد ، فأما إذا اضطر إليه فلا حرج إليه في بعض الأمور ، أو لحراسة داره إذا اضطر إليه ، فلا حرج عليه أن شاء الله .

وأما الصور فهي كل مصور من ذوات الأرواح ، سواء كانت لها أشخاص منتصبة أو كانت منقوشة في سقف أو جدار أو موضوعة في نمط ، أو منسوجة في ثوب أو مكان ، فإن قضية العموم تأتي عليه فليجتنب ، وبالله التوفيق .

ويجب إتلاف الصور لمن قدر على إتلافها وإزالتها . روي مسلم في صحيحه عن حيان بن حصين قال : قال لي علي بن أبي طالب ﷺ : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ؟ أن لا تدع صورة إلا طمستها ، ولا قبرا مشرفا إلا سويته »[1] ، فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى ، إنه جواد كريم .

❊ ❊ ❊

الواقع . غاية ما هنالك أنه يكفي هذا الضوء الشديد على جسم أمامه فيلتقط صورته في لحظة . والمصور لابد أن يعاني من التصوير ويخطط العين والرأس والأنف والأذن وما أشبه ذلك فلا بد أن يكون منه عمل أما هذا فإنها في لحظة تلتقطها وكأنها تنقل الصورة التي صورها الله لتجعلها في هذا الكارت وهذا القول هو الراجح .

وعلماء العصر مختلفون في هذا هل يدخل هذا في اللعبة والنهي أو لا ؟ والصحيح أنه لا يدخل . لأنه لا علاج من المرء فيه وليس بمصدر أكثر . لكن هذا يتم في لحظة . ونظيره تمامًا أن الإنسان لو كتب رسالة إلى أخيه ثم جاء هذا المكتوب إليه وأدخلها في آلة التصوير وخرجت صورة الرسالة فهل هذا الذي صورها هل هو رسم الكلمات والحروف ؟ لا . وإنما الصورة لما فيها من الضوء العظيم حسب صناعتها طبعت هذا . ولا أحد من الناس يقول : إن هذه الحروف التي انطبعت في هذه الورقة أنها كتابة الذي صدر بالآية . . . أبدًا . ولهذا يصور الإنسان هذا في الظلمة .

(١) صحيح : رواه أحمد (١ / ٩٦ ، ١٢٨) ومسلم (٦٦٩) .

. . . .

ويصوره الأعمى أيضًا . الأعمى لو علمته صور الكتاب . فمن تأمل النص وتأمل الحكمة من ذلك عرف أن المراد من أراد أن يضاهي يشمله النهي واللعن . أما هذا فهو التقاط صورة فقط .

ولكن يبقى النظر : ما هو الغرض الذي من أجله صورت هذه الصورة ؟ يعني إذا فهمنا أنها مصباح وأنها لا تكن تصويرًا يبقى أن ننظر فيها كما ننظر في أي مباح من المباحات . لأي غرض صنعت ؟ .

أو لأي غرض صورت ؟ لأن المباح يختلف حكمه بحسب ما قصد به . ولهذا لو أراد الإنسان أن يسافر في رمضان من أجل أن يفطر قلنا : حرام عليه مع أن السفر في الأصل مباح حلال .

ولو أراد الإنسان أن يشتري بندقية ليقتل بها مسلمًا أويعتري على مال مسلم . قلنا : هذا البيع حرام . مع أن البيع في الأصل مباح . فينظر إلى هذا التصوير ماذا قصد به . قد يقصد الإنسان بهذا التصوير قصدًا سيئًا . يصور امرأة ليتمتع بالنظر إليها وهي ليست زوجته . كل ما مضى زمن أخرجها من محفظته أو مما يسمونه الألبوم وجعل ينظر إليها ليلذذ بذلك وهذا حرام لا إشكال فيه . يصور أيضًا حرام يصور عظماء من الأمراء أو السلاطين أو العلماء من أجل أن يعظمهم ويعلقهم عنده في البيت تعظيمًا لهم في في البيت هذا أيضًا حرام . صور عُبَّادًا قانتين لله من أجل أن يجعلهم في بيته تبركًا بهم هذا أيضًا حرام ولا يجوز .

يصوم للذكرى هذا أيضًا حرام ولا يجوز . لأنه إضاعة للوقت وأي فائدة لك أن تذكر هذا المصور حينًا بعد حين . وأشد من ذلك أن بعض الناس يموت له الميت . وللميت صورة فيبقيها عنده وهذا لا يجوز . إذا مات الميت فأحر من صورته لأجل أن لا تذهب تتذكر هذا الميت كل ما أردت أن تتذكره فيتجدد الحزن وربما تعتقد فيه اعتقادًا باطلاً . فبمجرد أن يموت تحرق لا فائدة منها اللهم إلا أن يكون الإنسان يخشى أن يحتاج إليها في إثبات معاشات تقاعد عند الدولة أو ما أشبه ذلك . فهذا يكون معذورًا . أما إذا لم يكن هناك سبب فواجب إحراقها .

. . . .

وأما إذا قصد في التصوير الفوتوغرافي إذا قصد به إثبات الشخصية أو إثبات وقائع في التصوير الفوتوغرافي صحيح فهذا لا بأس به . مثل أن تندب لجنة لعمل ما . ندبتها الحكومة وأرادوا أن يثبتوا أنهم قاموا بهذا العمل . فصوروا عملهم فهذا لا بأس به . لأنه غرض صحيح لمصلحة . وكذلك لو أراد إنسان شهد مشهدًا يحب أن الناس يطلعون عليه استعطافًا واستدرارًا لأموالهم كالنظر مثلاً إلى قوم جياع عراة مجروحين من الأعداء وما أشبه ذلك ليعرضهم على الناس ليستعطفهم عليهم هذا أيضًا غرض صحيح لا بأس منه .

وخلاصة القول : أن التصوير باليد ولو كان بالتلوين والتخطيط حرام على القول الراجح .

وأما التصوير بالآلة الفوتوغرافية : فليس بتصوير أصلاً حتى نقول : إنه جائز . ونحن يجب علينا أن نتأمل أولاً بدلالة النص ثم في الحكم الذي يقتضي النص .

وإذا تأملنا وجدنا أن هذا ليس بتصوير ولا يدخل في النهي . ولا في اللعن . ولكن يبقى مباحًا . ثم ينظر في الغرض الذي من أجله يصور إن كان غرضًا مباحًا فالتصوير مباح وإن كان غرضًا محرمًا فهو محرم .

وهذه الأحاديث التي ذكرها المؤلف كلها تدل على أن التصوير من كبائر الذنوب . لأن فيها وعيدًا شديدًا باللعنة « **لعن الله المصورين** » .

وهو الطرد والإبعاد عن رحمة الله . وبأنه يكلف يوم القيامة يُلزم على أنه ينفخ الروح فيما صور وليس بنافخ . ومعلوم أنه إذا كان ليس بنافخ وهو مستحيل . فإنه يستحيل أن يرفع عنه العذاب إلا أن يشاء الله .

ومنها أن المصورين من أظلم الظالمين يقول الله تعالى : ﴿ **ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي** ﴾ .

يعني لا أحد أظلم منه « **فليخلقوا حبة أو ليخلقوا ذرة أو ليخلقوا شعيرة** » . يعني إن كانوا صادقين يريدون أن يضاهوا خلق الله فليخلقوا حبة من طعام ولتكن من البر . لو اجتمع أهل الأرض كلهم بل وأهل السماء على أن يخلقوا حبة من حنطة فإنهم لا

. . . .

يستطيعون حتى لو صنعوا من العجين شيئًا على صورة الحبة تمامًا فإنهم لا يستطيعون أن تكون حبة . لو أنهم بذروها في الأرض ما نبتت لأنها ليست حبة فإذا كان الإنسان لا يستطيع أن يخلق الحبة أو الشعيرة أو الذرة وهو ما يضرب به المثل في القلة فما فوقها من باب أعظم وأولى .

وهذا دليل على أن التصوير محرم . أما اتخاذ الصور وإدخالها البيوت فهو أيضًا محرم . لأن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه صورة ولا كلب . وما ظنك ببيت لا تدخله الملائكة ؟ إنه بيت سوء . فإذا كان في البيت صورة أو به كلب فإن الملائكة لا تدخله لكن استثنى من الصور ما دعت الضرورة إليه مثل الصورة في الدرهم في الدينار . مثل ما يوجد الآن في دراهمنا يوجد بها صور الملوك وهذا يخاطب به من وضع هذه الصورة .

أما عامة الناس فلا يخاطبون ماذا يصنعون ؟ يلقون دراهمهم ونفقاتهم ؟ لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها .

ولكن الملائكة لا تمتنع من دخول البيت الذي به الدراهم ولو كان فيه صورة . وكان في الأول النقود فيها صورة أعظم من الصورة الموجودة الآن . لأن الصورة الموجودة الآن ما هي إلا تلوين . وقد عرفتم فيما سبق أن العلماء مختلفون في صورة التلوين . هل هي تدخل في الوعيد أم ليكن فيما سبق الصورة تمثال بمعنى أنها ملموسة . الريال الفرنسي فيه صورة ملك من ملوك أوروبا . فيه أيضًا صورة طيور . الجنيه الإفرنجي فيه أيضًا صورة رئيس من رؤساء بريطانيا . فيه أيضًا صورة فرس ركبه خيال . تلمس باليد فهي كالمجسمة لكن العلماء رحمهم الله لم ينهوا عن ذلك . لأن هذا أمر ضروري لا يستطيع الناس أن يتخلصوا منه لأنهم لا يمكن أن يلقوا بدراهمهم في الأرض فهذا ضرورة ومن ذلك أيضًا البطاقة وحاوية النقود كل هذا مما دعت الضرورة إليه . أو الحاجة الملحة . و ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

وما جعل الله علينا في الدين من حرج هذه أيضًا لا تمنع دخول الملائكة الثالث : ما لا يحترم أي ما يمتهن ويداس بالأرجل كالصور التي تكون في الفرش أو المخدة . فهذه أيضًا لا تمنع دخول الملائكة لأنها مباحة عند أكثر أهل العلم .

. . . .

ولكن التنزه عنها أولى وأحسن لأنها فيها خلاف. بعض الأئمة يقول : إنها داخلة في التحريم ولو امتهنت .

وبعضهم يقول : لا وهم الأكثر فمثلاً لو كان عند الإنسان بطانية فيها صورة أسد وجعلها تحته يفترشها فلا شيء عليه أما إذا تخطاها فلا لأنه إذا تخطاها ما يوجد فيها امتهان.

الرابع : الصور التي للصبيان . الصور التي للصبيان يلعبون بها أيضًا مما يرخص فيه ولا تمتنع الملائكة من دخول البيت الذي فيه هذه الصور . لأن عائشة رضي الله عنها كان لها صورة تلعب بها في بيت الرسول ﷺ . ولم ينه عن ذلك . لكن ينبغي ألا تستعمل الصور البلاستيكية . لأن الصور البلاستيكية صورة تامة فيها حتى رمش العين. حتى إنهم يضعون خرزة تكون عينًا لها تنقلب . بعضها يخطو خطوات . بعضها يصوت . هذه يخشى أن تكون داخلة في النهي وأن الملائكة لا تدخل البيت الذي هي فيه أما الصور الأخيرة التي بدأوا يستعملونها والحمد لله . فهي صورة كأنها ظل ليس لها وجه وليس لها عين وليس لها أنف وليس لها فم غاية الأمر أنها لا يدان ورجلان ورأس ممدود ولا فيها صورة هذه إن شاء الله ليس فيها شيء ولا تمتنع الملائكة من دخول البيت التي هي فيه وتستغنى بها الطفلة عن غيرها .

والواجب على من شاهد صورة محرمة أن يطمسها . لقول علي رضي الله عنه لأبي التياح الأسدي ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ : « **لا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفًا إلا سويته** »[1] .

القبر المشرف يعني القبر المتميز عن القبور سواء كان بارتفاعه أو ارتفاع النصائب التي عليه . يعني الأحجار التي عليه .

ولهذا يجب الحذر مما يفعله بعض الناس الآن يصبون صبة وربما كتبوا عليها آيات من القرآن أو ما أشبه ذلك .

هذه لا يجوز إقرارها . لأنها من القبور المشرفة ومن رآها جزاه الله خيرًا فليحفر لها وينزلها ويجعل الكتابة في الأسفل حتى تندفن بالتراب .

---

(١) مسلم (٩٦٩) .

. . . .

لأن القبور المشرفة هذه ربما يغالي بها في المستقبل بل تكون القبور كلها على وتيرة واحدة ليس فيها شيء يدل على التعظيم . لأن البلاء كل البلاء . بلاء الشرك من تعظيم القبور .

نسأل الله أن يحمينا وإياكم إنه على كل شيء قدير .

أما الجرائد التي فيها الصور : إن كنت اشتريتها من أجل الصور فهي حرام . أما من أجل الكلام الذي فيها فلا بأس .

الكبيرة التاسعة والأربعون

اللطم والنياحة وشق الثوب وحلق

الرأس ونتفه والدعاء بالويل والثبور عند المصيبة

روينا في صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية** » (١) ، وروينا في صحيحهما عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ : « **بريء من الصالقة والحالقة والشاقة** » (٢) الصالقة : التي ترفع صوتها بالنياحة ، والحالقة : التي تحلق شعرها وتنتفه عند المصيبة ، والشاقة : التي تشق ثيابها عند المصيبة ، وكل هذا حرام باتفاق العلماء ، وكذلك يحرم نشر الشعر ولطم الخدود وخمش الوجه والدعاء بالويل والثبور .

الكبيرة التاسعة والأربعون

« النياحة »

النياحة هي البكاء . البكاء على الميت برنة . ينوح فيها كما تنوح الحمام .

والبكاء على الميت نوعان :

نوع اقتضته الطبيعة . فهذا لا بأس به ولا يلام عليه العبد ومنه ما حصل للنبي ﷺ حين رفع إليه صبي ونفسه تقعقع كأنه في شن فبكى عليه ﷺ رحمة بهذا الصبي الذي ينازعه الموت . فقال للأقرع بن حابس : ما هذا إلا رحمة . وإنما يرحم الله من عباده الرحماء (٣) . فبكاء النبي ﷺ على هذا الصبي ليس من أجل الحزن ولكن رق له ورحمة

---

(١) صحيح: رواه أحمد (١ / ٤٣٢ ، ٤٥٦ ، ٤٦٥) والبخاري (١٢٩٧ ، ٢١٩٧) ومسلم (١٠٣).

(٢) سبق تخريجه .

(٣) صحيح: رواه البخارى (١٣٠٤) مسلم (٢٩٣) .

وعن أم عطية رضي الله عنها قالت : أخذ علينا رسول الله ﷺ في البيعة أن لا ننوح . رواه البخاري [١] ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعن في الأنساب والنياحة على الميت** » . رواه مسلم [٢] ، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال لعن رسول الله ﷺ النائحة والمستمعة . رواه أبو داود [٣] .

وعن أبي بردة قال : وجع أبو موسى الأشعري فغشي عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله فأقبلت تصيح برنه ، فلم يستطع أن يرد عليها ، فلما أفاق قال : أنا بری مما برئ منه رسول الله ﷺ ، إن رسول الله ﷺ برئ من الصالقة والحالقة والشاقة [٤] .

حيث إنه ينازع الموت . وقال : إنما يرحم الله من عباده الرحماء . جعلنا الله وإياكم منهم

ومن ذلك أيضًا ـ البكاء الذي تقتضيه الطبيعة ـ حزنًا على فراق المحبوب كما حصل للنبي ﷺ حين مات ابنه رضي الله عنه ـ ابنه إبراهيم من مارية القبطية التي أهداها إليه ملك القبطة جاءت منه بولد . وترعرع الصبي . وبلغ نحو ستة عشر شهرًا . يعني الذي هو خليل الرحمن ﷺ : ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الحج : ٧٨] .

سماه إبراهيم ولما بلغ ستة عشر شهرًا تقريبًا توفاه الله عز وجل فرفع إلى النبي ﷺ فقال ﷺ : « **العين تدمع والقلب يحزن . ولا نقول إلا ما يرضي ربنا . وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزنون** » [٥] . هكذا قال ﷺ . فتوفى الطفل وأخبر النبي ﷺ أن له مرضعًا في الجنة ترضعه . هذا النوع من البكاء لا يضر لأنه شيء تقتضيه الطبيعة والجبلة

---

(١) صحيح : رواه ابن أبي شيبة (٣ / ٣٨٩) وأحمد (٦ / ٤٠٧) والبخاري (١٣٠٦ ، ٣٨٩٢ ، ٧٢١٥) ومسلم (٩٣٦) .
(٢) صحيح : رواه ابن أبي شيبة (٣ / ٣٩) وأحمد (٢ / ٤٩٦) ومسلم (٦٧) .
(٣) سبق تخريجه .
(٤) سبق تخريجه .
(٥) صحيح : رواه البخارى (١٣٠٣) مسلم (٢٣١٥).

وعن النعمان بن بشير ﷺ قال : أغمى على عبد الله بن رواحة فجعلت أخته تعدد عليه فتقول : واكذا واكذا ، فقال حين أفاق : ما قلت شيئًا إلا قيل لي أنت كذا أنا كذا . أخرجه البخاري(١) .

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « **الميت يعذب في قبره بما نيح عليه**»(٢) .

وعن أبي موسى ﷺ قال : ما من ميت يموت فيقوم باكيه فيقول : واسيداه ! واجبلاه ! ، واكذا واكذا ، ونحو ذلك وكل به ملكان يلهزانه : أهكذا أنت ؟ أخرجه الترمذي (٣) .

وقال ﷺ : « **النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب** » (٤) . وقال ﷺ : « **إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نغمة ولهو ولعب ومزامير شيطان ، وصوت عند مصيبة خمش**

ولا يدل على سخط الإنسان على ما قضاه الله وقدره .

أما النوع الثاني : فهو البكاء الذي ينوح فيه الإنسان نياحًا هذا البكاء يعذب به في قبره بما يناح عليه ما دمت تنوح . فالميت يعذب فتكون أنت المتسبب لعذابه في قبره والعياذ بالله . يعني أنت تنوح فتكون أنت المتسبب لعذابه في قبره والعياذ بالله . ولهذا يخطئ بعض الناس يفعل هكذا يعذب الميت في قبره . بسبب بكائه عليه كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ من حديث عمر بن الخطاب ﷺ ـ فالواجب على الإنسان أن يتصبر ويحتسب الأجر عند الله . ويعلم أن عظم الثواب من عظم المصاب . وأنه كلما عظمت المصيبة كثر الثواب. أما حديث ابن مسعود ﷺ فقال النبي ﷺ : « **ليس منا من شق الجيوب**

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٢٦٧) .

(٢) صحيح: رواه البخاري (١٢٩٢) ومسلم (٩٢٧) .

(٣) حسن: رواه الترمذي (١٠٠٣) وابن ماجه (١٥٩٤) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٨٠١).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٩٣٤) وأحمد (٥ / ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٣) .

في وجوه وشق في جيوب ورنة شيطان » [١] . وقال احسن : صوتان ملعونان مزمار عند نغمة ورنة عند مصيبة .

وقال رسول الله ﷺ : **« إن هذه النوائح يجعلن صفين في النار فينبحن في أهل النار كما تنبح الكلاب »** [٢] .

وعن الأوزاعي : أن عمر بن الخطاب سمع صوت بكاء فدخل ومعه غيره ، فمال عليهن ضربا حتى بلغ النائحة فضربها حتى سقط خمارها ، وقال : اضرب فإنها نائحة ولا حرمة لها ، إنها لا تبكي بشجوكم إنها تهريق دموعها لأخذ دراهمكم، وإنها تؤذي موتاكم في قبورهم ، وأحياكم في دورهم لأنها تنهي عن الصبر وقد أمر الله به ، وتأمر بالجزع وقد نهي الله عنه .

واعلم أن النياحة : رفع الصوت بالندب : تعديد النائحة بصوتها على محاسن الميت وقيل : هو البكاء عليه مع ذكر محاسنه .

وضرب الخدود ودعا بدعوى الجاهلية » (متفق عليه) .

وهذا شيء يفعله الناس في الجاهلية إذا أصابتهم مصيبة شق جيبه أو جعل يلطم خده ، ينتف شعره أو يدعو بدعاء الجاهلية : يا ويلاه يا ثبوراه . يا انقطاع ظهراه . وما أشبه ذلك . فتبرأ النبي ﷺ من هؤلاء . لأن المؤمن مؤمن القلب بالله . مؤمن بقضاء الله يعلم أنه لا يمكن أن تتغير الحال عما كان . وأن هذا أمر قضى وانتهى . كنت قبل أن تخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة . جفت الأقلام وطويت الصحف لا يمكن أن تتغير الحال عما كان مهما كان إذًا ما الفائدة من الجزع ؟! ما الفائدة من السخط ؟! ما هو إلا أمر أو وحي من الشيطان ليحرمك الأجر من جهة وليعذب به الميت من جهة أخرى .

فعليك يا أخي أن تتقي الله عز وجل وأن تصبر وتحتسب وأن تقول كما أثنى الله على من يقوله : **﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾** من هم ؟ **﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ**

---

(١) حسن: رواه الحاكم (٤ / ٤٠) وشهد له حديث (صوتان ملعونان . . .) وحسنه الشيخ في الصحيحة (٤٢٧) وصحيح الجامع (٣٨٠١) .

(٢) ضعيف: رواه الطبراني في الأوسط (٥٢٢٩) وإسناده ضعيف .ضعيف الجامع(٢٣٩٦).

قال العلماء : ويحرم رفع الصوت فإفراط في البكاء ، وأما البكاء على الميت من غير ندب ولا نياحة فليس بحرام . وروينا في صحيح البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن روسل عاد سعد بن عبادة ومعه عبد الرحمن بن عوف وسعد ابن أبي وقاص ، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم ، فبكى رسول الله ﷺ فلما رأى القوم بكاء رسول الله ﷺ بكوا . فقال : « **ألا تسمعون إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا أو يرحم** » وأشار إلى لسانه (١). وروينا في صحيحيهما عن أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ رفع إليه ابن ابنته وهو في الموت ففاضت عينا رسول الله ﷺ ، فقال سعد : ما هذا يا رسول الله ؟ قال : « **هذه رحمه جعلها الله في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء** » (٢). وروينا في صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل على ابنه إبراهيم وهو يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : وأنت يا رسول الله ؟ قال : « **يا ابن عوف إنها رحمه** » ، ثم اتبعها بأخرى فقال : « **إن العين لتدمع والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم**

رَاجِعُونَ﴾ [البقرة : ١٥٥ ـ ١٥٦] .

وقال النبي ﷺ : « **ما من مسلم يصاب بمصيبة فيقول : اللهم آجرني في مصيبتي واخلفني خيراً منها إلا آجره الله في مصيبته ،واخلف له خيراً منها** » رواه مسلم.

هكذا يجب على الإنسان أن يصبر ويحتسب الأجر ويعلم أن الحزن والبكاء بالنياحة لا يغني شيئًا . انتهى كل شيء .

لو أن أحدًا سافر وأصيب بحادث هل يقول : لو أني ما سافرت كنت سلمت ؟ ما هذا حصل ؟ لا يمكن كما قال الله تعالى : **﴿الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾** قال تعالى: **﴿ قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾** [آل عمران : ١٦٨] . لا

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١٣٠٤) ومسلم (٩٢٤) .

(٢) صحيح: رواه ابن أبي شيبة (٣ / ٣٩٢) وأحمد (٥ / ٢٠٤) والبخاري (١٢٨٤) ومسلم (٩٢٣) .

لمحزونون»[١] .

وأما الأحاديث الصحيحة : أن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه فليست على ظاهرها وإطلاقها بل هي مؤولة ، واختلف العلماء في تأويلها على أقوال أظهرها والله أعلم أنها محمولة على أن يكون له سبب في البكاء إما أن يكون قد أوصاهم به أو غير ذلك .

قال أصحاب الشافعي : ويجوز قبل الموت وبعده ولكن قبله أولى للحديث الصحيح : « **فإذا وجبت فلا تبكين باكية** »[٢] ، وقد نص الشافعي والأصحاب أنه يكره البكاء بعد الموت كراهة تنزيه ولا يحرم ، وتأولوا حديث : « **فلا تبكين باكية** » على الكراهة والله أعلم .

فصل

وإنما كان للنائحة هذا العذاب واللعنة لأنها تأمر بالجزع وتنهى عن الصبر ، والله ورسوله قد أمر بالصبر والاحتساب ، ونهيا عن الجزع والسخط .

فرار من الموت . إذًا عليك أن تصبر وتحتسب وأن تقول : إنا لله وإنا راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلفني خيرًا منها . يؤجرك الله في مصيبتك ويخلف عليك خيرًا منها .

وهذه قصة أم سلمة مات عنها زوجها أبو سلمة . وهو من أحب الناس إليها فحزنت لفراقه وكانت قد سمعت النبي ﷺ يقول : « **إن الإنسان إذا أصيب بمصيبة فقال : اللهم آجرني في مصيبتي واخلفني خيرًا منها** » . وتقول في نفسها : من خير من أبي سلمة ؟ أبو سلمة زوجها يحبها وتحبه من يكون خيرًا من أبي سلمة ؟ هي ما شكت في الخبر هي توقن أنه صدق . لكن تقول من يكون هذا ؟ فما إن انتهت عدتها حتى خطبها النبي ﷺ فكان خيرًا من أبي سلمة . فأخلف الله لها خيرًا من مصيبتها . وصار النبي ﷺ هو الذي

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري (١٣٠٣) ومسلم (٢٣١٥) .

(٢) **صحيح:** رواه أحمد (٥ / ٤٤٦) وأبو داود (٣١١١) والنسائي (٤ / ١٣) وابن ماجه (٢٧٠٣) وصححه الألباني في صحيح أبي داود .

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (١).
قال عطاء عن ابن عباس يقول : إني معكم أنصركم ولا أخذلكم . قال الله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم ﴾ أي لنعاملنكم معاملة المبتلى لأن الله يعلم عاقبة الأمور فلا يحتاج إلى الابتلاء ليعلم العاقبة ولكنه يعاملهم معاملة من يبتلى ، فمن صبر أثابه على صبره ومن لم يصبر لم يستحق الثواب ، وقول الله تعالى : ﴿ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ ﴾ .

قال ابن عباس : يعني الخسران خوف العدو ، والجوع يعني المجاعة والقحط ، ﴿ونقص من الأموال﴾ يعني بالخسران والنقصان في المال وهلاك المواشي ، ﴿والأنفس﴾ بالموت والقتل والمرض والشيب ، ﴿والثمرات﴾ يعني الحوائج ، وأن لا تخرج الثمرة كما كانت تخرج . ثم ختم الآية بتبشير الصابرين ليدل على أن من صبر على هذه المصائب كان على وعد الثواب من الله تعالى فقال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾، ثم نعتهم فقال: ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ ﴾ أي نالتهم نكبة مما ذكر ، ولا يقال فيما أصيب بخير مصيبة ﴿ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ ﴾ عبيد الله فيصنع بنا ما يشاء ﴿ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ بالهلاك وبالفناء ، ومعنى الرجوع إلى الله الرجوع إلى انفراده بالحكم ، إذا قد ملك في الدنيا قوما الحكم، فإذا زال حكم العباد رجع الأمر إلى الله عز وجل .

يربي أولادها صاروا تحت الرسول ﷺ .

وهذا أيضًا نتيجة لقصة أخرى . دخل النبي ﷺ على أبي سلمة رضي الله عنه وقد شخص بصره خرجت روحه ـ فأغمض عينيه . ثم قال : « **إن الروح إذا قبضت تبعها البصر** » .
روحك إذا خرجت من جسدك البصر يشاهدها بإذن الله . يشاهدها . خارجة يتبعها ـ فلما سمع أهل البيت ذلك ـ عرفوا أن أبا سلمة قد مات . فضجوا فقال النبي ﷺ : « **لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون . ثم قال : اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين وأفسح له في قبره ونور له فيه واخلفه في عقبه في الغابرين** » رواه أحمد ومسلم .

---

(١) سورة البقرة ١٥٤ .

وعن عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ قال : « **ما من مصيبة يصاب بها المؤمن إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها** » رواه مسلم [1] وعن علقمة بن مرثد بن سابط عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبته بي فإنها أعظم المصائب** » [2] . وقال رسول الله ﷺ : « **إذا مات ولد العبد يقول الله للملائكة : قبضتم ولد عبدي ؟ قالوا : نعم . قال : قبضتم ثمرة فؤاده . قالوا : نعم . قال : فما قال ؟ قالوا : حمدك واسترجع . فيقول الله : ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد** » [3] . وعن رسول الله ﷺ قال : « **يقول الله تعالى : ما لعبدي عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسب إلا الجنة** » رواه البخاري [4].

دعوات خمس تزن الدنيا وما عليها : اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين وأفسح له في قبره ونور له فيه واخلفه في عقبه .

إحدى هذه الدعوات عرفناها والباقي إن شاء الله مجاب : الذي عرفناه أن النبي ﷺ خلف أبا سلمة في عقبه . فكان زوج امرأته . وكان مربي أولاده . يعني عاشوا في حجر الرسول ﷺ .

والمهم أن على المرء أن يصبر عند المصائب أين كانت ويسترجع ويقول : اللهم آجرني في مصيبتي واخلفني خيرًا منها . ولا بأس أن يبكي البكاء الطبيعي الذي ليس فيه نوح . فإن هذا حصل من خير البشر محمد ﷺ .

وحديث أبي موسى ﵁ أنه غشي ورأسه في حجر بعض أهله . فجعلت هذه المرأة التي هو بحجرها تبكي برنة يعني ـ بنياحة ـ فلما أفاق ـ ﵁ ـ قال : أنا بريءٌ ممن بريء

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٥٦٤٠) ومسلم (٢٥٧٢) .

(٢) صحيح: رواه الدارمي (١ / ٤٠) وابن سعد (٢ / ٢٧٥) والطبراني (٦٧١٨) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١١٠٦) .

(٣) حسن: رواه أحمد (٤ / ٤١٥) والترمذي (١٠٢٦) وابن حبان (٢٩٤٨) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٤٠٨) .

(٤) صحيح: رواه البخاري (٦٤٢٤) .

وقال ﷺ : « **من سعادة بني آدم رضاه بما قضى الله ، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله تعالى** »[(١)] وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : إذا قبض ملك الموت عليه السلام روح المؤمن قام على الباب ولأهل البيت ضجة ، فمنهم الصاكة وجهها ، ومنهم الناشرة شعرها ، ومنهم الداعية بويلها . فيقول ملك الموت عليه السلام : «مم هذا الجزع ومم هذا الفزع ؟ فو الله ما أنتقصت لأحد منكم عمرا ، ولا ذهبت لأحد منكم برزق ، ولا ظلمت لأحد منكم شيئًا فإن كانت شكايتكم وسخطكم علي فإني والله مأمور ، وإن كان على ميتكم فإنه مقهور ، وإن كان على ربكم فأنتم به كافرون، وإن لي بكم عودة بعد عودة حتى لا أبقى منكم أحداً » .

قال رسول الله ﷺ : « **والذي نفسي بيده لو يرون مكانه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم** »[(٢)] .

منه النبي ﷺ إن النبي ﷺ برئ من الصالقة والحالقة والشاقة الصالقة من الصلق وهو رفع الصوت . يعني بأن تصرخ وتعلي صوتها عند المصيبة . فهذه برء منها النبي ﷺ . ونحن نشهد الله أننا بريئون من كل ما يتبرأ منه الرسول ﷺ ومن كل عمل تبرأ منه .

أما الحالقة : فهي أنه جرت عادة النساء في الجاهلية أن المرأة إذا أصيبت بميت تحلق شعر رأسها . كأنها غاضبة . والرأس يتخذ زينة عند النساء . وطوله وكثافته مرغوبة عند النساء لكن في وقتنا الحاضر لما انفتح الناس على نساء الكافرين أو من تشبه بهم صارت المرأة تحاول أن تقصر شعر رأسها حتى يكون كرأس الرجل والعياذ بالله . أما الشاقة : فهي التي تشق جيبها عند المصيبة وكذلك أيضًا التي تنكش شعرها عند المصيبة كل فعل يدل على التضجر فإنه داخل في هذه البراءة التي تبرأ منها النبي ﷺ .

وفي هذه الأحاديث أن النائحة إذا لم تتب قبل موتها . فإنها تقام يوم القيامة من قبرها وعليها سربال من قطران ودرع من جرب .

---

(١) ضعيف: رواه أحمد (١٤٤٤) والترمذي (٢١٥١) وضعفه الشيخ في السلسلة الضعيفة (١٩٠٦) .

(٢) لم أعثر عليه .

فصل في التعزية

عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال : « **من عزى مصابا فله مثل أجره** » رواه الترمذي [١] ، وعن أبي بردة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال لفاطمة رضي الله عنها : « **من عزى ثكلى كسى بردا من الجنة** » رواه الترمذي [٢] ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة رضي الله عنها : « **ما أخرجك يا فاطمة من بيتك؟** » قالت : أتيت أهل هذا البيت فترحمت إليهم ميتهم وعزيتهم به [٣] .

وعن عمرو بن حزم عن النبي ﷺ : « **ما من مؤمن يعزي أخاه بمصيبة إلا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة** » [٤] .

واعلم رحمك الله أن التعزية هي التصبير ، وذكر ما يسلي صاحب الميت ويخفف حزنه ويهون مصيبته ، وهي مستحبة لأنها مشتملة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهي أيضًا داخلة في قول الله تعالى : ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ**

السربال : يعني الثوب . والدرع : ما كان لاصقًا بالبدن والمعنى أن جلدها أجرب والعياذ بالله . والجرب معروف . هو عبارة عن حكة تبرز منها الجلد . وإذا كان جلدها من جرب وعليها سربال من قطران صار هذا أشد اشتعالاً في النار والعياذ بالله . لكن إذا تابت قبل موتها . تاب الله عليها . لأن من تاب من أي ذنب قبل أن يموت تاب الله عليه .

ومن جملة الأحاديث هذه أن النبي ﷺ بكى لما رأى سعد بن عبادة رضي الله عنه قد غشي عليه . فبكى من معه من الصحابة ثم قال ﷺ : « ألا تسمعون ؟ ألا تسمعون ؟ » الاستفهام هنا بمعنى الأمر أي اسمعوا : « **إن الله لا يعذب ببكاء العين ولا بحزن القلب**

---

(١) ضعيف: رواه الترمذي (١٠٧٣) وابن ماجه (١٦٠٢) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٠٨).

(٢) ضعيف: رواه الترمذي (١٠٧٦) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٠٧) .

(٣) ضعيف: رواه أبو داود (٣١٢٣) والنسائي (٤ / ٢٧) وضعفه الشيخ في ضعيف أبو داود (٦٨٤).

(٤) ضعيف: رواه ابن ماجه (١٦٠١) والبيهقي (٤ / ٥٩) وضعفه الألباني في الأرواء (٧٦٤) .

وَالتَّقْوَىٰ﴾ [١] وهذا من أحسن ما يستدل به في التعزية .

واعلم أن التعزية « هي الأمر بالصبر » مستحبة قبل الدفن وبعده . قال أصحاب الشافعي : من حين يموت الميت وتبقى بعد الدفن إلى ثلاثة أيام . قال أصحابنا : وتكره التعزية بعد ثلاثة أيام ، لأن التعزية لتسكن قلب المصائب ، والغالب سكون القلب بعد الثلاثة فلا يجدد له الحزن ، هكذا قاله الجماهير من أصحابنا .

وقال أبو العباس من أصحابنا : لا بأس بالتعزية بعد ثلاثة أيام بل تبقى أبدا وإن طال الزمان . قال النووي رحمه الله : والمختار أنها لا تفعل بعد ثلاثة أيام إلا في صورتين استثناهما أصحابنا ،وهما إذا كان المعزي أو صاحب المصيبة غائبًا حال الدفن واتفق رجوعه بعد ثلاثة أيام ، والتعزية بعد الدفن أفضل منها قبله ، لأن أهل الميت مشغولون بتجهيزه ، ولأن وحشتهم بعد دفنه لفراقه أكثر هذا إذا لم يرى منهم جزعًا، فإن رآه قدم التعزية ليسكنهم ، والله أعلم .

ويكره الجلوس للتعزية ، يعني أن يجتمع أهل الميت في بيت ليقصدهم من أراد

ولكن يعذب بهذا وأشار إلى لسانه أو يرحم » .

يعني أن الله لا يعذب بالبكاء أو بالحزن لكن يعذب بالقول والصوت أو يرحم فمثلاً إذا أصيب الإنسان بمصيبة . وقال : إنا لله وإنا إليه راجعون مؤمنًا بها قلبه . مؤمنًا بأن لله ملكًا وتقديرًا وتدبيرًا وأننا راجعون إليه في أمورنا كلها وسنلاقيه يوم القيامة إذا آمن بهذا وقال ما في حديث أم سلمة رضي الله عنها ـ اللهم آجرني في مصيبتي واخلفني خيرًا منها. فهذه يؤجر عليها الإنسان . أما إذا جعل يقول واجبلاه . واويلاه واثبوراه . وما أشبه ذلك . فإن هذا يعذب به والعياذ بالله . **ومعنى واجبلاه** : أن هذا الميت مثل الجبل . ملجأ لي وقد فقدته فهو عبارة عن ندب مع مدح . **فالحاصل وخلاصة هذه الأحاديث**: أن البكاء الذي يأتي بمجرد الطبيعة لا بأس به . وأما النوح والندب ولطم الخد وشق الثوب ونتف الشعر أو حلقه أو نفشه فكل هذا حرام وهو مما برئ منه النبي ﷺ .

---

(١) سورة المائدة ٢ .

التعزية ، ولفظ التعزية مشهور أحسن ما يعزي به ما روينا في الصحيحين عن أسامة ابن زيد ﷺ قال : أرسلت إحدى بنات رسول الله ﷺ للرسول تدعوه وتخبره أن ابنا لها في الموت فقال ﷺ للرسول : « **ارجع إليها فأخبرها أن لله ما أخذ وله ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجل مسمى ، فمرها فلتصبر ولتحتسب** »(١) ، وذكر تمام الحديث . قال النووي رحمه الله : فهذا حديث من أعظم قواعد الإسلام المشتملة على مهمات كثيرة من أصول الدين وفروعه والآداب ، والصبر على النوازل كلها ، والهموم والأسقام ، وغير ذلك من الأغراض .

ومعنى قوله ﷺ : « **إن لله ما أخذ** » أن العالم كله ملك لله ، لم يأخذ ما هو لكم بل هو آخذ ما هو له عندكم في معنى العارية . وقوله : « **وله ما أعطى** » ما وهبه لكم ليس خارجًا عن ملكه ، بل هو له سبحانه يفعل فيه ما يشاء « **وكل شيء عنده بأجل مسمى** » ، فلا تجزعوا فإن من قبضه فقد انقضى أجله المسمى فمحال تأخيره أو تقديمه عنه ، فإذا علمتم هذا كله فأصبروا واحتسبوا ما نزل بكم . والله أعلم .

وعن معاوية بن أياس عن أبيه ﷺ عن النبي ﷺ : إنه فقد رجلا من أصحابه فسأل عنه ، فقالوا : يا رسول الله ﷺ ابنه الذي رأيته هلك ، فلقيه النبي ﷺ فسأله عن ابنه فأخبره أنه هلك ، فعزاه عليه ثم قال : « **يا فلان أيما كان أحب إليك أن تمتع به عمرك أو لا تأتي غداً بابا من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك إليه يفتحه لك ؟** » فقال : يا نبي الله يسبقني إلى الجنة يفتحها لي وهو أحب إلى . قال: « **فذلك لك** » فقيل : يا رسول الله هذا له خاصة أم للمسلمين عامة ؟ قال : « **بل للمسلمين عامة** »(٢) .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه خرج إلى البقيع فأتى امرأة جاثمة على قبر تبكي فقال لها : « **يا أمة الله اتقى الله واصبري** » قالت : يا عبد الله إني الحرى

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١٢٨٤ ، ٧٣٧٧ ، ٧٤٤٨) ومسلم (٩٢٣) .

(٢) صحيح: رواه أحمد (٥ / ٣٥) والنسائي (٤ / ٢٢) وابن حبان (٢٩٤٧) .

الثكلى. فقال : « **يا أمة الله اتقي الله واصبري** » فقالت : يا عبد الله لو كنت مصابا عذرتني . قال : « **يا أمة الله اتقي الله واصبري** » قالت : يا عبد الله قد اسمعتني فانصرف . قال : فانصرف عنها رسول الله ﷺ ، وبصر بها رجل من المسلمين فأتاها فسألها ما قال لك الرجل ؟ فأخبرته بما قال وبما ردت عليه ، فقال لها : أتعرفينه ؟ قالت : لا والله . قال : ويحك ذلك رسول الله ﷺ ، فبادرت تسعى حتى أدركته ، فقالت : يا رسول الله أصبر . قال : « **إنما الصبر عند الصدمة الأولى** » [1] أي إنما يجمل الصبر عند مفاجأة المصيبة ، وأما فيما بعد فيقع السلو طبعًا. وفي صحيح مسلم : مات ابن لأبي طلحة من أم سليم ، فقالت لأهله : لا تحدثوا أبا طلحة حتى أكون أنا أحدثه . فجاء أبو طلحة فقربت إليه عشاء فأكل وشرب ثم تصنعت له أحسن ما كانت تتصنع من قبل ذلك فوقع بها ، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت : يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم ؟ قال : لا ، قالت أم سليم : فاحتسب ابنك . قال: فغضب أبو طلحة ، فقال : تركتني حتى إذا تلطخت أخبرتني يابني ، والله لا تغلبيني على الصبر ، فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان ، فقال رسول الله ﷺ : « **بارك الله لكما في ليلتكما** » . فذكر الحديث [2] . وفي الحديث : «**ما أعطى أحدا عطاء خيرا وأوسع من الصبر** » [3] .

وقال علي رضي الله عنه للأشعث بن قيس : إنك إن صبرت إيمانا واحتسابا وإلا سلوت كما تسلو البهائم ، وكتب حكيم إلى رجل قد أصيب بمصيبة : إنك قد ذهب منك ما رزقت به فلا تذهبن عنك ما عوضت عنه وهو الأجر . وقال آخر : العاقل يصنع أول يوم من أيام المصيبة ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام ، قلت : قد علم أن ممر الزمان يسلي المصاب ، فلذلك أمر الشارع بالصبر عند الصدمة الأولى، وبلغ

---

(١) ضعيف: رواه أبو يعلي (٦٠٤١) وإسناده ضعيف وأصله في البخاري (١٢٨٣) ومسلم (٩٢٦).

(٢) صحيح: البخارى (٥٤٧٠) رواه مسلم (٢٣) ، (٢١٤٤) .

(٣) صحيح: رواه البخاري (١٤٦٩) ومسلم (١٠٥٣) .

الشافعي رضي الله عنه أن عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله مات له ابن فجزع عليه عبد الرحمن جزعًا شديدًا ، فبعث إليه الشافعي رحمه الله يقول : يا أخي عز نفسك بما تعزي به غيرك واستقبح من فعلك ما تستقبحه من فعل غيرك ، واعلم أن أمضى المصائب فقد سرور وحرمان أجر ، فكيف إذا اجتمعا مع اكتساب وزر ؟ فتناول حظك يا أخي إذا قرب منك قبل أن تطلبه وقد نأى عنك ، ألهمك الله عند المصائب صبرا وأحرز لنا ولك بالصبر أجرًا ، وكتب إليه يقول :

إني معزيك لا أني على ثقة من الحياة ولكن سنة الديـــن

فما المعزي بباق بعد ميتـــه ولا المعزي ولو عاشا إلى حين

وكتب رجل إلى بعض إخوانه يعزيه بابنه : أما بعد فإن الولد على والده ما عاش حزن وفتنة ، فإذا قدمه فصلاة ورحمة ، فلا تحزن على ما فاتك من حزنه وفتنته ، ولا تضيع ما عوضك الله تعالى من صلاته ورحمته . وقال موسى بن المهدي لإبراهيم بن سلمة وعزاه بابنه : أسرك وهو بلية وفتنة وأحزنك وهو صلاة ورحمة ؟ . وعزى رجل رجلا فقال : إن من كان لك في الآخرة أجرا خير ممن كان في الدنيا سرورا وفرحا . وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه دفن ابنا له ثم ضحك عند القبر ، فقيل له : أتضحك عند القبر ؟ فقال : أردت أن أرغم الشيطان . وعن ابن جريج رحمه الله قال : من لم يتعرض مصيبته بالأجر والاحتساب سلا كما تسلو البهائم ، وعن حميد الأعرج قال : رأيت سعيد بن جبير رحمه الله يقول في ابنه ونظر إليه : إني آمل خير خلة فيك ، قيل : وما هي ؟ قال : يموت فأحتسبه [١] .

وعن الحسن البصري رحمه الله : أن رجلا حزن على ولد له وشكا ذلك إليه فقال الحسن : كان ابنك يغيب عنك ؟ قال : نعم كان غيبته أكثر من حضوره ، قال: فاتركه غائبًا فإنه لم يغب عنك غيبة إلا لك فيها أجر أعظم من هذه . فقال : يا أبا سعيد هونت على وجدي على ابني .

---

(١) رواه البيهقي في الشعب (٩٧٦٨) وأبو نعيم (٤ / ٢٧٥) .

ودخل عمر بن عبد العزيز على ابنه في وجعه فقال : يا بني كيف تجدك ؟ قال: أجدني في الحق . قال : يا بني لأن تكون في ميزاني أحب إلي من أن أكون في ميزانك . قال : يا أبت لا يكون ما تحب أحب إلى من أن يكون ما أحب (1) .

ومات ابن الإمام الشافعي فأنشد يقول :

وما الدهر إلا هكذا فاصطبر له رؤية مال أو فراق حبيب

ووقعت في رجل عروة الآكلة فقطعها من الساق ولم يمسكه أحد وهو شيخ كبير ولم يدع ورده تلك الليلة . إلا أنه قال : ﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾ [الكهف: ٦٢] وتمثل بهذه الأبيات :

لعمري ما أهويت كفي لريبة ولا نقلتني نحو فاحشة رجلي

ولا قادني سمعي ولا بصري لها ولا دلني رأيي عليها ولا عقلي

واعلم أني لم تصبني مصيبة من الدهر إلا قد أصابت فتى قبلي

وقال ﷺ : اللهم إن كنت ابتليت فقد عافيت ، وإن كنت أخذت فقد أبقيت ، أخذت عضوا وأبقيت أعضاء وأخذت ابنا وأبقيت أبناء .

وقدم على الوليد في ليلة رجل أعمى من بني عبس فسأله عن عينيه فقال : بت ليلة في بطن واد ولم اعلم في الأرض عبسيا يزيد ماله على مالي ، فطرقنا سيل فذهب ما كان لي من مال وأهل وولد غير بعير وصبي ، وكان البعير صعبا فند (أي شرد) فاتبعته ، فما جاوزت الصبي إلا بيسير حتى سمعت صوته فرجعت فإذا رأس الصبي في بطنه فقتله ، ثم اتبعت البعير لآخذه فنفحني برجله فأصاب وجهي فحطمه وأذهب عيني ، فأصبحت لا أهل لي ولا مال لي ولا ولد ولا بعير .

فقال الوليد : انطلقوا به إلى عروة ليعلم أن في الأرض من هو أشد منه بلاء .

وذكر أن عثمان ﷺ لما ضُرب جعل يقول والدماء تسيل على لحيته : لا إله إلا

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب « المحتضرين » (٢١٥٥) ، وتاريخ دمشق (١٥ / ٢٠٢) .

أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، اللهم إني أستعيذ بك عليهم ، وأستعينك على جميع أموري ، وأسألك الصبر على ما ابتليتني[(١)] .

وقال المدائني : رأيت بالبادية امرأة لم أر جلدا أنضر منها ولا أحسن وجها منه، فقلت : تالله إن فعل هذا بك الاعتدال والسرور ؟ ، فقالت : كلا والله إني لبدع أحزان وخلف هموم وسأخبرك : كان لي زوج ، وكان لي منه ابنان ، فذبح أبوهما شاة في يوم الأضحى والصبيان يلعبان ، فقال الأكبر للأصغر : أتريد أن أريك كيف ذبح أبي الشاة ؟ قال : نعم . فذبحه ، فلما نظر إلى الدم جزع ففزع نحو الجبل فأكله الذئب ، فخرج أبوه في طلبه فتاه أبوه فمات عطشا فأفردني الدهر . فقلت لها: وكيف أنت والصبر ؟ فقالت : لو دام لي لدمت له ولكنه كان جرحا فاندمل .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من كان له فرطان من أمتي أدخله الله بهما الجنة** » . قالت عائشة رضي الله عنها : بأبي أنت وأمي فمن كان له فرط ؟ قال ﷺ : « **ومن كان له فرط يا موفقة** » ! . فمن لم يكن له فرط من أمتك؟ قال : « **أنا فرط أمتي لن يصابوا بمثلي** »[(٢)] فرطان : ولدان .

وعن أبي عبيدة رضي الله عنه عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من قدم ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كانوا له حصنا من النار** » . فقال أبو ذر : قدمت اثنين قال : «**واثنين**» . قال أبي بن كعب سيد القراء قدمت واحدا . قال ﷺ : « **وواحدا ولكن ذلك في أول صدمة** »[(٣)] .

وعن وكيع قال : كان لإبراهيم الحربي ابن وكان له إحدى عشر سنة قد حفظ القرآن وتفقه من الفقه والحديث شيئًا كثيرًا فجأة فمات فجاءته أعزيه قال لي : كنت

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب « المحتضرين » (٤٩) .

(٢) ضعيف: رواه الترمذي (١٠٦٨) وأحمد (٢ / ٣٣٤) والطبراني (١٢٨٨٠) وضعفه الشيخ في ضعيف الجامع (٥٨١٣) .

(٣) ضعيف: رواه الترمذي (١٠٧٦) وابن ماجه (١٦٠٦) وضعفه الشيخ في ضعيف ابن ماجه (٣٥١) والمشكاة (١٧٥٥) .

اشتهي موت ابني هذا . قلت : يا أبا إسحاق أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا ؟ قد أنجب وحفظ القرآن وتفقه الفقه والحديث ، قال : نعم رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وكأن صبيانا في أيديهم قلال ماء يستقبلون الناس يسقونهم ، وكان اليوم يوم حار شديد حره ، قال : فقلت لأحدهم : اسقني من هذا الماء . قال : فنظر إلي ، وقال لي : ليس أنت أبي . فقلت : ومن أنتم ؟ قالوا : نحن الصبيان الذين متنا في الإسلام وخلفنا آباءنا نستقبلهم فنسقيهم الماء ، قال : فلهذا تمنيت موته .

وروي مسلم عن أبي حسان قال : قلت لأبي هريرة رضي الله عنه : حدثنا بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا ؟ ، قال : نعم ، صغارهم دعاميص[١] الجنة يتلقى أحدهم أباه أو قال أبويه ، فيأخذ بثوبه أو قال بيده فلا ينتهي حتى يدخله الجنة [٢] .

وعن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال : كنت في أول أمري منكبا على اللهو وشرب الخمر فاشتريت جارية وتسريت بها وولدت لي بنتا فأحببتها حبا شديدا ، إلى أن دبت ومشت فكنت إذا جلست لشرب الخمر جاءت وجذبتني عليه فأهرقته بين يدي، فلما بلغت من العمر سنتين ماتت فأكمدني حزنها . قال : فلما كان ليلة النصف من شعبان بت وأنا ثمل من الخمر ، فرأيت في النوم كأن القيامة قد قامت وخرجت من قبري ، وإذا بتنين قد تبعني يريد أكلي ـ والتنين الحية العظيمة ـ قال : فهربت منه فتبعني ، وصار كلما أسرعت يهرع خلفي وأنا خائف منه ، فمررت في طريقي على شيخ نقي الثياب ضعيف ، فقلت : يا شيخ بالله أجرني من هذا التنين الذي يريد أكلي وإهلاكي . فقال : يا ولدي أنا شيخ كبير وهذا أقوى مني ولا طاقة لي به ، ولكن مر وأسرع فلعل الله أن ينجيك منه . قال : فأسرعت في الهرب وهو ورائي ، فأشرفت على طبقات النار وهي تفور ، فكدت أن أهوى فيها ، وإذا قائل يقول : لست من أهلي فرجعت هاربا ، والتنين في أثرى ، فأشرفت على جبل مستنير وفيه طاقات وعليها أبواب وستور وإذا بقائل يقول : أدركوا هذا البائس قبل

دعاميص : جمع دعموص أي صغار أهلها .

رواه مسلم (٢٦٣٥) وأحمد (٢/ ٤٨٨) والبخاري في الأدب المفرد (١٤٥) .

أن يدركه عدوه فتحت الأبواب ورفعت الستور ، وأشرقت عليَّ منها أطفال بوجوه كالأقمار وإذا ابنتي معهم ، فلما رأتني نزلت إلى كفة من نور ، وضربت بيدها اليمنى إلى التنين فولى هاربا ، وجلست في حجري وقالت : يا أبت ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ**﴾ [(١)] . فقلت : يا بنية وأنتم تعرفون القرآن ؟ قالت: نحن أعرف به منكم . قلت : يا بنية ما تصنعون ههنا ؟ قالت : نحن من مات من أطفال المسلمين أسكنا ههنا إلى يوم القيامة ننتظركم تقدمون علينا. فقلت : يا بنية ما هذا التنين الذي يطاردني ويريد إهلاكي ؟ قالت : يا أبت ذلك عملك السوء قويته فأراد إهلاكك ، فقلت : ومن ذلك الشيخ الضعيف الذي رأيته ؟ قالت : ذلك عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء ، فتب إلى الله ولا تكن من الهالكين ، قال : ثم ارتفعت عني واستيقظت فتبت إلى الله من ساعتي [(٢)] .

فانظر رحمك الله إلى بركة الذرية إذا ماتوا صغارا ذكورا كانوا أو إناثا ، وإنما يحصل للوالدين النفع بهما في الآخرة إذا ما صبروا واحتسبوا وقالوا : الحمد لله إنا لله وإنا إليه راجعون ، فيحصل ما وعد الله تعالى بقوله : ﴿**الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ**﴾ أي نحن وأموالنا يصنع بنا ما يشاء ﴿**وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾ إقرار بالهلاك والفناء.

وعن ثوبان ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما أصاب عبدا مصيبة إلا بإحدى خلتين ، إما بذنب لم يكن الله ليغفر له إلا بتلك المصيبة . أو بدرجة لم يكن الله يبلغه إياها إلا بتلك المصيبة** »[(٣)] .

---

(١) سورة الحديد ١٦ .

(٢) ذكرها ابن قدامة في كتاب « التوابين » (ص ١٠٤) .

(٣) صحيح: رواه البيهقي (٩٨٥٤) في الشعب وورد بلفظ (لا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب) رواه أحمد (٥ / ٢٨٧ ، ٢٨٠) وابن ماجه (٤٠٢٢) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٤) .

وعن سعيد بن جبير : لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم تعط الأنبياء قبلهم ﴿ **إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** ﴾ ، ولو أعطيته الأنبياء عليهم السلام لأعطيه يعقوب عليه السلام إذ يقول : ﴿ **يا أسفي على يوسف** ﴾ .

وعن أم سلمة ﵂ قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من قال عند المصيبة ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها إلا آجره الله وأخلف له خيرا منها** » . قالت : فلما توفى أبو سلمة قلت : من خير من أبي سلمة ؟ ثم قلتها فأخلفني الله رسول الله ﷺ . رواه مسلم (١) .

وعن الشعبي أن شريحا قال : إني لأصاب المصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات: أحمده إذ لم يكن أعظم منها ، وأحمده إذ رزقني الصبر عليها ، وأحمده إذ وفقني للاسترجاع لما أرجو من الثواب ، وأحمده إذ لم يجعلها في ديني (٢) .

وقوله : ﴿ **أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة** ﴾ الصلوات من الله الرحمة والمغفرة ﴿ **وأولئك هم المهتدون** ﴾ يريد الذين اهتدوا للترجيع وقيل إلى الجنة والثواب .

وعن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب ﵁ قال : نعم العدلان ونعم العلاوة : ﴿ **أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة** ﴾ نعم العدلان ﴿ **وأولئك هم المهتدون** ﴾ نعم العلاوة (٣) .

وأما إذا سخط صاحب المصيبة ودعا بالويل والثبور ، أو لطم خدا ، أو شق جيبا ، أو نشر شعرًا أو حلقه أو قطعه أو نتفه فله السخط من الله تعالى وعليه اللعنة رجلا كان أو امرأة .

وقد روي أيضًا أن الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الأجر ، وقد روي أن

---

(١) صحيح : رواه مسلم (٩١٨) .

(٢) ضعيف جدًا : رواه البيهقي (٩٩٨٠) .

(٣) ضعف : رواه الحاكم (٢ / ٢٧٠) والبيهقى (٩٦٨٨) .

من أصابته مصيبة فخرق عليها ثوبا أو لطم خدا أو شق جيبا أو نتف شعرًا فكأنما أخذ رمحا يريد أن يحارب ربه . وقد تقدم أن الله عز وجل لا يعذب ببكاء العين ولا بحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا ـ يعني ما يقوله صاحب المصيبة بلسانه ـ يعني من الندب والنياحة . وقد تقدم أن الميت يعذب في قبره بما نيح عليه إذا قالت النائحة : واعضداه ، واناصراه ، واكاسياه ، جبذ الميت . وقيل له : أنت عضدها ؟ أنت ناصرها ؟ أنت كاسيها ؟ فالنواح حرام لأنه مهيج للحزن ودافع عن الصبر ، وفيه مخالفة التسليم للقضاء ، والإذعان لأمر الله تعالى .

حكاية

قال صالح المري : كنت ذات ليلة جمعة بين المقابر فنمت ، وإذا بالقبور قد شققت وخرج الأموات وجلسوا حلقا حلقا ، ونزلت عليهم أطباق مغطية ، وإذا فيهم شابا يعذب بأنواع العذاب من بينهم . قال : فتقدمت إليه وقلت : يا شاب ما شأنك تعذب من بين هؤلاء القوم ؟ فقال : يا صالح بالله عليك بلغ ما آمرك به وأد الأمانة وارحم غربتي ، لعل الله عز وجل أن يجعل لي على يديك مخرجا : إني لما مت ولي والدة جمعت النوادب والنوائح يندبن علي وينحن كل يوم ، فأنا معذب بذلك ، النار عن يميني وعن شمالي وخلفي وأمامي لسوء مقال أمي ، فلا جزاها الله عني خيرا ، ثم بكى حتى بكيت لبكائه ، ثم قال : يا صالح بالله عليك اذهب إليها فهي في المكان الفلاني وعلم لي المكان ، وقل لها : لم تعذبي ولدك يا أماه ، ربيتيني ومن الأسواء وقيتيني ، فلما مت في العذاب رميتيني .

يا أماه لو رأيتني : الأغلال في عنقي والقيد في قدمي ، وملائكة العذاب بتضربني وتنهرني ، فلو رأيت سوء حالي لرحمتيني ، وإن لم تتركي ما أنت عليه من الندب والنياحة ، الله بيني وبينك يوم تشقق سماء عن سماء ، ويبرز الخلائق لفصل القضاء. قال صالح : فأستيقظت فزعا ، ومكثت في مكاني قلقا إلى الفجر . فلما أصبحت دخلت البلد ولم يكن لي هم إلا الدار التي لأم الصبي الشاب ، فاستدللت عليها فأتيتها ، فإذا بالباب مسود ، وصوت النوادب والنوائح خارج من الدار . فطرقت الباب الباب فخرجت إلى عجوز فقالت : ما تريد يا هذا ؟ فقلت : أريد أم الشاب الذي مات فقالت : وما تصنع بها؟ هي مشغولة بحزنها . فقلت :

أرسليها إلى ، معي رسالة من ولدها . فدخلت فأخبرتها ، فخرجت أم وعليها ثياب سود ووجهها قد اسود من كثرة البكاء واللطم ، فقالت لي :من أنت ؟ قلت : أنا صالح المري جري لي البارحة في المقابر مع ولدك كذا وكذا ، رأيته في العذاب وهو يقول : يا أمي ربيتيني ومن الأسواء وقيتيني ، فلما مت في العذاب رميتيني ، وإن لم تتركي ما أنت عليها الله بيني وبينك يوم تشقق سماء عن سماء . فلما سمعت ذلك غشي عليها وسقطت إلى الأرض ، فلما أفاقت بكت بكاء شديدا ، وقالت : يا ولدي يعز علي ولو علمت ذلك بحالك ما فعلت ، وأنا تائبة إلى الله تعالى من ذلك، ثم دخلت وصرفت النوائح ولبست غير تلك الثياب ، وأخرجت إلى كيسا فيه دراهم كثيرة وقالت : يا صالح تصدق بهذه عن ولدي . قال صالح : فودعتها ودعوت لها وانصرفت وتصدقت عن ولدها بتلك الدراهم ، فلما كان ليلة الجمعة الأخرى أتيت المقابر على عادتي فنمت ، فرأيت أهل القبور قد خرجوا من قبورهم وجلسوا على عادتهم ،وأتتهم الأطباق ، وإذ ذاك الشاب ضاحك فرح مسرور فجاءه أيضًا بطبق فأخذه ، فلما رأني جاء إلي فقال : يا صالح جزاك الله عني خيرا ، خفف الله عني العذاب ، وذلك بترك أمي ما كانت تفعل ، وجاءني ما تصدقت به عني . قال صالح : فقلت : وما هذه الأطباق ؟ فقال : هذه هدايا الأحياء لأمواتهم من الصدقة والقراءة[1] والدعاء ينزل عليهم كل ليلة جمعة يقال له هذه هدية فلان إليك فارجع إلى أمي واقرئها مني السلام ، وقل لها : جزاك الله عني خيرا ، قد وصل إليّ ما تصدقت به عني وأنت عندي عن قريب فاستعدي . قال صالح : ثم استيقظت وأتيت بعد أيام إلى دار أم الشاب . وإذا بنعش موضوع على الباب ، فقلت: لمن هذا ؟ فقالوا : لأم الشاب ، فحضرت الصلاة عليها ودفنت إلى جانب ولدها بتلك المقبرة فدعوت لهما وانصرفت .

فنسأل الله أن يتوفانا مسلمين ، ويلحقنا بالصالحين ، ويعصمنا من النار ، إنه جواد كريم ، رؤوف رحيم .

---

(١) هذا ليس فيه دليل على جواز قراءة القرآن على المقابر أو على الأموات فهذا لا يجوز وأما إهداء ثواب القراءة ففيه خلاف بين العلماء .

الكبيرة الخمسون

البغـــي

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١) .

وقال النبي ﷺ : « إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد » رواه مسلم (٢) .

وفي الأثر : لو بغى جبل على جبل لجعل الله الباغي منهما دكا (٣) .

وقال ﷺ : « ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم » (٤) .

الكبيرة الخمسون

البغـــي

ثم استدل على تحريم البغي بقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [الشورى : ٤٢] .

السبيل : التبعة واللوم والمذمة على هؤلاء الذين يظلمون الناس في أموالهم أو في

---

(١) سورة الشورى : ٤٢ .

(٢) صحيح : رواه مسلم (٢٨٦٥) وأبو داود (٤٨٩٥) .

(٣) صحيح : رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٨٨) والبيهقي في الشعب (٦٦٩٣) وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٤٥٧) .

رواه البخاري في الأدب المفرد (٦٧) وأبو داود (٤٩٠٢) والترمذي (٢٥١١) انظر السلسلة الصحيحة (٩١٧) .

وقد خسف الله بقارون الأرض حين بغي على قومه ، فقد أخبر الله تعالى عنه بقوله : ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ إلى قوله : ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾[1] . قال ابن الجوزي رحمه الله : في بغي قارون أقوال : (أحدها) : أنه جعل للبغية جعلا على أن تقذف موسى عليه السلام بنفسها ففعلت ، فاستحلفها موسى على ما قالت فأخبرته بقصتها مع قارون وكان هذا بغيه . قاله ابن عباس . (والثاني) : إنه بغي بالكفر بالله عز وجل قاله الضحاك . (والثالث) : بالكفر قاله قتادة ، (والرابع) : أنه أطال ثيابه شبرا قاله عطاء الخرساني ، أنه كان يخدم فرعون فاعتدى على بني إسرائيل فظلمهم حكاه الماوردي[2]

قوله : ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾ ، لما أمر قارون البغي بقذف موسى غضب موسى فدعا عليه ، فأوحى الله إليه : إني قد أمرت الأرض أن تطيعك فمرها ، فقال موسى : يا أرض خذيه فأخذته حتى غيبت سريره ، فلما رأى قارون ذلك ناشد موسى بالرحم ، فقال : يا أرض خذيه . فأخذته حتى غيبت قدميه ، فما زال يقول: يا أرض خذيه حتى غيبته . فأوحى الله إليه : يا موسى ما أفظك وعزتي

أعراضهم أو في أنفسهم أو في أهليهم هؤلاء هم الذين عليهم السبيل ﴿وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ . يعني يعتدون بغير الحق . وإنما وصف الله البغي بغير حق . لأنه حقيقة ليس بحق . كل البغي فهو بغير الحق .

فالقيد هنا ليس للاعتراض بل هو لبيان الواقع . وهو أن كل شيء من البغي فإنه بغير الحق. وهذا يرد في القرآن كثيراً . أن تجد قيدًا يبين الواقع وليس قيدًا يخرج ما سواه .

مثل قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ٢١] .

فهنا ليس هناك رب لم يخلقنا ورب خلقنا بل هو لبيان الواقع أن الرب هو الذي خلقنا وهو الذي رزقنا .

---

(١) سورة القصص : ٧٦ ـ ٨١ .

(٢) زاد المسير (٦ / ٢٦٣) .

وجلالي لو استغاث بي لأغثته ! [(١)] قال ابن عباس : فخسفت به الأرض إلى الأرض السفلى . قال سمرة ابن جندب : إنه كل يوم يخسف به قامة فتبلغ به الأرض السفلى يوم القيامة [(٢)] . قال مقاتل : فلما هلك قارون قال : بنو إسرائيل إنما أهلكه موسى ليأخذ لماله وداره فخسف الله بداره وماله بعد ثلاثة أيام .

﴿ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ أي يمنعونه من الله ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ أي من الممتنعين مما نزل به ، والله أعلم [(٣)] .

اللهم إنك إذا قبلت سلمت ، وإذا أعرضت أسلمت ، وإذا وفقت ألهمت ، وإذا خذلت اتهمت .

اللهم اذهب ظلمة ذنوبنا بنور معرفتك وهداك ، واجعلنا ممن أقبلت عليه فأعرض عمن سواك ، واغفر لنا ولوالدينا وسائر المسلمين آمين .

* * *

فالحاصل أن الله تعالى بين أن السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق . ثم ذكر حديث عياض بن حمار أن النبي ﷺ ، قال : « **إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد** » هذا الشاهد من الحديث .

وهذا يدل على أن البغي أمر عظيم . فيه عناية من الله سبحانه وتعالى يبين لعباده أنه لا يبغي أحد على أحد وأن الإنسان يتواضع لله عز وجل ويتواضع في الحق . والله الموفق.

قال فضيلة الشيخ :

---

(١) رواه الطبري بنحوه (٢٠ / ١١٧) وفي مسنده رجل مجهول.

(٢) قال السيوطي في الدرر (٥ / ١٣٨) رواه ابن أبي حاتم في طريق قتادة عن سمرة .

(٣) زاد المسير (٦ / ٢٤٥) .

الكبيرة الحادية والخمسون

الاستطالة

على الضعيف والمملوك والجارية والزوجة والدابة

لأن الله تعالى قد أمر بالإحسان إليهم بقوله تعالى :

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً ﴾ [1] .

قال الواحدي : في قوله تعالى : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ : أخبرنا أحمد ابن محمد بن إبراهيم المهرجاني بإسناده عن معاذ بن جبل ﷺ قال : كنت رديف النبي ﷺ على حمار ، فقال : يا معاذ ، قلت : لبيك وسعديك يا رسول

الكبيرة الحادية والخمسون

الاستطالــة

الاستطالة على الخلق : يعني الاستعلاء عليهم بحق أو بغير حق . فالاستعلاء على الخلق منهي عنه سواء كان بحق أو بغير حق والاستعلاء هو أن يترفع الإنسان على غيره .

وحقيقة الأمران من شكر نعمة الله عليك أنه إذا منّ عليك بفضل على غيرك من مال أو جاه أو سيادة أو علم أو غير ذلك . فإنه ينبغي أن تزداد تواضعًا . حتى تضيف إلى الحسن حسنى . لأن الذي يتواضع في موضع الرفعة هو المتواضع حقيقة . وقد قال النبي ﷺ : « .... **وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله** » « أخرجه مسلم » .

وقال النبي ﷺ : « **إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد** »

---

(١) سورة النساء : ٣٦ .

(٢) سبق تخريجه.

الله. قال : « هل تدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم ؟ قال : « فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا »[1]

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : أتى النبي ﷺ أعرابي فقال : يا نبي الله أوصني ، قال : « لا تشرك بالله شيئًا وإن قطعت وحرقت ، ولا تدع الصلاة لوقتها فأنها ذمة الله، ولا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر »[2] .

قوله : ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ يريد البر بهما مع اللطف ولين الجانب ، ولا يغلظ لهما الجواب ، ولا يحد النظر إليهما ، ولا يرفع صوته عليهما ، بل يكون بين أيديهما مثل العبد بين يدي السيد تذللا لهما . قوله : ﴿وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ قال : يصلهم ويتعطف عليهم ، ﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾ يرفق بهم ويدنيهم رؤوسهم ، ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾ ببذل يسير ورد جميل ، ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ يعني الذي بينك وبينه قرابة فله حق القرابة وحق الجوار وحق الإسلام ، ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ هو الذي ليس بينك وبينه قرابة يقال رجل جنب إذا كان غريبًا متباعدا أهله ، وقوم أجانب والجنابة : البعد . عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه »[3] . وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الجار ليتعلق بالجار يوم القيامة يقول : يا رب أوسعت على أخي هذا وقترت على ، أمسى طاويا ويمسي هذا شبعان ، سله لم أغلق بابه وحرمني ما قد وسعت به عليه »[4]

---

(١) صحيح: وأحمد (٥ / ٢٢٨) والبخاري (٢٨٥٦ ، ٥٩٦٧) ومسلم (٣٠ ، ٤٩) .

(٢) صحيح: رواه أحمد (٥ / ٢٣٨) والطبراني (٢٠ / ٨٢ / ١٥٦) وصححه الشيخ في الأرواء (٢٠٢٦) من حديث أبى الدرداء ومعاذ ولم أجده من رواية ابن مسعود .

(٣) صحيح: رواه أحمد (٦ / ٢٣٨) والبخاري (٦٠١٤) ومسلم (٢٦٢٤) .

(٤) صحيح: رواه البخاري في الأدب المفرد (١١١) بلفظ (كم من جار متعلق بجاره يوم القيامة يقول يارب هذا أغلق باب وفي متع معروفة) صحيح الأدب المفرد (٨١) .

﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾ قال ابن عباس ومجاهد : هو الرفيق في السفر له حق الجوار وحق الصحبة ، ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ : هو الضيف يجب اقراؤه إلى أن يبلغ حيث يريد ، وقال ابن عباس : هو عابر سبيل تؤويه وتطعمه حتى يرحل عنك ، ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ : يريد المملوك يحسن رزقه ويعفو عنه فيما يخطيء قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾ ، قال ابن عباس : يريد بالمختال العظيم في نفسه الذي لا يقوم بحقوق الله ، والفخور هو الذي يفخر على عباد الله بما خوله الله من كرامته وما أعطاه من نعمه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **بينما رجل شاب ممن كان قبلكم يمشي في حلة مختالا فخورا إذا ابتلعته الأرض فهو يتجلجل فيها حتى تقوم الساعة**»[1] . وعن أسامة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة** »[2] هذا ما ذكره الواحدي .

وكان رسول الله ﷺ عند خروجه من الدنيا في آخر مرضه يوصي بالصلاة ، وبالإحسان إلى المملوك ، ويقول : « **الله الله الصلاة وما ملكت أيمانكم** »[3] .

وفي الحديث : « **حسن الملكة يمن وسوء الملكة شؤم** »[4] وقال رسول الله ﷺ : «**لا يدخل الجنة سيء الملكة** »[5] .

قال أبو مسعود رضي الله عنه : كنت أضرب مملوكا لي بالسوط فسمعت صوتا من

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) صحيح : رواه أحمد (٢ / ٤٤ ، ٤٦ ، ٨١) والبخاري (٥٧٨٣) ومسلم (٢٠٨٥) .

(٣) صحيح : رواه أحمد (٣ / ١١٧) وابن ماجه (٢٦٩٧) بلفظ (اللَّلا . اللا ، وما ملكت أيمانكم) وصححه الألباني في الأرواء (٢١٧٨) .

(٤) ضعيف : رواه عبد الرزاق (٢٠١١٨) وأحمد (٣/٢/٥٠٢) والطبراني (٤٤٥١) وضعفه الشيخ في السلسلة الضعيفة (٧٩٦) .

(٥) ضعيف : رواه الترمذي (١٩٤٦) وابن ماجه (٣٦٩١) والطبراني في الأوسط (٩٣١٢) وضعفه الشيخ في ضعيف الجامع (٦٢٥٠) .

ورائي: « **اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام** » قال : قلت : يا رسول الله لا أضرب مملوكًا لي بعده أبدا . وفي رواية : سقط السوط من يدي من هيبة رسول الله ﷺ ، وفي رواية : فقلت : هو حر لوجه الله ، فقال : « **أما إنك لو لم تفعل للفحتك النار يوم القيامة** » رواه مسلم [(١)] . وروي مسلم أيضًا من حديث ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من ضرب غلاما له حدا لم يأته أو لطمه فكفارته أن يعتقه** » [(٢)] ، ومن حديث حكيم بن حزام قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا** » [(٣)] .

وفي الحديث : « **من ضرب بسوط ظلمًا اقتص الله منه يوم القيامة** » [(٤)] ، وقيل لرسول الله ﷺ : كم نعفو عن الخادم ؟ قال : « **في اليوم سبعين مرة** » [(٥)] .

وكان في يد النبي ﷺ يوما سواك فدعا خادم له فأبطا عليه فقال : « **لولا القصاص لضربتك بهذا السواك** » [(٦)] ، وكان لأبي هريرة رضي الله عنه جارية زنجية فرفع يوما عليها السوط فقال : لولا القصاص لأغشيتكيه ولكن سأبيعك لمن يوفيني ثمنك، اذهبي فأنت حرة لوجه الله .

وجاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله إني قلت لأمتي يا زانية ، قال: « **وهل رأيت عليها ذلك** » قالت : لا . قال : « **أما أنها ستستقيد منك يوم القيامة** » فرجعت إلى جاريتها فأعطتها سوطا ، وقالت : اجلديني . فأبت الجارية

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٦٥٩) وأبو داود (٥١٥٩) والترمذي (١٩٤٨) .

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢ / ٦١) ومسلم (١٦٥٧) .

(٣) صحيح: رواه أحمد (٣ / ٤٠٤) ومسلم (٢٦١٣) وأبو داود (٣٠٤٥) .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) صحيح: رواه أبو داود (٥١٦٤) والترمذي (١٩٤٩) وصححه الشيخ في السلسلة الصحيحة (٤٨٨) .

(٦) صحيح: رواه البخاري في الأدب المفرد (٨٤) وأبو يعلى (٦٩٠١) وصححه الألباني في الأدب المفرد (٣٤) .

فأعتقتها ثم رجعت إلى النبيﷺ فأخبرته بعتقها . فقال : « **عسى** » أي عسى أن يكفر عتقتك لها ما قذفتها به[١] وفي الصحيحين أن رسول اللهﷺ قال : « **من قذف مملوكه وهو بريءٌ مما قاله جلد يوم القيامة حدا إلا أن يكون كما قال** »[٢] .

وفي الحديث : « **للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف ما لا يطيق** »[٣] ، وكان ﷺ يوصيهم عند خروجه من الدنيا ويقول : « **الله الله في الصلاة وما ملكت أيمانكم**[٤] **، أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تكتسون ، ولا تكلفونهم من العمل ما لا يطيقون فإن كلفتوهم فأعينوهم ولا تعذبوا خلق الله فإنه ملككم أياهم ولو شاء لملكهم إياكم** »[٥] .

ودخل جماعة على سلمان الفارسيرضي الله عنه وهو أمير على المدائن فوجدوه يعجن عجين أهله ، فقالوا له : ألا تترك الجارية تعجن ؟ فقالرضي الله عنه : إنا أرسلناها في عمل فكرهنا أن نجمع عليها عملا آخر . وقال بعض السلف : لا تضرب المملوك في كل ذنب ولكن احفظ له ذلك ، فإذا عصى الله فأضربه على معصية الله وذكره الذنوب التي بينك وبينه .

فصل

ومن أعظم الإساءة إلى المملوك والجارية التفريق بينه وبين ولده ، أو بينه وبين أخيه لما جاء عن النبيﷺ أنه قال : « **من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة** »[٦] . قال علي كرم الله وجهه : وهب لي رسول اللهﷺ غلامين

---

(١) **ضعيف جدا** : رواه الحاكم (٤ / ٣٧٠) وتعقبه الذهبى بقوله بل عبد الملك - أى ابن هارون بن عنترة متروك .

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٦٨٥٨) ومسلم (١٦٦٠) .

(٣)**صحيح**: رواه أحمد (٢ / ٢٤٧) والبخاري في الأدب (١٩٢، ١٩٣) ومسلم (١٦٦٢).

(٤) سبق تخريجه .

(٥) **صحيح**: رواه البخاري (٢٥٤٥) ومسلم (١٦٦١) .

(٦) **صحيح**: رواه أحمد (٥ / ٤١٣) والترمذي (١٥٦٦) صحيح الجامع (٦٤١٢) .

أخوين فبعث أحدهما ، فقال رسول الله ﷺ : « رده رده »[١] . ومن ذلك أن يجوع المملوك والجارية والدابة . يقول رسول الله ﷺ : « **كفى بالمرء إثمًا أن يحبس عمن يملك قوته** »[٢] ، ومن ذلك أيضًا أن يضرب الدابة ضربا وجيعا أو يحبسها ولا يقوم بكفايتها ، أو يحملها فوق طاقتها فقد روي في تفسير قول الله تعالى : ﴿ **وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم** ﴾[٣] . قيل : يؤتي بهم والناس وقوف يوم القيامة فيقضي بينهم ، حتى أنه ليؤخذ للشاة الجلحاء من الشاة القرناء حتى يقاد للذرة من الذرة ، ثم يقال لهم : كونوا ترابا ، فهنالك يقول الكافر : يا ليتني كنت ترابا . وهذا من الدليل على القضاء بين البهائم وبينها وبين بني آدم ، حتى أن الإنسان لو ضرب دابة بغير حق أو عطشها أو كلفها فوق طاقتها فإنها تقبض يوم القيامة بقدر ما ظلمها أو جوعها والدليل على ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **عذبت امرأة في هرة ربطتها حتى ماتت جوعا لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها ، ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض** » أي من حشراتها[٤] .

وفي الصحيح أنه ﷺ رأى امرأة معلقة في النار والهرة تخدشها في وجهها وصدرها وهي تعذبها كما عذبتها بالحبس والجوع[٥] ، وهذا عام في سائر الحيوان ، وكذلك إذا حملها فوق طاقتها تقتص منه يوم القيامة لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « **بينما رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها ، فقالت : إنا لم نخلق لهذا**

---

(١) ضعيف بهذا اللفظ : رواه الترمذي (١٢٨٤) وابن ماجه (٢٢٤٩) وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه (٤٩٢) والمشكاة (٣٣٦٢) وصححه الألباني بلفظ أخر في صحيح أبي داود (١٤١٥) .

(٢) صحيح : رواه أحمد (٥ / ١٦٠) ومسلم (٩٩٦) .

(٣) سورة الأنعام : ٣٨ .

(٤) صحيح : رواه البخاري (٢٣٦٥ ، ٢٣١٨) ومسلم (٢٢٤٢) .

(٥) صحيح : رواه البخاري (٧٤٥ ، ٢٣٦٤) .

إنما خلقنا للحرث » (١) . فهذه بقرة أنطقها الله في الدنيا تدافع عن نفسها بأنها لا تؤذي ولا تستعمل في غير ما خلقت له ، فمن كلفها غير طاقتها أو ضربها بغير حق فيوم القيامة تقتص منه بقدر ضربه وتعذيبه .

قال أبو سليمان الداراني : ركبت مرة حمارا فضربته مرتين أو ثلاثا ، فرفع رأسه ونظر إلي وقال : يا أبا سليمان هو القصاص يوم القيامة فإن شئت فأقلل وإن شئت فأكثر . قال : فقلت : لا أضرب شيئًا بعده أبدا . ومر ابن عمر بصبيان من قريش قد نصبوا طيرا وهم يرمونه وقد جعلوا لصاحبه كل خاطئة من نبلهم ، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا فقال : من فعل هذا ؟ لعن الله من فعل هذا إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضا (٢) . والغرض كالهدف وما يرمى إليه . ونهى رسول الله ﷺ أن تصبر البهائم يعني أن تحبس للقتل (٣) ، وإن كان مما أذن الشرع بقتله كالحية والعقرب والفأرة والكلب العقور ، قتله بأول دفعة ولا يعذبه لقوله ﷺ : **« إذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته»**(٤).

وكذلك لا يحرقه بالنار لما ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : **«إني كنت أمرتكم أن تحرقوا فلانا وفلانا بالنار ، وإن النار لا يعذب بها إلا الله فإن وجدتموهما فاقتلوهما »** (٥) .

قال ابن مسعود : كنا مع رسول الله ﷺ في سفره فانطلق لحاجته فرأينا حمرة معها فرخان فأخذنا فرخيها ، فجاءت الحمرة فجعلت ترفرف ، فجاء النبي ﷺ وقال: **« من فجع هذه بولدها ؟ ردوا عليها ولديها »** ، ورأى رسول الله ﷺ قرية نمل

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٤٧١) ومسلم (٢٣٨٨) .

(٢) صحيح: رواه البخاري (٥٥١٥) ومسلم (١٩٥٨) .

(٣) صحيح: رواه البخاري (٥٥١٣) ومسلم (١٩٥٦) .

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٩٥٥) وأبو داود (٢٨١٥) والترمذي (١٤٠٩) .

(٥) صحيح: رواه البخاري (٣٠١٦) .

أي مكان نمل ـ قد أحرقناه فقال : « من حرق هذه ؟ » قلنا : نحن ، فقال ﷺ : «**إنه لا ينبغي لأحد أن يعذب بالنار إلا ربها** »[(١)] . وفيه من النهي عن القتل والتعذيب بالنار حتى في القملة والبرغوث وغيرهما .

فصل

ويكره قتل الحيوان عبثا لما روي عن النبي ﷺ أنه قال : « **من قتل عصفورا عبثا عج إلى الله يوم القيامة ، وقال : يا رب سل هذا لم قتلني عبثا ولم يقتلني لمنفعة؟** »[(٢)] . ويكره صيد الطير أيام فراخه لما روي ذلك في الأثر ، ويكره ذبح الحيوان بين يدي أمه لما روي عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله ، قال : ذبح رجل عجلا بين يدي أمه فأيبس الله يده .

فصل

في فضل عتق المملوك . عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منها عضو آمنه من النار ، حتى فرجه بفرجه** » أخرجه البخاري[(٣)] .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « **أيما امرئ مسلم أعتق امرءاً مسلما فهو فكاكه له من النار يجزى بكل عضو منه عضوا منه ، وأيما امرئ مسلم أعتق امرأتين مسلمتين كانتا فكاكه من النار يجزي كل عضو منهما عضوا منه ، وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة كانت فكاكها من النار يجزى كل عضو منها عضواً منها** » رواه الترمذي وصححه[(٤)] .

اللهم اجعلنا من حزبك المفلحين وعبادك الصالحين .

---

(١) صحيح: رواه البخاري في الأدب المفرد (٣٨٢) وأبو داود (٢٦٧٥) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥) .

(٢) ضعيف: رواه أحمد (٥ / ٣٨٩) والنسائي (٧ / ٢٣٩) وضعفه الشيخ في ضعيف الجامع (٥٧٦٣).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٢٥١٧) ومسلم (١٥٠٩) .

(٤) صحيح: رواه الترمذي (١٥٤٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٧٠٠) .

الكبيرة الثانية والخمسون
أذى الجار

ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « **والله لا يؤمن والله لا يؤمن** » قيل: من يا رسول لله ؟ قال : « من لا يأمن جاره بوائقه »[1] . أي غوائله وشروره، وفي رواية : « **لا يدخل الجنة من لا يؤمن جاره بوائقه** »[2] . وسئل رسول الله ﷺ عن أعظم الذنب عند الله فذكر ثلاث خلال : « **أن تجعل لله ندا وهو خلقك ، وأن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك ، وأن تزني بحليلة جارك** »[3] وفي الحديث: « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره** »[4] « **والجيران ثلاثة : جار مسلم قريب له حق الجوار وحق الإسلام وحق القرابة ، وجار مسلم له حق**

الكبيرة الثانية والخمسون
أذى الجـــار

الجار هو : الملاصق لك في بيتك والقريب من ذلك .

وقد وردت بعض الآثار بما يدل على أن الجار أربعون دارًا من كل جانب ولا شك أن الملاصق للبيت جار . وأماما وراء ذلك فإن صحت الأخبار بذلك عن النبي ﷺ فالحق ما جاءت به . وإلا فإنه يرجع في ذلك إلى العرف . فما عده الناس جوارًا فهو جوار.

قال تعالى فى آية سورة النساء : ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ**﴾ [النساء: ٣٦] . الجارذي

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٦١٠٦) .

(٢) صحيح: رواه مسلم (٤٦) .

(٣) صحيح: رواه البخاري (٤٤٧٧) ومسلم (٨٦) .

(٤) صحيح: رواه البخاري (٦٠١٨ ، ٦١٣٦) ومسلم (٤٧) .

الجوار وحق الإسلام ، والجار الكافر له حق الجوار » [1] .

وكان ابن عمر رضي الله عنه له جار يهودي ، فكان إذا ذبح الشاة يقول : احملوا إلى جارنا اليهودي منها [2] . وروي أن الجار الفقير يتعلق بالجار الغني يوم القيامة ، ويقول : يا رب سل هذا لم منعني معروفه وأغلق عني بابه [3] .

وينبغي للجار أن يحمل أذى الجار ، فهو من جملة الإحسان . جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله دلني على عمل إذا قمت به دخلت الجنة . فقال : **«كن محسنا »** ، فقال : يا رسول الله ﷺ كيف أعلم أني محسن ؟ قال : **« سل جيرانك فإن قالوا أنك محسن فأنت محسن ، وأن قالوا أنك مسيء فأنت مسيء »** ذكره البيهقي من رواية أبي هريرة [4] ، وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : **« من أغلق بابه عن جاره مخافة على أهله وماله فليس بمؤمن ، وليس بمؤمن من لا يأمن جاره**

القربى : يعني الجار القريب . والجار الجنب : يعني الجار البعيد الأجنبي منك . قال أهل العلم : والجيران ثلاثة :

١ ـ جار قريب مسلم فله حق الجوار والقرابة والإسلام .

٢ ـ وجار مسلم غير قريب فله حق الجوار والإسلام .

٣ ـ وجار كافر فله حق الجوار وإن كان قريبًا فله حق القرابة أيضًا فهؤلاء الجيران لهم حقوق. حقوق واجبة وحقوق يجب تركها .

وأما أحاديث أبي هريرة ففيها أن النبي ﷺ أقسم ثلاث مرات فقال : **« والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن »** . قالوا : من يا رسول الله ؟ قال : **« من لا يأمن جاره بوائقه»**

---

(١) ضعيف: رواه البزار (١٨٩٦) وأبو نعيم (٥ / ٢٠٧) والبيهقي في الشعب (٩٥٦٠) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٦٧٣) .

(٢) صحيح: رواه الترمذي (١٩٤٣) والبيهقي (٩٥٦٢ ، ٩٥٦٣) وصححه الشيخ الارواء (٨٩١).

(٣) ضعيف: رواه البخارى فى الأدب المفرد(١١١)وحسنه الألبانى فى صحيح الأدب المفرد(٨٧).

(٤) صحيح: رواه الحاكم (١ / ٣٧٨) والبيهقي في الشعب (٩٥٦٧) وقال الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي .

بوائقه »⁽¹⁾ ، وقيل : « **لأن يزني الرجل بعشرة نسوة أيسر من أن يزني بامرأة جاره، ولأن يسرق الرجق من عشرة أبيات أيسر من أن يسرق من بيت جاره** » [2] ، وفي سنن أبي داود من رواية أبي هريرة ﷺ قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يشكوه جاره فقال له : « **أذهب فاصبر** » ، فأتاه مرتين أو ثلاثا ثم قال : « **اذهب فاطرح متاعك على الطريق** » ففعل ، فجعل الناس يمرون به ، ويسألونه عن حاله فيخبرهم خبره مع جاره ، فجعلوا يلعنون جاره ويقولون : فعل الله به وفعل ويدعون عليه ، فجاء إليه جاره وقال : يا أخي ارجع إلى منزلك فإنك لن ترى ما تكره أبدًا [3] .

وأن يحتمل أذى جاره وإن كان دميا ، فقد روي عن سهل بن عبد الله التستري

يعني غدره وخيانته وظلمه وعدوانه . فالذي لا يأمن جاره من ذلك ليس بمؤمن وإذا كان يفعل ذلك ويوقعه فعلاً فهو أشد .

وفي هذا : دليل على تحريم العدوان على الجار . سواء كان ذلك بالقول أو بالفعل . أما بالقول فأن يسمع منه ما يزعجه ويقلقه . كالذين يفتحون الراديو أو التليفزيون أو غيرهما مما يسمع فيزعج الجيران . فإن هذا لا يحل له . حتى لو فتحه على كتاب الله وهو مما يزعج الجيران بصوته فإنه معتد عليهم ولا يحل له أن يفعل ذلك .

وأما بالفعل فيكون بإلقاء الكناسة حول بابه . والتضييق عليه عند مداخل بابه أو بالدق أو ما أشبه ذلك مما يضره . ومن هذا أيضًا إذا كان له نخلة أو شجرة حول جدار جاره فكان يسقيها حتى يؤذي جاره بهذا السقى . فإن ذلك من بوائق الجار فلا يحل له .

إذن يحرم على الجار أن يؤذي جاره بأي شيء . فإذا فعل فإنه ليس بمؤمن والمعنى أنه ليس متصفًا بصفات المؤمنين في هذه المسألة التي خالف بها الحق .

---

(١) ضعيف: رواه ابن عدي (٥ / ١٧١) والبيهقي (٩٥٦٠) وإسناده ضعيف .

(٢) صحيح: رواه البخاري في الأدب المفرد (١٠٣) وأحمد (٦ / ٨) وصححه الشيخ السلسلة الصحيحة (٦٥) .

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٥١٥٣) والبخاري في الأدب (١٢٤) وصححه الشيخ في صحيح الأدب المفرد (٩٢) .

رحمه الله أنه كان له جار ذمي ، وكان قد أنبثق من كنيفه إلى بيت في دار سهل بثق، فكان سهل يضع كل يوم الجفنة تحت ذلك البثق فيجتمع ما يسقط فيه من كنيف المجوسي ويطرحه بالليل حيث لا يراه فمكث رحمه الله على هذه الحال زمانا طويلا إلى أن حضرت سهلا الوفاة ، فاستدعى جاره المجوسي وقال له : أدخل ذلك البيت وانظر ما فيه ، فدخل فرأى ذلك البثق والقذر يسقط منه في الجفنة ، فقال : ما هذا الذي أرى ؟ قال سهل : هذا منذ زمان طويل يسقط من دارك إلى هذا البيت وأنا أتلقاه بالنهار وألقيه بالليل ، ولولا أنه حضرني أجلي ، وأنا أخاف أن لا تتسع أخلاق غيري لذلك وإلا لم أخبرك فافعل ما ترى ، فقال المجوسي : أيها الشيخ أنت تعاملني بهذه المعاملة منذ زمان طويل وأنا مقيم على كفري ؟ مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ثم مات سهل رحمه الله .

فنسأل الله أن يهدينا وإياكم لأحسن الأخلاق والأعمال والأقوال ، وأن يحسن عاقبتنا إنه جواد كريم رؤوف رحيم .



الكبيرة الثالثة والخمسون

أذى المسلمين وشتمهم

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ [(١)] وقال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [(٢)] وقال الله تعالى : ﴿ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [(٣)].

وقال ﷺ : « إن من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعه الناس أو تركه الناس اتقاء فحشه » [(٤)]، وقال ﷺ : « عباد الله إن الله وضع الحرج إلا من افترض بعرض أخيه فذلك الذي حرج أو هلك » [(٥)] وفي الحديث : « كل المسلم

الكبيرة الثالثة والخمسون

أذية المسلمين وشتمهم

الإيذاء يشمل الإيذاء بالقول والإيذاء بالفعل والإيذاء بالترك أما الإيذاء بالقول فأن يُسمع أخاه كلامًا يتأذى به وإن لم يضره فإن ضره كان أشد إثمًا والإيذاء بالفعل أن

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٨ .

(٢) سورة الحجرات : ١١ .

(٣) سورة الحجرات : ١٢ .

(٤) صحيح : رواه البخاري (٦١٣١ ، ٦٠٥٤) ومسلم (٢٥٩١) .

(٥) صحيح : رواه البخاري في الأدب (٢٩١) وأبو داود (٢٠١٥) والترمذي (٢٠٣٨) وابن ماجه (٣٤٣٦) الصحيحة (٤٣٣) والمشكاة (٤٥٣٢ ، ٥٠٧٩) .

على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » (١) وقال ﷺ : « **المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم** » (٢) وفيه أيضًا: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر** » (٣) ، وعن أبي هريرة ﷺ قال : قيل : يا رسول الله إن فلانة تصلي الليل وتصوم النهار وتؤذي جيرانها بلسانها فقال : « **لا خير فيها هي في النار** » (٤) صححه الحاكم .

يضايقه في مكانه في جلوسه في طريقه وما أشبه ذلك .

والإيذاء بالترك : أن يترك شيئًا يحتار منه أخوه المسلم فيتأذى به وإن كان لا بد كل هذا محرم وعليه هذا الوعيد الشديد وهو قول الله تعالى : ﴿**والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانًا وإثمًا مبينا**﴾ [الأحزاب : ٥٤] .

احتملوا يعني تحملوا على أنفسهم البهتان وهو الكذب والإثم المبين وهو العقوبة العظيمة نسأل الله العافية .

وفي قول الله تعالى : ﴿**بغير ما اكتسبوا**﴾ دليل على أن لو أوذي الإنسان باكتسابه أي على عمل حُقّ أن يؤذي عليه فإنه لا بأس به كما في قوله تعالى : ﴿**وَالَّلذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا**﴾ [النساء : ١٦] .

وكان هذا في أول الأمر أن اللوطية والعياذ بالله يؤذي صاحبه حتى يتوب ثم بعد ذلك ثبت أن النبيﷺ قال : « **من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به**»(٥) . قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : أجمع الصحابة على أن فاحشة اللواط يقتل فيها الفاعل والمفعول به ولكنهم اختلفوا كيف يقتل ؟ فبعضهم قال : يرجم وبعضهم قال: يلقي من أعلى شاهق في البلد ثم يلقى بالحجارة .

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٤) وأحمد (٢ / ٢٧٧ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨) .

(٢) الحديث السابق . (٣) صحيح: رواه البخاري (٤٨) ومسلم (٦٤) .

(٤) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٤٤٠) والبخاري الأدب المفرد(١١٩)وصححه الشيخ في الصحيحة(١٩٠).

(٥) سبق تخريجه.

وفي الحديث أيضًا : « اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوءهم »[(١)] وقال رسول الله ﷺ : « من دعا رجلا بالكفر أو قال يا عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه»[(٢)] . وقال ﷺ : « مررت ليلة أسرى به بقوم لهم أظفار من النحاس يخمشون وجوههم وصدورهم ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم »[(٣)] .

فصل

في الترهيب من الإفساد والتحريش بين المؤمنين وبين البهائم والدواب

صح عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم »[(٤)] ، فكل من حرش بين اثنين من بني آدم ونقل بينهما ما يؤذي أحدهما فهو نمام من حزب الشيطان من أشر الناس ، كما قال النبي

وبعضهم قال : يحرق بالنار نسأل الله العافية .

فالمهم أن الإيذاء بحق لا بأس به ومن ذلك أن يكون الرجل يكره الحق ويكره الخير فتفعل الحق فيتأذى به فهنا تأذى بحق. لأن بعض الناس والعياذ بالله يتأذى إذا رأى رجلاً متمسكًا بالسنة .

المسلم من سلم المسلمون من لسانه فلا يلعنهم ولا يسبهم ولا يشتمهم ولا يغتابهم ولا ينم فيهم . كل آفات اللسان المتعلقة بالخلق قد كفها فسلم الناس منه . وسلم المسلمون من يده أيضًا لا يعتدي عليهم بضرب ولا سرقة ولا إفساد مال ولا غير ذلك . هذا هو المسلم

---

(١) ضعيف: رواه الترمذي (١٠١٩) وأبو داود (٤٩٠٠) وضعفه الشيخ في ضعيف الجامع (٨٣٩) والمشكاة (١٦٧٨) والروض النضير (٤٨٢) .

(٢) صحيح: رواه مسلم (٦١) بلفظ (ليس من الرجل ادعى بغير أبيه) .

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٤٨٧٨) وأحمد (٣ / ١٨ ، ٣٢٩) السلسلة الصحيحة (٥٣٣).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٨١٢) والترمذي (١٩٣٧) .

ﷺ : « **ألا أخبركم بشراركم ؟** » قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « **شراركم المشاءون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة ، الباغون للبرءاء العنت** »[١] والعنت المشقة .

وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **لا يدخل الجنة نمام** »[٢] ، والنمام هو الذي ينقل الحديث بين الناس وبين اثنين بما يؤذي أحدهما أو يوحش قلبه على صاحبه أو صديقه بأن يقول له : قال عنك فلان كذا وكذا وفعل كذا وكذا ، إلا أن يكون في ذلك مصلحة أو فائدة ، كتحذيره من شر يحدث أو يترتب . وأما التحريش بين البهائم والدواب والطير وغيرهم ، فحرام كمناقرة الديوك ونطاح الكباش وتحريش الكلاب بعضها على بعض وما أشبه ذلك ، وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك فمن فعل ذلك فهو عاص لله ورسوله . ومن ذلك إفساد قلب المرأة على زوجها ، والعبد على سيده . لما روي أن رسول الله ﷺ قال : « **ملعون من خبب امرأة على زوجها أو عبدا على سيده** »[٣] نعوذ بالله من ذلك .

فصل

في الترغيب في الإصلاح بين الناس

قال الله تعالى : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ

. وهذا ليس المراد بذلك أنه ليس هناك مسلم سواه ولكن المعنى أن هذا من الإسلام وإلا فإن المسلم من استسلم لله تعالى ظاهرًا وباطنًا لكن أحيانًا يأتي مثل هذا التعبير من أجل الحث على هذا العمل وإن كان يوجد سواه .

---

(١) حسن : رواه البخاري في الأدب المفرد (٣٢٣) والطبراني (٢٤ / ١٦٧ / ٤٢٣) وحسنه الشيخ في الأدب (٢٤٦) .

(٢) صحيح: سبق تخريجه .

(٣) صحيح: سبق تخريجه .

﴿بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [(١)] قال مجاهد هذه الآية عامة بين الناس ، يريد أنه لا خير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث إلا ما كان من أعمال الخير ، وهو قوله تعالى : **﴿إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾** ثم حذف المضاف **﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾** ، قال ابن عباس : بصلة الرحم وبطاعة الله ، ويقال الأعمال البر كلها معروف لأن العقول تعرفها ، قوله تعالى : **﴿أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾** هذا مما حث عليه رسول الله ﷺ فقال لأبي أيوب الأنصاري : « **ألا أدلك على صدقة هي خير لك من حمر النعم** » قال : بلى يا رسول الله . قال : « **تصلح بين الناس إذا تفاسدوا وتقرب بينهم إذا تباعدوا** » [(٢)] وروت أم حبيبة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « **كلام ابن أدم كله عليه لا له إلا ما كان من أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر الله** » [(٣)] .

وروي أن رجلا قال لسفيان : ما أشد هذا الحديث ، قال سفيان : ألم تسمع إلى قول الله تعالى : **﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾** الآية ، فهذا هو بعينه ، ثم علم سبحانه أن ذلك إنما ينفع من ابتغى به ما عند الله . قال الله تعالى : **﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾** أي ثوابا لا حد له .

وفي الحديث : « **ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرا أو يقول خيرا** » رواه البخاري [(٤)] . وقالت أم كلثوم : ولم أسمعه ﷺ يرخص في شيء مما

---

(١) سورة النساء (١١٤) .

(٢) **ضعيف:** رواه البيهقي في الشعب (١١٩٠٣) والطبراني فى الكبير (٨/ ٢٥٧) .

(٣) **ضعيف:** رواه الترمذي (٢٤١٢) وابن ماجه (٣٩٧٤) وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه (٨٦١) والتعليق الرغيب (٤ / ١٠) .

(٤) **صحيح:** رواه أحمد (٦ / ٤٠٣ ، ٤٠٤) والبخاري (٢٦٩٢) ومسلم (٢٦٠٥) .

يقول الناس إلا في ثلاثة أشياء : في الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل زوجته وحديث المرأة زوجها [(١)]، وعن سهل بن سعد الساعدي ﷺ أن رسول الله ﷺ بلغه أن بني عمرو بن عوف كان بينهم شر فخرج رسول الله ﷺ ليصلح بينهم في أناس معه من أصحابه . رواه البخاري [(٢)].

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما عمل شيء أفضل من مشى إلى الصلاة أو أصلاح ذات البين وحلف جائز بين المسلمين** » [(٣)]. وقال رسول الله ﷺ : « **من أصلح بين اثنين أصلح الله أمره وأعطاه بكل كلمة تكلم بها عتق رقبة ورجع مغفوراً له ما تقدم من ذنبه** » [(٤)]. وبالله التوفيق .

اللهم عاملنا بلطفك وتداركنا بعفوك يا أرحم الراحمين .

* * *

---

(١) هذه الزيادة عند مسلم (٢٠٦٥).

(٢) رواه البخاري (١٢٣٤) (٢٦٩٠) .

(٣) صحيح: رواه البخاري في التاريخ الكبير (١ / ٦٣) والبيهقي في الشعب (١١٠٩٠) وصححه الشيخ في السلسلة الصحيحة (١٤٤٨) .

(٤) ضعيف: رواه الأصبهاني في الترغيب (١٨٦) وقال المنذرى (٣/ ٣٢١) حديث غريب جدا.

الكبيرة الرابعة والخمسون

أذية عباد الله والتطول عليهم

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ (١) وقال الله تعالى : ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢) .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله تعالى قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب** » ، وفي رواية : « **فقد بارزني بالمحاربة** » (٣) أي أعلمته أني محارب له . وفي الحديث : أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا : ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها ، فقال أبو بكر ﷺ : أتقولون هذا الشيخ قريش وسيدهم ؟ فأتى النبي ﷺ فأخبره ، فقال : «**يا أبا بكر لعلك أغضبتهم ، لقد أغضبت ربك** » . فأتاهم أبو بكر ﷺ فقال : يا إخوتاه

الكبيرة الرابعة والخمسون

أذية عباد الله والتطول عليهم

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ فيما نقله أن أبا سفيان مر بسلمان وصهيب وبلال ، وهؤلاء الثلاثة كلهم من الموالي ، صهيب الرومي وبلال الحبشي وسلمان الفارسي ، فمر بهم فقالوا : ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها ، يعني : يريدون أنهم لم يشفوا أنفسهم مما فعل بهم أسيادهم من قريش ، الذين كانوا يعذبونهم ويؤذونهم في دين الله عز وجل ، فكأن أبا بكر ﷺ لامهم على ذلك ، وقال : أتقولون لسيد قريش هذا الكلام .

ثم إن أبا بكر أخبر النبي ﷺ بذلك ، فقال له : « لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٨ .

(٢) سورة الشعراء : ٢١٥ .

(٣) صحيح: رواه البخاري (٦٥٠٢) وابن حبان (٣٤٧) .

أغضبتكم ؟ قالوا : لا ، يغفر الله لك يا أخي [١]. وقولهم مأخذها : أي لم تستوف حقها منه .

فصل

في قوله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [٢] .

وهذه الآيات في تفضيل الفقراء ، وسبب نزولها أن النبي ﷺ أول من آمن به الفقراء ، وكذلك كل نبي أرسل أول من آمن به الفقراء ، فكان رسول الله ﷺ يجلس مع فقراء أصحابه مثل سلمان وصهيب وبلال وعمار بن ياسر ﷺ ، فأراد المشركون أن يحتالوا عليه في طرد الفقراء لما سمعوا أن علامة الرسل أن يكون أو أتباعهم الفقراء ، فجاء بعض رؤساء المشركين فقالوا : يا محمد اطرد الفقراء عنك ، فإن نفوسنا تأنف أن تجالسهم ، فلو طردتهم عنك لآمن بك أشرف الناس ورؤساء فأنزل الله تعالى : ﴿ ولا تطردَ الَّذينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ فلما ليس

ربك » يعني أغضبت هؤلاء النفر ـ مع أنهم من الموالي ، وليسوا بشيء في عداد الناس وأشرافهم ـ لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك ، فذهب أبو بكر ﷺ إلى هؤلاء النفر وسألهم : أغضبتكم ؟ قالوا : لا ، قال : يا إخوتاه ، أغضبتكم ؟ قالوا : لا ، يغفر الله لك يا أبا بكر .

فدل هذا على أنه لا يجوز للإنسان أن يترفع على الفقراء والمساكين ومن ليس لهم قيمة في المجتمع ، لأن القيمة الحقيقية في قيمة الإنسان عند الله ، كما قال الله تعالى : ﴿إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات : ١٣] والذي ينبغي للإنسان أن يخفض جناحه للمؤمنين ولو كانوا غير ذي جاه ، لأن هذا هو الذى أمر به الله نبيه ﷺ حيث قال : ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِين﴾ [الحجر : ٨٨] .

---

(١) رواه مسلم (٢٥٠٤) .

(٢) سورة الكهف (٢٨) .

المشركون من طردهم قالوا : يا محمد لإن لم تطردهم فاجعل لنا يوما ولهم يوما فأنزل الله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [(١)] أي لا تتعداهم ولا تتجاوز بنظرك رغبة عنهم وطلبا لصحبة أبناء الدنيا .

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [(٢)] ثم ضرب لهم مثل الغني والفقير لقوله : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ ﴾ [(٣)] ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [(٤)] فكان رسول الله ﷺ يعظم الفقراء ويكرمهم .

ولما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة هاجروا معه فكانوا في صفة المسجد مقيمين متبتلين فسموا أصحاب الصفة ، فكان ينتمي إليهم من يهاجر من الفقراء حتى كثروا رضي الله عنهم.

وفي هذا : دليل على ورع أبي بكر رضي الله عنه ، وعلى حرصه على إبراء ذمته ، وأن الإنسان ينبغي له ، بل يجب عليه إذا اعتدى على أحد بالقول أو بالفعل أو بأخذ مال أو يسب أو بشتم أن يستحله في الدنيا ، قبل أن يأخذ بذلك منه في الآخرة ، لأن الإنسان إذا لم يأخذ حقه في الدنيا فإنه يأخذه يوم القيامة ، ويأخذه من أشرف شيء وأعز شيء على الإنسان يأخذه من الحسنات ، من الأعمال الصالحة التي هو في حاجة إليها في ذلك المكان.

قال النبي ﷺ : « ماذا تعدون المفلس فيكم ؟ » قالوا : من ليس له درهم ولا دينار ، أو قالوا : ولا متاع . فقال : « المفلس من يأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال ، فيأتي وقد ضرب هذا ، وشتم هذا ، وأخذ مال هذا ، فيأخذ هذا من حسناته ، وهذا من

---

(١) زاد المسير (٥ / ١٣٢) وأسباب النزول للواحدي (٦٢١) وسنده ضعيف جداً .

(٢) سورة الكهف : ٢٩ .

(٣) سورة الكهف : ٣٢ .

(٤) سورة الكهف : ٤٥ .

هؤلاء شاهدوا ما أعد الله لأوليائه من الإحسان وعاينوه بنور الإيمان فلم يعلقوا قلوبهم بشيء من الأكوان بل قالوا : إياك نعبد ولك نخضع ونسجد وبك نهتدي ونسترشد ، وعليك نتوكل ونعتمد وبذكرك نتنعم ونفرح ، وفي ميدان ودك نرتع ونسرح لك نعمل ونكدح وعن بابك أبدًا لا نبرح ، فحينئذ عمر لهم سبيله وخاطب فيهم رسوله فقال : ﴿ وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ ﴾ (١) ، أي : ولا تطرد قوما أمسوا على ذكر ربهم يتقلبون ، وإن أصبحوا فلبابه ينقلبون ، لا تطرد قوم المساجد مأواهم والله مطلوبهم ومولاهم ، والجوع طعامهم والسهر إذا نام الناس أدامهم ، والفقر والفاقة شعارهم ، والمسكنة والحياء دثارهم . ربطوا خيل عرضهم على باب مولاهم ، وبسطوا وجوههم في محاريب نجواهم .

فالفقر عام وخاص ، فالعام الحاجة إلى الله تعالى وهذا وصف كل مخلوق مؤمن وكافر ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ﴾ (٢) ، والخاص وصف أولياء الله وأحبائه خلو اليدين من الدنيا وخلو القلب من التعلق بها، اشتغالا بالله عز وجل وشوقا إليه ، وأنسا بالفراغ والخلوة مع الله عز وجل .

اللهم أذقنا حلاوة مناجاتك ، وأن تسلك بنا طريق مرضاتك ، وأقطع عنا كل ما يبعدنا من حضرتك ، ويسر لنا ما يسرته لأهل محبتك ، وأغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين .

* * *

حسناته ، فإن بقي من حسناته شيء ، وإلا أخذ من سيئاتهم فطرح عليه ، ثم طرح في النار » (٣) .

---

(١) سورة الأنعام : ٥٢ .

(٢) سورة فاطر : ١٥ .

(٣) سبق تخريجه .

الكبيرة الخامسة والخمسون

إسبال الإزار والثوب واللباس

والسراويل تعززًا وعجبا وفخرا وخيلاء

قال الله تعالى : ﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [(١)]

وقال النبي ﷺ : « ما أسفل الكعبين من الإزار فهو في النار » [(٢)] ، وقال ﷺ : « **لا ينظر الله إلى من جر إزاره بطرا** » [(٣)] ، وقال ﷺ : « **ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب** » [(٤)] . وفي الحديث أيضًا : « **بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل رأسه يختال في مشيه إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة** » [(٥)] .

الكبيرة الخامسة والخمسون

الإسبـــال

إسبال الملابس للرجال محرم سواء كان للخيلاء أو لغير الخيلاء ولكن إذا كان للخيلاء فإن عقوبته أشد وأعظم لحديث أبي ذر الثابت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال : «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم . قال أبو ذر**

---

(١) سورة لقمان : ١٨ .

(٢) صحيح: سبق تخريجه .

(٣) صحيح: رواه البخاري (٥٧٨٨) ومسلم (٢٠٨٧) .

(٤) صحيح: سبق تخريجه .

(٥) صحيح: رواه البخاري (٥٧٨٩) ومسلم (٢٠٨٨) .

وقال ﷺ : « **من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة** »(١) ، وقال ﷺ : « **الإسبال في الإزار والعمامة من جر شيئًا منها خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة**»(٢) .

وقال ﷺ : « **إزرة المؤمن إلى نصف ساقيه ولا حرج عليه فيما بينه وبين الكعبين وما كان أسفل من الكعبين فهو في النار** »(٣) .

وهذا عام في السراويل والثوب والجبة والقباء والفرجية وغيرها من اللباس فنسأل الله العافية ، وعن أبي هريرة ﷺ قال : بينما الرجل يصلي مسبلا إزاره قال له رسول الله ﷺ : « **اذهب فتوضأ** » ، ثم جاء فقال : « **اذهب فتوضأ** » فقال له الرجل: يا رسول الله مالك أمرته أن يتوضأ ؟ ثم سكت عنه فقال : « **إنه كان يصلي وهو مسبل إزاره ، ولا يقبل الله صلاة رجل مسبلاً إزاره** »(٤) .

ولما قال ﷺ : « **من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة** » ، فقال أبو بكر ﷺ : يا رسول الله إن إزاري يسترخي إلا أن أتعاهده ، فقال له رسول الله

من هم يا رسول الله خابوا وخسروا . قال : المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » « رواه مسلم » .

وهذا الحديث مطلق لكنه مقيد بحديث ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : « **من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه** » « رواه البخاري » .

ويكون الإطلاق في حديث أبي ذر مقيدًا بحديث ابن عمر ﷺ وإذا كان خيلاء فإن الله لا ينظر إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم وهذه العقوبة أعظم من العقوبة التي وردت في

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٥٧٩١) ومسلم (٢٠٨٥) .

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٠٩٤) وابن ماجه (٣٥٧٦) صحيح الجامع (٧٧٠) .

(٣) صحيح: أحمد (٣ / ٥ ، ٣٠) وأبو داود (٤٠٩٣) وابن ماجه (٣٥٧٣) وصححه الشيخ في المشكاة (٤٣٣١) .

(٤) ضعيف: رواه أبو داود (٦٣٨ ، ٤٠٨٦) وضعفه الشيخ في ضعيف الجامع (١٢٤) .

ﷺ « **إنك لست ممن يفعله خيلاء** »[(١)].

اللهم عاملنا بلطفك الحسن الجميل برحمتك يا أرحم الراحمين .

* * *

من نزل إزاره إلى ما تحت الكعبين لغير خيلاء فإن هذا قال فيه النبي ﷺ : « **ما أسفل الكعبين من الإزار ففي النار** » « رواه البخاري » .

فلما اختلفت العقوبتان امتنع أن يحمل المطلق على المقيد لأن قاعدة حمل المطلق على المقيد من شرطها اتفاق النصين في الحكم أما إذا اختلف الحكم فإنه لا يقيد إحداهما بالآخر ولهذا لم نقيد آية التيمم التي قال الله تعالى فيها ﴿ **فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ** ﴾ [المائدة: ٦] . لم نقيدها بآية الوضوء التي قال تعالى عنها : ﴿ **فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ** ﴾ [المائدة : ٦] .

فلا يكون التيمم إلى المرافق ويدل لذلك ما رواه مالك وغيره من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال : « **أزرة المؤمن إلى نصف ساقه وما أسفل من الكعبين ففي النار ومن جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه** » . فذكر النبي ﷺ مثالين في حديث واحد وبين اختلاف حكمهما لاختلاف عقوبتهما فهما مختلفان في الفعل ومختلفان في الحكم والعقوبة وبهذا تبين خطأ من قيد قوله ﷺ : « **ما أسفل الكعبين ففي النار** » بقوله ﷺ :
وفى هذا دليل على أن من أنزل ثوبه إزارًا أو قميصا أو سروالاً أو (مشلحا) إلى أسفل من الكعبين فإنه قد أتى كبيرة من كبائر الذنوب ، سواء فعل ذلك خيلاء أو لغير الخيلاء .

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٢ / ١٣٦) والبخاري (٣٦٦٥ ، ٥٧٨٤) ومسلم (٢٠٨٥) .

الكبيرة السادسة والخمسون

لبس الحرير والذهب للرجال

في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « **من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة** »(١) . وهذا عام في الجند وغيرهم لقوله ﷺ : « **حرم لبس الحرير والذهب على ذكور أمتي** »(٢) .

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : نهانا رسول الله ﷺ أن نشرب في آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها ، وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليها ، أخرجه البخاري(٣) .

فمن استحل لبس الحرير من الرجال فهو كافر ، وإنما رخص فيه الرسول ﷺ لمن به حكة أو جرب أو غيره(٤) ، وللمقاتلين عند لقاء العدو . أما لبس الحرير

الكبيرة السادسة والخمسون

الذهب والحرير

إن من الناس من خلعوا لباس التقوى في لباس ما حرم الله عليهم من الزينة كأنهم شاركوا الرب سبحانه في التحليل التحريم فأحلوا لأنفسهم ما حرم الله عليهم أونابذوا الله تعالى في المعصية فاجترءوا على معصية الله غير مبالين بذلك . ولقد لبس قوم الذهب لبسوه في أيديهم خواتيم وأسورة ولبسوه في أعناقهم قلائد وسلاسل ولبسوه في صدورهم

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري (٥٨٣٢) ومسلم (٢٠٧٣) .

(٢) **صحيح:** رواه أحمد (٤ / ٣٩٦) والترمذي (١٧٢٠) وابن ماجه (٣٥٩٥) النسائي (٨/ ١٦) صححه الشيخ في الأرواء (٢٧٧) وغاية المرام (٧٧) .

(٣) **صحيح:** رواه البخاري (٥٨٣٧) ومسلم (٢٠٦٧) .

(٤) **صحيح:** رواه أحمد (٣/ ٢٥٥ ، ٢٧٢) والبخاري(٢٩٢١ ، ٢٩٢٢)ومسلم(٢٠٧٦).

للزينة في حق الرجال فحرام بإجماع المسلمين ، سواء كان قباء أو قبطيا أو كلوثة وكذلك إذا كان الأكثر حريراً كان حرامًا ، وكذلك الذهب لبسه حرام على الرجال ، سواء كان خاتمًا أو حياصة أو سقط سيف حرام لبسه وعمله .

وقد رأى النبيﷺ في يد رجل خاتمًا من ذهب فنزعه وقال : « **يعمد أحدكم إلى جمرة من النار فيجعلها في يده** »(١) . وكذلك طراز الذهب وكلوثة الزركش حرام على الرجال . واختلف العلماء في جواز إلباس الصبي الحرير والذهب فرخص فيه قوم ومنع آخرون لعموم قولهﷺ عن الحرير والذهب : « **هذان حرام على ذكور أمتي حل لإناثهم** »(٢) ، فدخل الصبي في النهي ، وهذا مذهب الإمام أحمد وآخرين رحمهم الله .

فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم .

* * *

أزارير ومرصعات سبحان الله رجال يتحلون بالذهب لينزلوا عن كمالهم الذي وهبهم الله إياه إلى نقص النساء ﴿**أَوَ مَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ**﴾ [الزخرف: ١٨] نزلوا بأنفسهم ليشاركوا النساء فيما خصهن الله به من الزينة تلك الزينة التي خصت بها المرأة لتتجمل بها لزوجها فيرغب فيها ولتجبر بها ما كان فيها من نقص . إن مقتضى الرجولة أن يكون الرجل كاملا برجولته يتطلب ما به كمال رجولته من شهامة وكرم ونظر في شؤون دينه ودنياه وليس بحاجة أن ينزل بنفسه إلى مستوى النساء وتتبع مثل هذه السفاسف التي تبعده عن ما هيىء له من الشئون العظيمة المثمرة في حياته الخاصة وحياة مجتمعة .

أيها المسلمون لقد حرم رسول الله ﷺ لباس الذهب على ذكور أمته فروي الإمام أحمد وأصحاب السنن عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبيﷺ أخذ حريرا وذهبا فقال

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٠٩٠) .

(٢) صحيح: سبق تخريجه .

. . . .

هذان حرم على ذكور أمتي حل لإناثهم[١] قف وتأمل قوله ﷺ على ذكور أمتي فإن هذه الإضافة تقتضي تأكيدًا على المسلم في التزامه بهذا الحكم وتجنبه لما حرمه رسوله إذا كان من أمته . وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ رأى خاتمًا من ذهب في يد رجل فنزعه وطرحه وقال : يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ خذ خاتمك انتفع به فقال لا والله لا آخذه وقد طرحه رسول الله ﷺ [٢] . وفي سنن النسائي عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رجلا قدم من نجران إلى رسول الله ﷺ وعليه خاتم من ذهب فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال إنك جئتني وفي يدك جمرة من نار[٣] . وروي الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال من مات من أمتي وهو يتحلى بالذهب حرم الله عليه لباسه وهو في الجنة[٤] . فهل بعد هذه الأدلة الواضحة خيار للرجل في لباس الذهب والتحلي به . مرة يصرح النبي ﷺ بأنه حرام ومرة يصرح بأنه جمرة من نار . يجعلها الإنسان في يده ومرة يقول من مات وهو يتحلى به حرم الله عليه لباسه في الجنة أفبعد هذا يختار مؤمن أن يلبس ذهبا **﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾** [الأحزاب: ٣٦]. فاتق . الله أيها المؤمن وتجنب ما حرم الله عليك وتب إلى ربك قبل موتك فتصدق بما تلبسه من ذهب على أهلك أو غيرهم من قراباتك والذي أرى أن تتصدق به على غير أهلك حتى يبتعد عنك فلا تسول لك نفسك فيما بعد أن ترجع إليه لكونك تشاهده عليهم وإن أفظع من ذلك أن يلبس الرجل خاتمًا يكتب عليه اسم زوجته وتلبس زوجته خاتمًا تكتب عليه اسم زوجها عمل لا أصل له عند المسلمين ، وإنما أصله من النصارى حين يضع الرجل الخاتم للزوجة على رأس إبهام الزوجة في اليد اليسرى ويقول باسم الأب ثم ينقله في السبابة ويقول باسم الإبن ثم ينقله في الوسطى ويقول باسم روح القدس وهذا إليه النصارى لأنهم يقولون إن الله ثالث ثلاثة ثم ينقله إلى

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) سبق تخريجه .

. . . .

البنصر قائلاً آمين فيستقر في البنصر الذي بين الوسطى والخنصر فيسوغ للمؤمن أن يتلقى عادة كان أصلها من النصارى ويتقلها إلى المسلمين وهم مأمورون بمجانبتهم والبعد عنهم حتى قال النبي ﷺ من تشبه بقوم فهو منهم(١) . قال شيخ الإسلام ابن تيمية أقل أحوال هذا الحديث التحريم وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم . فهذه العادة السيئة هي سيئة في نفسها فإن اقترن بها عقيدة فاسدة ازدادت سوءا قد يقترن بها اعتقاد أنها صلة ورابطة بين الزوج وزوجته وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله أن ذلك سبب يوجب المحبة والصلة وليس في معلومنا أنها سبب طبيعي للصلة والمحبة فإن انتفى السببان الشرعي والطبيعي لم يبق لجعلها سوى الوهم والخيال الذي لا ينبغي للعاقل فضلا عن المؤمن أن يبني تصرفه وعمله عليهما وكم من شخص لبس اسم زوجته ولبست اسمه وانفضمت عرى المحبة والصلة بينهما وكم من أشخاص لا يعرفون هذه العادات أو عرفوها وحكموا عقولهم فلم يفعلوها وكانت المحبة والصلة بينهم وبين زوجاتهم على أعلى ما يكون .

ومن ذلك لبس الرجل الحرير الطبيعي فكل لباس من حرير سواء كان ثوبا أو سروالا أم شرابا أو غتره أم طقيه أم غيرها فهو حرام على الرجال . ففي الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لا تلبسوا الحرير فإن من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة وقال إنما يلبس الحرير من لا أخلاق له(٢) ، .

ومن ذلك لباس خاتم الخطبة الذي يسمونة (الدبلة) فهو سيء للرجال والنساء لأن هذه العادة سرت من النصارى ، قاله محدث الشام في عصره الألباني قال ويرجع ذلك إلى عادة قديمة يضع الرجل العروس الخاتم على إبهام العروسة المرأة ويقول باسم الأب ثم يضعه على رأس السبابة ويقول باسم الابن يعنون بالأب الله وبالابن عيسى تعالى الله عن قولهم ثم يضعه على رأس الوسطى ويقول باسم روح القدس وعندما يقول آمين يضعه في البنصر حيث يستقر .

---

(١) سبق تخريجه من حديث أبي داود وأحمد وهو صحيح.

(٢) سبق تخريجه من حديث أبي داود وأحمد وهو صحيح.

. . . .

.

أيها المسلم إذا كانت هذه العادة متلقاة من النصارى فكيف ترضى لنفسك بصفتك مسلما أن تقلدهم فيها وتتشبه بهم وقد علمت أن نبيك ﷺ قال : « **من تشبه بقوم فهو منهم**» [١]كيف تذهب بعقلك إلى هذه الخرافة التي لا حقيقة لها ؟ فليست الدبلة بالتي إلى هذه المودة وليس عدمها بالذي يطرد المودة . وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن الرقي والتمائم والتولة شرك** » [٢]. وفسر العلماء التولة بأنها شيء يضعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والدبلة شبيهة بالتولة لأنهم يعتقدون أنها رابطة بين الزوج وزوجته وهي بعيدة من ذلك فليست بربط شرعي لأن الربط الشرعي بين الزوجين يكون بعقد النكاح وليس ربطا كونيا لأنها لا تأثير لها حسا سوى ما يقع في وهم لا بسيها بناء على عقيدة لا أصل لها ولا تعجبوا أن تكون التولة نوعا من الشرك وذلك لأن الخلق والأمر كله لله عز وجل وحده فوضع السببية في الأسباب إلى الله وحده فمن جعل شيئًا ما سبب لشيء لم يجعله الله سببًا له فقد شارك الله فيما يختص به . إذن فخاتم الخطبة (الدبلة) إن كان من ذهب فهو حرام سيء على الرجل من جهتين من جهة أنه ذهب ومن جهة العقيدة الفاسدة والتقليد الأعمى الذي مصدره من النصارى وإن كان غير ذهب أو استعملته الأنثى فهو سيء من جهة واحدة.

(١ ، ٢)سبق تخريجهما.

الكبيرة السابعة والخمسون

إبـاق العبد

روي مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : « **إذا أبق العبد لم تقبل له صلاة** » [١] وقال ﷺ : « **أيما عبد أبق فقد برئت منه الذمة** » [٢] وروي ابن خزيمة في صحيحه من حديث جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « **ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ولا يصعد لهم إلى السماء حسنة : العبد الآبق حتى يرجع إلى مولاه ، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى ، والسكران حتى يصحو** » [٣] . وعن فضالة بن عبيد مرفوعًا : « **ثلاثة لا يسأل عنهم : رجل فارق الجماعة وعصى إمامه ، وعبد آبق ومات عاصيا ، وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفاها المؤونة فتبرجت بعده** » [٤] أي أظهرت

الكبيرة السابعة والخمسون

إبـاق العبـد

العبد : يعني المملوك وإباقه : هربه من سيده وذلك أن العبد مملوك للسيد في ذاته ومنافعه فإذا هرب فقد فوت على سيده ذلك . وقد ورد الوعيد في هذا بأنه يكون كافرًا وأن الذمة بريئة منه وأنه لا تقبل صلاته .

فهذه ثلاث عقوبات والعياذ بالله :

الأولى : أنه برئت منه الذمة كما في حديث جرير رضي الله عنه .

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٧٠) وأبو داود (٣٦٠) .

(٢) صحيح: رواه مسلم (٦٩) .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) صحيح: رواه أحمد (٦ / ١٩) والبخاري في الأدب المفرد (٥٩٠) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٤٢) .

محاسنها كما يفعل أهل الجاهلية وهم ما بين عيسى ومحمد ﷺ. كذا ذكره الواحدي رحمه الله .

* * *

الثانية : أنه كافر ولكنه ليس كفرًا مخرجًا عن الملة . .

الثالثة : أنه لا تقبل صلاته . فالعبد إذا أبق وهرب من سيده ثم صلى . فلا صلاة له واختلف العلماء رحمهم الله : هل صلاته غير مقبولة لا الفريضة ولا النافلة ؟ أو أنها النافلة فقط ؟

فمن العلماء من قال : صلاة الفريضة مقبولة . لأن زمنها مستثنى شرعًا ولأنه سوف يصلي سواء كان عند سيده أو أبقا منه .

ومنهم من قال إن الحديث عام ولا يمتنع أن يعاقب بذلك . ويكون المراد بنفي القبول بالنسبة للنوافل نفي الصحة . والنسبة للفرائض نفي الإثابة . وهذا جمع حسن .

الكبيرة الثامنة والخمسون

الذبح لغير الله عز وجل

مثل من يقول : بسم الشيطان أو الصنم أو باسم الشيخ فلان . قال الله تعالى : ﴿ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾ [1].

قال ابن عباس : يريد الميتة والمخنقة إلى قوله : ﴿وما ذبح على النصب﴾ . وقال الكلبي : ما لم يذكر اسم الله عليه أو يذبح لغير الله تعالى . وقال عطاء : ينهى عن ذبائح كانت تذبح قريش والعرب على الأوثان وقوله : ﴿ وإنه لفسق﴾ يعني : وإن كان ما لم يذكر اسم الله عليه من الميتة فسق أو خروج عن الحق والدين ﴿ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم﴾ [2] أي يوسوس الشيطان لوليه فيلقى في قلبه الجدال بالباطل ، وهو أن المشركين جادلوا المؤمنين في الميتة . قال ابن عباس أوحي الشيطان إلى أوليائه من الإنس كيف تعبدون شيئًا لا تأكلون ما يقتل وأنتم تأكلون ما

الكبيرة الثامنة والخمسون

الذبح لغير الله عز وجل

قول النبي ﷺ : « لعن الله من ذبح لغير الله » . لعن الله من ذبح لغير الله . وذلك أن الذبح لغير الله شرك لأنه عبادة والعبادة إذا صرفها الإنسان لغير الله كان مشركًا . قال الله تعالى : ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين (١٦٢) لا شريك له ﴾ [الأنعام : ١٦٢] .

وقال تعالى : ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ [الكوثر : ٢] .

فأمر بالصلاة وأمر بالنحر وأن ذلك لله عز وجل . فكما أن من صلى لغير الله فهو مشرك. فمن ذبح لغير الله فهو مشرك . وهذا إذا وقع الذبح عبادة وتقربًا وتعظيمًا . أما إذا وقع الذبح لغير الله على سبيل الإكرام كإكرام الضيف مثلاً . لو نزل بك ضيف

(١ ، ٢) سورة الأنعام : ١٢١ .

قتلتم ؟ فأنزل الله هذه الآية ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ يعني في استحلال الميتة ﴿ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ ، قال الزجاج : وفي هذا دليل على أن كل من أحل شيئًا مما حرم الله أو حرم شيئًا مما أحل الله فهو مشرك ، فإن قيل : كيف أبحتم ذبيحة المسلم إذا ترك التسمية والآية كالنص في التحريم ؟ قلت : إن المفسرين فسروا ﴿مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ في هذه الآية بالميتة ولم يحمله أحد على ذبيحة المسلم إذا ترك التسمية وفي الآية أشياء تدل على أن الآية في تحريم الميتة ومنها قوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ ولا يفسق آكل ذبيحة المسلم التارك للتسمية ، ومنها قوله : ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾ والمناظرة إنما كانت في الميتة بإجماع المفسرين لا في ذبيحة تارك التسمية من المسلمين ، ومنها قوله : ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ والشرك في استحلال الميتة لا في استحلال الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها ، وقد أخبرنا أبو منصور بإسناده عن أبي هريرة ﷺ قال : سأل رجل رسول الله ﷺ فقال : أرأيت الرجل منا يذبح وينسى أن يسمي الله تعالى ؟ فقال النبي ﷺ : « **اسم الله على فم كل مسلم** »[1] .

وأخبرنا أبو منصور أيضًا بإسناده عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال : « **يكفيه اسمه وإن نسي يسمي حين يذبح فليسم ويذكر الله ثم ليأكل** »[2] .

فذبحت له ذبيحة من أجل أن تقدمها له ليأكلها فلا بأس . بل هذا مما يؤمر به لقول النبي ﷺ : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه** »[3] .

وإذا كان من إكرام الضيف أن تذبح له ذبيحة إكرامًا لقدومه . فهذا مما يؤمر به . وتارة يذبح لغير الله يعني لقصد الأكل . إنسان يريد أن يأكل لحمًا فذبح ذبيحة يريد بها

---

(١) موضوع: رواه ابن عدي (٦ / ٣٩٥) والدارقطني (٤ / ٢٨٥ / ٩٤) والطبراني في الأوسط (٤٧٦٩) وقال الألباني موضوع في ضعيف الجامع (٩٥٥) .

(٢) صحيح موقوف : رواه الدارقطني(٤ / ٢٩٦/ ٩٦ ، ٩٨)والبيهقي(٩ /٢٣٩) ورجع البيهقي الموقوف.

(٣) سبق تخريجه .

وأخبرنا عمرو بن أبي عمرو بإسناده عن عائشة ﵂ أن قوما قالوا : يا رسول الله إن قوما يأتونا باللحم لا ندري أذكر اسم الله عليه أم لا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **سموا عليه وكلوا** »(١) ، هذا آخر كلام الواحدي رحمه الله وقد تقدم قوله ﷺ : « **لعن الله من ذبح لغير الله** »(٢) .

* * *

الأكل هذا أيضًا ليس بشرك هذا أمر عادي . يأكل الإنسان طعامًا . لكن الشرك إذا ذبحه تعبدًا وتقربًا وتعظيمًا . مثل ما يفعل بعض الناس لملوكهم أو رؤسائهم أو علمائهم . إذا أقبل ذبحوا الذبيحة بوجهه إكرامًا وتعظيمًا . هذا شرك أكبر مخرج من الملة . وهذا مع كونه شركًا حرم الله على فاعله الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار وهو أيضًا ملعون فاعله .

(١) صحيح : رواه مالك (٢ / ٤٨٨ / ١) والبخاري (٥٥٠٧) .

(٢) سبق تخريجه .

الكبيرة التاسعة والخمسون
فيمن ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم

عن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام** »[1] رواه البخاري . وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كافر** » رواه البخاري[2] .

وفيه أيضًا : « **من أدعى إلى غير أبيه فعليه لعنة الله** »[3] . وعن زيد بن شريك قال : رأيت عليا رضي الله عنه يخطب على المنبر فسمعته يقول : والله ما عندنا من كتاب نقرؤه إلا كتاب الله تعالى وما في هذه الصحيفة فنشرها ، فإذا فيها أسنان الأبل وشيء من الجراحات ، وفيها : قال رسول الله ﷺ : « **المدينة حرام ما بين عير إلى ثور ، فمن أحدث فيها حدثا ، أو أوى محدثا فعليه لعنه الله والملائكة والناس**

الكبيرة التاسعة والخمسون
فيمن ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم

أما النسب : فإن الإنسان يجب عليه أن ينتسب إلى أهله : أبيه ، جد أبيه ، . . . وما أشبه ذلك ولا يحل له أن ينتسب إلى غير أبيه وهو يعلم أنه ليس بأبيه . فمثلا : إذا كان أبوه من القبيلة الفلانية . ورأى أن هذه القبيلة فيها نقص عن القبيلة الأخرى فانتمى إلى قبيلة ثانية أعلى حسبًا . لأجل أن يزيل عن نفسه عيب قبيلته . فإن هذا والعياذ بالله ملعون عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلاً

---

(١) صحيح . رواه البخاري (٦٧٦٧) ومسلم (٦٣) .

(٢) صحيح : رواه البخاري (٦٧٦٨) ومسلم (٦٢) .

(٣) صحيح : رواه مسلم (١٣٧٠) .

أجمعين، لا يقبل الله يوم القيامة منه صرفا ولا عدلا ، ومن تولى غير مواليه فعليه مثل ذلك ، وذمة المسلمين واحدة » رواه البخاري [(١)] . وعن أبي ذر أنه سمع النبي ﷺ يقول : **«ليس من رجل ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه إلا كفر ، ومن ادعى ما ليس له فليس منا وليتبوأ مقعده من النار ، ومن دعا رجلا بالكفر أو قال يا عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه »** أي رجع عليه ، رواه مسلم [(٢)] . فنسأل الله العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى أنه جواد كريم .

* * *

وأما إذا انتمى الإنسان إلى جده وأبي جده وهو مشهور معروف دون أن ينتفي من أبيه فلا بأس بهذا.

فقد قال النبي ﷺ : **« أنا ابن عبد المطلب أنا النبي لا كذب »** . .

مع أنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب . فعبد المطلب جده ولكنه ﷺ قال ذلك في غزوة حنين . لأن عبد المطلب أشهر من أبيه عبد الله وهو عند قريش في المكانة العليا فلهذا قال أنا ابن عبد المطلب . لكنه من المعلوم أنه محمد بن عبد الله ولم ينتف من أبيه.

وكذلك أيضًا الناس ينتسبون إلى اسم القبيلة : فيقول مثلاً : أحمد بن تيمية وما أشبه ذلك مما ينتسب إلى القبيلة .

لكن المهم الذي عليه الوعيد الذي ينتمي إلى غير أبيه . لأنه غير راضٍ بحسبه ونسبه فيريد أن يرفع نفسه ويدفع خسيسته بالإنتماء إلى غير أبيه فهذا هو الذي عليه اللعنة . والعياذ بالله ـ يوجد ـ والعياذ بالله ـ من يفعل ذلك للدنيا . ينتسبون إلى أعمامهم دون آبائهم. للدنيا مثل ما يوجد الآن أناس لديهم جنسيتان ينتسب إلى عمه أو إلى خاله أو ما أشبه ذلك لينال بذلك شيئًا من الدنيا . هذا أيضًا حرام عليه . ولا يحل عليه ذلك والواجب على من كان كذلك أن يعدل بتبعيته وجنسيته وكذلك بطاقته ولا يبقيها على ما هي عليه . ومن اتقى الله جعل له من أمره يسرا ورزقه من حيث لا يحتسب .

(١) صحيح: رواه البخاري (١٨٧٠) (٦٧٥٥) ومسلم (١٣٧٠) .

(٢) صحيح: رواه البخاري (٦٠٤٥) ومسلم (٦١) .

الكبيرة الستون

الجدل والمراء واللدد

قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ . وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [١] .

ومما يذم من الألفاظ : المراء ، والجدال ، والخصومة .

قال الإمام « حجة الإسلام » الغزالي رحمه الله : « المراء طعنك في كلام الغير لإظهار خلال فيه لغير غرض سوى تحقير قائله وإظهار مزيتك عليه . وقال : وأما الجدال فعبارة عن أمر يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها . قال : وأما الخصومة فلجاج في الكلام ليستوفي به مقصودا من مال أو غيره وتارة يكون ابتداء وتارة يكون

الكبيرة الستون

الجدل والمراء واللدد

قوله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ ادع إلى سبيل ربك : يعني : إلى دين الله ، لأن سبيل الله هو دين حيث إنه يوصل إلى الله تعالى ، فمن سلك هذا الدين أوصله إلى الله سبحانه وتعالى ، ولأن هذا الدين وضعه الله عز وجل وشرعه لعباده ، ولهذا أضيف إليه فقيل : سبيل الله .

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ أي بثلاثة أمور :

أولاً : الحكمة : وذلك بأن تنزل الأمور منازلها ، في الوقت المناسب ، والكلام

---

(١) سورة البقرة : ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

اعتراضًا والمراء لا يكون إلا اعتراضًا . هذا كلام الغزالي [١] .

وقال النووي رحمه الله : اعلم أن الجدال قد يكون بحق وقد يكون بباطل ، قال الله تعالى : ﴿ **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ [٢] ، وقال الله تعالى : ﴿ **وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ [٣] ، وقال الله تعالى : ﴿ **مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾ [٤] ، قال : فإن كان الجدال للوقوف على الحق وتقريره كان محمودًا ، وإن كان في مدافعة الحق أو كان جدالا بغير علم كان مذمومًا ، وعلى هذا التفصيل تنزل النصوص الواردة في إباحته وذمه ، والمجادلة والجدال بمعنى واحد . قال بعضهم : ما رأيت شيئًا أذهب للدين ولا أنقص للمروءة ولا أشغل للقلب من الخصومة .

(فإن قلت) : لا بد للإنسان من الخصومة لاستيفاء حقوقه ، **(فالجواب)** : ما أجاب به الغزالي رحمه الله : اعلم أن الذم المتأكد إنما هو لمن خاصم بالباطل وبغير

المناسب ، والقول المناسب ، لأن بعض الأماكن لا تنبغي فيها الموعظة ، وبعض الأزمنة لا تنبغي فيها الموعظة وكذلك بعض الأشخاص لا ينبغي أن تعظهم في حال من الأحوال بل تنتظر حتى يكون مهيئًا لقبول الموعظة ، ولهذا قال : ﴿ **بالحكمة** ﴾ قال العلماء : الحكمة : وضع الأشياء في مواضعها .

ثانيًا : الموعظة الحسنة : يعني : اجعل دعوتك مقرونة بموعظة حسنة ، موعظة تلين القلب وترققه وتوجهه إلى الله ، بشرط أن تكون حسنة ، إن كان الترغيب فيها أولى فبالترغيب ، وإن كان الترهيب والتخويف فيها أولى فالبترهيب والتخويف .

وكذلك تكون حسنة من حيث الأسلوب والصياغة وكذلك تكون حسنة من حيث الإقناع . بحيث تأتي بموعظة تكون فيها أدلة مقنعة ، أدلة شرعية وأدلة عقلية تسند الشرعية

---

(١) الأحياء (٣ / ٢٦١) .

(٢) سورة العنكبوت : ٤٦ .

(٣) سورة النمل : ١٢٥ .

(٤) سورة غافر : ٤ .

علم كوكيل القاضي فإنه يتوكل في الخصومة قبل أن يعرف الحق في أي جانب هو فيخاصم بغير علم .

ويدخل في الذم أيضًا من يطلب حقه لأنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد والكذب والإيذاء والتسليط على خصمه ، كذلك من خلط بالخصومة كلمات تؤذي وليس له إليها حاجة في تحصيل حقه ، كذلك من يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره فهذا هو المذموم .

وأما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد وإسراف وزيادة لجاج على الحاجة من غير قصد عناد ولا إيذاء ، ففعل هذا ليس حرامًا ولكن الأولى تركه ما وجد إليه سبيلا ، لأن ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتزال متعذر ، والخصومة توغر الصدر وتهيج الغضب ، وإذا هاج الغضب حصل الحقد بينهما حتى يفرح كل واحد منهما بمساءة الآخر ويحزن لمسرته ويطلق لسانه في عرضه ، فمن خاصم فقد تعرض لهذه الآفات ، وأقل ما فيها اشتغال القلب حتى أنه يكون في صلاته ، وخاطره متعلق بالمحاجة والخصومة فلا تبقى حاله على الاستقامة . والخصومة مبدأ الشر وكذا الجدال والمراء فينبغي للإنسان ألا يفتح عليه باب الخصومة إلا لضرورة لابد منها .

روينا في كتاب الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **كفى بك إثما أن لا تزال مخاصما** »(١) ، وجاء عن علي رضي الله عنه قال : إن الخصومة لها قحم قلت : القحم بضم القاف وفتح الحاء المهملة وهي المهالك .

لأن بعض الناس يقنع بالأدلة الشرعية كالمؤمن الخلص ، فإن الله يقول : ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾ [الأحزاب :٣٦].

ومن الناس من لا يكتفي بالأدلة الشرعية ، بل يحتاج أن تسند الأدلة الشرعية عنده بأدلة عقلية ، ولهذا يستدل الله سبحانه وتعالى في آيات كثيرة بالأدلة العقلية على ما أوحاه

---

(١) ضعيف: رواه الترمذي (١٩٩٤) والطبراني (١١٠٣٢) والبيهقي في الشعب (٨٤٣٢) وقال الشيخ ضعيف فى ضعيف الجامع (٤١٩١) .

فصل

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط حتى ينزع** » [(١)] .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدال ثم تلا ﴿ما ضربوه لك إلا جدلا﴾** » [(٢)] .

وقال ﷺ : « **أخوف ما أخاف عليكم زلة عالم وجدال منافق في القرآن ودنيا تقطع أعناقكم فاتهموها فى نفوسكم** » رواه ابن عمر [(٣)] .

وقال النبي ﷺ : « **المراء في القرآن كفر** » [(٤)] .

إلى نبيه من الأدلة الشرعية .

هنا ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ أحاديث متعددة في بيان حسن الخلق ، وأن من أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ أحاسنهم أخلاقا ، فكلما كنت أحسن خلقا كنت أقرب إلى الله ورسوله من غيرك ، وأبعد الناس منزلة من رسول الله ﷺ الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون.

الثرثارون : الذين يكثرون الكلام ويأخذون المجالس عن الناس ، فإذا جلس في المجلس أخذ الكلام عن غيره ، وصار كأن لم يكن في المجلس إلا هو ، ولا يدع غيره يتكلم وهذا لا شك أنه نوع من الكبرياء .

لكن لو فرضنا أن أهل المجلس فوضوه وقالوا أعطنا نصيحة ، أعطنا موعظة فتكلم فلا حرج ، إنما في الكلام العادي كونك تملك المجلس ولا تدع أحد يتكلم ، حتى إن بعض

---

(١) ضعيف: رواه ابن أبي الدنيا في الصمت (١٥٣) وفي الغيبة (١٤) وهو ضعيف . ضعيف الجامع (٥٥٥١) .

(٢) صحيح: رواه أحمد (٥ / ٥٥٢) والترمذي (٣٢٥٣) وابن ماجه (٤٨) وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٦٣٣).

(٣) ضعيف: رواه البيهقي في الشعب (١٠٣١١ ، ١٠٣١٣) وإسناده ضعيف .

(٤) صحيح: رواه أحمد (٢ / ٢٨٦ ، ٣٠٠) وأبو داود (٤٦٠٣)صحيح الجامع (٦٦٨٧) .

فصل

يكره التغيير في الكلام بالتشدق ، وتكلف السجع بالفصاحة بالمقدمات التي يعتادها المتفاصحون ، فكل ذلك من التكلف المذموم ، بل ينبغي أن يقصد في مخاطبته لفظا يفهمه جاليا ولا يثقله .

روينا في كتاب الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة**»[1] .

قال الترمذي : حديث حسن . وروينا فيه أيضًا عن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون**». قالوا : يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون ، فما المتفيهقون؟ قال : « **المتكبرون** » قال الترمذي : حديث حسن [2] . قال : والثرثار هو كثير

الناس يحب أن يتكلم لكن لا يستطيع أن يتكلم ، يخشى من مقاطعة هذا الرجل الذي ملك المجلس بكلامه .

كذلك أيضًا المتشدقون ، والمتشدق : هو الذي يتكلم بملء شدقيه ، تجده يتكلم وكأنه أفصح العرب تكبرا وتبخترا ، ومن ذلك يتكلم باللغة العربية أمام العامة ، فإن العامة لا يعرفون اللغة العربية ، لو تكلمت بينهم باللغة العربية لعدوا ذلك من باب التشديق في الكلام والتنطع ، أما إذا كنت تدرس لطلبة فينبغي أن تتكلم باللغة العربية ، لجل أن تمرنهم على اللغة العربية وعلى النطق بها ، أما العامة الذين لا يعرفون فلا ينبغي أن نتكلم فيهم باللغة العربية ، بل نتكلم معهم بلغتهم التي يعرفون ، ولا تغرب في الكلمات ، يعني لا نأتي بكلمات غريبة تشكل عليهم ، فإن ذلك من التشدق في الكلام .

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢ / ١٦٥ ، ١٨٧) وأبو داود (٥٠٠٥) والترمذي (٨٥٣) الصحيحة (٨٧٨).

(٢) حسن: رواه الترمذي(٢٠١٨)وحسنه الشيخ في صحيح الجامع(٢٢٠١)والصحيحة (٧٩١).

الكلام ، والمتشدق : من يتطاول على الناس في الكلام ويبذو عليهم .

واعلم أنه لا يدخل في الذم تحسين ألفاظ الخطب والمواعظ إذا لم يكن فيها إفراط وإغراب ، إلا أن المقصود منها تهييج القلوب إلى طاعة الله تعالى ولحسن اللفظ في هذا أثر ظاهر ، والله أعلم .

❊ ❊ ❊

أما المتفيهقون : فقد وصفهم النبي ﷺ بالمتكبرين ، المتكبر الذي يتكبر على الناس ويتفيهق ، وإذا قام يمشي كأنه يمشي على ورق من تكبره وغطرسته ، فإن هذا لا شك خلق ذميم ، ويجب على الإنسان أن يحذر منه ، لأن الإنسان بشر فينبغي أن يعرف قدر نفسه ، حتى لو أنعم الله عليه بمال ، أو أنعم عليه بعلم ، أو أنعم عليه بجاه . ينبغي أن يتواضع، وتواضع هؤلاء الذين أنعم الله عليهم بالمال والعلم والجاه أفضل من تواضع غيرهم ممن لا يكون كذلك .

ولهذا جاء في الحديث من الذين لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم : « **عائل متكبر** »[١] ، لأن العائل لا داعي لاستكباره ، والعائل هو الفقير ، فهؤلاء من الله عليهم بالعلم والمال والجاه كلما تواضعوا صاروا أفضل ممن تواضع من غيرهم الذين لم يمن الله عليهم بذلك .

فينبغي لكل من أعطاه الله نعمة أن يزداد شكرًا لله ، وتواضعا للحق وتواضعا للخلق، وفقني الله والمسلمين لأحاسن الأعمال والأخلاق وجنبنا والمسلمين سيئات الأخلاق والأعمال إنه جواد كريم .

---

(١) سبق تخريجه .

الكبيرة الحادية والستون

منع فضل المــاء

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴾ (١) .

قال النبي ﷺ : « لا تمنعوا فضل الماء لتمنعوا به الكلأ » (٢) .

وقال ﷺ : « من منع فضل مائه وفضل كلئه منعه الله فضله يوم القيامة » (٣) .

وقال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : رجل على فضل ماء بفلاة يمنعه ابن السبيل ، ورجل بايع إماما لا يبايعه إلا للدنيا فإن أعطاه منها وفي له وإن لم يعطه منها لم يف له ، ورجل بايع رجلا بسلعة بعد العصر فحلف له بالله لأخذتها بكذا وكذا فصدقه وهو على غير ذلك » أخرجاه في الصحيحين وزاد في البخاري : « ورجل منع فضل مائه فيقول الله اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك » (١) .

الكبيرة الحادية والستون

منع فضل الماء

فى الحديث رجل على فضل ماء في فلاة يمنعه ابن السبيل يعني إنسان عنده ماء من مزرعة أو بئر أو غير ذلك في أرض فلاة خالية من السكان يمر الناس من عنده ليشربوا فيمنعهم والعياذ بالله .

هذا لا يكلمه الله يوم القيامة ولا ينظر إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم . وما بالك بحال رجل هذا حاله لا يكلمه الله يوم القيامة ولا ينظر إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم يوم القيامة .

---

(١) سورة الملك : ٣٠ .

(٢) صحيح : رواه البخاري (٢٣٥٣) ومسلم (١٥٦٦) .

(٣) صحيح : رواه أحمد (٢ / ١٧٩ ، ٢٢١) وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٤٢٢) .

(٤) صحيح : رواه البخاري (٢٣٥٨) ومسلم (١٠٨) .

الكبيرة الثانية والستون
نقص الكيل والزرع وما أشبه ذلك

قال الله تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ يعني الذين ينقصون الناس ويبخسون حقوقهم في الكيل والوزن . قوله : ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [(١)] يعني يستوفون حقوقهم منها . قال الزجاج : المعنى إذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم وكذلك إذا اتزنوا ولم يذكر (إذا اتزنوا) لأن الكيل والوزن بهما الشراء والبيع فيما يكال ويوزن فأحدهما يدل على الآخر . ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ أي ينقصون في الكيل والوزن .

وقال السدي : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وبها رجل يقال له أبو جهينة له ميكالان يكيل بأحدهما ويكتال بالأخر فأنزل الله هذه الآية [(٢)] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « خمس بخمس » ، قالوا:

الكبيرة الثانية والستون
تطفيف الكل والميزان

قال تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ . الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾

[المطففين : ١ ، ٢].

* **ويل** : كلمة وعيد ، يتوعد الله عز وجل المطففين الذين هذه صفاتهم إذا أكتالوا على الناس يستوفون ، يعني إذا كان الحق لهم ، واكتالوا فإنهم يستوفون حقهم كاملاً، وإذا أكالوهم أو وزنوهم يخسرون يعني إذا كان الحق عليهم وكالوا لهم أو وزنوا لهم ، يخسرون أي يبخسون الكيل والميزان . فيظلمون من الوجهين ، أو يطلبون العدل فيما يتعاملون به ، ويبخسون فيما يعاملون الناس به ، وهذا هو المطفف ، وهذه الآية وإن

---

(١) سورة المطففين : ١ ، ٢ .

(٢) أسباب النزول للواحدي (٩٠٩) وزاد المسير (٩ / ٥٢) .

يا رسول الله ﷺ وما خمس بخمس ؟ قال : « **ما نقص قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم ، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر ، وما ظهرت الفاحشة إلا أنزل الله بهم الطاعون** (يعني كثرة الموت) ، **ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ، ولا منعوا الزكاة إلا حبس الله عنهم المطر** »[(١)] .

﴿ **أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ** ﴾ قال الزجاج : المعنى لو ظنوا أنهم مبعوثون ما نقصوا في الكيل والوزن ﴿ **لِيَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴾ أي يوم القيامة . ﴿ **يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ** ﴾ من قبورهم ﴿ **لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ أي لأمره ولجزائه وحسابه ، وهم يقومون بين يديه لفصل القضاء . وعن مالك بن دينار قال : دخل على جار لي وقد نزل به الموت وهو يقول: جبلين من نار ، جبلين من نار . قال : قلت : ماذا تقول ؟ . قال : يا أبا يحيى كان لي مكيالان كنت أكيل بأحدهما وأكتال بالآخر . وقال مالك بن دينار : فقمت فجعلت أضرب أحدهما بالآخر ، فقال : يا أبا يحيى كلما ضرب أحدهما بالآخر ازداد الأمر عظما وشدة فمات في مرضه .

كانت قد وردت في المكيال والميزان إلا أن العامل حتى الموظف إذا كان يريد أن يعطي راتبه كاملاً لكنه يتأخر في الحضور أو يتقدم في الخروج فإنه من المطففين الذي توعدهم الله بالويل ، لأنه لا فرق بين إنسان يكيل أو يزن للناس وبين إنسان موظف عليه أن يحضر في الساعة الفلانية ولا يخرج إلا في الساعة الفلانية ثم يتأخر في الحضور ، ويتقدم في الخروج، هذا مطفف ، وهذا المطفف في الوظيفة لو نقص من راتبه ريال واحد من عشرة ألاف ، لقال لماذا تنقص ؟؟

هذا مطفف يدخل في هذا الوعيد ﴿ **وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ . الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ** ﴾ ثم قال تعالى منكرًا عليهم ﴿ **أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴾ يعني هل هؤلاء نسوا اليوم الحساب ، نسوا يوم القيامة الذي ما أقرب منه .

فالإنسان في هذه الدنيا ليس معه ضمان أن يعيش ولا لحظة واحدة ، يموت الإنسان وهو يتغذى أو يتعشى ، يموت وهو نائم ، يموت وهو على مكتبه ، يموت وهو ذاهب

---

(١) سبق تخريجه .

والمطفف : هو الذي ينقص الكيل والوزن وسمي مطففا لأنه لا يكاد يسرق إلا الشيء الطفيف ، وذلك ضرب من السرقة والخيانة وأكل الحرام . ثم وعد الله من فعل ذلك بويل وهو شدة العذاب وقيل واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره . وقال بعض السلف : أشهد على كل كيال أو وزان بالنار لأنه لا يكاد يسلم إلا من عصم الله . وقال بعضهم : دخلت على مريض وقد نزل به الموت فجعلت ألقنه الشهادة ولسانه لا ينطق بها ، فلما أفاق قلت له : يا أخي مالي ألقنك الشهادة ولسانك لا ينطق بها ؟ قال : يا أخي لسان الميزان على لساني يمنعني من النطق بها . فقلت له : بالله أكنت تزن ناقصا ؟ قال : لا والله ولكن ما كنت أقف مدة لاختبر صحة ميزاني . فهذا حال من لا يعتبر صحة ميزانه فكيف حال من يزن ناقصًا ؟! .

وقال نافع : كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول : اتق الله وأوف الكيل والوزن ، فإن المطففين يوقفون حتى أن العرق ليلجمهم إلى أنصاف آذانهم ، وكذا التاجر إذا

لحاجته ، أو راجع منها ، ثم يأتي اليوم العظيم ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ . لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

استعظمه الله عز وجل ، بين على أنه عظيم ، فيدل على عظمه ، وقد وصف الله هذا اليوم في أيات كثيرة كلها تزعج وتروع وتخوف . هؤلاء سوف يتعرضون لعقوبة الله في ذلك اليوم ، هؤلاء المطففون سيتعرضون لعقوبة الله في ذلك اليوم ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يقوم الناس كلهم لرب العالمين من في مشارق الأرض ومغاربها يبعثون على صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر ، الداعي يسمعهم كلهم ، لأن الأرض مبسوطة غير كروية يغيب بعض الناس فيها عند بعض ، بل هي سطح واحد إذا تكلم أحد في أولهم سمعه أخرهم ، وينفذهم البصر يراهم الرائي بخلاف الدنيا الأرض منعطفة كروية لكن في الآخرة الأرض سطح واحد كما قال تبارك وتعالى : ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [الإنشقاق ٣ ـ ٤] .

تمد كما يمد الجلد ، هذا اليوم العظيم يقوم الناس فيه لله عز وجل للحساب والمعاقبة ،

شد يده في الذراع بوقت البيع وأرخى وقت الشراء ، وكان بعض السلف يقول : ويل لمن يبيع بحبة يعطيها ناقصة جنة عرضها السموات والأرض ، وويح لمن يشتري الويل بحبة يأخذها زائدة . فنسأل الله العفو والعافية من كل بلاء ومحنة إنه جواد كريم .

* * *

ومقدار هذا اليوم خمسون ألف سنة والشمس فوقهم بقدر ميل ولا شجرة يستظلون بها ولا بناء ولا شيء إلا من يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، أسأل الله أن يجعلني وإياكم منهم .

فهذا اليوم العظيم سيجد هؤلاء المطففون عقوبتهم في ذلك اليوم ، لا فيه ولد ينفع ولا أب ولا أم ولا زوجة ولا أحد ، لكل إمريء منهم يومئذ شأن يغنيه ، فليحذر هؤلاء المطففون وليتقوا الله عز وجل ويؤدوا الحق كاملاً وإن زاد فضلة فهو أفضل ، لهم أن يأخذوا حقهم كاملاً وإن تسامحوا فهو أفضل ، والله الموفق .

الكبيرة الثالثة والستون

الأمن من مكر الله

قال الله تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾ (١) أي أخذهم عذابنا من حيث لا يشعرون . قال الحسن : من وسع الله عليه فلم ير أنه يمكر به فلا رأي له ، ومن قتر عليه فلم ير أنه ينظر إليه فلا رأي له ثم قرأ هذه الآية : ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ .

وقال : مكر القوم ورب الكعبة أعطوا حاجتهم ثم أخذوا .

وعن عقبة بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إذا رأيت الله يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فإنما ذلك منه استدراج ثم قرأ : ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾** [الأنعام : ٤٤](٢) .

الكبيرة الثالثة والستون

الأمن من مكر الله

نقل المؤلف رحمه الله فيما كان يسوقه من أحاديث . عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « **اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك** » .

القلوب بيد الله عز وجل . كل قلب من قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه حيث يشاء . وكيف شاء عز وجل .

ولهذا كان ينبغي للإنسان أن يسأل الله دائمًا أن يثبته وأن يُصرف قلبه على طاعته . وإنما خص القلب لأن القلب إذا صلح صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله . كما

---

(١) سورة الأنعام : ٤٤ .

(٢) صحيح : رواه أحمد (٤ / ١٥٤) والطبراني (١٧ / ٣٣٠ / ٩١٣) والأوسط (٩٢٧٢) وصححه الشيخ في السلسلة الصحيحة (٤١٤) .

الإبلاس : اليأس من النجاه عند ورود الهلكة . وقال ابن عباس : أيسوا من كل خير . وقال الزجاج : المبلس الشديد الحسرة اليائس الحزين .

وفي الأثر : إنه لما مكر بإبليس ـ وكان من الملائكة ـ طفق جبريل وميكال يبكيان؟ فقال الله عز وجل لهما : ما لكما تبكيان ؟ قالا : يا رب ما نأمن مكرك . فقال الله تعالى : « **هكذا كونا لا تأمنا مكري** » [١] ، وكان النبي ﷺ يكثر أن يقول: «**يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك** » فقيل له : يا رسول الله أتخاف علينا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء**» [٢] .

وفي الحديث الصحيح : « **إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها** » [٣] .

صح ذلك عن النبي ﷺ حين قال : « **ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله** » [٤].

وقوله : « **صرف قلوبنا على طاعتك** » قد يتبادر إلى الذهن أن الأولى أن يقال : «**إلى طاعتك** » . لكن قوله : « **على طاعتك** » أبلغ . يعني قلب القلب على الطاعة فلا يتقلب على معصية الله . لأن القلب إذا تقلب على الطاعة صار ينتقل من طاعة إلى أخرى من صلاة إلى ذكر إلى صدقة إلى صيام إلى علم إلى غير ذلك من طاعة الله .

فينبغي لنا أن ندعو بهذا الدعاء « **اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك**» .

يعني أن الإنسان يجب أن يكون حذرًا من الوقوع في المحرمات ولا يتهاون ولا يغلبه الأمن من مكر الله ـ عز وجل ـ فإن بعض الناس يغره الشيطان : يقول : افعل المعصية

---

(١) لم أعثر عليه .

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢١٤٠) وابن ماجه (٣٨٣٤) وصححه الشيخ في ظلال الجنة (٢٢٥) وتخريج الإيمان لابن أبي شيبة (٧ / ٥٥ ـ ٥٨) .

(٣) صحيح: رواه البخاري (٧٤٥٤) ومسلم (٢٦٤٣) .

(٤) صحيح: رواه البخارى (١٥٣) ومسم (١٥٩٩) .

وفي صحيح البخاري عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : **«إن الرجل ليعمل بعمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ، ويعمل الرجل بعمل أهل الجنة وإنه من أهل النار ، وإنما الأعمال بالخواتيم»** [(١)] .

وقد قص الله تعالى في كتابه العزيز قصة بلعام ، وأنه سلب الإيمان بعد العلم والمعرفة [(٢)] ، وكذلك برصيصا العابد مات على الكفر [(٣)] ، وروي أنه كان رجل بمصر ملتزم المسجد للآذان والصلاة ، وعليه بهاء العبادة وأنوار الطاعة ، فرقي يوما المنارة على عادته للآذان ، وكان تحت المنارة دار لنصراني ذمي فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب الدار ـ وكانت جميلة ـ فافتتن بها وترك الآذان ونزل إليها فقالت له : ما شأنك وما تريد ؟ فقال : أنت أريد . قالت : لا أجيبك إلي ريبة . قال لها : أتزوجك ، قالت له : أنت مسلم وأبي لا يزوجني بك ، قال : أتنصر . قالت له: إن فعلت أفعل ، فتنصر ليتزوج بها وأقام معهم في الدار ، فلما كان في أثناء ذلك اليوم رقي إلى سطح كان في الدار فسقط فمات ، فلا هو فاز بدينه ولا هو تمتع

واستغفر الله . افعل المعصية ورحمة الله تعالي سبقت غضبه . افعل المعصية فقد قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ [النساء : ٤٨].

إلي غير ذلك من الأماني الكاذبة التي يغربها الشيطان بني آدم : ﴿ **وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً** ﴾ [النساء : ١٢٠] .

فالواجب الحذر مما نهى الله ورسوله عنه .

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٦٠٧) ومسلم (١١٢) .

(٢) ذكرها كثير من المفسرين كابن كثير وغيره راجعه إن شئت .

(٣) تلبيس إبليس ص ٤٤ ، ٤٧ .

بها [١] . نعوذ بالله من مكره وسوء العاقبة وسوء الخاتمة .

وعن سالم عن عبد الله قال : كان كثيرًا ما كان رسول الله ﷺ يحلف : « **لا ومقلب القلوب** » رواه البخاري [٢] ، ومعناه يصرفها أسرع من ممر الريح على اختلاف في القبول والرد . والإرادة والكراهة وغير ذلك من الأوصاف . وفي التنزيل: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ [٣] ، قال مجاهد : المعنى يحول بين المرء وعقله حتى لا يدري ما تصنع بنانه ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ [٤] أي عقل ، واختار الطبري أن يكون ذلك إخبارًا من الله تعالى أنه أملك لقلوب العباد منهم وأنه يحول بينهم وبينها إن شاء حتى لا يدرك الإنسان شيئًا إلا بمشيئة الله عز وجل. وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول : « **يا مقلب القلوب ثبت قلبي على طاعتك** » . فقلت : يا رسول الله إنك تكثر إن تدعو بهذا فهل تخشى؟ قال : « **وما يؤمنني يا عائشة وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء ، إذا أراد أن يقلب قلب عبد قلبه** » [٥] . فإذا كانت الهداية معروفة والاستقامة على مشيئته موقوفة والعاقبة مغيبة والإرادة غير مغالبة ، فلا تعجب بإيمانك وعملك وصلاتك وصومك وجميع قربك ذلك إن كان من كسبك ، فإنه من خلق ربك وفضله الدار عليك ، فمهما افتخرت بذلك كنت مفتخرًا بمتاع غيرك ، ربما سلبه عنك فعاد قلبك من الخير أخلى من جوف العير .

---

(١) ذم الهوى لابن الجوزي ص ٣٤٨ .

(٢) صحيح: رواه البخاري (٧٣٩١) وأبو داود (٣٢٦٢) والترمذي (١٥٤٠) .

(٣) سورة الأنفال : ٢٤ .

(٤) سورة ق : ٣٧ .

(٥) صحيح: رواه أحمد (٦ / ٩١) وابن أبي عاصم (٢٢٤) وصححه الشيخ في ظلال الجنة وأخرج مسلم نحوه (٢٦٥٤).

فكم من روضة أمست وزهرها يانع عميم ، أضحت وزهرها يابس هشيم ، إذ هبت عليها الريح العقيم ، كذلك العبد يمسي وقلبه بطاعة الله مشرق سليم ، ويصبح وهو بمعصية الله مظلم سقيم ، ذلك تقدير العزيز العظيم .

ابن آدم . الأقلام عليك تجري، وأنت في غفلة لا تدري، ابن آدم دع المغاني والأوتار، والمنازل والديار، والتنافس في هذا الدار، حتى ترى ما فعلت في أمرك الأقدار.

الكبيرة الرابعة والستون

الإياس من روح الله والقنوط

قال الله تعالى : ﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [1] .

وقال الله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ [2] .

وقال الله تعالى : ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾[3] .

وقال النبي ﷺ : « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله »[4] .

الهنا لولا محبتك للغفران ما أمهلت من يبارزك بالعصيان ، ولولا عفوك وكرمك ما سكنت الجنان .

الكبيرة الرابعة والستون

اليأس من روح الله

الإنسان إذا نزل به الضر فلا يتمنين الموت ، فإن هذا خطأ وسفه في العقل ، وضلال في الدين .

أما كونه سفه في العقل ، فلأن الإنسان إذا بقي في حياته ، فإما محسنا فيزداد ، وإما مسيئًا فيستعتب ويتوب إلى الله عز وجل ، وكونه يموت فإنه لا يدري ، فلعله يموت على أسوأ خاتمة والعياذ بالله ، لهذا نقول : لا تفعل فإن هذا سفه في العقل .

---

(١) سورة يوسف : ٨٧ .

(٢) سورة الشورى : ٢٨ .

(٣) سورة الزمر : ٥٣ .

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٨٧٧) .

اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعفو عنا .

اللهم انظر إلينا نظر الرضى ، وأثبتنا في ديوان أهل الصفا ، ونجنا من ديوان أهل الجفا .

اللهم حقق بالرجاء آمالنا ، وحسن في جميع الأحوال أعمالنا ، وسهل في بلوغ رضاك سبلنا وخذ إلى الخيرات بنواصينا ، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

أما كونه ضلال في الدين فلأنه ارتكاب لما نهى عنه النبي ﷺ ، ولهذا قال ﷺ : **« لا يتمن أحدكم الموت »** والنهي هنا للتحريم ، لأن تمنى الموت فيه شيء من عدم الرضا بقضاء الله ، والمؤمن يجب عليه الصبر إذا أصابته الضراء ، فإذا صبر على الضراء نال شيئين مهمين :

الأول: تكفير الخطايا ، فإن الإنسان لا يصيبه هم ولا غم ولا أذى ولا شيء إلا كفر الله به عنه حتى الشركة يشاكها ، فإنه يكفر بها عنه .

الثاني: إذا وفق لاحتساب الأجر من الله وصبر يبتغي بذلك وجه الله ، فإنه يثاب ، وقد قال الله تعالى : **﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾** [الزمر : ١٠] .

أما كونه يتمنى الموت فهذا يدل على أنه غير صابر على ما قضى الله عز وجل ولا راض به، وبين الرسول ﷺ أنه إما أن يكون من المحسنين ، فيزداد في بقاء حياته عملا صالحا.

ومن المعلوم أن التسبيحة الواحدة في صحيفة الإنسان خير من الدنيا وما فيها ، لأن الدنيا وما فيها تذهب وتزول ، والتسبيح والعمل الصالح يبقى ، قال الله عز وجل : **﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾** [الكهف: ٤٦]. فأنت إذا بقيت ولو على أذى ولو على ضرر ، فإنك ربما تزداد حسنات .

وإما مسيئًا قد عمل سيئًا ، فلعله يستعتب أي يطلب من الله تعالى العتبى أي الرضا والعذر، فيموت وقد تاب من سيئاته ، فلا تتمن الموت لأن الأمر كله مقضي ، وربما يكون في بقاءك خير لك ، ولغيرك ، فلا تتمن الموتب ، بل اصبر واحتسب ، فإن الله عز وجل سيجعل بعد العسر يسرا .

موعظة (١)

قال الربيع : قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : ينادي مناد من قبل العرش: أين فلان فلا يسمع أحد ذلك الصوت إلا وتضطرب فرائضه ، قال : فيقول الله عز وجل لذلك الشخص : أنت المطلوب هلم إلى العرض على خالق السماوات والأرض فيشخص الخلق بأبصارهم تجاه العرش ويوقف ذلك الشخص بين يدي الله عز وجل، فيلقي الله عز وجل عليه من نوره ما يستره عن المخلوقين ثم يقول له : عبدي أما علمت أني كنت أشاهد عملك في دار الدنيا ؟ فيقول : بلى يا رب ، فيقول الله تعالى : عبدي أما سمعت بنقمتي وعذابي لمن عصاني ؟ فيقول : بلى يا رب ، فيقول الله تعالى : أما سمعت بجزائي وثوابي لمن أطاعني ؟ فيقول : بلى يا رب ، فيقول الله تعالى : يا عبدي عصيتني ؟ فيقول : يا رب قد كان ذلك ، فيقول الله تعالى : عبدي فما ظنك اليوم بي ؟ فيقول : يا رب أن تعفو عني ، فيقول الله تعالى: عبدي تحققت أني أعفو عنك ؟ فيقول : نعم يا رب لأنك رأيتني على المعصية وسترتها علي . قال : فيقول الله عز وجل : قد عفوت عنك وغفرت لك وحققت ظنك ، خذ كتابك بيمينك فما كان فيه من حسنة فقد قبلتها ، وما كان من سيئة فقد غفرتها لك وأنا الجواد الكريم .

* * *

---

(١) هذه الموعظة بعض النسخ أثبتتها فى نهاية الموعظة السابقة وبعضها لم يذكرها مطلقا ـ وأرى أن موضعها المناسب هنا فى هذه الكبيرة والله أعلم.

الكبيرة الخامسة والستون

تارك الجماعة فيصلي وحده من غير عذر

عنْ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لقوم يتخلفون عن الجماعة : «**لقد هممت أن آمر رجل ليصلي بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجماعة بيوتهم**» رواه مسلم (١) ، وقال ﷺ : «**لينتهين أقوام عن ودعهم الجماعات أو ليختمن الله على قلوبه م ثم ليكونن من الغافلين**» . رواه مسلم (٢) .

وقال ﷺ : «**من ترك ثلاث جمع تهاونا بها طبع الله على قلبه**» أخرجه أبو داود والنسائي (٣) ، وقال : «**من ترك الجمعة من غير عذر ولا ضرر ، كتب منافقا في ديوان لا يمحي ولا يبدل**» (٤) .

وعن حفصة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «**رواح الجمعة واجب على**

الكبيرة الخامسة والستون

تارك الجماعة

صلاة الجماعة اتفق العلماء على أنها من أجل الطاعات وأوكدها وأفضلها . وقد ذكرها الله تعالى في كتابه وأمر بها حتى في حال الخوف فقال الله تعالى : ﴿ **وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن**

---

(١) صحيح : سبق تخريجه .

(٢) صحيح : رواه مسلم (٨٦٥) والنسائي (٣ / ٨٨) وابن ماجه (٧٩٤) .

(٣) صحيح : رواه أحمد (٣ / ٤٢٤) وأبو داود (١٠٥٢) والترمذي (٥٠٠) صحيح الجامع (٦١٤٠).

(٤) صحيح : رواه ابن حبان (٢٥٨) وابن خزيمة (١٨٥٧) وصححه الشيخ في التعليق على صحيح ابن خزيمة .

كل محتلم » أي على كل بالغ (١) .

فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم .

* * *

وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النساء : ١٠٢] .

وفي سنة رسول الله ﷺ من الأحاديث العدد الكثير الدال على وجوب صلاة الجماعة. مثل قوله ﷺ : « **لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلاً فيصلي بالناس ثم أنطلق برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون اصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار** » (٢).

وكقوله ﷺ : « **من سمع النداء فلم يجب فلا صلاة له إلا من عذر** » (٣)

وكقوله ﷺ للرجل الأعمى الذي طلب منه أن يرخص له : « **أتسمع النداء ؟** » قال: نعم قال : « **فأجب** » (٤) .

وقال ابن مسعود ﷺ : « لقد رأيتنا ـ يعني الصحابة مع رسول الله ﷺ ولم يتخلف عنها أي صلاة الجماعة ـ إلا منافق معلوم النفاق . أو مريض . ولقد كان الرجل يؤتى به يهادي بين الرجلين حتى يقام في الصف » (٥).

والنظر الصحيح يقتضي وجوبها . فإن الأمة الإسلامية واحدة ولا يتحقق كمال الوحدة إلا بكونها تجتمع على عبادتها وأجل العبادات وأفضلها وأوكدها الصلاة . فكان من الواجب على الأمة الإسلامية أن تجتمع على هذه الصلاة .

وقد اختلف العلماء ـ رحمهم الله ـ بعد اتفاقهم على أنها من أوكد العبادات وأجل

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٣٤٢) والنسائي في الجمعة (٩) والبيهقي (٣ / ١٨٧) وصححه الألباني فى صحيح الجامع (٣٥٢١) .

(٢، ٣، ٤، ٥) سبق تخريجهم .

. . . .

الطاعات اختلفوا هل هي شرط لصحة الصلاة ؟ أو أن الصلاة تصح بدونها مع الإثم ؟ مع خلافات أخرى .

والصحيح : أنها واجب للصلاة . وليست شرطًا في صحتها لكن من تركها فهو آثم إلا أن يكون له عذر شرعي .

ودليل كونها ليست شرطًا لصحة الصلاة أن الرسول ﷺ فضل صلاة الجماعة على صلاة الفذ . وتفضل صلاة الجماعة على صلاة الفذ يدل على أن في صلاة الفذ فضلاً وذلك لا يكون إلا إذا كانت صحيحة .

وعلى كل فيجب على كل مسلم عاقل ذكر بالغ أن يشهد صلاة الجماعة سواء كان ذلك في السفر أم في الحضر .

الكبيرة السادسة والستون

الإصرار على ترك صلاة الجمعة والجماعة من غير عذر

قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ . خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴾ (١) .

قال كعب الأحبار : ما نزلت هذه الآية إلا في الذين يتخلفون عن الجماعات . وقال سعيد بن المسيب إمام التابعين رحمه الله : كانوا يسمعون حي على الصلاة حي على الفلاح فلا يجيبون وهم سالمون أصحاء .

وفي الصحيحين : أن رسول الله ﷺ قال : « **والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب يحتطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ، ثم آمر رجلا فيؤم الناس ، ثم أخالف إلى رجال لا يشهدون الصلاة في الجماعة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار** »(٢) ، وفي

الكبيرة السادسة والستون

الإصرار على ترك الجمعة

أيها المسلمون حافظوا على صلاة الجمعة وإياكم والتهاون بها فإن النبي ﷺ يقول : « **لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين** »(٣) وقال : « **من ترك ثلاث جمع تهاونا بها طبع الله على قلبه** »(٤) .

ولقد كان بعض الناس يخرجون بأهليهم أو مع أصحابهم في هذا اليوم المبارك الذي من الله به على أمة محمد وأضل عنه اليهود والنصارى فيفوتون صلاة الجمعة وهؤلاء قد عرضوا أنفسهم لعقاب الله وسخطه فليحذروا ذلك فليحذروا ذلك ولقد أخبر النبي

---

(١) سورة القلم : ٤٢ ، ٤٣ . (٢) سبق تخريجه .

(٣، ٤) سبق تخريجهما .

رواية لمسلم أيضًا من حديث أبي هريرة : « **لقد هممت أن آمر فتياني أن يجمعوا لي حزما من حطب ثم آتى قومًا يصلون في بيوتهم ليست بهم علة فأحرقها عليهم** »[(١)].
وفي هذا الحديث الحديث الصحيح والآية التي قبله وعيد شديد لمن يترك صلاة الجماعة من غير عذر فقد روي أبو داود في سننه بإسناده إلى ابن عباس ﵄ قال : قال رسول الله ﷺ : « **من سمع المنادى فلم يمنعه من إتيانه عذر ـ قيل : وما العذر يا رسول الله؟ قال خوف أو مرض ـ لم تقبل منه الصلاة التي صلى** » [(٢)]يعني في بيته.

وروي الترمذي عن ابن عباس ﵄ سئل عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يصلي في جماعة ولا يجمع ، فقال : إن مات هذا فهو في النار [(٣)].

وروي مسلم أن رجلاً أعمى جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ليس لي قائد يقودني إلى المسجد فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي ؟ فرخص له ، فلما ولي دعاه فقال : « **هل تسمع النداء بالصلاة ؟** » قال : نعم ، قال : « **فأجب** » [(٤)].
وفي رواية أبي داود أن ابن أم مكتوم جاء إلى النبي ﷺ وقال : يا رسول الله إن المدينة كثيرة الهوام والسباع وأنا ضرير البصر فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي ؟

ﷺ عن الداعي يتخذ الغنم على رأس ميل أو ميلين فيتعذر عليه الكلأ فيرتفع ثم تجئ الجمعة فلا يشهدها وتجيء الجمعة فلا يشهدها حتى يطبع على قلبه فهؤلاء الذين يخرجون إلى البر في يوم الجمعة إن كانوا يصلون الجمعة في بلدهم أو غيرها قد أدوا ما بينهم وبين الله ولكنهم قد عرضوا أنفسهم لكلام الناس فيهم وإن كانوا لا يصلون الجمعة ولا يبالون بها فما أعظم خسارتهم لقد فوتوا الخير الكثير وعرضوا أنفسهم للعذاب الأليم .

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٦٥١) .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) سبق تخريجه .

فقال له النبي ﷺ : « **تسمع حي على الصلاة حي على الفلاح؟** » قال : نعم . قال: « **فأجب ، فحي هلا** » . وفي رواية أنه قال : يا رسول الله إني ضرير شاسع الدار ولي قائد لا يلائمني فهل لي رخصة . وقوله : « **فحي هلا** » أي تعال أقبل[١] .

وروي الحاكم في مستدركه على شرط الشيخين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **ومن سمع النداء فلم يمنعه من إتباعه عذر فلا صلاة له** » . قالوا: وما العذر يا رسول الله ؟ قال : « **خوف أو مرض** » [٢] وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: « **لعن الله ثلاثة : من تقدم قوما وهم له كارهون ، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ورجلا سمع حي على الصلاة حي على الفلاح ثم لم يجبه** » [٣]. قال أبو هريرة : « **لأن تمتلئ أذن ابن آدم رصاصا مذابا خير من أن يسمع حي على الصلاة حي على الفلاح ثم لا يجيب** » [٤] . وقال علي بين أبي طالب رضي الله عنه : لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد ، قيل : من جار المسجد ؟ قال : من يسمع الأذان ، قال أيضًا : من سمع النداء فلم يأته لم تجاوز صلاته رأسه إلا من عذر [٥] ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه : من سره أن يلقى الله غدًا مسلمًا فليحافظ على هذه الصلوات الخمس حيث ينادي بهن ، فإن الله تعالى شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى ، وإنها من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق أو مريض. وقد كان الرجل يؤتى به يهادي بين الرجلين حتى يقام في الصف ، يعني يتكئ عليهما من ضعفه حرصًا على فضلها وخوفا من الإثم في تركها [٦] .

(١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦) سبق تخريجهم .

فصل

وفضل صلاة الجماعة عظيم كما في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ (١) إنهم المصلون الصلوات الخمس في الجماعات . وفي قوله تعالى : ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ (٢) أي خطاهم .

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « **من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطواته إحداهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة** » (٣) « **فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه الذي صلى فيه يقولون : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه ما لم يؤذ فيه أو يحدث فيه** » (٤) .

وقال ﷺ : « **ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟** » قالوا: بلى يا رسول الله ؟ قال : « **إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط فذلكم الرباط** » رواه مسلم(٥) .

* * *

---

(١) سورة الأنبياء : ١٠٥ .

(٢) سورة يس : ١٢ .

(٣) صحيح: رواه مسلم (٦٦٦) .

(٤) صحيح: رواه البخاري (٤٧٧ ، ٦٤٧) بلفظ (صلاة الرجل في الجماعة) .

(٥) صحيح: رواه مالك (١ / ١٧٦) ومسلم (٢٥١) والنسائي (١ / ٨٩) والترمذي (٥١، ٥٢).

الكبيرة السابعة والستون

الإضرار في الوصية

قال الله تعالى : ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ﴾ (١) . أي غير مدخل الضرر على الورثة ، وهو أن يوصي بدين ليس عليه يريد بذلك ضرر الورثة فمنع الله منه . وقال الله تعالى : ﴿وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٢] .

قال ابن عباس : يريد ما أحل الله من فرائضه في الميراث ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ في شأن المواريث ﴿ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ (٢) قال مجاهد : فيما فرض الله من المواريث ، وقال عكرمة عن ابن عباس : من لم يرض بقسم الله ويتعد ما قال الله ﴿يُدْخِلْهُ نَارًا﴾ . وقال الكلبي : يعني يكفر بقسمة الله المواريث ويتعدى حدوده

الكبيرة السابعة والستون

الوصية

قال النبي ﷺ إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث فلا يجوز لأحد أن يوصي لبعض الورثة بدراهم أو عقار وإلا لكان جائرًا في الوصية ولم يجز تنفيذها إلا بإجازة بقية الورثة المرشدين وكذلك لا يجوز أن يوصي لبعض ورثته بآجرة شيء من عقارة أو مغله سواء أوصى له بذلك دائمًا أو مدة معينة يقول النبي ﷺ : « **لا وصية لوارث** » وقد أجمع العلماء على العمل بهذا الحديث وأن الوصية للوارث حرام وفي الحديث أن الرجل ليعمل أو المرأة لطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران فتجب لهما النار

---

(١) سورة النساء : ١٢ .

(٢) سورة النساء : ١٤ .

استحلالا ﴿يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ، وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الرجل أو المرأة ليعمل بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار** » ثم قرأ أبو هريرة هذه الآية : ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ﴾ رواه أبو داود [(١)] ، وجاء عنه ﷺ أنه قال : « **من فر بميراث وارث قطع الله ميراثه من الجنة** » [(٢)] وقال ﷺ : « **إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث** » صححه الترمذي [(٣)] .

* * *

أيها المسلمون إنني أحب أن أتعرض لموضوع لم يسبق أن تعرضنا له وأطبقه على ضوء هذه النصوص وهو ما كان يعتاده بعض الناس من الوصية بوقف شيء من ماله وتخصيصه بأولاده وذريته من بين سائر الورثة ، نريد أن نطبق هذا العمل على النصوص الشرعية فننظر في حكمه ثم ننظر في فوائده الإجتماعية ، هل فيه فائدة للموقوف عليهم أو هو إلى الضرر والمفاسد أقرب ؟ فالبنظر إلى النصوص الشرعية لا شك أن الوصية بوقف شيء من المال على بعض الورثة داخل في قوله ﷺ : « **لا وصية لوارث** » فإذا كان لا يجوز أن يوصي بعض الورثة بسكنى شيء أو استثمار شيء من عقاره لمدة سنة فكيف يجوز أن يوصي له بما يقتضي سكنى الدار واستثمار العقار دائمًا وأبدًا وإذا كان الله تعالى قد فرض للورثة ومن جملتهم أولادك الذين خصصتهم بالوصية بالوقف عليهم إذا كان الله تعالى قد فرض لكل وارث حقه ونصيبه فكيف يجوز أن توصي لأولادك بوقف شيء من مالك عليهم ألم يكن هذا تعديا لحدود الله واقتطاعا في الوصية والمضارة للورثة إذا فإذا قال الإنسان أوصيت بثلثي أو بيتي أو بعقاري يكون وقفا على أولادي وله ورثه غير الأولاد فهذه وصية لوارث وتعد على حدود الله فيكون حراما قال شيخنا عبد الرحمن السعدي :

---

(١) ضعيف : رواه أبو داود (٢٨٦٧) والترمذي (٢٢١٥) وضعفه الشيخ في ضعيف الجامع (١٤٥٧) .

(٢) صحيح : رواه ابن ماجه (٢٧٠٣) وضعفه الشيخ في ضعيف ابن ماجه (٥٩٠) .

(٣) صحيح : رواه عبد الرزاق (١٦٣٠٨) وأحمد (٥ / ٢٦٧) وأبو داود (٢٨٥٣) والترمذي (٦٦٥ ، ٢٢٥٣) وصححه الشيخ في صحيح الجامع (١٧٨٨ ، ١٧٨٩) .

. . . .

لا يحل لأحد أن يوقف وقفا يتضمن المحرم والظلم بأن يكون وقفه مشتملا على تخصيص أحد الورثة دون الآخرين ، ثم قال : فإن العبد ليس له أن يتصرف فى ماله بمقتضى شهوته النفسية وهواه بل عليه أن لا يخالف الشرع ولا يخرج عن العدل هذا كلامه في كتاب المختارات الجلية وقال في كتاب آخر « كتاب الإرشاد » : إن أعظم مقاصد الوقف أن يكون معينا على البر والتقوى فيعلم من هذا أن الأوقاف التي يقصد بها حرمان بعض الورثة منافية لمقصود الوقف محل المنافاة وأن وقف ثلث مال الإنسان على بعض ورثته مخالف لهذا الشرط ومناف لما انعقد عليه الإجماع من أن لا وصية لوارث. انتهى .

إذا ، فهذا العمل من الناحية الشرعية حرام ومعصية لله ورسوله وتعد لحدوده ويبقى النظر إليه من الناحية الإجتماعية ففيه مضار :

١ - الظلم والجور وضرر الظلم والجور ليس على فاعله فحسب بل على صميع الناس.

٢ - حرمان الورثة الخارجين من هذا الوقف من حقهم الثابت في التركة .

٣ - إلقاء العداوة بين الموقوف عليهم فكم حصل بين الذرية من الخصومة والتقطاع والتشاتم والمرافعات إلى الحكام بسبب هذه الأوقاف ولو ترك المال لهم حرا لتمكنوا من الإنفصال بعضهم عن بعض ببيع أو غيره أو لو أبعد الوقف عنهم وكان على أعمال بر عامة من مساجد ، وإصلاح طرق ، وتعليم علم ، وطبع كتب نافعة ، وإطعام مساكين وكسوتهم وإعانة معسر ، وسقي ماء وغيره من المصالح لكان أنفع للواقف وأبرأ لذمته.

٤ - أن هذا الوقف إن كان ورع تعب منه من النظر عليه وتصريفه ومواجهة مستحقية وكونهم إن لم يخاصموه نظروا إليه نظرة غضب وكأنه ظالم لهم ، أما إن كان بيد جشع أهلكه وأكله .

٥ - أن في هذا الوقف دمارا وإتلافا للأموال فإن بعض المستحقين له لا يهمهم إصلاحه وإنما يهمهم أن يستغلوه حتى يستنفذوه ، وإن تضرر الوقف وتلف على من بعدهم فيتعلق في ذممهم حق للواقف وحقوق لمن بعدهم من الموقوف عليهم .

هذه خمسة مفاسد مع المفسدة الشرعية وهي عصيان الله وعصيان رسوله وتعدي الحدود الشرعية والمتأمل يجد فيه أكثر من هذا .

الكبيرة الثامنة والستون

المكر والخديعة

قال الله عز وجل : ﴿ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إلاَّ بِأَهْلِهِ ﴾ (١) .

وقال النبي ﷺ : « المكر والخديعة في النار » (٢) .

وقال ﷺ : « لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان » (٣) وقال الله تعالى عن المنافقين : ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ (٤) .

قال الواحدي : يعاملون عمل المخادع على خداعهم وذلك أنهم يعطون نورا كما يعطي المؤمنون ، فإذا مضوا على الصراط أطفئ نورهم وبقوا في الظلمة .

وقال ﷺ في حديث : « وأهل النار خمسة » ـ وذكر منهم ـ « **رجلا لا يصبح ولا يمسي وهو يخادعك عن أهلك ومالك** » (٥) .

الكبيرة الثامنة والستون

المكــر والخــداع

ويرى بعض الناس أن الغش والخداع حذق وعقل وغنيمة وكسب فيفرح إذا غش غيره أو خدعه ويرى أن ذلك منقبة له ورفعه والواقع أن الغش المسلمون سفه وغرم ووضيعة وهلاك وخسارة فاتقوا الله أيها المسلمون والزموا الأخلاق الفاضلة وتجنبوا الأخلاق السافلة وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين وفقني الله وإياكم لمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ورزقنا الصدق في الأقوال والأعمال وجنبنا منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء إنه جواد كريم .

---

(١) سورة فاطر : ٤٣ .

(٢) صحيح : رواه الحاكم (٤ / ٦٠٧) وابن عدي (٢ / ٢٣٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٧٢٥) .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) سورة النساء : ١٤٢ .

(٥) صحيح : رواه مسلم (٢٨٦٥) .

الكبيرة التاسعة والستون
من تجسس على المسلمين ودل على عورتهم

فيه حديث حاطب بن أبي بلتعة وأن عمر أراد قتله بما فعل ، فمنعه رسول الله ﷺ من قتله لكونه شهد بدرا [1] ، إذا ترتب على جسه وهن عُرى الإسلام وأهله ، وقتل أو سبى أو نهب أو شيء من ذلك ، فهذا من سعي في الأرض فسادا وأهلك الحرث والنسل فيتعين قتله وحق عليه العذاب . فنسأل الله العفو والعافية . وبالضرورة يدري كل ذي جس أن النميمة إذا كانت من أكبر المحرمات فنميمة الجاسوس أكبر وأعظم .

نعوذ بالله من ذلك ونسأله العفو والعافية ، إنه لطيف خبير جواد .

❊ ❊ ❊

الكبيرة التاسعة والستون
التجسس

التجسس هو : أن يتتبع الإنسان أخاه ليطلع على عوراته سواء كان ذلك عن طريق مباشر بأن يذهب هو بنفسه يتجسس لعله يجد عسرة أو عورة . أو كان عن طريق الآلات المستخدمة في حفظ الصوت . أو كان عن طريق الهاتف فكل شيء يوصل الإنسان إلى عورات أخيه ومسالبه فإن ذلك من التجسس وهو محرم . لأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات : ١٢] .

فنهى سبحانه وتعالى عن التجسس .

---

(١) صحيح: هذه القصة رواها البخاري (٣٠٠٧) ومسلم (٢٤٩٤) .

. . . .

لأن التجسس أذية . يتأذى به المتجسس عليه . ويؤدي إلى البغضاء والعداوة ويؤدي إلى تكليف الإنسان نفسه ما لم يلزمه . فإنك تجد المتجسس والعياذ بالله . مرة هنا ومرة هنا ومرة هنا . ومرة ينظر إلى هذا ومرة ينظر إلى هذا . فقد أتعب نفسه في أذية عباد الله نسأل الله العافية . ومن ذلك أيضًا أن يتجسس على البيوت . يعني من التجسس أن يتجسس على البيوت . يقف عند الباب ويستمع لما يقال في المجلس ثم يبني عليه الظن الكاذب . والتهم التي ليس لها أصل . وهذا مطابق لقول الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ**﴾ لكن في هذه الآية قال الله تعالى : ﴿ **اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ**﴾ ولم يقل الظن كله . لأن الظن المبني على قرائن لا بأس به . فهو من طبيعة الإنسان أنه إذا وجد قرائن قوية توجب الظن الحسن أو غير الحسن فإنه لا بد أن يخضع لهذه القرائن . ولا بأس بذلك.

لكن الظن المجرد هو الذي حذر منه النبي ﷺ وقال : « **إنه أكذب الحديث** » .

لأن الإنسان إذا ظن صارت نفسه تحدثه . تقول له فعل فلان كذا وهو يفعل كذا وهو يريد كذا وما أشبه ذلك .

وهذا يقول الرسول ﷺ فيه إنه أكذب الحديث وفيه أيضًا مما لم يمر أن النبي ﷺ قال : «**كونوا عباد الله أخوانا كما أمركم** » (١) .

يعني أنه يجب على الإنسان أن يكون أخًا لأخيه . بالمعنى المطابق للأخوة . لا يكن عدوًا له فإن بعض الناس إذا صار بينه وبين أخيه معاملة وساء الظن بينهما في هذه المعاملة اتخذه عدوًا وهذا لا يجوز .

الواجب أن الإنسان يكون أخًا لأخيه . في المحبة والألفة وعدم التعرض له بالسوء والدفاع عن عرضه وغير ذلك من مقتضيات الأخوة « **المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يكذبه** » . وهذا أيضًا قد مر علينا سابقًا وقال : « **التقوى ها هنا يشير إلى**

---

(١) سبق تخريجه .

. . . .

صدره» [١] يعني في القلب .

وإذا اتقى القلب اتقت الجوارح . لأن النبي ﷺ يقول : **« إذا صلحت صلح الجسد كله»** [٢] يعني القلب .

بعض الناس تناههم مثلاً عن شيء من الأشياء . أعفى اللحية حرام عليك أنك تحلقهـا . فيقول لك التقوى ها هنا . أين التقوى ؟ لو اتقى ما ها هنا لاتقى ما ها هنا . يعني لو اتقى القلب اتقت الجوارح . بعض الناس تنصحه في طول الثوب . تجد ثوبه إلى أسفل من كعبه تنصحه في ذلك . فيقول لك التقوى ها هنا أين التقوى ؟ لو كان عندك تقوى في قلبك . لاتقيت الله تعالى في قولك وفعلك . لأنه إذا صلحت صلح الجسد كله .

لكن بعض الناس والعياذ بالله يجادل بالباطل كالكافرين . جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق. ومع ذلك لا يخفى جدالهم بالباطل على من عنده بصيرة . يعرف أن هذا هذا جدل ليس له أصل بل هو باطل وهذا الحديث الذي ذكره المؤلف بألفاظه . ينبغي للإنسان أن يتخذه مسارًا له ومنهجًا يسير عليه ويبني عليه حياته . فإنه جامع لكثير من مسائل الأخلاق التي إذا تجنبها الإنسان حصل على خير كثير .

عن معاوية رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **« إنك إن اتبعت عورات المسلمين أفسدتهم . أو كدت أن تفسدهم »** [٣] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه أتى برجل فقيل له : **« هذا فلان تقطر لحيته خمراً . فقال: إنا قد نهينا عن التجسس . ولكن إن يظهر لنا شيء يأخذ به »** [٤]. حديث حسن صحيح .

هذه الأحاديث من الأحاديث التي يتبين فيها أن الإنسان لا يتجسس على إخوانه المسلمين ولا يتتبع عوراتهم بل ما ظهر منها فإنه تعامل من أظهرها بما يليق به . وما لم

(١ ٢)سبق تخريجهما .

(٣)رواه أبو داود وصححه الألباني .

(٤)رواه أبو داود وصححه الألباني .

. . . .

يظهر فلا يجوز التجسس ولا التحسس كما في حديث معاوية رضي الله عنه . أن الإنسان إذا تتبع عورات المسلمين أهلكهم أو كاد أن يهلكهم . لأن كثيرًا من الأمور تجري بين الإنسان وبين ربه . لا يعلمها إلا هو . فإذا لم يعلم بها أحد وبقي عليه ستر الله عز وجل . وتاب إلى ربه وأناب حسنت حاله ولم يطلع على عورته أحد .

ولكن إذا كان الإنسان والعياذ بالله يتتبع عورات الناس . ماذا قال فلان وماذا فعل . وإذا ذكر له عورة مسلم . ذهب يتجسس إما أن يصرح وإما أن يلمح فيقول مثلاً . قالوا إن فلانًا قال كذا وكذا أو فعل كذا وكذا فينشر ما عنده عند الخلق والعياذ بالله وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : « **يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإن من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته فضحه ولو في بيت أمه** »[(١)] .

نسأل الله العافية جزاءً وفاقا . مثل من تتبع عورات المسلمين ليفضحهم . يتتبع الله عز وجل عورته حتى يفضحه « نسأل الله العافية » . ولا يغنيه جدران ولا ستور .

وكذلك حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه أتى برجل تقطر لحيته خمرًا لكن شربه متخفيًا . ولكن هؤلاء القوم تجسسوا عليه حتى أخرجوه على هذه الحالة . فبين رضي الله عنه أن من أبدى لنا عورته أو عيبه أخذناه به . ومن استتر بستر الله لا نؤاخذه وهذا أيضًا يدل على أنه لا يجوز التجسس .

وحصل هذا تطبيقًا :

فإن أحدهم لما أراد النبي ﷺ أن يذهب إلى قريش في غزوة الفتح أرسل حاطب وهو من حضروا معه بدرًا امرأة معها كتاب إلى قريش قال لهم : إن الرسول ﷺ سيغزوكم فانتبهوا فأطلع الله نبيه على ذلك فأرسل رجلين أحدهما علي بن أبي طالب إلى هذه المرأة وأدركوها في روضة خاء وأمسكوا بها وقالوا لها : إلى أين ؟ قالت : إلى مكة . وماذا معك ؟ قالت : لا شيء قالوا لها : إما أن تعطينا ما معك وإلا كشفنا عنك . فأخرجته

---

(١) صحيح: رواه أحمد وأبو داود والترمذى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٩٨٤) .

. . . .

لهم وإذا هو كتاب من حاطب بن بلتعة - رضي الله عنه - وهومن شهد بدرًا فجاءوا به للرسول الله ﷺ وعرضوه عليه فدعاه قائلاً ما هذا يا حاطب ؟ كيف تخون ؟ كيف ترسل إلى قريش بأخبارنا ؟ وهذا يسمى عند الناس جاسوسًا . اعتذر بعذر قال عمر أو غيره من الصحابة : يا رسول الله أنا أضرب عنقه فإنه قد خان الله ورسوله . قال ﷺ : « **أما علمت أن الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»(١) فوقعت هذه الفعلة القبيحة الشنيعة وقعت موقع مغفرة لماذا ؟

لأن الرجل من أهل بدر . فهم رضي الله عنهم وجمعنا وإياكم معهم في جنات النعيم فالذي منع الرسول أن يقتل هذا الرجل أنه شهد بدرًا .

على هذا إذا وجدنا جاسوسًا من المسلمين يخبر الكفار بأخبارنا وجب قتله حتى لوقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وجب قتله بدون استثناء . لأن الرسول ﷺ لم يمنعه من قتل حاطب إلا كونه من أهل بدر وهي مزية لن تحصل إلى يوم القيامة .

وقد استدل العلماء رحمهم الله بهذا الحديث على أن الجاسوس يقتل سواءًا كان مسلمًا أم كافرًا على كل حال . لأنه يفضي بأخبارنا إلى أعدائنا .

---

(١) سبق تخريجه .

الكبيرة السبعون

سب أحد الصحابة رضوان الله عليهم

ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « **يقول الله تعالى : « من عادى لي وليا فقد آذانته بالحرب** » [١] ، وقال ﷺ : « **لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصفيه** » مخرج في الصحيحين[٢].

وقال ﷺ : « **الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي ، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فبيغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد أذاني ، ومن آذاني فقد أذى الله ومن أذى الله أوشك أن يأخذه** » أخرجه الترمذي [٣] .

ففي هذا الحديث وأمثاله بيان حالة من جعلهم غرضا بعد رسول الله ﷺ وسبهم

الكبيرة السبعون

سب الصحابة

من أصل أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ سلامة القلب من البغض والغل والحقد والكراهة وسلامة ألسنتهم من كل قول لا يليق بهم.

فقلوبهم سالمة من ذلك مملوءة بالحب والتقدير والتعظيم لأصحاب رسول الله ﷺ على ما يليق بهم فهم يحبون أصحاب رسول الله ﷺ ويفضلونهم على جميع الخلق لأن محبتهم من محبة رسول الله ومحبة رسول الله من محبة الله. وألسنتهم ملئت من الثناء

---

(١) صحيح: سبق تخريجه .

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣٦٧٣) ومسلم (٢٥٤١) .

(٣) صحيح: رواه مسلم (٣٠٢٢) .

وافترى عليهم وعابهم وكفرهم واجترأ عليهم .

وقوله ﷺ : « **الله الله** » كلمة تحذير وإنذار كما يقول المحذر : النار النار أي احذروا النار ، وقوله : « **لا تتخذوهم غرضا بعدي** » أي لا تتخذوهم للسب والطعن، وكما يقال : اتخذ فلان غرضا لسبه أي هدفا للسب . وقوله : « **فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم** » ، فهذا من أجل الفضائل والمناقب لأن محبة الصحابة لكونهم صحبوا رسول الله ﷺ ونصروه وآمنوا به وعزروه وواسوه بالأنفس والأموال ، فمن أحبهم فإنما أحب النبي ﷺ .

فحب أصحاب النبي ﷺ عنوان محبته وبغضهم عنوان بغضه كما جاء في الحديث الصحيح : « **حب الأنصار من الإيمان وبغضهم من النفاق** » (١) ، وما ذاك إلا لسابقتهم ومجاهدتهم أعداء الله بين يدي رسول الله ﷺ وكذلك حب علي رضي الله عنه من الإيمان وبغضه من النفاق ، وإنما يعرف فضائل الصحابة رضي الله عنهم من تدبر أحوالهم وسيرهم وأثارهم في حياة رسول الله ﷺ وبعد موته من المسابقة إلى الإيمان الإيمان

عليهم والترضي عنهم والترحم والاستغفار وغير ذلك .

ومن فضائل الصحابة رضي الله عنهم أنهم خير القرون لحديث : « **خير الناس قرني الذين يلونهم ثم الذين يلونهم** » . « رواه البخاري » .

وأنهم هم الواسطة بين رسول الله ﷺ وبين أمته فمنهم تلقت الأمة عنه الشريعة وما كان على أيديهم من الفتوحات الواسعة العظيمة .

وأنهم نشروا الفضائل بين هذه الأمة من الصدق والنصح والأخلاق والآداب التي لا توجد عند غيرهم .

وزكى النبي ﷺ أصحابه في قوله : « **لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصفه** » (٢) .

وخاطب النبي ﷺ بهذا الحديث خالد بن الوليد حين حصل بينه وبين عبد الرحمن بن عوف ما حصل في المشاجرة في بني خزيمة فقال النبي ﷺ لخالد: «**لا تسبوا**

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٧٨٤) ومسلم (٧٤) . (٢) صحيح: سبق تخريجه .

والمجاهدة للكفار ، ونشر الدين ، وإظهار شعائر الإسلام ، وإعلاء كلمة الله ورسوله،وتعليم فرائضه وسننه ، ولولاهم ما وصل إلينا من الدين أصل ولا فرع ، ولا علمنا من الفرائض والسنن سنة ولا فرضا ، ولا علمنا من الأحاديث والأخبار شيئًا .

فمن طعن فيهم أو سبهم فقد خرج من الدين ومرق من ملة المسلمين ، لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساويهم وإضمار الحقد فيهم وإنكار ما ذكره الله تعالى في كتابه من ثنائه عليهم ، ومالرسول الله ﷺ من ثنائه عليهم وفضائلهم ومناقبهم وحبهم ، ولأنهم أرضي الوسائل من المأثور والوسائط من المنقول ، والطعن في الوسائط طعن في الأصل ، والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول ، هذا ظاهر لمن تدبره، وسلم من النفاق ومن الزندقة والإلحاد في عقيدته ، وحسبك ما جاء في الأخبار والآثار من ذلك القول كقول النبي ﷺ : « **إن الله اختارني واختار لي أصحابى . فجعل لي منهم وزراء وأنصاراً وأصهاراً فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا** »[1] ، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه

أصحابي» .

ولا شك أن عبد الرحمن بن عوف وأمثاله أفضل من خالد بن الوليد حيث سبقوه إلى الإسلام .

ولا يحل لأحد أن يسب الصحابة على العموم ولا أن يسب واحدًا منهم على الخصوص .

فإن سبهم على العموم كان كافرًا بل لا شك في كفر من شك في كفره .

أما إن سبهم على سبيل الخصوص فينظر في الباعث لذلك فقد يسبهم من أجل أشياء خلقية أو خلقية أو دينية ولكل واحد من ذلك حكمه بدون خيلاء .

(١) ضعيف: رواه ابن أبي عاصم (١٠٠٠) وأبو نعيم (٢ / ١١) والحاكم (٣ / ٦٣٢) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٥٣٦) .

قال : قال أناس من أصحاب رسول الله ﷺ : إنا نُسب ، فقال رسول الله ﷺ : «**من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**» (١) .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله اختارني واختار لي أصحابي وجعل لى أصحابا وإخوانا وأصهارا ، وسيجيء قوم بعدهم يعيبونهم وينقصونهم لا تواكلوهم ولا تشاربوهم ولا تناكحوهم ولا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم** » (٢) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا ، وإذا ذكر القدر فأمسكوا** » (٣) .

قال العلماء : معناه من فحص عن سر القدر في الخلق ، وهو: أي الإمساك علامة الإيمان والتسليم لأمر الله ، وكذلك النجوم ومن أعتقد أنها فعالة أو لها أثير من غير إرادة الله عز وجل فهو مشرك ، وكذلك من ذم أصحاب رسول الله ﷺ بشيء وتتبع عثراتهم وذكر عيبا وأضافه إليهم كان منافقا .

بل الواجب على المسلم حب الله وحب رسوله ، وحب ما جاء به ، وحب من يقوم بأمره ، وحب من يأخذ بهديه ويعمل بسنته ، وحب آله وأصحابه وأزواجه وأولاده وغلمانه وخدامه ، وحب من يحبهم وبغض من يبغضهم ، لأن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله .

قال أيوب السختياني رضي الله عنه : من أحب أبا بكر فقد أقام منار الدين ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل ، ومن أحب عثمان فقد أستنار بنور الله ، ومن أحب عليا فقد استمسك بالعروة الوثقى ، ومن قال الخير فى أصحاب رسول الله ﷺ فقد برىء من النفاق .

---

(١) حسن: رواه ابن عدي (٥ / ٢١٢) والخطيب في تاريخه (١٤ / ٢٤١) والطبراني (١٢٧٠٩) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٨٥) .

(٢) ضعيف: رواه العقيلي (١ / ١٢٦) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٥٣٧) .

(٣) صحيح: رواه الطبراني في الكبير (٢ / ٧٨ / ٢) وأبو نعيم في الحلية (٤ / ١٠٨) وصححه الألباني في الصحيحة (٣٤) .

فصل

وأما مناقب الصحابة وفضائلهم فأكثر من أن تذكر ، وأجمعت علماء السنة أن أفضل الصحابة العشرة المشهود لهم ، وأفضل العشرة : أبو بكر ، ثم عمر ابن الخطاب، ثم عثمان بن عفان ، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين ، ولا يشك في ذلك إلا مبتدع منافق خبيث .

وقد نص النبي ﷺ في حديث العرباض بن سارية حيث قال : « **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور** » الحديث[1] .

والخلفاء الراشدون هم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين . وأنزل الله في فضائل أبي بكر رضي الله عنه آيات من القرآن ، قال الله تعالى :

﴿وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ﴾[2] .

لا خلاف أن ذلك فيه ، فنعته بالفضل رضوان الله عليه وقال الله تعالى : **﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار﴾** ، لا خلاف أيضًا أن ذلك في أبي بكر رضي الله عنه شهدت له الربوبية بالصحبة ، وبشره بالسكينة ، وحلاه بثاني اثنين كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من يكون أفضل من ثاني اثنين الله ثالثهما ؟ وقال الله تعالى : ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[3] .

قال جعفر الصادق : لا خلاف أن الذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ والذي صدق به أبو بكر رضي الله عنه . وأي منقبة أبلغ من ذلك فيهم ؟ رضي الله عنهم أجمعين .

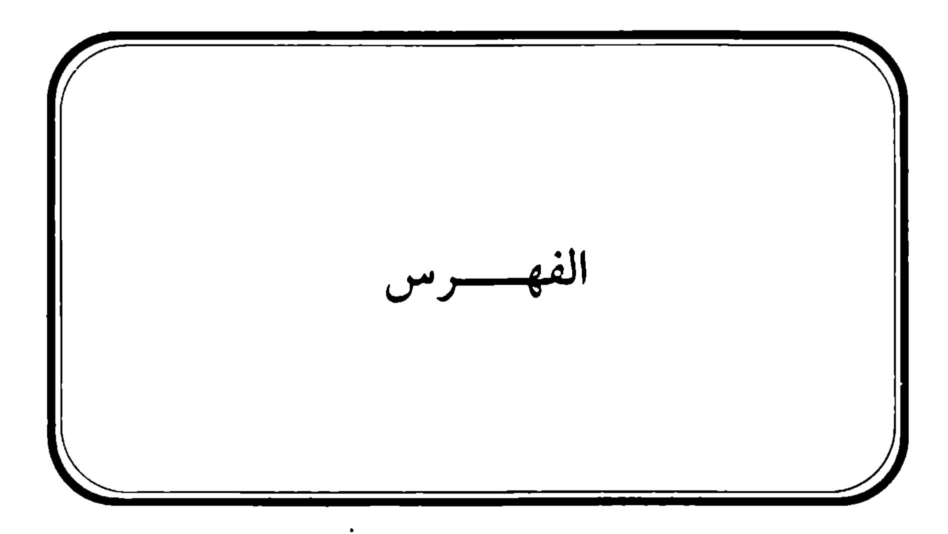
❊ ❊ ❊

---

(١) صحيح : رواه أحمد (٤ / ١٢٧) وأبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٤٧٧٦) وابن ماجه (٤٢) صحيح الجامع (٢٥٤٩) .

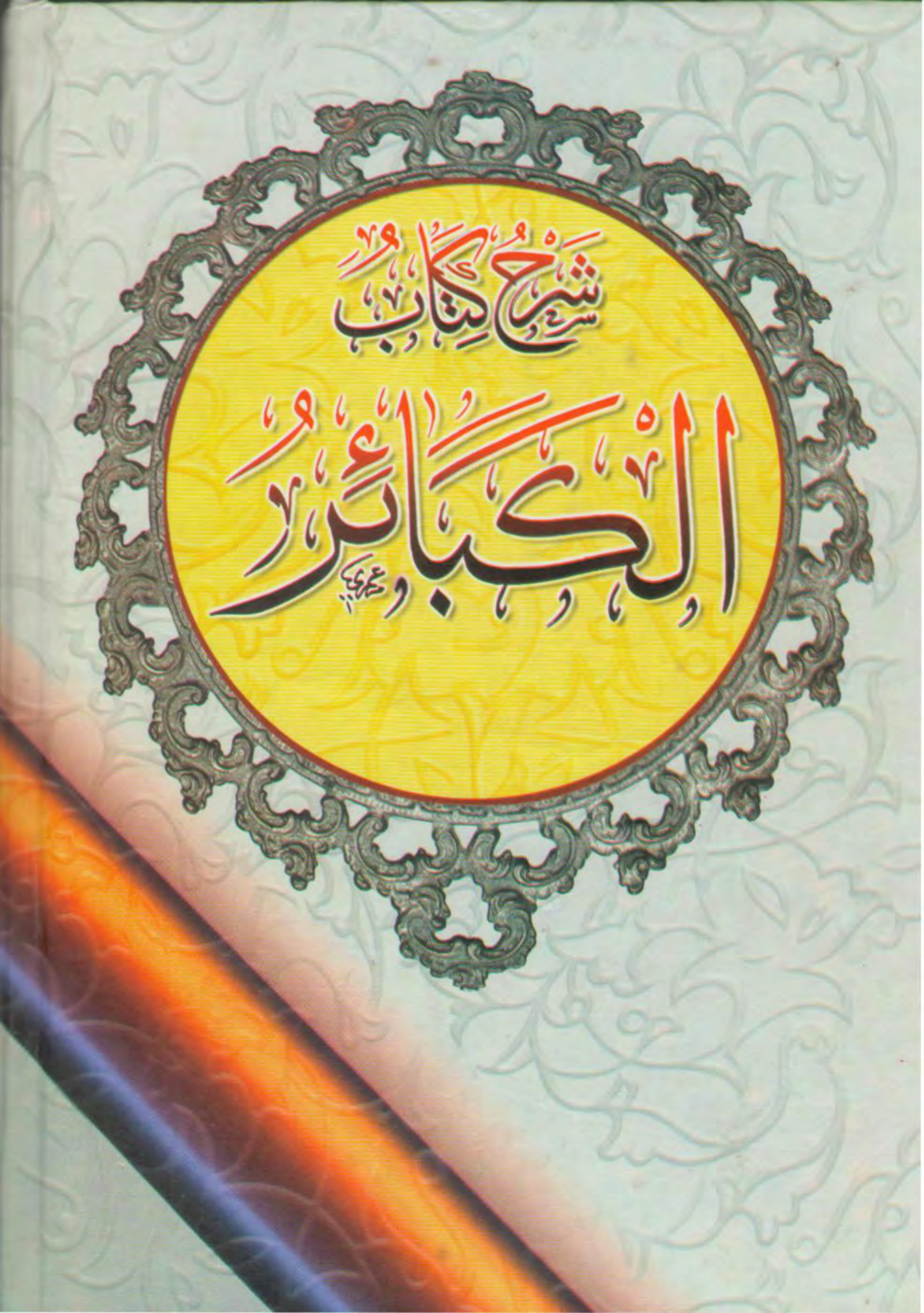
(٢) سورة النور : ٢٢ .

(٣) سورة الزمر : ٣٣ .



الفهــــرس

الفهرس


شرح کتاب
الکبائر